مجلة جامعة الطائف

الآداب والتربية

مجلة علمية محكمة

المجلد الثاني - العدد السابع

جمادى الآخرة ١٤٣٣ هـ - أبريل ٢٠١٢ م

رقم الإيداع: ٤٧١٤/ ١٤٣٠
ردمد: ١٦٥٨-٤٧٦٧

الآراء الواردة في المجلة لا تمثل بالضرورة وجهة نظر الجامعة
ولا أسرة تحرير المجلة، بل تمثل وجهة نظر الباحثين.

الطباعة:
مطابع السروات بجدة

التصميم
الأعمال الثقافية
lifejed@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة جامعة الطائف

المجلد الثاني - العدد السابع ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير

أ. د. عالي سرحان القرشي

أمين التحرير

أ. د. سعود عبد الله الروقي

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. مصطفى يمن السعدني أ. د. حسن البنا محمود

د. جابر محمد عبد الله

الإعداد الفني

عادل سعود الروقي سلمان علي السليماني

عادل علي الحميدي

محتويات العدد

● الإدارة والاقتصاد

قياس أثر التجارة الإلكترونية على النمو الاقتصادي
في المملكة العربية السعودية ——— د. فريد بن هاشم اللعبان ١١
د. محمد سيد أبو السعود

● الإعلام

دور الإعلام في حماية المستهلك بمدينة الرياض ——— د. نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود ٤١

● التاريخ

نوع الأسواق المكية في القرن التاسع الهجري ——— د. عائض محمد الزهراني ٩٣

● التربية

اتخاذ القرار المهني وعلاقته بالثقة بالنفس لدى طلاب
الصف الثالث الثانوي ——— د. غالب محمد المشيخي ١٣٣

الأبعاد التربوية لمواجهة ظاهرة إرهاب الانترنت ——— م.د. هديل مصطفى مصطفى الطواني ١٧٧

● الشريعة

تعريف الحافظ ابن حجر للحديث المفكر ——— د مذعب بن خلف بن مذعب السلمي ٢١٣

● التصميم

متطلبات الارجونوميكس الأساسية في مقررات التصميم الداخلي
لإثراء المنتج التصميمي بكلية التصاميم جامعة الطائف — د. أيمن فاروق عبد العظيم الليجي ٢٤٧

● اللغة العربية وآدابها

الحمل على المعنى في صيغ جمع التكسير ——— د. حجاج أنور عبد الكريم ٢٧٥

النيابة في صيغ الأسماء ——— د. نجلاء محمد نور عبد الغفور عطار ٢٩٩

التناص في شعر البهاء زهير ——— د. راضي جلال عبد المحيط ٣٤٣

● قسم الإنجليزي

البنية الإدراكية للفعل «سأل» في القرآن الكريم:

تحليل من علم اللغة المعرفي ——— أ.د. حسن البنا جاب الله ١١

د. محمد علي الخيري

١

الإدارة والاقتصاد

جامعة الطائف

قياس أثر التجارة الإلكترونية على النمو الاقتصادي في المملكة العربية السعودية

د. فريد بن هاشم قلمبان
أستاذ الاقتصاد المشارك
كلية العلوم الإدارية والمالية - جامعة الطائف

د. محمد سيد أبو السعود
أستاذ الاقتصاد المشارك
كلية العلوم الإدارية والمالية - جامعة الطائف

مجلة جامعة الطائف - الآداب والتربية (الإدارة والاقتصاد)
المجلد الثاني - العدد السابع - جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ - أبريل ٢٠١٢م

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى قياس مدى تأثير التجارة الإلكترونية على اقتصاد المملكة العربية السعودية خلال الفترة (٢٠٠٠م-٢٠١٠م) وذلك بالاعتماد على نموذج قياسي. وقد توصلت الدراسة إلى معنوية أغلب مؤشرات التجارة الإلكترونية حيث أثرت تلك المؤشرات إيجابياً على النمو الاقتصادي للمملكة خلال الفترة محل الدراسة. وأوصت الدراسة بالعمل على إيجاد الإطار التشريعي الذي ينظم المعاملات الإلكترونية في ظل انفتاح الأسواق والحفاظ على حقوق الملكية الفكرية، وبتوفير مناخ من الحرية الاقتصادية الذي يساعد على تطور التجارة الالكترونية من خلال إزالة القيود والعراقيل على التبادل التجاري في الداخل أو الخارج، وإتاحة حرية البحث عن المعلومات وتبادلها وتداولها في المملكة.

الكلمات المفتاحية: اقتصاد، اقتصاد كلي، تجارة الكترونية، نمو اقتصادي، المملكة العربية السعودية

١- المقدمة

يطلق مصطلح التجارة الإلكترونية E-Commerce على تنفيذ وإتمام عمليات التسويق والبيع والشراء عبر الوسائل الإلكترونية. وتعد شبكة الإنترنت من أكثر الوسائل الإلكترونية استخداما لهذا الغرض. وقد أصبح للتجارة الإلكترونية تأثيرات جوهرية على أسلوب إدارة الأنشطة الاقتصادية وممارسة الأعمال التجارية وما يتصل بها من خدمات. كما امتد تأثيرها ليشمل العلاقات التي تحكم قطاعات الأعمال والمستهلكين، مما كان له آثار وانعكاسات بعيدة المدى على الجوانب القانونية والتنظيمية، وحقوق الملكية الفكرية وحماية الاستثمارات، وغيرها من الجوانب التقنية والمالية ذات الصلة بالتجارة الإلكترونية. وقد استفادت قطاعات عديدة من تقنيات التجارة الإلكترونية لتيسير التبادل التجاري والمعلوماتي والمهني والخدمي. وقد كان قطاع الأعمال من أبرز المستفيدين من هذه التقنيات، حيث استحوذ على حوالي ٨٠٪ من حجم التجارة الإلكترونية في العالم خلال الفترة(١٩٩٨-٢٠٠٧)[١]. ويعود السبب في ارتفاع حجم التجارة الإلكترونية بين القطاعات التجارية إلى اعتماد هذه القطاعات على الوسائل الإلكترونية لإنجاز تعاملاتها التي كانت تتم بالوسائل التقليدية، حيث أثبتت تقنيات التجارة الإلكترونية كفاءتها في تقليل التكاليف وسرعة إنجاز المعاملات بينها. أما قطاع المستهلكين فقد استفاد من تقنيات التجارة الإلكترونية، حيث أتاحت له خيارات أوسع عن ذي قبل ساعدتهم في الحصول على أجود السلع وبأرخص الأسعار نتيجة لغياب الوسطاء، إضافة إلى تنوع الخدمات المتاحة مثل السفر والتعليم والطب والبحوث والدراسات. ويعتمد حجم نمو وانتشار التجارة الإلكترونية على مدى توفر البنية التحتية واستكمال المتطلبات الأساسية اللازمة لها، وبقدر ما تكون الاستجابة لهذه المتطلبات يكون حجم الانتشار والنمو.

وقد باتت التجارة الإلكترونية اليوم أحد المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية إذ تسهم إلى حدٍ كبير في دعم الاقتصاد الوطني، وتعزيز التجارة المحلية والخارجية والتبادل التجاري وزيادة القدرة التنافسية لصادرات السلع والمنتجات الصناعية من خلال تسويقها إلكترونياً. و تتصدر المملكة العربية السعودية الدول العربية من حيث نمو حجم التجارة الإلكترونية الذي بلغ ١٥ مليار ريال سعودي، وذلك في ظل ارتفاع عدد مستخدمي خدمات التجارة الإلكترونية إلى ٧,٧ مليون مستخدم، أي ما يمثّل ٢٨٪ من عدد السكان، الأمر الذي يعزّز مكانة المملكة العربية السعودية كقاعدة مثالية لسوق التجارة الإلكترونية على مستوى المنطقة[٢].

مشكلة الدراسة

تعد التجارة الالكترونية من أهم الوسائل التي تساعد على زيادة الصادرات غير النفطية في المملكة والتي تعتبر أحد محركات النمو، بالإضافة إلى كونها أحد أهم الأدوات التي يمكن أن تساهم في تخطي المشكلات الاقتصادية القائمة في الاقتصاد السعودي، ومحاولة اللحاق بالدول الصناعية المتقدمة، عن طريق زيادة معدل نمو الصادرات وخاصة الصادرات من المنتجات التكنولوجية الحديثة والتي تتميز بارتفاع العائد عليها، بما يؤدي إلى تحقيق معدلات نمو مرتفعة، ويساهم في زيادة درجة تنافسية المملكة على المستوى العالمي. وعليه تتمثل مشكلة الدراسة في الإجابة على السؤال: ما هو أثر مؤشرات التجارة الالكترونية على النمو الاقتصادي في المملكة العربية السعودية؟

أهداف الدراسة

في ضوء طبيعة وأهمية البحث فان الدراسة تهدف إلى:

- التعرف على ماهية التجارة الالكترونية.
- تتبع تطور مؤشرات التجارة الالكترونية في المملكة خلال الفترة (٢٠٠٠م-٢٠١٠م)
- قياس تأثير مؤشرات التجارة الالكترونية على النمو الاقتصادي للمملكة العربية السعودية خلال الفترة (٢٠٠٠م-٢٠١٠م)

منهجية الدراسة

تعتمد الدراسة على المنهجين الوصفي والتحليلي، حيث يتم دراسة تطور ظاهرة التجارة الالكترونية وتطور نصيب المملكة العربية السعودية من هذه التجارة خلال الفترة محل الدراسة. كما يتم عمل مراجعة نقدية للأدبيات النظرية والدراسات التطبيقية السابقة التي تناولت ظاهرة التجارة الالكترونية وحاولت قياس تأثيرها على مستوى الاقتصاد الكلي. كما سيتم بناء نموذج قياسي لتحديد مدى تأثير التجارة الالكترونية على أداء الاقتصاد الكلي للمملكة مقاساً بالناتج المحلي الإجمالي الحقيقي.

خطة الدراسة

بناءً على أهداف الدراسة فإنه سوف يتم تقسيمها إلى خمسة مباحث بخلاف المقدمة والخاتمة، يتناول المبحث الأول: الإطار النظري لظاهرة التجارة الالكترونية، ثم يأتي المبحث الثاني ليعرض النظريات والدراسات السابقة التي تناولت مدى تأثير التجارة الالكترونية على نمو الناتج المحلي الإجمالي، في حين يتناول المبحث الثالث: تطور التجارة الالكترونية في المملكة

خلال الفترة (٢٠٠٠م-٢٠١٠م)، ويعرض المبحث الرابع: تطور الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي للمملكة، وأخيراً يأتي المبحث الخامس ليقوم بقياس أثر التجارة الالكترونية على الناتج المحلي الإجمالي للمملكة العربية السعودية خلال الفترة محل الدراسة.

٢- ماهية التجارة الإلكترونية

تعتبر ظاهرة التجارة الالكترونية ظاهرة حديثة، حيث لم يكن لها وجود حقيقي منذ ما يقرب من عشرين عاماً،حيث ارتبطت ارتباطاً عضوياً بظهور وانتشار شبكة الاتصالات الدولية(الانترنت)، وبصفة خاصة بعد انتقال الإشراف على هذه الشبكة إلى القطاع الخاص في الولايات المتحدة عام ١٩٩٥. وعلى الرغم من قصر فترة ظهور التجارة الإلكترونية إلا أنها شهدت على المستوى العالمي أهمية متزايدة وتطورات متلاحقة، فقد فاق حجم التبادل التجاري عن طريقها جميع التوقعات[٣].

وتعرف التجارة الالكترونية على أنها عملية نقل وتسليم السلع والخدمات إلكترونياً، كما تعرف أيضاً بأنها نوع من عمليات البيع والشراء ما بين المستهلكين والمنتجين، أو بين بعض الشركات، باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وتعرف كذلك بأنها القيام بصفقات مالية بطرق الكترونية تتم بين الأفراد وبين الشركات[٤]. بينما تعرفها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD على أنها «جميع أشكال المعلومات التجارية التي تتم بين الشركات أو الأفراد، والتي تقوم على أساس التبادل الإلكتروني للبيانات، سواء أكانت مكتوبة، أو مرئية أم مسموعة. هذا بالإضافة إلى شمول الآثار المترتبة على عملية تبادل البيانات والمعلومات التجارية إلكترونياً، ومدى تأثيرها على المؤسسات والعمليات التي تدعم وتحكم الأنشطة التجارية المختلفة»[٥]. كما تعرفها حامد (٢٠٠٨) على أنها «عمليات التبادل باستخدام التبادل الإلكتروني للمستندات، أو من خلال البريد الإلكتروني والنشرات الإلكترونية، والفاكس، وباستخدام التحويلات الإلكترونية للأموال، وكذلك كل الوسائل الإلكترونية المشابهة لهذه النشاطات» ويعرفها النعيمي (٢٠٠٨) على أنها" تجارة الأعمال حيث يتم التعامل مع الشركة ضمن عناوين ويب الخاصة بالشركة والغير قابل للنشر على الجمهور، من جهة ثانية فهي تنحصر في تجارة الأعمال مع المستهلكين «.كما يعرفها عبد الخالق (٢٠٠٦) على أنها «جميع أشكال التعاملات التجارية التي تتم الكترونياً عبر شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، وتتم هذه التعاملات بين الشركات أو بينها وعملائها أو بين الشركات والحكومات، وتشمل التجارة الخارجية والداخلية، ويمكن للتجارة الالكترونية أن تقوم بوظائف جديدة في عمليات التبادل التجاري من بينها الإعلان والتسويق والمفاوضات، وتسوية المدفوعات والحسابات، وفتح الاعتمادات، والتراخيص، وإعطاء أوامر للبيع والشراء والتبادل

لبعض السلع والخدمات[٦]. من خلال التعريفات السابقة يلاحظ أن أغلبها تضمن أهم الصفات والخصائص التي تتمتع فيها التجارة الإلكترونية،والتي يمكن أن نلخصها في الآتي:[٧]

استخدام تكنولوجيا المعلومات وشبكة الاتصالات في إدارة أنشطة العمليات التجارية بين الشركات مع بعضها البعض من جهة وبين الشركات وعملائها (المستهلكين).

- استخدام تكنولوجيا المعلومات وشبكة الاتصالات في إدارة نشاط العمليات التجارية بين الشركات والحكومات الإلكترونية.
- تعمل على رفع الكفاءة في الأداء وتحقيق الفاعلية في التعامل باستغلال تكنولوجيا المعلومات وشبكة الاتصالات بشكل مثالي.
- تعمل على تخطي الحدود الزمنية والمكانية التي عادة ما تقيد حركة التعاملات التجارية.
- تتفاعل بسرعة كبيرة لتلبية حاجة السوق من خلال الاستجابة السريعة لمتطلباته، وذلك من خلال التفاعل مع العملاء (المستهلكين) الطالبين للسلع والخدمات على شبكة الاتصالات.
- تقوم التجارة الإلكترونية على تبسيط الإجراءات ووضوح التعامل و أداء العمليات التجارية.

اعتماداً على ما سبق يمكننا أن نعرف التجارة الإلكترونية على أنها **عبارة عن جميع العمليات والأنشطة التي لها صلة بشراء وبيع السلع والخدمات والمعلومات عبر شبكة الإنترنت أو أي شبكة أخرى مثل الشبكات التجارية العالمية أو الشبكات المحلية**. ويتضمن هذا التعريف الأمور الآتية: الإعلانات بجميع أنواعها، تقديم المعلومات عن السلع و الخدمات بشكل واضح ومريح، ربط العملاء بعلاقات تتعلق بعمليات البيع والشراء وتقديم الخدمات ما بعد عمليات البيع، عملية التفاوض بين العملاء (البائع والمشترى) وتحديد أسعار سلعهم وخدماتهم،عقد الصفقات وإبرام العقود بعد التوصل إلى اتفاق فيما بينهم نتيجة التفاوض، سداد الالتزامات المالية ودفعها وتقديم الضمانات والتسهيلات اللازمة، وأخيراً عمليات تسليم السلع وتقديم الخدمات ومتابعة الإجراءات النهائية للصفقات المعقودة.

وتتصف التجارة الإلكترونية بعدة خصائص تميزها عن التجارة التقليدية من أهمها: التطور والنمو السريع، حيث يزداد نصيبها في الناتج المحلي الإجمالي العالمي،وقد أسهم تطور الإنترنت إسهاماً فعالاً في هذا الصدد لاعتماد هذه التجارة عليه. كما تتسم بسرعة التعاقد وسرعة التسليم بالنسبة لكثير من الصفقات وفق نظام Just-in-Time، ومن ثم فهي تختزل عنصر الزمن.[٨] وتقوم على التعامل المباشر بين المتعاملين على شبكة الاتصالات الدولية دون الحاجة إلى طرف ثالث ييسر إجراءات التلاقي بين الإرادتين. كما تتيح فرصة كبيرة للتعامل في مختلف الأسواق في الشرق والغرب على مدار أربع وعشرين ساعة، برغم فروق التوقيتات الكبيرة، ويمثل

ذلك تيسيراً كبيراً على المتعاملين، خاصة في الأوراق المالية.[٩] وهي تعتمد على النشاط الخاص اعتمادا يكاد يكون كلياً. لذا كان الاهتمام بها مسحوباً بتشجيع هذا القطاع، وتفكيك الحزم القانونية التي قد تعوق نشاطه في الداخل والخارج. كما تتسم التجارة الالكترونية بعدم التوازن في انتشارها، إذ تسيطر عليها الاقتصاديات المتقدمة، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوربية.[١٠] إذ تشير بعض الدراسات مثل (UNCTAD, 2008) إلى أن معظم المستخدمين للتجارة الالكترونية عبر الانترنت يرتكزون في الولايات المتحدة وأوربا، وكندا واستراليا بنسبة ٥٧٪، ١٧٪، ١٠٪، ٧٪ على التوالد من إجمالي المستخدمين في العالم، وتشترك بقية دول العالم في النسبة المتبقية والتي تمثل ٩٪ فقط[١١]. كما يتسم انتشار التجارة الالكترونية في الدول النامية بالتركز الشديد في عدد قليل من الدول في شرق آسيا، مثل هونج كونج وسنغافورة، وفي القارة الأفريقية تسيطر دولتي جنوب إفريقيا وموريشيوس على مكانة الصدارة.[١٢]

وقد أوضحت بعض الدراسات[١٣] أن هناك نوعين من المؤشرات يستخدمان لقياس حجم التجارة الالكترونية والاستدلال على مدى انتشارها. ويتمثل هذان المؤشران في:

مؤشرات مباشرة تتعلق بقيمة ما يعقد من صفقات تجارية عبر الانترنت، فعلى الرغم من صعوبة معرفة الحجم الدقيق لما يتم من تعاملات تجارية عبر الانترنت، لأن هذا يفترض إمكانية تصنيف ما يجري من اتصالات عبر الانترنت إلى اتصالات ترتبط بأعمال التجارة الالكترونية، واتصالات ليس لها غرض من أغراض التجارة الالكترونية. ومع ذلك، فإن هناك العديد من الجهات الرسمية وغير الرسمية تجتهد في هذا الخصوص، وتقدم تقديرات شديدة التفاوت حول قيمة المعاملات التجارية الالكترونية، ويرتبط التفاوت في التقديرات باختلاف التعريف المستخدم للتجارة الالكترونية، وكذلك باستخدام أساليب مختلفة لعزل المعاملات التجارية عن باقي المعاملات على الانترنت.[١٤]

مؤشرات غير مباشرة تركز على الوسائط الالكترونية التي يعتمد عليها لمزاولة التجارة الالكترونية مثل: عدد مضيفي الانترنت وعدد مستخدمي الانترنت، وعدد الخوادم المؤمنة، وعدد المواقع على الشبكة الالكترونية، وعدد الحاسبات الشخصية، وعدد الخطوط التليفونية...الخ.[١٥]

٣- النظريات والدراسات السابقة

نظراً لأن التجارة الالكترونية تعد ظاهرة حديثة وما زالت في مرحلة النشأة والتبلور، فإن الكتابات حولها لا تزال تحاول تشخيصها وإيضاح معالمها، ومتطلبات نموها وتطورها. ومن ثم لا توجد آراء معارضة لها وأخرى مؤيدة، وإنما غالبية الكتابات التي وصلت إلى يد الباحثين، تحاول تحديد وتشخيص الظاهرة وما ينبغي توفيره من بيئة أساسية لازمة لتطورها. ولكن يجب الأخذ

في الاعتبار أن التجارة الالكترونية هي جزء من التجارة الخارجية، وعلى ذلك فإن النظريات المفسرة للعلاقة بين التجارة الخارجية والنمو الاقتصادي كأحد مؤشرات الاقتصاد الكلي يمكن اعتبارها بشكل نسبي تقوم أيضاً بتفسير تأثير التجارة الالكترونية على مؤشرات الاقتصاد الكلي للدولة ومنها النمو الاقتصادي، وفيما يلي نتناول ذلك بشكل أكثر تفصيلاً، ثم يلي ذلك تناول أهم الدراسات السابقة التي تناولت تأثير التجارة الالكترونية على الاقتصاد الوطني.

٣-١ النظريات المفسرة لعلاقة التجارة الالكترونية بمؤشرات الاقتصاد الكلي

تتجاذب العلاقة بين التجارة الخارجية والنمو الاقتصادي-كأحد مؤشرات الاقتصاد الكلي - بشكل عام نظريتان للتجارة الخارجية هما: النظرية التقليدية الحديثة، ونظريات التجارة الحديثة، وفيما يلي هاتين النظريتين بإيجاز.[٧٦]

٣-١-١ النظرية التقليدية الحديثة

تعتبر نظرية التجارة الدولية التقليدية الحديثة أن التجارة محرك النمو، حيث يترتب عليها زيادة الاستهلاك المحلي والأجنبي،ومن ثم فهي تسهم في توسيع السوق، كما تساعد التجارة على تحقيق التوازن المحلي والدولي من خلال ضمان الأسعار التوازنية لعناصر الإنتاج وزيادة الدخل الحقيقي والاستخدام الأمثل للموارد، بالإضافة إلى أنها تساعد في تحقيق التنمية عن طريق القطاعات ذات الميزة النسبية. ففي ظل التجارة الحرة تساهم الأسعار الدولية وتكاليف الإنتاج في تحديد حجم التجارة الواجب على الدول إتباعها لزيادة رفاهيتها الاقتصادية- أي على الدول السير وفقاً لمبادئ الميزة النسبية وعدم التدخل في آليات السوق- ولغرض رفع معدلات النمو والتنمية لابد من وجود سياسة دولية لحرية التجارة تشجع على الاندماج في السوق العالمي من خلال ما يسمى بالعولمة الاقتصادية أو تحرير التجارة.

٣-١-٢ نظريات التجارة الحديثة

بدأت تتشكل معالم نظرية حديثة للتجارة الخارجية في نهاية السبعينات من القرن الماضي من قبل بعض الاقتصاديين مثل كروكمان Krugman، ودكست ونورمان Dixit and Norman، ولانكستر Lancaster، وهلبمان Helpman، وغيرهم. ولعل واحدة من أهم نقاط الاختلاف بين النظرية التقليدية والنظريات الحديثة هي الخاصة بالسياسات اللازمة للتنمية الصناعية، والتأثير اللاحق على النمو. حيث أن الحوافز المحايدة-ذات التأثيرات المحايدة على الواردات والصادرات- وحرية التجارة لا تؤدي بالضرورة إلى النتيجة التي تتبناها النظرية التقليدية. وبصفة عامة فإن نظريات التجارة الحديثة قامت بالتصدي إلى افتراضات أساسية للنظرية

التقليدية. ولعل من أهم استنتاجات نظريات التجارة الدولية هي أن التجارة إنتاج متسارع لزيادة العوائد أثناء الإنتاج، وليست نتاج المزايا النسبية. كما أن نمط التخصص، والتجارة يعود إلى توليفة من العوامل التاريخية، والمصادفات، والسياسات الحكومية، ولا يعود إلى طبيعة الموارد الطبيعية المتاحة في هذه الدول.

٣-٢ الدراسات التطبيقية

خلصت العديد من الدراسات إلى أن التجارة الالكترونية يترتب عليها نمو وتطوير أداء القطاع التجاري وتحقيق مستوى اندماج أفضل في النظام التبادلي العالمي من خلال فتح أسواق جديدة للمنشآت الصغيرة والمتوسطة، وتحقيق توافق للأنماط التجارية مع سمات عصر الاتصالات والمعلومات. والتجارة الالكترونية تحتاج إلى بنية تحتية وتكنولوجية وعمالة فنية متخصصة واستراتيجيات حديثة للإدارة المالية، والتسويقية والعلاقات العامة، والاتصالات وخدمات مصرفية ونقل وتأمين و غيرها؛ مما تتيح الفرصة لنمو صناعة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ونمو القطاعات الأخرى ذات العلاقة؛ مما يترتب عليها إعادة هيكلة سوق العمل لصالح زيادة الطلب على العمالة الفنية المتخصصة. كما تساهم التجارة الالكترونية في رفع كفاءة الأداء وزيادة الشفافية في الأسواق والقضاء على الاحتكارات وتوثيق العلاقات التشابكية بين القطاعات وداخلها، وتعمل على تحفيز الاستثمارات الأجنبية وتشجيع البحث العلمي والتطوير والابتكار والتجديد. ومن ناحية أخرى، تحقق التجارة الالكترونية منافع عديدة للمجتمع مثل تمكين العديد من الأفراد من تأدية مهامهم التسويقية في منازلهم بأقل ما يمكن من عمليات التجول والسفر والتنقل؛ وبالتالي إمكانية تحقيق غاياتهم بعيداً عن ازدحام الشوارع وما يترتب على ذلك من مزايا ايجابية في تقليل التلوث البيئي، وتمكين أفراد المجتمع من الحصول على السلع والخدمات بأرخص الأسعار، وكذلك تمكين الأفراد في دول العالم الثالث، وبخاصة المناطق الريفية من الإطلاع على السلع والخدمات المعروضة في هذه الشبكات والتي لا تكون في العادة متوفرة في أسواقهم، يضاف إلى ذلك تسهيل توزيع الخدمات العامة التي تقدمها مختلف المؤسسات الحكومية؛ وبالتالي فإنها تقلل من تكاليف التوزيع وتزيد من جودة وكفاءة النظم التوزيعية. وهو ما أثبتته دراسة (Jorgenson& Stiroh 2005) حيث أوضحا أن التجارة الالكترونية مصدر هام لتحسين الإنتاجية ورفع معدل النمو الاقتصادي وتحسين الكفاءة الاقتصادية. وقد أرجع البعض ذلك إلى أثر تعميق استخدام رأس المال Capital Deepening، حيث تؤدى التجارة الالكترونية إلى زيادة حجم الاستثمارات في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والتي تؤدى بدورها إلى زيادة الإنتاجية والنمو الاقتصادي.[٧٧] بينما أرجع البعض الآخر مثل

(Dedrick etal.2003) أثر التجارة الالكترونية على زيادة الإنتاجية والنمو إلى ما تحققه التجارة الالكترونية من خفض في تكلفة التنسيق بين القطاعات الاقتصادية وتحسين مستوى الإدارة والتنظيم Co-ordination Effect.[١٤]

كما ركزت بعض الدراسات مثل (Morrison& Siegel 1997. Helpman 1998) على إبراز أثر التجارة الالكترونية في تنمية الإنتاجية ورفع مستوى الأداء الاقتصادي من خلال ما يتحقق من وفورات خارجية تتمثل في زيادة الاستثمار في البحث العلمي والتطوير والتنمية البشرية وتطوير العلاقات التشابكية مع الصناعات والقطاعات الأخرى والتي تستفيد بها معظم القطاعات الأخرى وتسهم في رفع إنتاجيتها.[١٥]

وقد أوضحت بعض الدراسات الأخرى إلى وجود اختلافات في مدى تأثير التجارة الالكترونية على مستوى الإنتاجية والنمو من اقتصاد إلى آخر تبعاً لمستوى الاستثمار في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات مثل دراسة (OECD.2003).[١٦] أو درجة التقدم الاقتصادي للدولة في دراسة (Daveri.2003).[١٧] في حين أكدت دراسة (Liebowitz. 2003) على اختلاف الأثر على الأداء الاقتصادي تبعاً لنوع التجارة الالكترونية، حيث يزداد الأثر في حالة المبادلات بين منشآت الأعمال وبعضها البعض (B2B) عن المبادلات بين منشآت الأعمال والمستهلكين (B2C).[١٨]

وأبرزت مجموعة أخرى من الدراسات مثل .((Lall 2002, Bartel & Sicherman (2005 Berman& Machin 2006) إلى أن التجارة الالكترونية تؤدى إلى زيادة الأجور وإعادة هيكلة سوق العمل لصالح العمالة الفنية والعمالة الماهرة ذات المستوى التعليمي المرتفع. وأكدت دراسة أخرى (UNCTAD. 2002) على الأثر الإيجابي لنمو تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات الناتجة عن انتشار التجارة الالكترونية على زيادة فرص عمل المرأة.[١٩] وقد أكدت العديد من الدراسات مثل (Siegel etal.1997. Morrison& Siegal2001) وجود علاقة ارتباط موجبة بين التغيرات التكنولوجية المترتبة على التجارة الالكترونية والتحولات في بيئة العمل على المستوى التنظيمي والإداري سواء في مجال التدريب، أو إعادة التأهيل، وتغيير الهياكل الإدارية، وأعباء الوظائف، وتنظيم العمل.[٢٠]

وقد تناولت عدة دراسات تأثير التجارة الالكترونية على صادرات الدول من خلال الربط بين درجة الانفتاح الاقتصادي وتحرير التجارة، ودرجة استخدام الانترنت، أي تحديد العلاقة التي تربط بين درجة استخدام الانترنت والصادرات سواء كانت صادرات من الدول النامية إلى الدول المتقدمة أو العكس، وكذلك بين الدول النامية وبعضها البعض. فقد أوضحت دراسة (Onyeiwu.2002) أن مدى اندماج الدولة في الاقتصاد العالمي يلعب دوراً أساسياً في

اعتمادها على تكنولوجيا الانترنت. فالدول التي لديها ارتباط كبير بالاقتصاد العالمي، سواء عن طريق التجارة أو السياحة أو الموقع الجغرافي، تكون أكثر تقدماً في التكنولوجيا الرقمية من الدول الأخرى. ويرى (Caselli & Coleman. 2001) أن الدول التي تستورد كثيراً من الدول مرتفعة الدخل في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD سوف تستفيد كثيراً من منافع المعرفة ومن ثم تتبنى التكنولوجيا الجديدة.[٢٥]

وقد توصلت بعض الدراسات التجريبية الخاصة بالأنترنت أن استخدام الانترنت يرتبط بالانفتاح التجاري، حتى بعد ضبط المتغيرات أو العوامل التي قد ترتبط بكلا المتغيرين. فعلى سبيل المثال وجد كل من (Wallsten. S.J2003) و (Baliamoune. M.N.. 2002) أن مستخدمي الانترنت يشكلون نسبة كبيرة من السكان في الدول النامية الأكثر انفتاحاً على التجارة. ومن الواضح، طبقاً لتلك الدراسات، أن الارتباط بين استخدام تكنولوجيا المعلومات والانفتاح الاقتصادي يكون قوياً في الدول النامية.

في حين تناولت بعض الدراسات الحديثة مثل دراسة (Clarke. G.R.G..2001) قياس مدي تأثير استخدام الانترنت على الصادرات، وقد اعتمد (Clarke) على بيانات عشرين دولة منخفضة ومتوسطة الدخل من شرق أوربا ووسط آسيا، ووجد أن المشروعات المرتبطة بالانترنت تصدر كنسبة من إجمالي مبيعاتها أكثر من المشروعات غير المرتبطة بالانترنت. كذلك وجد (Freund. C.2000) أن استخدام الانترنت يرتبط بالتجارة بعد عام ١٩٩٦.[٢٦] وفي دراسة أخرى وجد (Freund.C. &Wein hold.D..2002) أن صادرات الخدمات إلى الولايات المتحدة تنمو بصورة أسرع بالنسبة للدول التي تعتمد كثيراً على الانترنت، وذلك في عينة من (٣١) دولة متوسطة ومرتفعة الدخل.

وبعد تناول أهم الدراسات التطبيقية السابقة يتضح لنا أنه لا توجد أي دراسة –حسب ما توفر للباحثين من دراسات تطبيقية سابقة- تناولت تأثير التجارة الالكترونية على المملكة العربية السعودية، مما يشير إلى مدى أهمية الدراسة الحالية التي قد تعد من أوائل الدراسات التطبيقية في المملكة العربية السعودية التي اعتمدت على نموذج قياسي لقياس مدى أثر التجارة الالكترونية على النمو الاقتصادي في المملكة خلال الفترة (٢٠٠٠–٢٠١٠).

٤- تطور مؤشرات التجارة الالكترونية في المملكة

أدى التطور المستمر في تقنية المعلومات والاتصالات (ICT) إلى ظهور شبكة الإنترنت، وانتشارها بشكل سريع في جميع دول العالم ومنها المملكة العربية السعودية، بحيث أصبحت وسيلة هامة لإنجاز المعاملات بأساليب إلكترونية. ومع الازدياد المتنامي لعدد مستخدمي

الإنترنت على مستوى المملكة تنوعت استخدامات شبكة الإنترنت والاستفادة منها في مختلف مناحي الحياة، ومن بينها مجال التجارة الإلكترونية في مختلف القطاعات الاقتصادية السلعية منها والخدمية من بيع أو شراء وتسويق وترويج وإعلان وغيره. وفيما يلي نتناول تطور التجارة الالكترونية بالاعتماد على المؤشرات المباشرة وغير المباشرة.

٤-١ المؤشرات المباشرة للتجارة الالكترونية

كان من الطبيعي أن تنعكس المظاهر السابقة (المتمثلة في التطور المستمر في تقنية المعلومات والاتصالات وظهور شبكة الإنترنت، وانتشارها بشكل سريع في جميع دول العالم ومنها السعودية) في ازدياد تقديرات التجارة الالكترونية سنة بعد أخرى، وبرغم التباين في هذه التقديرات، لكن يوجد اتجاه عام يتمثل في النمو المستمر في حجم التجارة الالكترونية في المملكة. ويؤكد هذا النمو المستمر في التجارة الإلكترونية عبر شبكة الإنترنت بعض المصادر ومراكز الأبحاث المختلفة[٣٧] والتي قدرت حجم التجارة الإلكترونية بحوالي ١٥ مليار ريال في عام ٢٠١٠ في حين أنها لم تتجاوز ٦،١مليار ريال في عام ٢٠٠٠م. وهو ما يوضحه شكل(١). وتمثل حجم التجارة الالكترونية في السعودية حوالي ٠،١ ٪ من إجمالي حجم التجارة الإلكترونية على مستوى العالم. في حين يمثل نصيب دول أمريكا الشمالية نحو ٥٨،٢ ٪، يمثل نصيب الولايات المتحدة الأمريكية وحدها نحو ٤٩٪، بينما تبلغ أنصبة دول آسيا والباسيفيك وأوربا الغربية وأمريكا اللاتينية على ٢١،١٪ و١٩،٢٪ و١،٨٪ على التوالي خلال عام ٢٠١٠م.وهو ما يوضحه جدول(١)

شكل(١) تطور حجم التجارة الالكترونية في المملكة خلال الفترة (٢٠٠٠-٢٠١٠) القيمة بالمليار ريال

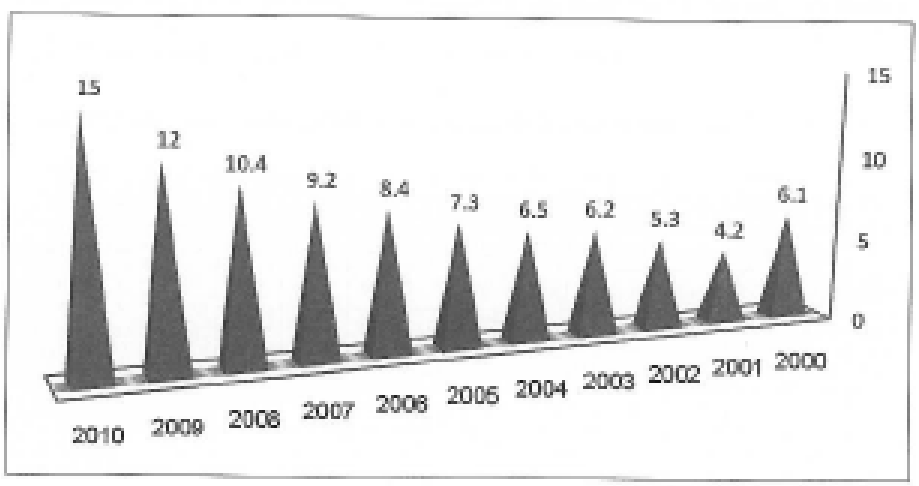

المصدر: الأونكتاد، التقرير السنوي، أعداد مختلفة

جدول(١) التوزيع الجغرافي للتجارة الالكترونية خلال عامي ٢٠٠٠و ٢٠١٠

المنطقة	النسبة المئوية وحجم التجارة الإلكترونية بمليارات الدولارات			
	2000		2010	
	الحجم (مليار $)	%	الحجم(مليار $)	النسبة
العالم	2293.5	100	47323.4	100
الدول النامية	95.7	4.2	2839.4	6
إفريقيا	-	0.5	47.32	0.1
أمريكا اللاتينية	0.3	7.6	378.6	1.8
آسيا والمحيط الهادي	3.8	87.6	9985.2	21.1
دول وسط وشرق أوربا	0.4	9.2	331.3	0.7
الدول المتقدمة	95.4	2188.4	44152.73	92.3
أمريكا الشمالية	73.1	1677.3	27542.22	58.2
أوربا	10.7	246.3	9086.1	19.2

المصدر: تم حساب هذه البيانات من التقرير الإلكتروني، أعداد متعددة

٤-٢ المؤشرات غير المباشرة للتجارة الالكترونية

وتضم هذه المؤشرات-كما سبق القول- كل من عدد مستخدمي الانترنت،عدد المواقع على الانترنت، عدد المشتركين في التليفون الثابت، عدد الحاسبات الشخصية.

٤-٢-١ عدد مستخدمي الانترنت

قدر الاتحاد الدولي للاتصالات (ITU) في تقرير عام ٢٠١٠ أن حوالي ٧،٧ مليون شخص على مستوي المملكة استطاعوا استخدام الانترنت في نهاية عام ٢٠٠٨ وهو ما يمثل ٢٨٪ من سكان المملكة الذي بلغ في نهاية عام ٢٠١٠ حوالي ٢٨ مليون نسمة.وهذا الرقم يمثل زيادة بمقدار حوالي ٥ مليون نسمة مقارنة بعام ٢٠٠٠، وهو ما يوضحه جدول(٢)

جدول(٢) تطور عدد مستخدمي الانترنت على مستوي العالم والمملكة خلال الفترة (٢٠٠٠-٢٠١٠)

السنة	2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010
العالم (مليار نسمة)	0.548	0.601	0.626	0.676	0.75	0.832	0.923	1.1	1.4	1.82	2.4
معدل النمو(٪)	-	9.6%	4.16	8%	11%	11%	12.01%	19.2%	27.3%	30.1%	32%
الدول المتقدمة(مليار نسمة)	0.356	0.387	0.407	0.407	0.457	0.507	0.563	0.671	0.854	1.11	1.46
الدول النامية(مليار نسمة)	0.192	0.214	0.219	0.259	0.292	0.324	0.36	0.429	0.546	0.71	0.93
السعودية (مليون نسمة)	1.8	2.1	2.3	2.7	3.1	3.5	4.2	4.6	5.3	6.5	7.7
معدل النمو(٪)	-	16%	9.5%	17.4%	14.8%	13%	20%	9.5%	15.2%	22.6%	18.5%

المصدر: التقارير السنوية للاتحاد الدولي للاتصالات، التقارير السنوية لوزارة الاتصالات وتقنية المعلومات السعودية، أعداد مختلفة

ويوضح الجدول السابق أن عدد مستخدمي التجارة الالكترونية يزدادون بعشرات الملايين، وأن الزيادة الكبيرة-سواء أكانت في صورة مطلقة أم نسبية- حدثت في بدايات استخدام الانترنت والبريد الالكتروني في تبادل الرسائل والبيانات والتجارة الالكترونية، حيث بدأت من أرقام متواضعة- حوالي٤،٥مليون مستخدم في عام ١٩٩١- ثم بدأت الزيادة تكون بأحجام ونسب أقل بعد ذلك، مع وصول العدد الإجمالي إلى ما يزيد على مليارى نسمة بنهاية عام ٢٠١٠.

وتؤكد بيانات الاتحاد الدولي للاتصالات والأونكتاد أن معظم الزيادة- خاصة مع بداية الألفية الجديدة- تأتي من الدول النامية بصفة عامة مقارنة بالدول المتقدمة. ولعل هذا تفسره البداية المتواضعة جداً للدول النامية بصفة مطلقة، ويصبح الأمر ملحوظاً بشكل واضح إذا تم قسمة عدد مستخدمي الانترنت في الدول النامية إلى إجمالي عدد السكان فيها بصفة عامة. وهو ما يعرف بضعف معدل كثافة انتشار الانترنت في هذه البلدان مقارنة بالدول المتقدمة. وهو ما يؤكده الجدول السابق. كما يوضح أن معدل النمو في استخدام الانترنت في الدول النامية يفوق نظيره كثيراً في الدول المتقدمة خلال الفترة المذكورة. إذ بلغ حجم المستخدمين من الدول النامية في عام ٢٠١٠حوالى٩٣٠مليون نسمة، وبمعدل نمو سنوي في المتوسط بلغ ٢٥٪ خلال الفترة(٢٠٠٠-٢٠١٠). ولعل هذا يرجع إلى تزايد إدراك سكان هذه الدول لأهمية استخدام التجارة الإلكترونية، خاصة مع تكامل الأسواق العالمية، وانتشار التحرير الاقتصادي في معظم الدول، إن لم يكن في دول العالم. وكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك على الوزن النسبي لعدد المستخدمين من الدول النامية، مقارنة بنظرائهم من الدول المتقدمة.

٤-٢-٢عدد المواقع على الشبكة الالكترونية

يعتبر مؤشر عدد المواقع على الانترنت (SSL)من أحد أهم المؤشرات عن استخدام الانترنت في إجراء الأعمال الذي يؤمن المعاملات(الصفقات) والذي يعطي دلالة بالنسبة لعدد المواقع التي تستخدمه التجارة الإلكترونية، إذ كلما زاد عدد مستخدمي الانترنت وانتشر الوعي بأهمية هذه الأداة الجذابة، شكل ذلك دافعاً قوياً لاستخدامه في التجارة الالكترونية من قبل مؤسسات الإنتاج والتسويق، ولعل الزيادة الكبيرة في عدد المواقع Websites على هذه الشبكة- والتي أصبحت تقدر بعشرات الملايين- تؤكد هذا الاتجاه. حيث أصبح استخدام الإنترنت لإجراء بعض التعاقدات يتم من خلال تبادل البريد الإلكتروني بين المتعاملين من خلال الشبكة العالمية للحصول على المعلومات أو عقد صفقات، أو من خلال إقامة مواقع للشركات على الشبكة. وقد أشارت أحدث التقارير من شركة «نيتكرافت» لمراقبة الإنترنت أن عدد مواقع الانترنت تجاوز ١٢٠ مليون موقع عام ٢٠١٠، مقارنة بـ٥٢مليون في عام ٢٠٠٠، في حين أنها لم تتجاوز ٥ مليون

موقع في يناير ١٩٩٥، و ٦ مليون موقع في نوفمبر ١٩٩٨. وأضافت شركة نيتكرافت، أن الولايات المتحدة لا تزال الأولى في مجال الإنترنت، حيث لها ٥٥ مليون موقع تليها ألمانيا بـ ١٥ مليونا فالمملكة المتحدة بـ٦ ملايين ثم كندا بـ٣ ملايين فقرنسا بـ٢,٥ مليون موقع. ويستدل على ما سبق عن شدة الميل والاتجاه لاستخدام الانترنت في مجال الأعمال، والتي تجاوز عددها النصف مليون موقع. وتستخدم هذه المواقع المؤمنة عادة في: التجارة الالكترونية، المدفوعات الإلكترونية وأعمال الصيارفة الالكترونية، وغيرها من الأعمال التي تحتاج إلى تأمين تبادل المعلومات. أما بالنسبة للمملكة العربية السعودية فقد ارتفع عدد المواقع الخاصة بها من ٤٣٥ موقع عام ٢٠٠٠ إلى١٣٤٨ موقع عام ٢٠١٠، وعلى الرغم من ارتفاع عدد المواقع الالكترونية الخاصة بالمملكة إلا أن هذا العدد أقل بشكل ملحوظ من عدد المواقع الخاصة ببعض الدول العربية مثل: لبنان (٧١٠١موقع)، عمان (٤٦٧٨ موقع)، الأردن(٢١٨٥ موقع)، الكويت(٣٤٣٧ موقع)، المغرب (٢٤٥٤ موقع)، مصر(١٨٠٢موقع)، البحرين(١٧١٨موقع)، بينما هي أكبر من الجزائر(٦٦٥موقع)، وتونس(٢١٨ موقع)، وقطر(١٢٧موقع)، والإمارات(٧٧ موقع)، وليبيا (٧٠ موقع). [٢٨]

٤-٢-٣ عدد المشتركين في الهواتف الثابتة والمحمولة

شهدت أعداد المشتركين في الهواتف سواء الثابتة أو المحمولة تزايداً ملحوظاً في المملكة العربية السعودية خلال الفترة محل الدراسة، حيث ارتفع عدد المشتركين في الهواتف الثابتة من ٣,٤ مليون نسمة عام ٢٠٠٠ إلى ٥,٢ مليون نسمة بنهاية عام ٢٠١٠م بمعدل نمو سنوي٥٪. ويعد معدل نمو عدد المشتركين في الهاتف الثابت في المملكة أكبر من معدل النمو على مستوى العالم الذي بلغ حوالي١,٩٪. أما بالنسبة لعدد المشتركين في الهواتف المحمولة فقد ارتفع من ٥٠١ ألف مشترك عام ٢٠٠٠ إلى ٣مليون نسمة عام ٢٠١٠.

٤-٢-٤عدد الحاسبات الشخصية

أوضح تقرير الاتحاد الدولي للاتصالات(ITU) لعام ٢٠١٠ ارتفاع عدد الحاسبات الشخصية ومتوسطها لكل ألف من السكان في المملكة العربية السعودية، حيث ارتفع عدد الحاسبات الشخصية من ٣٣٩ ألف جهاز عام ٢٠٠٠ إلى ٩٢٢ ألف جهاز عام ٢٠١٠، ومعني ذلك أن عدد الحاسبات كان ينمو بنحو ٢٥٪ سنوياً خلال الفترة المشار إليها. كما ارتفع عدد أجهزة الحاسب لكل ١٠٠٠ شخص من ٢٧,٦ جهاز لكل ١٠٠٠ شخص إلى ٤٢,٧ جهاز لكل ألف شخص خلال عامي ٢٠٠٠و ٢٠١٠ على التوالي. وطبقاً لإحصاءات ITU فإن ٣٦٪ من عدد الحاسبات الشخصية موجود في الولايات المتحدة الأمريكية، و٣٠٪ في أوربا، و٢٣٪ في اليابان، والباقي وقدره ١١٪ موزع علىباقي أنحاء العالم. ولا يزيد نصيب إفريقيا عن ١,٤٪ من عدد

الحاسبات الشخصية في العالم. وبينما يبلغ متوسط عدد الحاسبات لكل مائة نسمة ١٢,٧ على مستوى العالم؛ فإنه يصل إلى أعلى قيمة له ٧٦,٥ في الولايات المتحدة الأمريكية، ويبلغ أدنى قيمة له في إفريقيا حيث بلغ متوسط عدد الحاسبات لكل مائة نسمة حوالي١,٠٥. [٣٩]

من العرض السابق لأهم مؤشرات التجارة الالكترونية يتضح أنها أصبحت اليوم إحدى المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها التنمية الاقتصادية في المملكة لاسيّما مع وجود (٧,٧) مليون مستخدم لشبكة الإنترنت، إذ تسهم إلى حدٍّ كبير في دعم الاقتصاد الوطني، وتعزيز التجارة المحلية والخارجية، والتبادل التجاري، وزيادة القدرة التنافسية لصادرات السلع والمنتجات الصناعية من خلال تسويقها إلكترونياً. ومن هذا المنطلق، اتجهت جهود المملكة إلى اعتماد "برنامج الرخصة الدولية لقيادة الحاسب الآلي" على نطاق واسع ليشمل مختلف شرائح المجتمع السعودي بهدف تطوير التجارة الإلكترونية من خلال تأهيل الكفاءات الوطنية للاندماج في سوق العمل، وتزويدهم بالمهارات الأساسية المتعلّقة باستخدام الحاسب الإلي وتكنولوجيا المعلومات؛ وبالتالي إلى تعزيز مسيرة التنمية الاقتصادية المستدامة في المملكة والمنطقة بشكل عام. وتغطي التجارة الإلكترونية مجالات واسعة تشمل أنشطة التسويق والدعاية والإعلان وإبرام العقود والصفقات إلكترونيا وإعطاء أوامر البيع والشراء والمتابعة الإلكترونية لعمليات التعاقد وتنفيذ الصفقات والتسليم الفوري للسلع والخدمات عبر الشبكات أو خارجها إضافةً إلى تسوية المدفوعات والسداد الفوري للالتزامات المالية.

٥- تطور الناتج المحلي الإجمالي للمملكة خلال الفترة (٢٠٠٠-٢٠١٠)

شهدت المملكة خلال الفترة (٢٠٠٠-٢٠١٠) تطوراً اقتصادياً ملحوظاً كان من أهم مظاهره: تحقيق زيادة في الإنتاج نتيجة لزيادة الطاقة الإنتاجية والتوسع في الطاقات الإنتاجية معاً، واستمرار التغير في الهيكل الاقتصادي بزيادة التنويع في النشاطات الاقتصادية ومصادر الدخل الوطني. وأخيراً زيادة إسهام القطاع الخاص في النشاط الاقتصادي. وتدل البيانات الواردة في الجدول(٣) والخاصة بالنمو الاقتصادي على المستويات الكلية والقطاعية على الأداء الجيد للاقتصاد الوطني، ويمكن إيجازها فيما يلي: [٤٠]

- ارتفعت قيمة الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي من نحو (٦١٣,٦) بليون ريال في عام ٢٠٠٠ إلى نحو (٩١٨,٧) بليون ريال في عام ٢٠١٠، حيث بلغ معدل النمو الحقيقي نحو (٤,٥٪) في المتوسط سنوياً خلال الفترة محل الدراسة، وهو ما يزيد على معدل النمو المتوسط المستهدف في خطتي التنمية السابعة والثامنة ومقداره (٢,٥٪). ويمكن القول بأنه يمكن زيادة الناتج المحلي في القطاعين الحكومي والخاص من خلال تحسين الإنتاجية بالتوسع في استخدام التقنيات

الحديثة، وتطوير أساليب الإدارة والتنظيم، وترشيد استخدام الموارد.

- ارتبطت زيادة الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي بزيادة متوسط الدخل الحقيقي للفرد، حيث ارتفع متوسط دخل الفرد من نحو (٣٠،٧) ألف ريال في عام ٢٠٠٠ إلى نحو (٣٣،٠٤) ألف ريال في عام ٢٠١٠، حيث بلغ معدل النمو الحقيقي نحو (٠،٧٪) في المتوسط سنوياً خلال الفترة محل الدراسة.
- شهد التطور الاقتصادي خلال الفترة (٢٠٠٠-٢٠١٠) على تغير ايجابي في نسب مشاركة القطاعات غير النفطية في الناتج المحلي الإجمالي بالرغم من ارتفاع معدل النمو في القطاع النفطي. إذ ارتفعت القيمة المضافة للقطاعات الاقتصادية، باستثناء قطاع النفط الخام، بالأسعار الثابتة من نحو(٤٤٠،٤) بليون ريال سعودي في عام ٢٠٠٠ إلى نحو (٦٣٧،٦) بليون ريال في عام ٢٠١٠، حيث ارتفعت نسبة إسهام هذه القطاعات في الناتج المحلي الإجمالي من (٧١،٧٪) إلى(٧٣،٥٪) خلال العامين ٢٠٠٠ و٢٠١٠ على التوالي.وبلغ معدل النمو السنوي المتوسط الحقيقي (٥،٦٪). ويرجع هذا الأداء الجيد للقطاعات غير النفطية إلى النمو السريع في قطاعات الخدمات الخاصة التي حققت نمواً سنوياً حقيقياً بلغ متوسطه نحو (٤،٦٪) خلال تلك الفترة، كما يلاحظ المدى الواسع لهذا القطاع في استيعاب القوى العاملة.
- حققت القطاعات غير النفطية خلال الفترة محل الدراسة نمواً سنوياً حقيقياً بلغ متوسطه (٥،٦٪). ولقد تفاوت أداء هذه القطاعات فيما يتعلق بزيادة الإنتاج حيث كان النمو في بعضها جيداً وفق التقديرات المخططة لها، كما في قطاع النقل والاتصالات الذي حقق نمواً حقيقياً عالياً بلغ متوسطه السنوي (٦،٤٪) في مقابل معدل النمو المستهدف خلال تلك الفترة (٨، ٤٪)، وذلك بفضل إعادة هيكلة القطاع مالياً وإدارياً وتخصيصه والتحسن الذي حدث في إنتاجيته.

- ازدادت إسهامات القطاع الخاص في الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي من نحو (٣٢١،٥) بليون ريال في عام ٢٠٠٠ إلى ما يقدر بنحو (٤٧٣،٨) بليون ريال في عام ٢٠١٠، حيث ازدادت هذه الإسهامات بمعدل نمو سنوي متوسط حقيقي قدره (٥،٩٢٪) خلال تلك الفترة. وبهذا ارتفعت نسبة إسهام القطاع الخاص في الناتج المحلي الإجمالي من (٥٢،٤٪) إلى (٥٤،٦٪) خلال العامين ٢٠١٠،٢٠٠٠ على التوالي. ويعزز هذا التطور الاتجاهات الإستراتيجية الاقتصادية للمملكة. وهو ما يوضحه شكل(٣).

جدول (٣) تطور الناتج المحلي الإجمالي ومتوسط دخل الفرد بالأسعار الثابتة خلال الفترة (٢٠٠٠-٢٠١٠)

السنوات	الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي * بالمليون ريال بالأسعار الثابتة (١٩٩٠=١٠٠)	معدل النمو السنوي (٪)	السكان (مليون نسمة)	متوسط دخل الفرد الحقيقي (ريال)
2000	613589	-	19,98	30710
2001	632951	3.1	20,47	30920
2002	646417	2.13	20,98	30811
2003	657230	1.7	21,49	30583
2004	686037	4.4	22,02	33962
2005	722173	5.3	22,53	32053
2006	762278	5.5	23,11	32984
2007	811063	6.4	24,68	32863
2008	867837	7	24,24	35801
2009	905154	4,3	25,37	35678
2010	918731	1,5	27,8	33048

* بما في ذلك رسوم الاستيراد &المصدر: تم حساب بيانات الجدول من التقارير مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات، وزارة الاقتصاد والتخطيط

شكل(٣) تطور الإسهام النسبي للقطاعات في الناتج المحلي الإجمالي خلال الفترة (٢٠٠٠-٢٠١٠)

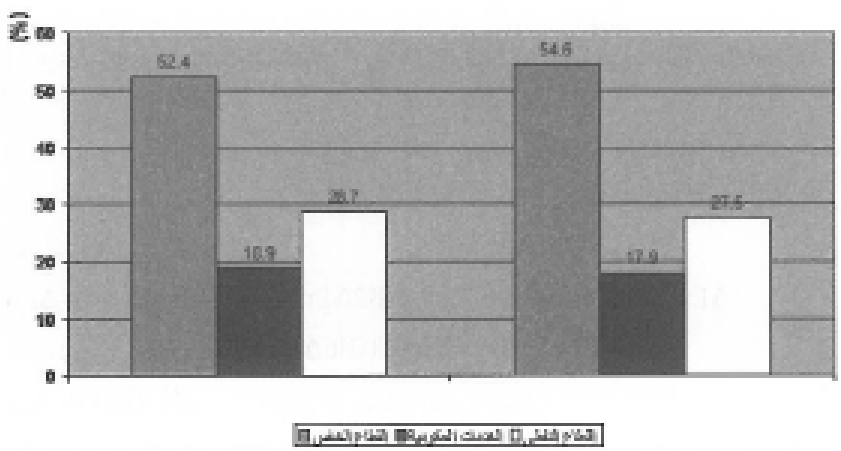

٦. تحديد النموذج القياسي

ينطلق النموذج القياسي المقترح من الأسس النظرية لفرضية النمو القائم على التصدير Export-Led Growth وذلك من خلال النموذج الكلاسيكي لدالة الإنتاج التي تفسر العلاقة الفعلية بين الناتج وأهم عناصره (العمل ورأس المال). وبالإضافة إلى تلك العناصر التقليدية تم إضافة متغير الصادرات كمتغير إضافي وفقاً لـ(Ukpolo. 1994).[٢١] وسوف نتبع الاقتصادي (Sheehey.1990) في إضافته لحجم القطاع العام والخاص للنموذج، معبراً عنهما بالإنفاق الاستهلاكي الحكومي والإنفاق الاستهلاكي الخاص على التوالي.[٢٢] ونظراً لأهمية معدلات التبادل في الدول النامية (والذي يساوي نسبة الصادرات إلى الواردات) فقد تم إدراج هذا المتغير إلى النموذج بصفته محدداً للنمو الاقتصادي تبعاً لدراسة (J.Barro. 1998).[٢٣] كما تم إضافة مؤشرات التجارة الالكترونية، والتي تتمثل في عدد الصفقات التجارية عبر الانترنت (كمؤشر مباشر)، بالإضافة إلى عدد من المؤشرات غير المباشرة والمتمثلة في عدد مضيفي الانترنت، وعدد مستخدمي الانترنت، وعدد الحاسبات الشخصية، وعدد خطوط التليفون، وأخيراً عدد المشتركين في بطاقات الائتمان. وسوف يتم قياس النموذج القياسي بالاعتماد على سلسلة زمنية تمتد من عام ٢٠٠٠م إلى عام ٢٠١٠م ويمكن التعبير عن النموذج القياسي بالصيغة التالية:

$$Yt= B0+B1\ K/\ L\ t+B2\ Gt+B3\ Pt+ +B4\ ToTt+B5\ ECt+B6$$
$$ITCt+B7\ Int+\ B8COMPt+\ B9\ TELt+\ B10CCt+\ et\ (1)$$

حيث:

Yt: معدل النمو الحقيقي للناتج المحلي الإجمالي	ToTt: معدل التبادل التجاري
K/Lt: نسب رأس المال للعمل	ECt: عدد الصفقات التجارية عبر الانترنت
Gt: حجم القطاع الحكومي	ITCt: الإنفاق على استخدام تقنية المعلومات والاتصالات
Pt: حجم القطاع الخاص	Int: عدد مستخدمي الانترنت
COMPt: عدد الحواسب الشخصية	TELt: عدد خطوط التليفونات الثابتة والمحمولة
CCt: عدد بطاقات الائتمان	et: الخطأ العشوائي

وسوف يتم الاعتماد على أسلوب الفروق وذلك بهدف إزالة الاتجاه العام، وكذلك الصيغة اللوغاريتمية بهدف الحصول على تقديرات مباشرة للمرونات، وعليذلك تأخذ المعادلة (١) الصيغة التالية:

$$\Delta Ln\ Yt= B0+B1\Delta Ln\ K/\ L\ t+B2\Delta Ln\ Gt+B3\Delta Ln\ Pt+ +B4\Delta Ln$$
$$(ToTt+B5\Delta Ln\ ECt+B6\Delta Ln\ ITCt+\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots).2$$

حيث: B1. B2. B3..... تمثل المرونات قصيرة الأجل

وتوضح مبادئ القياس الاقتصادي أنه لكي تتم عملية تقدير النموذج القياسي يجب أن ترتفع

درجات الحرية أي أنه يجب أن تكون (n >k) حيث تشير n إلى الفترة الزمنية بينما تشير k إلى عدد المتغيرات المستقلة في النموذج القياسي.حيث يلاحظ أن n = ١١ في حين k = ٩ مما يعني أن n-k = ٢ وهي منخفضة مما يؤثر على عملية التقدير، وللتغلب على هذه المشكلة فإنه سوف يتم استبعاد ٢ متغيرات مستقلة بالتبادل أثناء عملية التقدير بالنسبة لمعادلة النمو. وذلك لزيادة كفاءة النموذج المقدر.كما تم التأكد من عدم وجود ارتباط قوي بين المتغيرات المستقلة (تعدد خطي) باستخدام مصفوفة الارتباط بين المتغيرات المستقلة. وقد أسفرت عملية التقدير على التالي:

تقدير النموذج (مع استبعاد المتغيرات Gt& ToTt & Pt)

ΔLn Yt= 8.8 +1.5ΔLn K/ L t+ 2.3ΔLn ECt+1.8ΔLn ITCt

(1.89) ×(2.732) ×(3.78) ×(2.17)

+ΔLn Int+0.34 ΔLn COMPt+ 0.12 ΔLn TELt 0.76

(1.34) ×(3.1) (1.45)

(ΔLn CCt.....(3 +0.35

××(2.1)

R2=0.6 R=0.82 F=10.2 n=11

Where ×Sig at 5% ×× Sig at 1% () T-stat

تقدير النموذج (مع استبعاد المتغيرات K/ Lt & ToTt & Pt)

ΔLn Yt= 3.4 -1.67ΔLn G t+ 2.3ΔLn ECt+4.52ΔLn ITCt

(0.37) ××(-2.06) ×(2.29) ×(2.07)

+ΔLn Int+0.45 ΔLn COMPt+ 0.67 ΔLn TELt 1.14

(0.34) ×(2.34) (1.76)

(ΔLn CCt.....(4 +0.98

×(1.98)

R2=0.719 R=0.848 F=6.23 n=11

Where: ×Sig at 5% ×× Sig at 1% () T-stat

تقدير النموذج (في حالة استبعاد المتغيرات K/ Lt & ToTt & Gt)

ΔLn Yt= 2.1 +0.236ΔLn P t+ 1.89ΔLn ECt+1.65ΔLn ITCt

(1.59) ×(2.4) ×(2.59) ×(2.02)

ΔLn Int+0.76 ΔLn COMPt+ 1.65 ΔLn TELt 1.64+

(0.54) (1.1) ×(2.05)

(ΔLn CCt.....(5 +0.56

(1.46)

R2=0.36 R=0.6 F=2.02 n=11

Where: ×Sig at 5% () T-stat

تقدير النموذج (في حالة استبعاد المتغيرات K/ L t & Pt & Gt)

ΔLn Yt=5.8 +1.14ΔLn TOTt+ 2.12ΔLn ECt+2.87ΔLn ITCt

×(3.21) ×(3.3) ××(2.4) (2.2)

ΔLn Int+1.2 ΔLn COMPt+ 0.56 ΔLn TELt 1.7+

×(1.98) (1.78) ×(2.67)

(ΔLn CCt.....(6 +1.87

××(2.56)

R2=0.715 R=0.846 F=3.83 n=11

Where: ×Sig at 5% ×× Sig at 1% () T-stat

من المعادلات السابقة نستخلص ما يلي:

- وجود ارتباط قوي بين المتغيرات المستقلة والنمو الاقتصادي: حيث بلغ معامل الارتباط حوالي٠,٨٢
- معنوية العلاقة ككل-وفقاً لاختبار F - كما يشير معامل التحديد R2 أن المتغيرات المستقلة مسئولة عن تفسير حوالي٧٠٪ من التغير في الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي.

معنوية عدد من المتغيرات المستقلة مع اتخاذها الإشارة المناسبة من الناحية النظرية وهي:

- رأس المال للعمل (إشارة موجبة) مما يعني أنه كلما زادت نسبة رأس المال للعمل كلما ساعد ذلك على زيادة الناتج ومن ثم زيادة النمو الاقتصادي، وذلك بدرجة ثقة ٩٩٪.
- حجم القطاع الخاص (إشارة موجبة) ويعني ذلك أن زيادة حجم القطاع الخاص وزيادة مشاركته في الاقتصاد السعودي ساعد على زيادة نمو الاقتصاد السعودي، ويتطبق ذلك مع السياسة الاقتصادية التي تتبعها المملكة في تلك الفترة وهي تشجيع القطاع الخاص لزيادة مساهمته في الأنشطة الاقتصادية المختلفة ذات القيمة المضافة العالية،وذلك بدرجة ثقة ٩٥٪.
- معدل التبادل التجاري (إشارة موجبة) ويعني ذلك أن زيادة صادرات المملكة في مقابل انخفاض

وارداتها ساعد على زيادة الناتج المحلي الإجمالي للمملكة خلال الفترة محل الدراسة، وذلك بدرجة ثقة ٩٩٪

- عدد الصفقات التجارية عبر الانترنت (إشارة موجبة)، ويعني ذلك أنه كلما ارتفع عدد صفقات التصدير من خلال شبكة الانترنت ساعد ذلك على زيادة الناتج، وذلك بدرجة ثقة ٩٥٪
- الإنفاق على استخدام تقنية المعلومات والاتصالات (إشارة موجبة)، وهو ما تؤكد عليه نظريات النمو الحديثة والتي تشير إلى أن هناك مردود إيجابي كبير على الناتج كلما زاد المنفق على التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات، وذلك بدرجة ثقة ٩٥٪
- عدد بطاقات الائتمان (إشارة موجبة) وهي أحد أساليب الدفع وبالتالي فإن زيادة عدد بطاقات الائتمان دليل على زيادة المشتريات ومن ثم المبيعات عبر الانترنت ومن ثم زيادة الإنفاق ومن ثم الناتج.

-معنوية عدد من المتغيرات المستقلة مع عدم اتخاذها الإشارة المناسبة من الناحية النظرية وهي:

- حجم القطاع العام (إشارة سالبة)، وهو على عكس ما توضحه لنا النظرية الاقتصادية والتي توضح أن زيادة الإنفاق الحكومي يساعد على زيادة الناتج المحلي الإجمالي، إلا أن عملية التقدير أوضحت أن هناك علاقة سلبية بين حجم القطاع العام والنمو الاقتصادي وقد يتفق ذلك مع محاولة حكومة المملكة في تخفيض إنفاقها العام على بعض الأنشطة التي يمكن أن يقوم بها القطاع الخاص ولذلك تسعى حكومة المملكة على تشجيع مشاركة القطاع الخاص بالإضافة إلى سياسة التخصصية التي بدأت المملكة في إتباعها.

-عدم معنوية عدد من المتغيرات المستقلة في بعض المعادلات ومعنويتها في معادلات أخرى وهي:

- عدد مستخدمي الانترنت (إشارة موجبة) وذلك خلال المعادلتين الأولى والثانية
- عدد خطوط التليفونات الثابتة والمحمولة (إشارة موجبة) وذلك خلال المعادلات الثلاث الأولى
- عدد الحواسب الشخصية(إشارة موجبة) وذلك خلال المعادلتين الثالثة والرابعة.

٧- الخلاصة:

على الرغم من نمو استخدام شبكة الإنترنت والتجارة الإلكترونية على المستوى العالمي، إلا أن النصيب النسبي للمملكة ما زال محدوداً سواء بأرقام المستويات المطلقة أو معدلات النمو، ويكفي النظر في هذا المجال إلى مدى توافر البنية الأساسية للمعلومات، وشبكة الاتصالات ونوعية العنصر البشري المؤهل للتعامل مع التكنولوجيا الحديثة... الخ، للتعرف على الوضع النسبي الراهن للاقتصاد الشبكي في المملكة. إن انتشار التجارة الإلكترونية في المملكة مرتبط إلى حد بعيد بانتشار الإنترنت فيها، وبالتالي فإن انتشار الكمبيوتر والهواتف في المنازل والمنشآت والأجهزة الحكومية ييسر تبادل كل شيء بدءاً بالمعلومات ومروراً بالخدمات والسلع. فعلى الرغم مما شهدته المملكة من زيادات كبيرة في عدد مستخدمي الإنترنت، إلا أن النصيب النسبي لها ما زال ضئيلا إذا ما قورن بعدد السكان ويتمثل بناء التجارة الإلكترونية بالمملكة في ثلاثة أبعاد هي: البعد الأول،ويتمثل في متطلبات البنية التحتية، وهو تحد ذو طبيعة تقنية تتصل به تحديات بناء وتطوير الكوادر البشرية في حقل المعرفة التقنية، وتحديات إستراتيجيا إدارة مشاريع المعلوماتية في القطاعين العام والخاص وسلامة التعامل مع لغتها ومتطلباتها. أما بعدها الثاني فيتمثل في تحديات البناء القانوني الفاعل المتوائم مع واقع المجتمع والأمة، المدرك لأبعاد التأثير فيما هو قائم من مرتكزات وقواعد النظام القانوني، وهو تحد ذو طبيعة تنظيمية.أما بعدها الثالث فيتمثل في تحديات التميّز والاستمرارية والقدرة التنافسية، وهو تحد يتصل بالأعمال أو على نحو أدق بمفهوم تطوير الأعمال.

وقد حاولت هذه الدراسة قياس أثر مؤشرات التجارة على النمو الاقتصادي الالكترونية في المملكة خلال الفترة (٢٠٠٠-٢٠١٠) وقد توصلت إلى معنوية أغلب مؤشرات التجارة الالكترونية وارتباطها بشكل كبير بنمو الناتج المحلي الإجمالي خلال الفترة محل الدراسة.

٨- التوصيات

في ضوء النتائج التي انتهت إليها الدراسة فإن هناك عدد من التوصيات التي قد تساعد على نمو الاقتصاد الشبكي في المملكة، بما ينعكس إيجابياً على قدرة المملكة على الاشتراك في السوق الإلكترونية العالمية، ومن ثم زيادة مؤشرات الاقتصاد الكلي بالمملكة، وتتمثل هذه التوصيات في: تقوية كفاءة قطاع الاتصالات في المملكة، فضعفها يؤثر في قدرة وأداء القطاعات الاقتصادية الأخرى، وزيادة الإنفاق العام على البنية المعلوماتية وتكثيف الجهود الحكومية لدعمها، والعمل على إيجاد البنية التحتية التي تتيح الاتصال بالإنترنت، والاستفادة من تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها في كل المناطق، ودعم كفاءة أداء النظام المالي والمصرفي، وقدرته على دعم عمليات التجارة الإلكترونية، والتوسع في نظم الدفع الإلكتروني لتيسير إبرام معاملات مالية مأمونة على الشبكة، وزيادة إدراك الوعي بإجراء المعاملات والسداد عبر الإنترنت، وتقوية الثقة في التوقيع الإلكتروني، والثقة في مصداقية الوثائق الإلكترونية، وتقوية وسائل توفير الأمان والسرية للاتصالات الإلكترونية، ومحاولة إيجاد الإطار التشريعي الذي ينظم المعاملات الإلكترونية في ظل انفتاح الأسواق والحفاظ على حقوق الملكية الفكرية. ويعتبر توفير الإطار التشريعي والتنظيمي ضرورة لدعم البيئة الملائمة للتجارة الإلكترونية العربية سواء بإدخال تعديلات على التشريعات القائمة بما يجعلها أكثر استجابة لمتطلبات التجارة الإلكترونية، أو إصدار تشريع خاص لتنظيم مختلف جوانب هذه التجارة، ابتداء من إنشاء المواقع على شبكات الاتصال الإلكترونية وتسجيل عناوينها، ونظم التعاقد الإلكتروني وإثباته، وإجراءات تأمينها، حتى نظم سداد المدفوعات، وضمانات تنفيذ التعاقدات وحماية المستهلك في المعاملات الإلكترونية، وحقوق الملكية الفكرية، والمعاملة الضريبية والجمركية للمعاملات الإلكترونية، وأخيراً وليس آخرا تحديد الاختصاص القضائي بمنازعات عقود التجارة الإلكترونية.كما يجب العمل على توفير مناخ من الحرية الاقتصادية الذي يساعد على تطور التجارة الالكترونية من خلال إزالة القيود والعراقيل على التبادل التجاري في الداخل، أو مع الخارج، وإتاحة حرية البحث عن المعلومات وتبادلها وتداولها، ويتطلب ما سبق تعزيز التجارة الإلكترونية دوراً نشطاً وفاعلاً للقطاع الخاص، والمبادرة الفردية، بالإضافة إلى تفعيل دور المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في السعودية وتمكينها من تسويق منتجاتها وخدماتها وبيعها عن طريق الشبكة داخل وخارج المملكة بما يسهم في تعزيز مقدرتها التنافسية وزيادة فرص نفاذ صادراتها لأسواق العالم الخارجي.

الهوامش :

1- UNCTAD.2007. Information Economy Report 2007-2008

٢- مؤسسة النقد العربي السعودي، ٢٠١٠، التقرير السنوي، الإدارة العامة للأبحاث الاقتصادية والإحصاء.

3- Catherine L. Mann. 2000. Electronic Ecommerce in Developing Countries. Issues for Domestic Policy and WTO Negotiations. Institute for International Economics.PP.4-6

٤- حامد، هند محمد، ٢٠٠٨، التجارة الالكترونية في المجال السياحي، كلية السياحة والفنادق، جامعة حلوان،ص ص ١١-١٢

5- OECD.1999. The Economic and Social Impact of Electronic Ecommerce: Preliminary Findings and Research Agenda. OECD Ministerial Conference on "A Borderless World: Realizing the Potential of Global Electronic Commerce", held in Ottawa, Canada

٦- عبد الخالق، السيد أحمد،٢٠٠٦، التحديات الالكترونية للعولمة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية،مصر،ص٥

٧- حماد، عبد العال،٢٠٠٣، التجارة الالكترونية:المفاهيم، التجارب والتحديات، الدار الجامعية، الإسكندرية،ص١٢

٨ – بسيوني، عبد الحميد ، ١٩٩٩، البيع والتجارة على الانترنت وفتح المتاجر الالكترونية، مكتبة ابن سيناء، القاهرة ص ص ١٨-٤٥

٩- روب سميس، مارك سبيكر ومارك توميسون،٢٠٠٠، مرشد الأذكياء الكامل: التجارة الالكترونية، تعريب شركة لينب لوب لخدمات التعريب والترجمة، نشر دار الفاروق للنشر والتوزيع، القاهرة، ص ص ٧٠-٧٩

١٠- السمان، أحمد.(٢٠٠٥)، التجارة الالكترونية وتنمية الصادرات: بحث مرجعي، أوراق اقتصادية، مركز البحوث والدراسات الاقتصادية والمالية، جامعة القاهرة، العدد ٢٤، فبراير،ص ص٦-٨

11- UNCTAD.2007. Information Economy Report 2007-2008

12- World Bank. 2009. World Development Indicators. Washington DC.

١٣- مثل (Forrester Research Inc.٢٠٠٢، الميسوي ٢٠٠٢، السمان٢٠٠٥، عبد الخالق٢٠٠٦، حامد ٢٠٠٨)

١٤- كاثرين ل.مان وآخرون، ٢٠٠٢، التجارة الالكترونية العالمية، ترجمة الشحات منصور، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ص ١٦

15- Al Chen. Y etal. 2001. Creating Value through e-commerce. Strategic Finance. January.

16- Paul R. Krugman and Maurice Obstfeld. 2002. International Economics: Theory and Policy. Addison-Wesley. 6th edition.PP.245-277

17- Jorgenson. D., M. Ho. K. Shiroh.2005. Productivity. Information Technology and the American Growth Resurgence. MIT Press.

18- Dedrick. J., Gurbaxani. V. & Kraemer. K. L.2003. Information Technology and Economic Performance: a critical review of the empirical evidence. ACM Computing Surveys. 35(1). PP.1-28.

19- Morrison. C& Siegel. D. 1997. External Capital Factors and Increasing Returns in USA Manufacturing. Review of Economics and Statistics. 79(4)

20- OECD.2003. ITC and Economic Growth: Evidence from OECD Countries. Industries and Firms. Paris. April 22nd

21- Daveri F. 2003.Information Technology and Productivity Growth Across Countries and Sectors. Working Papers 227. IGIER. Bocconi University

22- Liebowitz. S..2003. Rethinking the Network Economy: The True Driving the Digital Market

Place. New York. Amacom press

23- UNCTAD.2002. E-Commerce and Development Report. UN publication. New York and Geneva.

24- Morrison. C& Siegel. D. 1997. External Capital Factors and Increasing Returns in USA Manufacturing. Review of Economics and Statistics. 79(4)

25- Onyeiwu.2002.Has the Internet increased trade? Developed and developing country evidence. MPRA Paper. University Library of Munich. Germany.

26- Freund. C., & Wein hold.D..2000. The Internet and International Trade in Service. American Economic Review. PP. 236-240

27- Forrester Research inc. 2010. Trends in E-commerce. Geneva. Seminar WTO Revenue Implication of E-commerce. 22. April

28- International Telecommunication Union. Annual Reports. Different Issues.

29- International Telecommunication Union.2010. annual Report.

٣٠- وزارة الاقتصاد والتخطيط، الحسابات القومية، مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات

31- Ukpolo. 1994. Exports and Economic Growth: Co-integration and Causality Evidence for Côte d'Ivoire. African Development Review. (14).PP.1-17

32- Edmund J. Sheehey.1990. Exports as a factor of production. A consistency test .World Development. (21).PP.155-160.

33- J.Barro. 1998. Notes in Groth Accounting. Harvard University.PP.12

قائمة المراجع

المراجع العربية

المبسوي، إبراهيم،٢٠٠٢، التجارة الالكترونية، المكتبة الأكاديمية، الجيزة.

بسيوني، عبد الحميد، ١٩٩٩، البيع والتجارة على الانترنت وفتح المتاجر الالكترونية، مكتبة ابن سينا، القاهرة.

حماد، عبد العال،٢٠٠٢، التجارة الالكترونية المفاهيم، التجارب والتحديات، الدار الجامعية، الإسكندرية.

حامد، هند محمد، ٢٠٠٨، التجارة الالكترونية في المجال السياحي، كلية السياحة والفنادق، جامعة حلوان.

روب سميس، مارك سبيكر ومارك توميسون،٢٠٠٠، مرشد الأذكياء الكامل: التجارة الالكترونية، تعريب شركة تيب توب لخدمات التعريب والترجمة، نشر دار الفاروق للنشر والتوزيع، القاهرة.

السمان، أحمد،(٢٠٠٥)، التجارة الالكترونية وتنمية الصادرات، بحث مرجعي، أوراق اقتصادية، مركز البحوث والدراسات الاقتصادية والمالية، جامعة القاهرة، العدد ٢٤، فبراير.

عبد الخالق، السيد أحمد،٢٠٠٦، التحديات الالكترونية للعولمة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، مصر.

كالرين ل.مان وآخرين،٢٠٠٢، التجارة الالكترونية العالمية، ترجمة الشحات منصور، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام، القاهرة.

مؤسسة النقد العربي السعودي، ٢٠١٠، التقرير السنوي، الإدارة العامة للأبحاث الاقتصادية والإحصاء.

وزارة الاقتصاد والتخطيط، الحسابات القومية، مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات.

المراجع الأجنبية

Al Chen. Y etal. 2001. Creating Value through e-commerce. Strategic Finance. January.

Catherine L. Mann. 2000. Electronic Ecommerce in Developing Countries. Issues for Domestic

Policy and WTO Negotiations. Institute for International Economics.

Dedrick. J.. Gurbaxani. V. & Kraemer. K. L.2003. Information Technology and Economic Performance: a critical review of the empirical evidence. ACM Computing Surveys. 35(1).

Daveri.F 2003.Information Technology and Productivity Growth Across Countries and Sectors. Working Papers 227. IGIER. Bocconi University.

Edmund J. Sheehey.1990. Exports as a factor of production: A consistency test .World Development. (21).

Freund. C.. & Wein hold.D..2000. The Internet and International Trade in Service. American Economic Review.

Forrester Research inc. 2010. Trends in E-commerce. Geneva. Seminar WTO Revenue Implication of E-commerce. 22. April

International Telecommunication Union. Annual Reports. Different Issues.

J.Barro.1998.Notes in Growth Accounting. Harvard University.

Jorgenson. D.. M. Ho. K. Shiroh.2005. Productivity. Information Technology and the American Growth Resurgence. MIT Press.

Liebowitz. S..2003. Rethinking the Network Economy: The True Driving the Digital Market Place. New York. Amacom press

Morrison. C& Siegel. D. 1997. External Capital Factors and Increasing Returns in USA Manufacturing. Review of Economics and Statistics. 79(4)

OECD.2003. ITC and Economic Growth. Evidence from OECD Countries. Industries and Firms. Paris. April 22nd

OECD.1999. The Economic and Social Impact of Electronic Ecommerce: Preliminary Findings and Research Agenda. OECD Ministerial Conference on "A Borderless World: Realizing the Potential of Global Electronic Commerce". held in Ottawa. Canada

Onyeiwu.2002. Has the Internet increased trade? Developed and developing country evidence. MPRA Paper. University Library of Munich. Germany.

Paul R. Krugman and Maurice Obstfeld. 2002. International Economics: Theory and Policy. Addison-Wesley. 6th edition.

Ukpolo. 1994. Exports and Economic Growth: Co-integration and Causality Evidence for Côte d'Ivoire. African Development Review. (14).

UNCTAD.2007. Information Economy Report 2007-2008.

UNCTAD.2002. E-Commerce and Development Report. UN publication. New York and Geneva.

World Bank. 2009. World Development Indicators. Washington DC.

٢

الإعلام

جامعة الطائف

دور الإعلام في حماية المستهلك بمدينة الرياض

(دراسة تطبيقية على مرتادي أسواق مدينة الرياض)

د. نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود

مجلة جامعة الطائف - الآداب والتربية (الإعلام)
المجلد الثاني - العدد السابع - جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ - أبريل ٢٠١٢م

الملخص

هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر الإعلام في حماية المستهلك بمدينة الرياض، إضافة إلى تحديد أثر الحماية، وحقوق وواجبات، الإعلام على المستهلك لدى عينة الدراسة، إضافة إلى أثر الجنس، المؤهل العلمي، الدخل الشهري، بالنسبة لمحاور الدراسة.

لتحقيق ذلك أجريت الدراسة على عينة قوامها (٤٠٠) من مرتادي الأسواق بمدينة الرياض تم اختيارهم عمديا من مناطق مدينة الرياض، طبق عليها المقياس الخماسي (موافق بشدة، موافق، محايد، غير موافق، غير موافق بشدة).

وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أنه يوجد موافقة على عبارات حماية المستهلك والمسئولية العامة (وموافق بشدة على عبارات حقوق وواجبات المستهلك، وموافق على عبارات المحور دور الإعلام في حماية المستهلك). وكانت هناك فروق دالة إحصائياً لحماية المستهلك، دور الإعلام في حماية المستهلك تبعاً لمتغير الجنس وكانت لصالح الإناث، ولصالح الذكور في محور حقوق المستهلك، وأيضاً كانت هناك فروق دالة إحصائياً لواجبات المستهلك تبعاً لمتغير المؤهل العلمي وذلك لصالح الجامعيين، وكانت هناك فروق دالة إحصائياً لحماية المستهلك لصالح الدخل الشهري للحاصلين على أقل من ٣٠٠٠ ريال وحقوق وواجبات المستهلك لصالح الراتب التي يتراوح ما بين من ٣٠٠٠-٦٠٠٠ ريال.

مقدمة الدراسة وخلفيتها النظرية :

ساهم التطور الاقتصادي في العالم إلى ارتفاع المستوى المعيشي للأفراد وزيادة الاستهلاك العالمي وقد أدت هذه الزيادة إلى انفتاح الأسواق العالمية على بعضها البعض.

إن ارتفاع مستوى المعيشة قد ساهم بتعدد الأسواق وتوسعها وتنوع المنتجات المقدمة من السلع والخدمات، الأمر الذي أدى إلى حيرة المستهلكين وحرصهم على الطلب على هذه المنتجات، وفي نفس الوقت ولمجاراة الطلب المتزايد على السلع والخدمات ولتلبية الشرائح المختلفة من المستهلكين ولتعظيم إرباح بعض التجار والمنتجين أدى ذلك إلى عدم مراعاة قواعد سلامة المنتجات والمعلومات المتعلقة بها، وهذا أدى إلى تعاظم اهتمام الحكومات والمنظمات الدولية والهيئات غير الحكومية بسياسات وحقوق المستهلك، حيث عملت على سن القوانين والتشريعات من جهة، كما عملت على بلورة مفهوم حقوق المستهلك وإشباع حاجاته وحمايته من جهة أخرى.

إن للإعلام دورا هاما في ترويج الأفكار والأشخاص والمنتجات باعتبار أن الإعلام بوسائله المختلفة يمثل المرآة التي ترى أو تدرك الأشياء من خلاله وبهذا الشكل أو ذاك، وبما أن الإعلام له مجالاته المتعددة فان الاستهلاك كان وما يزال الموضوع الذي يلعب دورا متميزاً من قبل كافة مؤسسات الدولة بالإضافة إلى أنه يلاقي اهتماماً كبيراً من قبل الكتاب والإعلاميين أو الصحفيين العاملين بمختلف الوسائل المقروءة والمطبوعة والمنشورة بأشكالها العادية والالكترونية، ومع تزايد أهمية قضايا الاستهلاك لدى الحكومات والقطاع الخاص والإعلام وحركات حماية المستهلك بدأ الإعلام الاستهلاكي يأخذ طريقه كأحد أنواع الإعلام التي يجب أن تخطط وتنظم برامجه ووسائله وأن يؤهل الأفراد العاملين به لتحقيق أهدافه المعلنة في خلق وترتيب ثقافة استهلاكية وصحية وغذائية متوازنة.

ولقد حرصت دول مجلس التعاون في إطار اهتمامها بالإنسان الخليجي إلى إنشاء الإدارات والمؤسسات المعنية بحماية المستهلك وسنت القوانين والتشريعات وشجعت على قيام جمعيات المجتمع المدني المعنية بحماية المستهلك، وإيمانا منها بتكامل الأدوار على المستوى العالمي والمحلي ساهمت في صياغة حقوق المستهلك التي اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بناء على ما أقره الإتحاد الدولي لجمعيات حماية المستهلك.(جودة، ٢٠٠٧ : ٥٥)

مفهوم حماية المستهلك

هو حماية كل فرد من أفراد المجتمع من أي استغلال ومكافحة الغش لتأمين سلامة معاملات الأفراد عند شراء احتياجاتهم من السلع والخدمات التي يتعاملون بها، ففي ذلك حماية لهم من

أية أضرار يمكن أن يتعرضوا لها من خلال هذا التعامل، محققا لهم الطمأنينة لدى إجراء أي معاملة تجارية.(الخلف، ٢٠٠٦ : ٤٣).

حماية المستهلك من المنظور الدولي

تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٨٥م الإرشادات الخاصة لحماية المستهلك والتي تهدف إلى ما يلي:

١- مساعدة الدول لتحقيق أو المحافظة على الحماية المناسبة لمواطنيهم كمستهلكين.

٢- تسهيل عمليات الإنتاج وأنماط التوزيع وفق احتياجات ورغبات المستهلكين.

٣- تشجيع المثل العليا لأولئك الأفراد المتعاملين في مجال إنتاج وتوزيع السلع والخدمات للمستهلكين.

٤- مساعدة الدول في القضاء على الممارسات التجارية الاستغلالية ومحاصرتها في جميع المجالات وعلى المستويين المحلي والدولي.

٥- تشجيع خلق ظروف سوقية تمنح المستهلكين فرصا أكبر للاختيار وبأسعار أقل.

ولقد دعا برنامج الأمم المتحدة الإنمائي إلى الاستهلاك المستدام بحيث تتاح خيارات التحرك للمستهلكين والمنتجين، أي أن يكون الاستهلاك كافلا الحاجات الأساسية للجميع، بانيا للقدرات البشرية، وألا يؤدي استهلاك البعض إلى تعريض رفاه الآخرين للخطر، وأخيرا ألا يرهن خيارات الأجيال القادمة.(سعيد، ٢٠٠٨ : ٥٢).

قوانين حماية المستهلك بالمملكة

عنيت المملكة العربية السعودية بالصحة العامة للمجتمع وسلامة وجودة السلع والمنتجات، كما حرصت على حماية المواطنين من أساليب الغش والخداع،ومن هذا المنطلق فإن النظام التجاري للمملكة العربية السعودية الصادر بموجب المرسوم الملكي الكريم رقم (٣٢) وتاريخ ١٣٥٠/١/١٥هـ نص في مادته رقم (٥) على إنه : (يجب على كل تاجر أن يسلك في كل أعماله التجارية بدين وشرف فلا يرتكب غشاً ولا تدليساً ولا احتيالاً ولا غبناً ولا غروراً ... الخ). وعندما صدر قرار مجلس الوزراء الموقر رقم (٦٦) وتاريخ ١٣٧٤/٤/٦هـ بمهام واختصاصات وزارة التجارة فإن مكافحة الغش التجاري بكافة أنواعه وصوره وأشكاله كانت من المهام الرئيسية لوزارة التجارة.

وتبعاً لذلك فقد صدر أول نظام لمكافحة الغش التجاري في المملكة العربية السعودية بموجب المرسوم الملكي الكريم رقم (٤٥) وتاريخ ١٣٨١/٨/١٤هـ مشتملاً على (١٣) مادة ومتضمناً العقوبات التي توقع على المخالفين لذلك النظام.

كما اهتمت وزارة التجارة بالعمل على تطوير ومراجعة نظام مكافحة الغش التجاري وقامت الوزارة بإجراء الدراسات والمناقشات المستفيضة التي انتهت إلى إعداد وصياغة مشروع نظام جديد متكامل بهذا الخصوص، روعي فيه الاستعانة بالمبادئ المستقرة والمعمول بها في مكافحة الغش التجاري مع تكملة النقص القائم في النصوص الحالية، وأخذ المخالفين بالشدة برفع الحدين الأدنى والأقصى للعقوبات واستحداث بعض العقوبات الرادعة فضلاً عن توفير المرونة الكافية في التطبيق وسهولة الإجراءات وسرعتها لكفالة حماية المستهلك بفعالية وذلك كله في ضوء مقتضيات المصلحة العامة وبمراعاة ظروف وطبيعة المعاملات التجارية.

لذا فقد صدر المرسوم الملكي الكريم رقم م/١١ وتاريخ ١٤٠٤/٥/٢٩هـ بالموافقة على نظام مكافحة الغش التجاري، كما صدرت اللائحة التنفيذية للنظام بقرار معالي وزير التجارة رقم ١/٣/١٣٢٧ وتاريخ ١٤٠٥/٦/١هـ.

وقد أسند نظام مكافحة الغش التجاري ضبط ما يقع من مخالفات لأحكامه ولائحته التنفيذية والتحقيق فيها لموظفين من وزارة التجارة ووزارة الشئون البلدية والقروية وأية جهة حكومية أخرى ترى وزارة التجارة الاستعانة بموظفيها ويصدر بتعيينهم قرار من وزير التجارة بعد موافقة جهاتهم.

كما أوكل ذلك النظام إلى موظفي وزارة الشئون البلدية والقروية مراقبة المواد الغذائية سريعة الفساد في الأسواق وضبط الفاسد منها وحددت تلك المواد وإجراءات ضبطها والتصرف فيها بقرار وزير الشئون البلدية والقروية رقم ٦/١١٠٢ وتاريخ ١٤٠٥/٦/٤هـ.(جودة، ٢٠٠٧ : ٥٣)

لجان مكافحة الغش التجاري لحماية المستهلك بالمملكة

تنفيذاً لأحكام نظام مكافحة الغش التجاري، فقد أنشأت الوزارة ست لجان للفصل في قضايا الغش التجاري موزعة على مناطق المملكة على النحو التالي :

١ - لجنة الفصل في قضايا الغش التجاري بمنطقة الرياض جرى تشكيلها بموجب القرار رقم ٦٧٧/٤/٢/٣٣ وتاريخ ١٤٠٥/٣/١٦هـ.

٢ - لجنة الفصل في قضايا الغش التجاري بمنطقة مكة المكرمة جرى تشكيلها بموجب القرار رقم ٦٧٨/٤/٢/٣٣ وتاريخ ١٤٠٥/٣/١٦هـ.

٣ - لجنة الفصل في قضايا الغش التجاري بالمنطقة الشرقية جرى تشكيلها بموجب القرار رقم ٦٧٩/٤/٢/٣٣ وتاريخ ١٤٠٥/٣/١٦هـ.

٤ - لجنة الفصل في قضايا الغش التجاري بمنطقة القصيم جرى تشكيلها بموجب القرار رقم ٦٨١/٤/٢/٣٣ وتاريخ ١٤٠٥/٣/١٦هـ.

٥ - لجنة الفصل في قضايا الغش التجاري بمنطقة عسير جرى تشكيلها بموجب القرار رقم ٦٨٠/٤/٢/٣٢ وتاريخ ١٤٠٥/٣/١٦هـ.

٦ - لجنة الفصل في قضايا الغش التجاري بمنطقة المدينة المنورة جرى تشكيلها بموجب القرار رقم ٢١٩٣/١٠/١٣/٣٢ وتاريخ ١٤١٧/٩/٢٠هـ.

وتتولى هذه اللجان إصدار الأحكام في المخالفات التي يتم ضبطها من قبل أعضاء هيئات ضبط الغش التجاري بجهاز الوزارة وفروعها بمدن ومحافظات المملكة، وكذلك المخالفات المضبوطة من قبل الأمانات والبلديات والمجمعات القروية.(سعيد، ٢٠٠٨ : ٦٥)

الوسائل المتبعة في المملكة لحماية المستهلك من الغش التجاري

على الجانب التطبيقي في مكافحة الغش التجاري لحماية المستهلك فقد اهتمت وزارة التجارة بتطوير وتجهيز مختبرات الجودة النوعية بأحدث الأجهزة الفنية والكوادر والكفاءات السعودية المؤهلة للكشف عن أية محاولة للغش في السلع المصدرة للمملكة قبل دخولها للأسواق عن طريق مختبرات مراقبة الجودة النوعية.

كما سعت الوزارة إلى تدريب الموظفين العاملين في ضبط الغش التجاري من خريجي المعاهد الفنية المتخصصة في مراقبة الأغذية في المملكة بما يسهم في تطوير خبراتهم وزيادة فاعليتهم في ضبط المخالفات التي تقع ضد نظام مكافحة الغش التجاري.

وفي سبيل تأدية أعضاء هيئات ضبط الغش التجاري في وزارة التجارة وفروعها بمدن ومحافظات المملكة للمهام المنوطة بهم فهم يقومون بجولات مستمرة على الأسواق وعلى مصانع المواد الغذائية والاستهلاكية للتحقق من عدم وجود مخالفات لنظام مكافحة الغش التجاري وللتأكد من مطابقة منتجات تلك المصانع للمواصفات القياسية السعودية.

ووفقاً للتوجيهات السامية فقد حرصت وزارة التجارة على اتخاذ التدابير اللازمة لمكافحة الغش التجاري واقتراح الأساليب والوسائل الفعالة للإشراف والرقابة على الأسواق ومكافحة الممارسات غير المشروعة التي تلحق الضرر بمصالح وصحة وسلامة المستهلك.

ومن هذا المنطلق فقد بادرت الوزارة إلى وضع مشروع تنظيم (اللجنة الوطنية لرعاية شئون المستهلك) وجرى الرفع عنه لمقام خادم الحرمين الشريفين حفظه الله بخطاب الوزارة رقم ٢٥٤/م-و وتاريخ ١٤٢١/٣/١٦هـ ومن الأهداف الأساسية لهذه اللجنة ما يأتي :

١ - توحيد جهود الأجهزة واللجان والهيئات المعنية بمكافحة الممارسات الضارة بصحة وسلامة المستهلك على مستوى المملكة.

٢ - وضع سياسات وقواعد وبرامج مشتركة لخدمة المستهلك ورعاية مصالحه.

٣ – التخطيط الشامل للبرامج المتعلقة بتوعية المستهلك وحمايته ومتابعة تنفيذها وتقويمها.

٤ – دعم وتقوية برامج حماية وتوعية المستهلك عن طريق الإسهام المال من قبل القطاعات ذات العلاقة.(الخلف، ٢٠٠٦ : ٦٥)

جمعية حماية المستهلك في السعودية :

أنشأت في السعودية «جمعية حماية المستهلك» التي وافق مجلس الوزراء السعودي على تنظيمها وفقاً لقرار إنشائها رقم ٢٠٢ وتاريخ ١٤٢٨/٦/١٧هـ وقرار مجلس الوزراء الخاص بنظام الجمعية رقم ٣ وتاريخ ١٤٢٩/١/١٢هـ. برأس مال قدره ١٥ مليون ريال، وجاء تأسيس الجمعية لتؤدي دورا في المجال التوعوي للمستهلك السعودي عقب موجة ارتفاع الأسعار التي شملت كثيرا من مناحي حياة المجتمع السعودي في العام الماضي.

وتبرع الملك عبد الله بن عبد العزيز لجمعية «حماية المستهلك» بمبلغ عشرة ملايين ريال فيما تبرع ولي العهد السعودي في ذلك الوقت الأمير سلطان بن عبد العزيز —يرحمه الله— بمبلغ خمسة ملايين ريال.

وصدر قرار مجلس الوزراء بالموافقة على النظام الأساسي للجمعية الشهر الماضي، حيث تهدف الجمعية إلى العناية بشؤون المستهلك ورعاية مصالحه والمحافظة على حقوقه والدفاع عنها وتبني قضاياه لدى الجهات العامة والخاصة.

ومن مسئوليات الجمعية أيضاً حماية المستهلك في المملكة من جميع أنواع الغش والتقليد والاحتيال والخداع والتدليس في جميع السلع والخدمات والمبالغة في رفع أسعارها ونشر الوعي الاستهلاكي لدى المستهلك وتبصيره بسبل ترشيد الاستهلاك.

وقد أصدرت الغرفة التجارية الصناعية بالرياض نشرة تعريفية عن جمعية حماية المستهلك، وذلك في إطار جهودها لدعم الجمعية والإسهام في تحقيق أهدافها وتأكيداً لرسالتها في خدمة المجتمع، وتضمن الإصدار معلومات شاملة عن أهداف الجمعية ودورها في حماية المستهلك وما يتعرض له من غش واحتيال إضافة إلى تبصيره بسبل ترشيد الاستهلاك.

وجاءت النشرة حافلة بمعلومات حول اختصاصات الجمعية كما احتوت على معلومات عن عمل اللجان التابعة للجمعية واختصاصاتها وطرق تلقي الشكاوى وكيفية التعامل معها والمعلومات المطلوبة بالنسبة للشكاوى التي ترفع من قبل المستهلكين سواء عن طريق الحضور لمقر الجمعية أو إرسالها عن طريق الفاكس ٠١٤٤٨٠٥٥٠ أو إرسالها لموقع الجمعية الإلكترونية www.cpa.org.sa أو من خلال الاتصال على الرقم المجاني ٨٠٠١٤٢١٦١٦

اليوم الخليجي للمستهلك :

إن اليوم الخليجي لحماية المستهلك يهدف إلى إيجاد وعي استهلاكي رشيد لدى المستهلك، وتوفير مستلزمات المستهلك في سوق تنافسية شريفة يوفر للمستهلك السلع والخدمات ذات الجودة العالية وبأسعار مناسبة ويحقق للتاجر الربح المعقول وعائدا مجزيا لاستثماراته ويحقق للمجتمع الرفاهة والاستقرار وللاقتصاد النمو والازدهار.

ولأهمية المستهلك الخليجي والاهتمام به أقرت لجنة التعاون التجاري في اجتماعها التاسع والعشرين الذي عقدته بمسقط في سلطنة عمان بتاريخ ٢١ أكتوبر ٢٠٠٢م بإنشاء لجنة للغش التجاري والتقليد، وفي اجتماعها الحادي والثلاثين الذي عقد بدولة الكويت بتاريخ ١٢ أكتوبر ٢٠٠٤م تم تغيير اسم اللجنة ليصبح لجنة حماية المستهلك باعتبار المستهلك هو المحور والأساس كما أقرت في اجتماعها الثاني والثلاثين الذي عقد بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية بتاريخ ٣١ مايو٢٠٠٥م توصيات لجنة حماية المستهلك ومن بينها اعتبار اليوم الأول من مارس من كل عام يوماً خليجياً لحماية المستهلك.(سعيد، ٢٠٠٨ : ٩١)

حماية المستهلك والمسئولية العامة

تظهر المسئولية العامة لحماية المستهلك فيما يلي :

١-أن حماية المستهلك مسئولية الجميع بما في ذلك المستهلك نفسه فالإنفاق الزائد في شراء غير متوازن مع دخل المستهلك وحاجياته يعتبر تعدي من المستهلك نفسه على حقوقه.

٢- أن التاجر الذي يفكر في مصلحته ونمو واستمرار تجارته لا يفرط في حقوق المستهلك عن طريق السعي للربح السريع لأنه في النهاية يفقد ثقة المستهلك مما يؤدي إلى خسارته على المدى الطويل.

٣- الدولة تعمل جاهدة إلى إيجاد التشريعات التي تعمل على الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي ومحاربة الظواهر السلبية في الأسواق ومكافحة الاحتكار والغش التجاري وتأمين سلامة وصحة المجتمع عن طريق رقابة الأسواق وتخصيص لذلك مبالغ كبيرة في ميزانياتها.

٤- لكي لا تذهب هذه الجهود هدراً لابد من تعاون جميع فئات المجتمع بشكل ايجابي تبقى بعد ذلك فئة خارجة عن القانون والمجتمع فكان لابد من عقوبات رادعة تنص عليها القوانين لتعيد كل من تسول له نفسه الإضرار بالمجتمع إلى رشده. (الخلف، ٢٠٠٦ : ٤٣)

حقوق وواجبات المستهلك

إن تعاليم ديننا الحنيف تكفل حقوق المستهلك وتحض على حمايتها، فمن الضروري أن يكون المستهلك ملماً بحقوقه كمستهلك والتي ضمنتها له جميع القوانين والأنظمة بدول المجلس كما

وإن من أهم الواجبات عليه للحفاظ على حقوقه التعاون مع الجهات الرسمية وغير الرسمية للمساهمة في الحد من الممارسات التجارية التي تضر حقوق المستهلك إذ إن إدراكه لحقوقه ومسئولياته هو حجر الأساس في ضمان هذه الحقوق.

وفيما يلي تعريف بأهم حقوق وواجبات المستهلك:

أولاً: حقوق المستهلك

١- حق الأمان:

للمستهلك الحق في الحماية من المنتجات وعمليات الإنتاج والخدمات التي تشكل ضرراً على صحته وسلامته.

٢- حق المعرفة:

للمستهلك الحق في تزويده بالحقائق التي تساعد على الشراء والاستهلاك السليم.

٣- حق الاختيار:

الحق في الاختيار بين العديد من البدائل من السلع والخدمات بأسعار تنافسية مع ضمان الجودة.

٤- حق الاستماع إلى آرائه:

أن تمثل مصالح المستهلك لدى الجهات الرسمية وغير الرسمية ويأخذ بآرائه في تطوير السلع والخدمات.

٥- حق إشباع احتياجاته الأساسية:

للمستهلك حق الحصول على السلع والخدمات الضرورية الأساسية كالغذاء والكساء والمأوى والرعاية الصحية والتعليم.

٦- حق التعويض:

للمستهلك الحق في تسوية عادلة لمطالبه المشروعة، بما في ذلك التعويض عن التضليل أو السلع الرديئة أو الخدمات غير المرضية أو أية ممارسات تضر بالمستهلك.

٧- حق التثقيف:

للمستهلك الحق في اكتساب المعارف والمهارات المطلوبة لممارسة الاختيارات الواعية بين السلع والخدمات، وأن يكون مدركاً لحقوقه الأساسية ومسؤولياته وكيفية استخدامها من خلال برنامج التوعية المستديمة.

٨- حق الحياة في بيئة سليمة:

للمستهلك الحق في العيش والعمل في بيئة خالية من المخاطر. (جودة، ٢٠٠٧ : ٤٤)

ثانيا: واجبات المستهلك

١- التأكد من مصدر البضاعة بقراءة البيانات الخاصة ببلد المنشأ.

٢-طلب فاتورة الشراء الأصلية من البائع.

٣- التجول بالسوق لفترة كافية لاختيار السلعة المناسبة والسعر المناسب.

٤- عدم الشراء من العمالة الهامشية.

٥- عدم الانسياق وراء الإعلانات المغرية في جميع السلع.

٦- التأكد من مضمون الضمان مع البائع قبل شراء السلعة.

٧- البحث عن مواصفات السلعة التي يرغب بشرائها.

٨- فحص السلعة والتأكد من سلامتها قبل مغادرة المحل التجاري.

٩- التأكد من تاريخ الصلاحية قبل الشراء.

١٠-التعاون مع الجهات المسئولة عن حماية المستهلك في البلاغ عما يجده مخالفاً.

واقع الإعلام في مجال الاستهلاك:

تلعب وسائل الإعلام داخل أي مجتمع دوراً مزدوجاً بشأن حماية المستهلك، فهي إما أن تكون أداة مساعدة لتوعية المستهلك بحقوقه، وتعريفه بالسلع والخدمات المختلفة ومزاياها، ومن ثم تسهل على المشترى عملية اتخاذ قرار الشراء أو استخدام السلعة المعلن عنها، أو أن تكون أداة لتضليل هؤلاء المستهلكين بمعلومات غير صحيحة أو ناقصة عن السلع والخدمات، فضلاً عن دور وسائل الإعلام في نشر ثقافة حماية المستهلك بين أفراد المجتمع (سوزان القليني، ٢٠٠٥م،٧٨)

إن النظرة المتعمقة لواقع الإعلام في مجال الاستهلاك تشير إلى مجموعة من الحقائق والمشاهدات نوردها هنا على الشكل التالي:

أ- شيوع حالة من الفوضى وعدم التخصص أو الفهم الدقيق أو الصحيح لقضايا الاستهلاك والاستخدام والشراء، ذلك أنه بنظرة سريعة لمقالات وأقوال منشورة بالصحف والمجلات أو كلام المقابلات بالإذاعات والمحطات التليفزيونية أو الكلام المنشور بالمواقع الالكترونية يتبين التخبط في الأقوال تارة وعدم دقة أو صحة الكلام الذي يقال تارة أخرى بالإضافة إلى شيوع أو سيطرة الكلام الإنشائي المغلف بالعموميات والتسطيح للقضايا المطروحة في الأغلبية الساحقة من المقالات والمقابلات وغيرها.

ب- ميل العديد من الكتاب وبعض الإعلاميين للكتابة بكل شيء (من السياسة للتربية والتعليم للاقتصاد والزراعة والسياحة وأحيانا موضوعات إنشائية حول قضايا المستهلك والأمثلة عديدة، وهذا الأمر أدى إلى انتشار عقلية الشخص الخبير بكل شيء) خبير في الغذاء،

خبير في الدواء، خبير في الصحة، ومرات أخرى ناشط في مجال البيئة أو حماية المستهلك أو الزراعة.... الخ وهنا يجب الإشارة إلى أن الأغلبية العظمى من الذين يطرحون أنفسهم كخبراء في هذا المجال وبالنظر لخلفياتهم العلمية والتأهيلية ووفق تخصصاتهم ومقادير المعرفة حول هذا الموضوع الذين يتكلمون به هم ليسوا خبراء أصلاً حيث إنهم يتكلمون بالعموميات والسطحيات والشكليات فقط. وللأسف الشديد أدت وتؤدي هذه الظاهرة الإعلامية إلى تشويه وتشويش آراء ومواقف المستهلكين حول القضايا التي تهمهم.

متطلبات الإعلام الاستهلاكي المتخصص:

بناء على ما تقدم من واقع موضوعي شائع في مجال الإعلام الاستهلاكي أسبابه عدم التخصص وضعف المعلومة والمعرفة العلمية وغياب الموضوعية فان هناك مجموعة من المتطلبات الواجب توفرها في الإعلام الاستهلاكي نوردها هنا على الشكل التالي:-

أ- ضرورة توفر المتخصصين في مجال الإعلام الاستهلاكي، ذلك أن توفر الحد الأدنى من المعرفة في علوم كالاقتصاد والتسويق والإدارة والزراعة والدواء والصحة والاجتماع وغيرها من العلوم ذات الصلة يعتبر من الأمور الأساسية الواجب توفرها فيمن يكتبون بمجال الإعلام الاستهلاكي (الشراء والبيع وأنماط التسوق وسلوك المستهلك النهائي بالإضافة إلى أنماط تسوقه واستهلاكه للغذاء والدواء وطرق تصرفه في الأسواق السلعية والخدمية في الأحوال العادية والمناسبات الاجتماعية والدينية وغيرها).

ب- ذلك أن توفر التخصص العام أو الدقيق في مجالات الإعلام الاستهلاكي هو الذي سيؤدي إلى درجة من الموضوعية والنزاهة في تناول قضايا المستهلك النهائي تقوده على الأقل إلى التكيف مع ما يجري في الأسواق المستهدفة ووفق قدراته الشرائية حيث يجب تأهيله لزيادة إنتاجيته.

ج- كما إن توفر عوامل كالتخصص والموضوعية والنزاهة في الإعلام الاستهلاكي كنظام وإجراءات وأشخاص سيدفع به كنتيجة إلى انجاز أهدافه المتمثلة بالتوعية وتعديل أنماط الشراء والاستهلاك أو الاستخدام لدى المستهدفين من جهة كما أنه مؤشر قوي على حياديته وشفافيته في تناول قضايا المستهلك ذات الاهتمام في كل فترة زمنية أو مرحلية.

مراحل عمل الإعلام الاستهلاكي المتخصص:

تشمل مراحل عمل أو ممارسة الإعلام الاستهلاكي المتخصص عددا من الخطوات نوجزها على الشكل التالي:

أ- تعتبر مرحلة تحديد أو تعريف المشكلة أو القضية الاستهلاكية من الأمور الأساسية للبدء

الصحيح لتناولها من جهة وتحديد الخطوة الثانية للتعامل معها من جهة أخرى.

ب- مرحلة جمع المعلومات الضرورية للمشكلة التي تم تحديدها بدقة من حيث تحديد أسبابها ومبرراتها بالإضافة إلى نوعية المعلومات المراد جمعها ومصادرها وطريقة جمعها والأشخاص المسئولون عن جمعها و تخصصاتهم.

ج- مرحلة تحليل المعلومات التي تم جمعها بواسطة أخصائيين ومؤهلين وبطريقة علمية وموضوعية.

د- مرحلة استخلاص النتائج من البيانات أو المعلومات التي تم جمعها وبطريقة موضوعية طابعها النزاهة والشفافية.

هـ- نشر النتائج والتوصيات باستخدام كافة الوسائل المتاحة.

و- مرحلة المتابعة والتقييم لنتائج البحث أو الدراسة الإعلامية المتخصصة مع الجهات ذات العلاقة بها من رجال تجارة أو صناعة أو مؤسسات حكومية أو أهلية وذلك لتحديد المنافع التي تحقق نتيجة نشر الخبر أو الدراسة وقياس ردود فعلها والتنبؤ بقراراتها مستقبلياً.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن درجة التزام الصحفيين والإعلاميين بهذه الخطوات أو المراحل الخاصة بالعمل الإعلامي الاستهلاكي المتخصص تختلف باختلاف ما يلي:-

أ- فيما إذا كان الإعلامي متخصصاً أصلاً بالقضايا الاستهلاكية تناولاً أو تعاملاً وبشكل متخصص أو مهني، ويلاحظ هنا أن عدد الإعلاميين من هذا النوع قليل جداً في صحفنا ووسائل إعلامنا.

ب- فيما إذا كان الإعلامي يكتب بالقضايا الاستهلاكية أو يعلق عليها أو ينشر تقاريره كموظف في هذه الزاوية من صحيفته أو وسيلة الإعلام التي يعمل بها، ذلك أن هذا الإعلامي غير متخصص فقد يكون ملماً بمضمون الموضوع وعمله يفرض عليه كتابة أو تغطية إخبارية أوغيرها ويلاحظ أن عدد هذا النوع من الصحفيين كثير.

ج- الإعلاميون الذين يكتبون بكافة موضوعات الاقتصاد بقطاعاته المختلفة (الزراعة، التجارة والصناعة والسياحة والبنوك والاستثمار إلى آخره).

دور الإعلام في تنمية ثقافة الاستهلاك وتعديلها :

يلعب الإعلام بوسائله المختلفة دوراً أساسياً بالنسبة للثقافة الاستهلاك كما يلي:

أ - ترتيب لثقافة استهلاكية تقوم على الاستهلاك بعيداً عن الترشيد أو العقلانية في الشراء والاستهلاك أو الاستخدام وذلك من خلال الترويج المخادع أو المضلل أو المبالغ به وذلك سعياً لمكاسب مادية لهذه الوسيلة أو تلك، وأثر الإعلام يكون هنا سلبياً.

ب- يميل بعض الإعلاميين المتخصصين في قضايا الاستهلاك إلى كتابة، مقالات أو تقارير أو إجراء مقابلات هدفها تعديل الثقافة الاستهلاكية الحالية للجموع الاستهلاكية مظهرين مقدار التفاخر أو الاستعراض أو الاستهلاك أو الاستخدام حسب العادات والتقاليد إلا أن عدد الإعلاميين المتخصصين في قضايا المستهلك قليلٌ لذا يكون أثرهم الفعلي غير ملموس.

ويبدو أن نشر هذا النوع من النشاط الإعلامي ايجابي وقد يؤدي إلى تعديلات مفيدة في ثقافة الاستهلاك لهذا البلد أو ذاك.

ج- يعمد بعض الإعلاميين بالتعاون مع منظمات المجتمع المدني كجمعيات حماية المستهلك والجمعيات والاتحادات الأخرى. إلى وضع وتنفيذ خطط وبرامج منسقة لتعديل أنماط الشراء والاستهلاك والاستخدام لدى من يهمهم الأمر من المستهلكين ومن خلال تحالفات واضحة بين السلطة الرابعة (الإعلام) وجمعيات حماية المستهلك.

د- توعية المواطن بشكل مباشر بحقوقه كمستهلك ودور الجهات الرقابية التي يمكن أن يلجأ لها إذا تعرض لأي مشكلة أو أي نوع من الغش.

هـ- ممارسة الضغط على الممارسات الاحتكارية خصوصا في الأسواق التي لا يوجد بها مؤسسات رقابية قوية أي انه يكون مرافقا.

و- بشكل عام الإعلام يجب أن يعوض بعض أوجه القصور في المجتمع في حالة ضعف مؤسسات المجتمع المدني، وهذه هي رسالة الإعلام.

عملياً، يبدو أن هذا النوع من الإعلام الذي يركز على قضايا الاستهلاك وثقافة الاستهلاك السائدة وذلك بسبب تحالفه - أي الإعلام - مع جمعيات حماية المستهلك وباقي منظمات المجتمع المدني بالإضافة إلى التنسيق المستمر مع الأجهزة الحكومية المختصة بحماية المستهلك.

وقد بدأت حركة حماية المستهلك نتيجة للعديد من الممارسات اللاإنسانية التي كان يمارسها المنتجون والتجار والوسطاء ضد المستهلكين في السوق بعيداً عن القيم الاجتماعية والضوابط الأخلاقية. وبذلك نشأت فكرة حماية المستهلك وتوسعت حركتها في المجتمعات المتقدمة جراء الضغط الذي مارسه المستهلكون على حكوماتهم من أجل التدخل وفرض القوانين لحمايتهم مما يُعرف بجشع المضاربين من التجار والصناع..

إن أول قانون لحماية المستهلك صدر في الولايات المتحدة سنة ١٨٧٣، ثم توالى بعد ذلك صدور القوانين واتخاذ الإجراءات من قبل الكثير من دول العالم بغية حماية المستهلك وحقوقه، سواء تعلق الأمر بما يختص بقوته المعيشي اليومي، أو باقي مناحي الحياة بما فيها حقه في بيئة سليمة وصحية.

إن حماية المستهلك وحقوقه ليست شعارات مبتذلة، بل تستلزم جهوداً جماعية كبيرة بعدما تعرضت إلى الإهمال والانتهاكات، وصرنا نراها اليوم تفرض حضورها، بل دخلت في صراع مع وسائل الدعاية والإعلان. (وللأسف الشديد بدعم من وسائل الإعلام).

ونظرا لضرورة هذه الوسائل وأهميتها في تعريف المستهلكين بالمنتجات الجديدة ومزاياها، فإنها تمارس في كثير من الأحيان عملية تضليل واضحة للمستهلكين الذين قد يُقبلون جراء ذلك على استهلاك سلعة معينة ولكنها قد لا تكون بالمواصفات المعلن عنها. مما يؤدي إلى وقوع المستهلكين في فخ تضليل الإعلان الذي قد يُلحق بهم أضراراً صحية أو اقتصادية..

ولأجل ذلك وجب التذكير بحقوق المستهلك كما نصت عليها المنظمة الدولية للمستهلكين:

- الحق في تأمين الاحتياجات الأساسية من تغذية وملبس ومسكن وعلاج وتعليم وصحة.
- الحق في توفر السلامة في المنتج وذلك بضمان حماية المستهلك من السلع والخدمات التي تشكل خطورة على صحته أو حياته.
- الحق في الحصول على المعلومة الصحيحة لاتخاذ الخيار المناسب وحمايته من الغش.
- الحق في الاختيار أي أن يكون المستهلك حراً في اختيار البضاعة أو الخدمة التي يرغب فيها من خلال توفر بضائع وخدمات متنوعة تضمن له المقارنة بين الأسعار والجودة.
- الحق في التمثيل والمشاركة وذلك من خلال توفير الأطر المناسبة للاستماع إلى آراء المستهلكين وإشراكهم في وضع السياسات التي تهمهم.
- الحق في التعويض، وهو أن يحصل المستهلك على التعويض العادل عند حصول الضرر وأن تتم مساعدته على التقاضي المجاني إن اقتضى الأمر لفض الإشكاليات البسيطة.
- الحق في التثقيف.
- الحق في العيش في بيئة نظيفة.

فإذا كانت الدولة من بين الجهات التي يقع عليها عبء مسؤولية حماية المستهلك من جميع الأضرار التي قد تلحق به، فإنها تتحمل ذلك بشكل مباشر عن طريق القوانين التي تشرعها مؤسساتها الرقابية، - ونحن اليوم نرى في المغرب قانونا جديداً يقضي بتحديد تدابير لحماية المستهلكين – الذي ينص صراحة على أنه يهدف إلى تحقيق إعلام المستهلك إعلاما ملائما وواضحا بالمنتجات أو السلع أو الخدمات التي يقتنيها أو يستعملها.

ومن هنا يمكن أن تمارس وسائل الإعلام التابعة للقطب العمومي والمستقلة على حد السواء، بأشكالها المختلفة (المرئية والمسموعة والمقروءة) دوراً ملموساً في تثقيف المستهلكين ونشر الوعي بينهم وتعزيزه وتحذيرهم من كل الممارسات التي يمكن اعتبارها جشعا تؤدي إلى إضعاف القوة

الشرائية للمواطن أولا، وتؤذي صحتهم من خلال بيعهم سلعا منتهية الصلاحية، وأخرى مهربة بدون أية مراقبة، وثالثة بأسعار غير محددة بدعوى انفتاح السوق وحرية الأسعار وما يعرف به، الله يجيب الغفلة بين البايع والشاري».

إن الدعاية لأي منتج والإعلان عنه يتم - غالباً - عن طريق وسائل الإعلام بأشكالها المختلفة، ذلك أن الدعاية والإعلان بالنسبة للشركات المنتجة هي تكاليف تتحملها من أجل الترويج لمنتجاتها، بينما بالنسبة للإعلام هي أرباح و أحد مصادر إيراداته، وهذا يعني أن الإعلان يَستخدم الإعلام كوسيلة تنفذُ من خلالها إلى المستهلكين، ومع إيماننا بمراعاة المؤسسات الإعلامية لكلا الطرفين في هذا الجانب، الشركات المنتجة وشرائح المجتمع المستهلكة، فذلك لأننا لا نريد للإعلام أن يخسر زبائنه من المُعلنين عن مُنتجاتهم، كما لا نرضى أن يشارك في غش المستهلكين وتضليلهم. وقد تكون هذه المعادلة صعبة بالنسبة للإعلام ولكن مسؤولية حماية المستهلك ضرورة لا يمكن تجاهلها.

إننا كإعلاميين، وكمواطنين قبل أن نكون إعلاميين، ندعو إلى الانحياز للمستهلك الذي يعاني باستمرار من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية مثل البطالة والفقر وتدني المستوى المعيشي، ناهيك عن الزيادات في الأسعار وعدم مراقبتها إلى جانب مدى جودة ما يقدم للمستهلك، سواء تعلق الأمر بما هو معيشي استهلاكي، أو ما له علاقة بالصحة البدنية و البيئية وكل ما يتصل بحياة الفرد داخل المجتمع.

إن الإعلام مسؤولية ورسالة، وهو الأقدر على ممارسة دوره في التثقيف والتوعية وكشف الحقائق وعرض المعلومات بشفافية متناهية، الأمر الذي يجعله نافذة لنقل هموم المستهلكين وآرائهم وترجمة احتياجاتهم وبيان حقوقهم المشروعة أمام المسئولين في مختلف أجهزة الدولة أولا، وثانيا الشركات المنتجة والتجار والوسطاء وكل من له علاقة مباشرة أو غير مباشرة، من أجل مساعدة المواطن المستهلك في حفظ الحقوق والابتعاد عن المساهمة في التضليل، لا بل والكشف على كل حالات الغش والخداع والتضليل التي من الممكن أن يتعرض لها المستهلكون.

وفي هذا السياق، نؤكد أننا هنا ولازلنا وسنظل، كوسيلة إعلامية باتت معروفة بالدور المنوط بها في هذا الإطار، وذلك من خلال عدة برامج توعية وأخرى حوارية، تطرقنا فيها للدور الخاص بأجهزة الرقابة – وقد شاركت معنا في العديد من المحطات، وبدور مؤسسات المجتمع المدني في حماية المستهلك، كما كانت لنا إسهامات متعددة في توعية المواطن بحقوقه وبواجباته.

ويمكن أن نذكر هنا من باب الاستئناس برامج قاربت الموضوع من زوايا عديدة، سواء حسب طبيعة المراحل (أعياد، رمضان، حملات دعائية...) أو من خلال تقييرات أو حيثيات ظرفية،

لامسنا من خلالها جوانب عديدة كما الأمر في برنامج نبض المواطن، أو برنامج المستهلك وبرنامج لقاء مفتوح ومع التجار..

إضافة إلى مساهمتنا في إبراز دور الأفراد في المجتمع كمستهلكين بغض النظر عن صفاتهم أو أعمالهم وأنشطتهم، وذلك بترجمة شعار حماية المستهلك مسؤولية الجميع على أرض الواقع، لنشر الوعي بحقوق المستهلك، وبلورة السلوك الإيجابي لدى أفراد المجتمع لخدمة قضايا المستهلك.

الآثار الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على تطبيق حماية المستهلك

١-الآثار الاقتصادية :

إن من أكبر الآثار الاقتصادية المترتبة على الغش هي التأثير على الصحة العامة للمستهلك من جراء تناوله أغذية أو أدوية أو استخدام سلع استهلاكية غير مطابقة للمواصفات القياسية، والآثار الاقتصادية تتمثل في خسارة المستهلك نتيجة ضياع أمواله في شراء سلع أو مواد مقلدة لا تأتي من ورائها المصلحة التي كان ينشدها، وآثار معنوية تتمثل في الإيلام النفسي الذي يسببه التقليد نتيجة خسارة أو اعتلال صحة المستهلك، إضافة إلى آثارها على الاقتصاد الوطني فينفي الغش مصداقية السلعة والإضرار في بيئة الاستثمار والوكلاء التجاريين للسلع الأصلية، إضافة إلى أن دخول البضائع المغشوشة في العادة لا تتم بالطرق القانونية وإنما عن طريق التهريب مما يسبب أضراراً أخرى.

وفي دراسة أجرتها إحدى شركات البرمجيات وجد أن أكثر من نصف البرمجيات المستخدمة في معظم بلدان المنطقة العربية مقلدة، ويقدر اتحاد برمجيات الأعمال Business Software Alliance، وهو الجهة التي تمثل صناعة البرمجيات التجارية في العالم، بأن نسبة قرصنة البرمجيات وصلت في عام ٢٠٠٦ إلى ٨٤٪ في الجزائر، و٧٩٪ في تونس، و٧٣٪ في لبنان، و٦٦٪ في المغرب، و٦٣٪ في مصر، و٦١٪ في الأردن. أما في دول مجلس التعاون الخليجية فقد وصلت نسبة قرصنة البرمجيات في الكويت إلى ٦٤٪، وفي سلطنة عمان إلى ٦٢٪، و٦٠٪ في البحرين، و٥٨٪ في قطر، و٥٢٪ في المملكة العربية السعودية.

ومما لا شك فيه أن شراء برمجيات مقلدة أو غير مطابقة للمواصفات تؤثر بصورة سلبية على اقتصاديات المستهلك حيث إنه يضطر في أغلب الأحيان وتحت الحاجة إلى شراء برمجيات جديدة بالإضافة إلى الخسارة التي تلحقه من جراء البرمجيات المقلدة.

أما على مستوى الدولة فإنها تخسر مليارات الدولارات سنوياً نتيجة الغش التجاري ففي دراسة أجريت في الإمارات عام ٢٠٠٦ بلغت قيمة المنتجات المختلفة المقلدة في دولة الإمارات

العربية المتحدة ٧٠٠مليون دولار، من بينها مستحضرات التجميل وأدوية ومنتجات تبغ وقطع غيار السيارات، وقد جاء في الدراسة التي نشرتها شركة KPMG، أن تلك المنتجات المقلدة تسببت في خسارة ٧, ١مليار دولار من الناتج المحلي الإجمالي، وخسارة ١١٠ملايين دولار كرسوم تعود للدولة، وما يقرب من ٣١,٠٠٠فرصة عمل مهدرة.

٢- الآثار الاجتماعية:

هناك آثار اجتماعية تنعكس على المستهلك نتيجة تطبيق قوانين حماية المستهلك، منها معرفة حقوقه وواجباته، كما يشعر المستهلك بالأمان والاطمئنان عند شراء السلعة، وتوفير الوقت والجهد في البحث عن المنتج الجيد، كما أن تطبيق قوانين ولوائح حماية المستهلك تعطي للمستهلك فرصة أكبر للاختيار بناء على السعر الذي يناسبه، فمن المعروف أنه كلما قل السعر قلت معه الجودة، ولكن في ظل حماية المستهلك فإن قلة السعر لا تعني قلة الجودة.

ومن الآثار الاجتماعية أن المستهلك يصبح لديه الخلفية الجيدة بكيفية الاستهلاك السليم للسلعة، وعدم الإسراف في شراء منتجات ليس في حاجة إليها، كما أنها تعطي للمستهلك الفرصة للتعبير عن رأيه في السلعة لدى الجهات المسئولة، كما تتيح له الفرصة لأن يجد السلعة في أي وقت وذلك لمنع الاحتكار وارتفاع الأسعار.

٣-الآثار الثقافية:

من الآثار الثقافية التي تنعكس على المستهلك هي التعرف على مصدر السلعة التي اشتراها بقراءة البيانات الخاصة ببلد المنشأ وتاريخ الإنتاج والانتهاء باللغة العربية، فكثير من الشركات المستوردة كانت لا تلتزم بترجمة التعليمات للمستهلك مما يضعه في حيرة عند الرغبة في الاستفسار عن شيء، وحماية المستهلك تعطي للمستهلك الحق في اكتساب المعارف والمهارات المطلوبة لممارسة الاختيارات الواعية بين السلع والخدمات، وتجعل المستهلك مدركاً لحقوقه الأساسية ومسؤولياته وكيفية استخدامها من خلال برنامج التوعية المستديمة.

كما إن التوعية بالاحتفاظ بفاتورة الشراء الأصلية من البائع من الوسائل التي تحمي المستهلك عند اكتشاف أي أخطاء في السلعة.. (جودة، ٢٠٠٧ : ٤٨)

الإعلام و حماية المستهلك

أن المستهلك العربي يعاني من عدم الوعي الكافي بما له وما عليه، والإعلام وسيلة هامة لحماية المستهلك بما يقدمه من خلال وسائله المختلفة من برامج توعوية هدفها تعديل السلوك الاستهلاكي السيئ وإرشاده بما يجب أن يتجنبه من سلع ومنتجات مغشوشة أو مقلدة قد تضر به وبالتالي فإن لكافة الوسائل الإعلامية دورا هاما في هذا الصدد، ولذلك تسعى كثير من الجهات

المعنية بحماية المستهلك دائما من خلال برامج الإعلام إلى تقديم الندوات وعقد المؤتمرات وورش العمل وتسخير وسائل الإعلام المختلفة كالصحف وبرامج التلفاز والراديو والانترنت وكذا الملصقات للوصول إلى المستهلك كما يتم نشر وإذاعة ما يتم عقده من لقاءات تليفزيونية وإذاعية مع المواطنين من عامة الشعب للتعرف على آرائهم وشكواهم.

وتتمثل أهمية دور الإعلام في موضوع تثقيف المستهلك من خلال تنظيم حلقات نقاشية ونشر تقارير يومية أو أسبوعية عن أخبار الخضار والفواكه والمواد الاستهلاكية وتقوم بعض الصحف بتخصيص صفحة خاصة يومية لحماية المستهلك وتوعيته وتحذيره من قضايا الغش وما شابه ذلك وهذا بدوره يرفع من أخلاقيات المهنة لدى التجار ونلاحظ أن الصحف تقوم حاليا بنشر قوائم بأسعار السلع للمستهلك خاصة في فترات الاستهلاك مثل شهر رمضان و تقديم أسعار المواد التموينية ومتابعتها أولاً بأول.

وتتميز وسائل الإعلام بأنها تقدم المعلومة للمواطن العادي فهي قناة الاتصال بين المسئولين والمستهلك حيث إنه لا يمكن أن يصل صوت المسئولين بما يقدموه من توعية إلا من خلال وسائل الإعلام، كما إن شكاوي المواطنين لا تصل إلى كبار المسئولين في الدولة إلا من خلال وسائل الإعلام، فدور وسائل الإعلام من صحافة وقنوات تلفزيونية يسهم بدرجة كبيرة في نشر الوعي لدى المستهلك وحمايته، فالإعلام من أهم وسائل الاتصال.

ومن ناحية أخرى فإن المختصين عندما يقدمون خبراتهم في محطات التلفزيون فإن المتعلم وغير المتعلم الذي يشاهدهم يستفيد ويتأثر من كلامهم مما يؤدي إلى تثقيف المستهلك. وتسهم وسائل الإعلام بدور كبير في نشر الوعي الاستهلاكي للمواطنين وحثهم على ضرورة شراء واستخدام البضائع الأصلية وتعريف المستهلك بحقوقه من خلال الصحف ومحطات التلفزيون وقد تم إنشاء خط ساخن مجاني في كثير من المحطات الفضائية للإبلاغ عن السلع المقلدة والمخالفات. (سعيد، ٢٠٠٨ : ١٧٤)

إن وسائل الإعلام لها دور كبير في مجال حماية المستهلك بل تعتبر من الأدوار المساندة في نجاح تطبيق قانون حماية المستهلك ولذلك تسعى وزارة الاقتصاد إلى زيادة تفاعلها مع وسائل الإعلام حيث إن نشر لوائح أسعار السلع في الصحف أدى ببعض التجار إلى تخفيض أسعار سلعهم المرتفعة الثمن مقارنة مع السلع الأخرى المماثلة لها والأقل سعراً لدى تجار آخرين.

وقد أصبحت هناك مشادة بين المستهلك والتاجر عند شعوره بزيادة الأسعار فيطالبه بخفضها أسوة بسعر السلعة نفسها في مكان آخر وهذا هو المطلوب.

وتقوم وسائل الإعلام بتغطية أخبار الاجتماعات بين وزارة الاقتصاد والتجار وكذلك الأمر

مع الجمعيات والمستهلكين كما تقوم بعض الصحف بعمل دراسات وأبحاث حول السوق وسلوك المستهلك وحمايته وتوعيته بعدم الإسراف، ولذلك فإن وسائل الإعلام يمكنها مساعدة الجهات الحكومية بتوفيرها بهذه الدراسات خصوصا وإنه لديها الكفاءة للقيام بهذه الدراسات وتوضيح أن عملية رفع الأسعار مضرة.

وتكمن أهمية وسائل الإعلام في دورها الكبير في توعية المستهلك وتوضيح بنود القانون له والتي قد تستعصي عليه ويمكن ترجمتها إلى إعلانات أو أي فعاليات إعلامية تشيع الوعي والثقافة الاستهلاكية، وتقوم وسائل الإعلام بالتعاون مع وزارة الاقتصاد وجمعيات حماية المستهلك لتعزيز الوعي وتوضيح العلاقة بين المنتج والمستهلك. (سعيد، ٢٠٠٨ : ١٧٦)

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

إن كثرة تفاوت الأسعار بين السلعة الواحدة في مجموعة من معارض البيع وغيرها والضغوط التي يتعرض لها مرتادو الأسواق في أثناء تجولهم في بعض الأسواق لاختيار السلعة المناسبة لهم. أيضا ومن خلال اطلاع الباحث على بعض الدراسات السابقة في مجال حماية المستهلك والدور الإعلامي في هذا المنحى تبين أن غالبيتها انصبت على التركيز على إعداد توصيات نظرية، دون الاهتمام بالدراسات الميدانية الهادفة والتي تكاد تكون محدودة في هذا المجال، ونظراً لأن الواقع السعودي له خصوصيته الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية بحكم وجود الاقتصاد المفتوح وكثرة الأسواق الكبيرة.. ظهرت مشكلة الدراسة لدى الباحث من منطلق دور الإعلام بوسائله المتعددة وما يقدمه من مضامين إعلامية في حماية المستهلك. ويمكن تحديد إيجاز مشكلة الدراسة بالإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما مدى حماية المستهلك على المستوى العام لدى عينة الدراسة ؟
- ما مدى توفر حقوق المستهلك لدى عينة الدراسة ؟
- ما أثر معرفة واجبات المستهلك لدى عينة الدراسة ؟
- ما أثر الإعلام في حماية المستهلك لدى عينة الدراسة ؟
- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) لدور الإعلام في حماية المستهلك لدى مرتادي الأسواق التجارية بالنسبة لمتغير الجنس ؟
- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) لدور الإعلام في حماية المستهلك لدى مرتادي الأسواق التجارية بالنسبة لمتغير المؤهل العلمي ؟
- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) لدور الإعلام في حماية المستهلك لدى مرتادي الأسواق التجارية بالنسبة لمتغير متوسط الدخل الشهري ؟

أهمية الدراسة:

يمكن إيجاز أهمية الدراسة بما يلي:

تعد الدراسة الحالية -في ضوء علم الباحث- التي تهتم بدراسة الإعلام وحماية المستهلك لدى مرتادي الأسواق في مدينة الرياض، وبالتالي سوف تساعد في إعطاء تصور واضح حول أثر الإعلام ودوره الإيجابي على حماية المستهلك لدى مرتادي الأسواق بصفة عامة.

يتوقع من نتائج الدراسة التعرف إلى أثر متغيرات الجنس، المؤهل العلمي، ومتوسط الدخل الشهري على حماية، وحقوق وواجبات، ودور الإعلام في حماية المستهلك، وبالتالي بناء تصور عام على حماية وحقوق وواجبات المستهلك من قبل المختصين بما يتناسب مع ذلك.

يتوقع من خلال الإطار النظري للدراسة، والنتائج الميدانية إفادة الباحثين في مجال علم التسويق بصورة عامة، وعلم النفس بصورة خاصة للإسهام في ميلاد بحوث جديدة وإتباع البرامج، وعقد الدورات الهادفة في هذا المجال.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

معرفة دور الأعلام في حماية المستهلك،والتعريف بحقوقه وواجباته وأثر ذلك لدى عينة الدراسة مرتادي الأسواق بمدينة الرياض.

التعرف على واقع الإعلام الاستهلاكي عند تناوله موضوعات الاستهلاك والاستخدام والشراء وأفضل طرق الترشيد الممكنة في المجالات التي يمكن ترشيد الاستهلاك والاستخدام فيه بالإضافة إلى دوره في تنمية ثقافات الإنتاج والمقاطعة لدى المستهلكين المستهدفين.

الدراسات السابقة

يعتبر هذا النوع من هذه الدراسات من الدراسات النادرة نسبيا حيث إن هذا المجال لم يغط بقدر كاف من الباحثين والمهتمين بموضوع حماية المستهلك من الناحية الإعلامية والاجتماعية والاقتصادية. وفيما يلي استعراض لبعض الدراسات ذات الصلة بالموضوع :-

أولا: الدراسات العربية.

- دراسة (الربيعي، ١٩٩٦م) «حقوق ورغبات المستهلكين في سياسات التسويق»

هدفت الدراسة إلى تحليل واقع سياسة حماية المستهلك في العراق وذلك من خلال محورين تضمن الأول دراسة القوانين والأنظمة والمؤسسات ذات العلاقة بحماية المستهلك، والثاني اهتم بالتعرف على رأي المستهلك بالسياسات والأنشطة التسويقية من حيث مدى مراعاتها لحقوقه.

لذا قام الباحث بالعمل في اتجاهين تضمن الأول زيارة المؤسسات والدوائر ذات العلاقة بحماية المستهلك، أما الاتجاه الثاني فقد تضمن التعرف على رأي المستهلك في مدى مراعاة تلك المؤسسات لرغباته وحقوقه، وذلك وفق استمارة استبيان أعدت لهذا الغرض ووزعت على عينة من المستهلكين في مدينة بغداد.

وقد أشارت نتائج الدراسة إلى وجود قلق لدى المستهلك جراء ضعف مراعاة المؤسسات التسويقية لحقوقه ورغباته، كما أشارت الدراسة إلى وجود حالة من عدم الرضا لدى المستهلك عن حالة الرقابة في السوق حيث أشار أغلب أفراد العينة إلى عدم وجود أجهزة تقوم بالرقابة والتفتيش على السوق يمكن للمستهلك اللجوء إليها لضمان حقوقه عند تعرضه للضرر.

- دراسة (الشميبي والملاح،١٩٩٨م) «دراسة تحليلية لأثر الوعي الاستهلاكي في حماية المستهلك».

يهدف هذا البحث الى دراسة وتحليل العلاقة بين الوعي الاستهلاكي وحماية المستهلك، وقد تم التعبير عن الوعي الاستهلاكي في هذا البحث بمجموعة من المتغيرات وتم دراسة العلاقة بين هذا الوعي وبين بعض الخصائص الاقتصادية والاجتماعية للمستهلكين بمحافظة الاحساء وهي أساسا مستوى الدخل ومستوى التعليم لرب الأسرة، ولتحقيق هذا الهدف تم إعداد استمارة استبيان أعدت خصيصا لهذا الغرض وتم استيفاؤها من عينة عشوائية من المنطقة.. وقد أوضحت نتائج البحث وجود علاقة معنوية إحصائية بين مستوى الوعي الاستهلاكي وبين مستوى الدخل وبينة وبين مستوى تعليم رب الأسرة. كما أوضحت النتائج أيضا وجود علاقة ارتباطيه معنوية بين الوعي الاستهلاكي وكل من مستوى الدخل و مستوى التعليم لرب الأسرة. وتخلص الدراسة الى أن السياسات المتعلقة بحماية المستهلك يجب أن توجة لتنمية وتثقيف المستهلكين مع التركيز على شرائح المجتمع الأقل دخلا والأدنى في المستوى التعليمي بالإضافة الى أهمية تفعيل القوانين الحالية لحماية المستهلك حيث أشارت النتائج الى وجود فجوة بين القوانين القائمة وتطبيق هذه القوانين.

- دراسة (اللحاح وسحيل، ١٩٩٨م) «أبعاد ومجالات حماية المستهلك من منظور المستهلك».

هدفت الدراسة إلى تحديد إلى أي مدى يتمتع المستهلك المصري بالحماية من وجهة نظره، وكذا تحديد الأسباب التي تؤدي إلى ضعف الحماية للمستهلك بصفة عامة، وتحديد مجالات وأبعاد الحماية التي يجب التركيز عليها وفق الأولويات التي يراها المستهلك، وقد بلغ حجم عينة الدراسة ٣٨٤ مستهلك وتم توزيع استمارات الاستبيان على المستهلكين القاطنين بمحافظة المنوفية بجمهورية مصر العربية. وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج كان من أهمها:

- إن المستهلكين لديهم وعي كاف بجوانب حماية المستهلك.
- على الرغم من الاختلافات الواضحة بين مفردات عينة الدراسة فيما يتعلق بمفهوم حماية المستهلك إلا أن النتائج عكست إدراك المستقصى منهم لمضمون الحماية وان اختلفت صور التعبير عن هذا المضمون.
- وجود استعداد لدى نسبة كبيرة من المستقصى منهم للانضمام إلى جمعيات لحماية المستهلك وقد بلغت هذه النسبة ٩٤,٧ ٪، وهذه النسبة العالية تمثل مؤشرا قويا على اقتناع المستقصى منهم بأهمية حماية المستهلك.
- أشار ٩٢,٦ ٪ من المستقصى منهم إلى عدم وجود درجة كافية من الحماية لحقوق المستهلك، ويعكس ذلك ضعف الدور الذي تقوم به الأطراف المعنية بحماية المستهلك. أشارت الدراسة إلى عدم رضا أفراد العينة عن معايير الجودة المحددة من قبل الحكومة وأنها تعد غير كافية لتحقيق مستوى مناسب من الجودة للسلع والخدمات التي تقدم للمستهلك.
- دراسة (حاتم، ١٩٩٨م) «حماية حقوق المستهلك في السوق اليمنية: الواقع والمستقبل».

هدفت الدراسة إلى التعرف على الواقع الراهن لحقوق المستهلك ومستوى حمايتها في السوق اليمنية، وكذا الاطلاع على الدور الذي تقوم به الجهات المعنية بحماية حقوق المستهلك في السوق اليمنية، والتعرف على الوسائل الكفيلة بتعزيز حماية حقوق المستهلك بمختلف أشكالها.

وقد تم توزيع استمارة استبيان على عينة من المستهلكين في محافظة عدن بلغ عددهم ٤٢٠ مستهلكا. وقد كانت أهم نتائج الدراسة على النحو التالي:

- يرى ٧٥ ٪ من أفراد عينة الدراسة انه توجد في اليمن أجهزة أو هيئات حكومية رقابية وتفتيشية على السوق، لكن ٨٢ ٪ منهم يرون أن دور هذه الأجهزة والهيئات ضعيف، في حين يرى١٨٪ أن دورها معدوم، وأشار٦٪ فقط من أفراد العينة انه توجد في اليمن هيئة للمواصفات والمقاييس وضبط الجودة، ويرى ٦٢ ٪ من أفراد العينة ضرورة أن يكون جهاز الرقابة والتفتيش جهازا مستقلا لا يتبع وزارة محددة.
- دراسة (الدوري، ٢٠٠٠م) «أثر تحقيق متطلبات إدارة الجودة الشاملة على حماية المستهلك» دراسة استطلاعية في عينة من مستشفيات بغداد.

هدفت الدراسة إلى محاولة التعرف على اثر إدارة الجودة الشاملة في توفير الحماية للمستهلك(المستفيد من الخدمة الصحية) من خلال التحسين المستمر لحقوقه وبما يضمن ويساعد في تحقيق رضاه عن جودة الخدمة الصحية المقدمة له في كل من المستشفيات الحكومية والأهلية (عينة الدراسة)، كما هدفت الدراسة إلى تحفيز وتشجيع المستشفيات عامة وعينة

الدراسة بشكل خاص على تبني فلسفة إدارة الجودة الشاملة حتى تضع أقدامها على الدرجة الأولى لرضا المستهلك من خلال الاهتمام بحقوقه وبالتالي تعزيز وتأهيل فلسفة التوجه نحو المسؤولية الاجتماعية. وقد اختار الباحث عينة الدراسة من عدد ٢ مستشفى حكومي وقام بتوزيع ١٨ استمارة استبيان، أما المستشفيات الأهلية فقد اختار الباحث ٥ منها، قام من خلالها بتوزيع ٧٠ استمارة استبيان على المرضى.

وقد أشارت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة ارتباط بين حماية المستهلك والرضا عن الخدمة الصحية، وأن هناك علاقة أثر بين متطلبات إدارة الجودة الشاملة وحماية المستهلك في المستشفيات الحكومية والأهلية بشكل عام. كما أشارت النتائج إلى أن المرضى الراقدين في المستشفيات الحكومية ينظرون إلى المستشفيات الحكومية على أنها أكثر التزاماً بدورها ومسئوليتها الاجتماعية.

- دراسة (الخير،٢٠٠١م) حماية المستهلك ودورها في رفع مستوى الوعي الاستهلاكي لدى المواطن السوري.

هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع حماية المستهلك في سوريا، ولتحقيق هذا الهدف والوصول إلى إثبات أو نفي الفرضيات التالية:

- الوعي الاستهلاكي لدى المستهلك السوري ضعيف.
- الرقابة الحكومية على السوق الاستهلاكية غير فعالة.
- تشكيل جمعية لحماية المستهلك في سوريا تحقق الحماية للمستهلك السوري.

فقد جمعت البيانات من خلال المقابلات والزيارات الميدانية وأسئلة الاستبيان المرسلة للمستهلكين والذين بلغ عددهم ٥٠٠ مستهلك. وتم إثبات جميع الفرضيات الموضوعة بمستوى ثقة ٩٥٪). كما تم اقتراح عدد من التوصيات التي يمكن أن تسهم في تحقيق حماية أفضل للمستهلك في سوريا.

- دراسة (سامي عبد العزيز، ٢٠٠٩م) «المعالجة الصحفية لقضية حماية المستهلك المصري».

استهدفت هذه الدراسة التعرف على الانطباعات الموجودة لدى الرأى العام بشأن قضايا حماية المستهلك في مصر، بالإضافة إلى تحديد صورة جهاز حماية المستهلك لدى المواطنين، والكشف عن مدى فعاليته في صون المستهلكين وحمايتهم، وضبط الأسواق، وتحقيق الأمان في كافة المعاملات التجارية.

كما سعت الدراسة لتحديد الاختلافات بين الصحف، على اختلاف توجهاتها، بشأن معالجتها لقضية حماية المستهلك، وتحديد أبرز القضايا الرئيسية المتعلقة بحماية المستهلك،

بالإضافة إلى التعرف على القضايا الفرعية التي طرحتها الصحف في هذا الشأن، وذلك من خلال دراسة تحليلية لمضمون المواد الصحفية المنشورة في الصحف المصرية بتوجهاتها المختلفة خلال عام ٢٠٠٨.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج من أبرزها أن ثقافة حماية المستهلك حديثة العهد ولم تصل إلى مرحلة التبلور والنضوج لدى الجمهور المصري، وأن الأدوار والمهام الخاصة بجهاز حماية المستهلك وكذلك البنود المختلفة لقانون حماية المستهلك ما زالت غير واضحة تماماً بالنسبة للجمهور.

كما أظهرت الدراسة أن صورة جهاز حماية المستهلك في صحف الدراسة جاءت في مجملها إيجابية، وأن التوجهات والسياسات التحريرية لصحف الدراسة انعكست على تناولها لدور كل من الأجهزة التنفيذية بالحكومة وكذلك جهاز حماية المستهلك في الرقابة والمتابعة في إطار حماية المستهلك.

وتوصي الدراسة بقيام جمعيات أو روابط المؤسسات الإنتاجية بمبادرة إطلاق حملات توعية للمستهلكين، بالإضافة إلى إجراء دراسة مماثلة على باقي وسائل الإعلام وبخاصة التليفزيون لكي يحدث ما يمكن تسميته بالتوافق والتناغم بين وسائل الإعلام، بما يزيد من درجة الوعي لدى الجمهور، ويؤكد في نفس الوقت حرص الدولة على حقوق المستهلك باعتباره التزاماً منها.

وتوصلت دراسة نبيل ناصري (٢٠٠٨) إلى أن وضع أجهزة متعددة تعمل على حماية المستهلك من الممارسات المخلة بالمنافسة لا يعد كفيلاً وحده لوضع حد للتعديات المستمرة على المستهلك.

- دراسة (عبدالله ذيب محمود، ٢٠٠٩م) « حماية المستهلك في التعاقد الإلكتروني.

تهدف الدراسة إلى بيان حاجة المستهلك للحماية من المنظور التقليدي والتقني، والكشف عن مدى الحاجة لحماية المستهلك قبل إبرام العقد الإلكتروني، كما وتهدف أيضًا إلى توضيح وضع التشريعات السارية في فلسطين والمتعلقة بحماية المستهلك، والتعرف على حقوق المستهلك في كافة مراحل العقد الإلكتروني، بالإضافة إلى الكشف عن مدى حاجة المستهلك للإعلام اللاحق لإبرام العقد الإلكتروني.

ومن النتائج أن فكرة إكتساب المزود توصف المستهلك غير دقيقة، بسبب أن الشخص المبحوث عن حمايته هو الطرف الضعيف في العملية التعاقدية، وقد يعتبر الإعلان التجاري الإلكتروني الموجه إلى المستهلك إيجابيًا، وقد يكون دعوة للتفاوض أو للتعاقد، يتمثل حق المستهلك في الإعلام والتبصر من خلال تحديد شخصية المزود، وصف المنتج أو الخدمة محل التعاقد، يعتبر العقد الإلكتروني عقد إذعان إذا لم يكن هناك تفاوض، فالأمر يتوقف على مدى إمكانية التفاوض حول

شروط العقد، إن توسيع مسؤولية المزود عن المنتجات والخدمات المعيبة هو في صالح المستهلك هناك بعض الحقوق المستحدثة للمستهلك كحقه بالإعلام اللاحق لإبرام العقد الإلكتروني، والتزام البائع بتسليم المبيع المطابق، وحق المستهلك بالعدول.

ومن التوصيات على المستوى العربي إصدار قانون خاص لحماية المستهلك من قبل الجامعة العربية بحيث يكون هذا القانون ملزما وشاملا لكافة اهتمامات المستهلك العربي، والعمل على قيام تعاون بين الدول العربية في مجال حماية المستهلك، ويكون ذلك بزيادة الإعتماد على الإكتفاء الذاتي، وعدم الاعتماد على الشركات العالمية لتوفير السلع الأساسية للمستهلكين، حيث إن ذلك يجعل المستهلك تحت رحمة هذه الشركات، سواء تعلق الأمر بمستوى جودة هذه السلع،أوبرفع الأسعار لهذه لسلع والخدمات، كذلك العمل على إنشاء المزيد من جمعيات حماية المستهلك في الوطن العربي، والمساهمة في رفع مستوى التنسيق بين جمعيات حماية المستهلك في الوطن العربي.

ومن التوصيات على المستوى الدولي يجب مراعاة اللغة الأم للمستهلك، فاللغة هي وسيلة مهمة في فهم المستهلك لمحتوى التعاقد الذي يريد أن يقدم عليه، كذلك ضرورة أن تتناول القوانين الحديثة وخصوصًا قوانين حماية المستهلك، وقوانين التجارة الإلكترونية حماية المستهلك جزائيًا بشكل صريح، بحيث تجد هذه التشريعات عقوبات رادعة لمن يستغل المستهلك في مقابل الشركات الكبرى، والتي لا يقوى لا المستهلك على مقاومتها، و البحث عن وسائل أكثر أمانًا للتعاقد الإلكتروني، لتوفير الثقة لدى المستهلك، خاصة إذا تم تحديد مدة زمنية معينة، ينبغي خلالها على الدول الأعضاء في الإتحاد الأوروبي تعديل قوانينها وفقًا لأحكامها، بالإضافة إلى الإعتراف أيضًا بالقوة الملزمة للقوانين النموذجية المنية بالتجارة الإلكترونية، لأن هذه القوانين تمثل ضمانة أساسية لحماية المستهلك في التعاقد الإلكتروني، وضرورة إصدار قانون خاص ملزم يتعلق بحماية المستهلك من الأمم المتحدة.

ثانيا: الدراسات الأجنبية:

- دراسة (Stone J. R ، ١٩٥٤م) بعنوان« دراسة المقاييس الاستهلاكية للمستهلكين وسلوك المستهلك،– في بريطانيا للفترة ١٩٢٠: ١٩٣٨.

وقد أخذ ستون في الاعتبار الفروق الرئيسية في طريقة الاستهلاك و أنماط الاستهلاك المختلفة لسبب التغير في التفضيل وكذلك أثر المتغيرات الاجتماعية والثقافية على هذه الأنماط وتوصل إلى أن النمط الاستهلاكي يتأثر تأثرًا إيجابيا مع التقدم في التعليم و التعليمية وكذلك مع ارتفاع متوسط دخول المستهلكين.

وتستعرض دراسة جينفر مارتن(٢٠٠٦) عدداً من الإجراءات التي اتخذتها الولايات المتحدة في مجال حماية حقوق المستهلك ومن أبرزها كيفية تنظيم ووضع العقود التي تضمن حقوق الجمهور، بالإضافة إلى سن التشريعات اللازمة لذلك الغرض، كما تلقي الدراسة الضوء على أبرز التجارب العالمية في مجال حماية المستهلك في كل من أوروبا وآسيا والأمريكتين.[1]

وتطرح دراسة مايكل بورتون (٢٠٠٦) عناصر استراتيجية عمل بالنسبة للنشطاء في مجال حماية المستهلك وهي تحديد أولويات العمل، والسعي لتكوين جمعيات واتحادات معنية بالدفاع عن حقوق المستهلك، بالإضافة إلى امتلاك الحنكة والمهارة في الرد على الادعاءات المعارضة.

وتوصلت دراسة كارل (٢٠٠٨) إلى أن التعسف في تطبيق قانون إعلان التفاليس يؤدي للإساءة وإلحاق الضرر بمن يتم إعلان إفلاسهم.

- وفي دراسة بعنوان ماذا يريد المستهلك؟

Study No. 15229, Privacy On and Off the Internet: What Consumers Want. (2002).

والتي قامت بها جهات متخصصة، وبتمويل من شركات التدقيق الأمريكية (Ernst & Young, AICPA) وبإشراف أكاديمي من قبل (Dr. Alam F. Weslin. Prof. of Public Law & Government Emeritus. Columbia University).

هدفت الدراسة إلى:

١- فحص وقياس شعور وتوجه المستهلكين عبر شبكة الانترنيت تجاه طرق الشركات في الحفاظ على خصوصية معلومات زبائنها عبر شبكة الانترنيت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١/٩/١١).

٢- معرفة ما يرغبه المستهلك من الشركة التي يتعامل معها عبر الانترنيت بشأن خصوصية المعلومات المتعلقة به وكيفية الحفاظ عليها من التسرب.

٣- اقتراح بعض الحلول المناسبة التي يمكن أن تتبناها الشركات في سبيل الحصول على ثقة المستهلك المتعامل معها عبر شبكة الانترنيت.

٤- مساعدة شركات التدقيق والمدققين في زيادة وعي زبائنهم (الشركات المتعاملة إلكترونيا) بأهمية قلق وحاجة المستهلكين لحماية خصوصيتهم، وكيف أن هذا القلق والحاجة يؤثران على سلوكهم الشرائي.

٥- تقوية المدققين ومنحهم ميزة تنافسية بما يتعلق بالأعمال التي تعتمد على حماية الخصوصية.

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

١- هنالك اهتمام وقلق كبير من المستهلكين تجاه آلية وطرق الشركات في الحفاظ على خصوصيتهم الناتجة من التعامل عبر شبكة الانترنيت.

٢- هنالك قناعة وشعور متزايد من قبل المستهلكين، بأن القوانين المعمول بها حاليا وممارسات الشركات بما يخص خصوصية التعامل عبر الانترنيت، لا تفي بمتطلباتهم، وبالتالي مخاوفهم تتزايد وتحد من تعاملاتهم عبر الانترنيت.

٣- نصت نتائج الدراسة، بأنه يجب على الشركات الراغبة في زيادة ثقة المستهلك بها تبني ست ممارسات أساسية كالتالي:

أ. يجب على الشركات معرفة كيفية إدارة معلوماتها الخارجية والداخلية والحفاظ عليها، والتعرف بشكل أفضل على المخاطر المرافقة لخصوصية المعلومات الواردة عبر شبكة الانترنيت.

ب. تطوير سياسات تعزز ثقة المستهلك بها وعدم الاكتفاء بالمعايير الدنيا، ويجب الإفصاح عن هذه السياسات بطرق عملية، والتي يمكن من خلالها إقناع المستهلك بفاعليتها العملية.

ج. تطبيق تلك السياسات في البنية التحتية للشركة، وذلك بالاستثمار في الموارد البشرية المتخصصة وتكنولوجيا المعلومات المناسبة وإقناع أصحاب المصالح بضرورة هذه السياسات من منطلق إقناع المستهلك بأن الشركة تنفذ فعلا ما تفصح عنه خوفا من فقدانه.

د. إنشاء آلية وقنوات اتصال لفحص سياساتها ومدى تلبيتها لحاجات المستهلك ومدى رضاه عنها.

هـ. التعاون مع ممول دوري مختص (شركة خدمات تكنولوجية)، والذي يستطيع أن يؤكد صحة السياسات والإجراءات المتخذة من قبل الشركة في تأمين الخصوصية عبر التعامل بالتجارة الإلكترونية عبر الانترنيت، وذلك لزيادة ثقة المستهلك بالشركة.

و. تعزيز ثقة المستهلك بتعاملات الشركة بالتجارة الإلكترونية عبر شبكة الانترنت، وذلك من خلال اعتماد مقيم خارجي مستقل لتقييم سياساتها وآلية تطبيقها، كاعتماد مدقق خارجي مستقل ومتخصص بهذا الموضوع.

منهج الدراسة:

١-المنهج المسحي:

يعتبر أحد الأشكال الخاصة بجمع المعلومات عن حالة الأفراد ومشاعرهم وأتجاهاتهم.

٢- منهج المسح بالعينه : نظرا لصعوبة المسح الشامل لكل مجتمع البحث.

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من مرتادي الأسواق التجارية في مدينة الرياض (٢٠١٠ م).

عينة الدراسة:

أجريت الدراسة على عينة قوامها (٤٠٠) ذكر وأنثى تم اختيارها بشكل عمدي من مرتادي الأسواق التجارية في مدينة الرياض، حيث تم انتقاؤها بطريقة غير عشوائية، حيث بلغت حصيلة الجمع (٤٢١) استبانة، استبعد منها (٢١) استبانة نظراً لعدم استكمال شروط الاستجابة، وبهذا تصبح عينة التحليل الإحصائي (٤٠٠) من الذكور والإناث.

الجدول (١)

وصف عينة الدراسة تبعاً لمتغيراتها المستقلة (ن= ٤٠٠)

النوع				العمر				المؤهل العلمي							
ذكر		أنثى		أكثر من ٥٠		من ٣٠-٥٠		أقل من ٣٠		ماجستير فما فوق		جامعي		ثانوي		دون الثانوي	
ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪
١٣٩	٤٤,٨	٢٢١	٥٥,٢	١٥٤	٣٨,٥	١٢٧	٣١,٨	١١٩	٢٩,٨	١٤٤	٣٦	١٧٥	٤٣,٨	٨٠	٢٠	٨١	١٢,٨

متوسط الدخل الشهري								سنوات الخبرة				هل تعلم			
من ٦٠٠٠-٩٠٠٠		أكثر من ٩٠٠٠		من ٣٠٠٠-٦٠٠٠		أقل من ٣٠٠٠		أكثر من ١٠ سنوات		من ٥-١٠ سنة		أقل من خمس		نعم		لا	
ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪
١٤٦	٣٦,٥	١٤٥	٣٦,٢	٦٦	١٦,٥	٤٢	١٠,٥	١٧٩	٤٤,٨	١٤١	٣٥,٢	٨٠	٢٠	٣٥٧	٨٩,٣	٤٣	١٠,٨

أداة الدراسة:

لتحقيق أهداف الدراسة قام الباحث باستخدام مقياس خماسي (موافق بشدة= ٥، موافق= ٤، محايد= ٣، غير موافق= ٢، غير موافق بشدة= ١) والمكون من (٣٢) فقرة موزعة على ثلاثة مجالات هي:

١- حماية المستهلك على المستوى العام ويتكون من (١٠) فقرات.

٢- حقوق وواجبات المستهلك ويتكون من (١٥) فقرة.

٣- دور الإعلام في حماية المستهلك ويتكون من (٨) فقرات والملحق (١) يبين ذلك.

الثبات:

للتحقق من ثبات المقياس استخدمت معادلة كرونباخ ألفا لكل مجال من المجالات وللدرجة الكلية للمقياس بصورة كاملة، حيث كانت قيم الثبات على التوالي للمجالات وللدرجة الكلية: (٠,٧٥، ٠,٧٢، ٠,٧٤، ٠,٧٨، ٠) وجميعها جيدة وتفي بأغراض الدراسة.

إجراءات الدراسة:

لقد تم إجراء الدراسة وفق الخطوات التالية:

١- استخرج معامل الثبات للمقياس وذلك من خلال تطبيقه على عينة قوامها (٤٠٠) ذكور وإناث بواقع (١٧٩) من الذكور و(٢٢١) من الإناث.

٢- تحديد أماكن توزيع المقياس على عينة الدراسة، وتحديد أفراد عينة الدراسة.

٣- توزيع المقياس وجمعه.

٤- ترميز المقياس وإدخاله للحاسب ومعالجته إحصائيا باستخدام برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS).

متغيرات الدراسة:

المتغيرات المستقلة (Independent Variables) وهي:

١- الجنس وله مستويان:

- ذكر
- أنثى

٢- العمر:

- أقل من ٣٠ عاماً
- من ٣٠ إلى أقل من ٥٠ عاماً
- من ٥٠ عاماً فأكثر

٣- المؤهل العلمي:

- دون الثانوي
- ثانوي
- جامعي
- ماجستير فما فوق

٤- متوسط الدخل الشهري:

أقل من ٣٠٠٠ ريال

من ٣٠٠٠-٦٠٠٠ ريال

من ٦٠٠٠-٩٠٠٠ ريال

أكثر من ٩٠٠٠ ريال

المتغيرات التابعة (Dependent Variables):

وتتمثل في استجابات أفراد عينة الدراسة على المجالات الفرعية والدرجة الكلية للمقياس.

المعالجات الإحصائية:

لمعالجة البيانات والإجابة عن أسئلة الدراسة تم استخدم برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) وذلك باستخدام المعالجات الإحصائية التالية:

١- التكرارات والنسب المئوية.

٢- المتوسطات والانحرافات المعيارية.

٣- اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين (Independent t-test).

٤- تحليل التباين الأحادي (One-Way ANOVA) واختبار شفيه للمقارنات البعدية بين المتوسطات الحسابية (Scheffe Post -hoc-Test).

نتائج الدراسة ومناقشتها:

أولاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول:

ما مدى حماية المستهلك على المستوى العام لدى عينة الدراسة؟

للإجابة عن السؤال تم استخدم التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات والانحرافات المعيارية، ونتائج الجدول (٢) تبين ذلك.

يشير الجدول رقم (٢) إلى التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات لعبارات المحور الأول (ما مدى حماية المستهلك على المستوى العام لدى عينه الدراسة)، حيث حصلت جميع عبارات هذا المحور على نتيجة (موافق) بمتوسطات حسابية مختلفة، فقد حصلت العبارة الأولى وهي (الدولة تشجع إيجاد ظروف سوقية تمنح المستهلكين فرصاً أكبر وبأسعار أقل) على نتيجة (موافق بشدة) بمتوسط حسابي بلغ (٤,٣٢). كما حصلت العبارة الثانية وهي (تساعد الدوله لتحقيق المحافظة على الحماية المناسبة لمواطنيهم كمستهلكين) على نتيجة (موافق) بمتوسط حسابي بلغ (٤,١٨). وكذلك العبارة الثالثة (تساعد الدوله في القضاء على الممارسات التجارية الاستغلالية) حصل على نتيجة (موافق) بمتوسط حسابي (٤,١٨). والمحور الرابع (وضع سياسات وقواعد وبرامج مشتركة لخدمة المستهلك ورعاية مصالحه) حصل على نتيجة (موافق) بمتوسط حسابي بلغ (٤,١٧). أما العبارة الخامسة (تسهيل عمليات الإنتاج وفق احتياجات ورغبات المستهلكين) فحصلت على نتيجة (موافق) بمتوسط حسابي (٤,٠٩). أما العبارة الخامسة (لابد من تعاون جميع فئات المجتمع بشكل ايجابي لردع كل من تسول له نفسه الأضرار بالمجتمع إلى رشده)

فقد حصلت على نتيجة (موافق) بمتوسط حسابي (٤,٠٧)، والعبارة السادسة (التاجر الذي يفكر في مصلحته فقط يؤدي إلى خسارته على المدى الطويل) فقد حصلت على نتيجة (موافق) بمتوسط حسابي (٤,٠٥)، والعبارة السابعة (حماية المستهلك مسئولية الجميع) فقد حصلت على نتيجة (موافق) بمتوسط حسابي (٤,٠٠)، والعبارة الثامنة (دعم وتقوية برامج حماية المستهلك عن طريق الإسهام الفعال من قبل القطاعات ذات العلاقة) فقد حصلت على نتيجة (موافق) بمتوسط حسابي (٣,٧٩)، والعبارة التاسعة (التخطيط الشامل للبرامج المتعلقة بتوعية المستهلك وحمايته ومتابعة تنفيذها وتقويمها) فقد حصلت على نتيجة (موافق) بمتوسط حسابي (٣,٧٢)، وبلغ المتوسط العام لجميع عبارات المحور الأول ٤,٠٦ (موافق).

جدول رقم (٢)

التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات والانحراف المعياري لعبارات المحور الأول: مامدى حماية المستهلك على المستوى العام لدى عينة الدراسة

العبارات	موافق بشدة		موافق		محايد		غير موافق		لا أوافق مطلقاً		المتوسط	الانحراف المعياري
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪		
الدولة تشجع إيجاد ظروف سوقية تمنح المستهلكين فرصاً أكبر وبأسعار أقل	١٤٦	٣٦,٥	٢٤٧	٦١,٧	١	٠,٢٥	٥	١,٢	١	٠,٢٥	٤,٣٣	٠,٥٧٦
تساعد الدولة لتحقيق المحافظة على الحماية المناسبة لمواطنيها كمستهلكين	٨١	٢١.	٢٦١	٧٢,٨	١	٠,٣	٣	٠,٨	١	٠,٣	٤,١٨	٠,٤٨١
تساعد الدولة في القضاء على الممارسات التجارية الاستغلالية	١٠٥	٢٦,٢	٢٧١	٦٨,٥	١١	٢,٧	٨	٢,٠	٢	٠,٥	٤,١٨	٠,٦١٩
وضع سياسات وقواعد وبرامج مشتركة لخدمة المستهلك ورعاية مصالحه	٦٨	.١٧	٣٣٢	.٨٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٤,١٧	٠,٣٧٦
تسهيل عمليات الإنتاج وفق احتياجات ورغبات المستهلكين	٩٢	٢٣,٠	٢٦٥	٦٦,٢	٢١	٧,٧	١٢	٣,٠	٠	٠	٤,٠٩	٠,٦٤٨
لابد من تعاون جميع فئات المجتمع بشكل ايجابي لردع كل من تسول له نفسه الأضرار بالمجتمع إلى رشده.	٥٢	١٣,٢	٣٢٦	٨١,٥	١٧	٤,٢	٣	٠,٧٥	١	٠,٢٥	٤,٠٧	٠,٤٩٣
التاجر الذي يفكر في مصلحته فقط يؤدي إلى خسارته على المدى الطويل	٨٠	.٢٠	٢٦٩	.٦٧,٢	٤٣	١٠,٥	٨	٢,٠	١	٠,٢٥	٤,٠٥	٠,٦٣٢

حماية المستهلك مسئولية الجميع	٥٣	١٢.	٢٠٠	٧٥.	٤١	١٠.٢	٨	٢.٣	١	.٣.	٤.١١	٠.٥٥٥
دعم وتقوية برامج حماية المستهلك من طريق الإسهام الفعال من قبل القطاعات ذات العلاقة	١٩	٤.٧	٢٧٩	٦٩.٧	١٠٢	٢٥.٥	-	-	-	٠	٢.٧٩	٠.٥١٠
التخطيط الشامل لبرامج المتعلقة بتوعية المستهلك وحمايته ومتابعة تنفيذها وتقويمها	٣٧	٩.٢	٢١٤	٥٣.٥	١٤٩	٣٧.٢	-	-	-	٠	٢.٧٢	٠.٦٢٢
المتوسط العام	٤.٠٦											

ثانياً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني:

ما مدى توفر حقوق المستهلك لدى عينة الدراسة؟

للإجابة عن السؤال تم استخدام التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات والانحرافات المعيارية، ونتائج الجدول (٣) تبين ذلك.

كما يشير الجدول رقم (٣) إلى التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات لعبارات البعد الثاني (حقوق المستهلك)، حيث حصلت جميع عبارات هذا المحور على نتيجة (موافق بشده) و(موافق) بمتوسطات حسابية مختلفة، فقد حصلت العبارة الأولى وهي (للمستهلك الحق في العيش والعمل في بيئة خالية من المخاطر) على نتيجة (موافق بشدة) بمتوسط حسابي بلغ (٤٥ ، ٤). كما حصلت العبارة الثانية وهو (للمستهلك الحق في تزويده بالحقائق التي تساعد على الشراء والاستهلاك السليم) على نتيجة (موافق بشدة) بمتوسط حسابي بلغ (٤ ، ٢٥). وكذلك العبارة الثالثة (للمستهلك الحق في الاختيار بين العديد من البدائل من السلع والخدمات بأسعار تنافسية مع ضمان الجودة) حصلت على نتيجة (موافق بشدة) بمتوسط حسابي (٤ ، ٢١). والعبارة الرابعة (للمستهلك الحق في اكتساب المعارف والمهارات المطلوبة لممارسة الاختيارات الواعية بين السلع والخدمات) حصلت على نتيجة (موافق) بمتوسط حسابي بلغ (٤ ، ١٤). أما العبارة (للمستهلك الحق في الحماية من المنتجات والخدمات التي تشكل ضرراً على صحته وسلامته) فحصلت على نتيجة (موافق) بمتوسط حسابي (٢ ، ٩٩)، وبلغ المتوسط العام لجميع محاور البعد الأول (٤ ، ٣١) (موافق بشدة).

جدول رقم (٣)

ما مدى توفر حقوق المستهلك لدى عينة الدراسة

العبارات	موافق بشدة		موافق		محايد		غير موافق		لا أوافق مطلقاً		المتوسط	الانحراف المعياري
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪		
للمستهلك الحق في العيش والعمل في بيئة خالية من المخاطر	١٢٨	٤٤,٥	٢٢٢	٨٥,٥	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٤,٤٥	٠,٤٩٨
للمستهلك الحق في تزويده بالحقائق التي تساعد على الشراء والاستهلاك السليم.	١١٠	٣٧,٥	٢٨١	٧٠,٢	٩	٢,٢	٠	٠	٠	٠	٤,٢٥	٠,٤٨٤
للمستهلك الحق في الاختيار بين العديد من البدائل من السلع والخدمات بأسعار تنافسية مع ضمان الجودة	٨٤	٢١.	٣١٦	٧٩.	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٤,٢١	٠,٤٠٨
للمستهلك الحق في اكتساب المعارف والمهارات المطلوبة لممارسة الاختيارات الواعية بين السلع والخدمات	٥٧	١٤,٢	٣٤٣	٨٥,٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٤,١٤	٠,٣٥٠
للمستهلك الحق في الحماية من المنتجات والخدمات التي تشكل ضرراً على صحته وسلامته	١٠	٢,٥	٣٧٦	٩٤,٠	١٤	٣,٥	٠	٠	٠	٠	٣,٩٩	٠,٢٤٥
المتوسط العام	٤,٣١											

ثالثاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث:

مامدى معرفة واجبات المستهلك لدى عينة الدراسة

للاجابة على هذا المحور تم استخدام التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية كما هو واضح في الجدول (٤)، حيث حصلت جميع عبارات المحور على نتيجة (موافق بشدة) و(موافق) بمتوسطات حسابية مختلفة، فقد حصلت العبارة الأولى (التأكد من تاريخ الصلاحية قبل الشراء) على نتيجة موافق بمتوسط حسابي (٤,٣٩) كما حصلت العبارة الثانية (معرفة مواصفات السلعة التي يرغب بشرائها) على نتيجة موافق بشدة بمتوسط حسابي (٤,٣١) كما حصلت العبارة الثالثة (التأكد من مصدر البضاعة بقراءة البيانات الخاصة ببلد المنشأ) على نتيجة موافق بمتوسط حسابي (٤,٢٩) كما حصلت العبارة الرابعة (طلب فاتورة الشراء الأصلية من البائع) على درجة موافق بمتوسط حسابي (٤,٢٩) كما حصلت العبارة الخامسة (التأكد من مضمون الضمان مع البائع قبل الشراء) على درجة (موافق) بمتوسط حسابي (٤,٢٦) كما حصلت العبارة السادسة (فحص السلعة والتأكد من سلامتها قبل المغادرة)

على درجة (موافق) بمتوسط حساب (٤، ٢٤) كما حصلت العبارة السابعة (التعاون مع الجهات المسئولة في البلاغ عما يجده مخالفا) على درجة (موافق) بمتوسط حسابي (٤،١٩) كماحصلت العبارة الثامنة (عدم الأنسياق وراء الإعلانات المغرية) على درجة (موافق) بمتوسط حسابي (٤،١٢) كما حصلت العبارة التاسعة (عدم الشراء من العمالة الهامشية) على درجة (موافق) بمتوسط حسابي (٣،٩٣) كما حصلت العبارة العاشرة (التجول بالسوق لفترة كافية لاختيار السلعة المناسبة والسعر المناسب) على درجة (موافق) بمتوسط حسابي (٣،٨٦) وبلغ المتوسط العام لجميع العبارات لهذا المحور (٤،١٩)

جدول رقم (٤)

ما مدى معرفة واجبات المستهلك لدى عينة الدراسة

العبارات	موافق بشدة		موافق		محايد		غير موافق		لا أوافق مطلقاً		المتوسط	الانحراف المعياري
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪		
التأكد من تاريخ الصلاحية قبل الشراء	١٨٨	٤٧,٠	١٩٦	٤٩,٠	٢	٠,٥	١١	٢,٧	٢	٠,٧٥	٤,٣٩	٠,٧١٠
البحث عن مواصفات السلعة التي يرغب بشرائها	١٩٤	٤٨,٥	١٢٣	٤٢,٢	٤	١,٠	٢٢	٥,٧	٦	١,٥	٤,٣١	٠,٨٢٣
التأكد من مصدر البضاعة بقراءة البيانات الخاصة ببلد المنشأ.	١٤١	٣٥,٢	٢٣٥	٥٨,٧	٢٤	٦,٠	-	-	-	-	٤,٢٩	٠,٥٩٣
طلب فاتورة الشراء الأصلية من البائع.	١٢٨	٣٢,٠	٢٥٨	٦٤,٥	١٤	٣,٥	-	-	-	-	٤,٢٩	٠,٥٢٤
التأكد من مضمون الضمان مع البائع قبل الشراء	١٥٨	٣٩,٥	٢١٥	٥٣,٧	٣	٠,٧٥	١٩	٤,٧	٥	١,٢	٤,٢٦	٠,٨٠١
فحص السلعة والتأكد من سلامتها قبل المغادرة	١٤٢	٣٥,٧	٢٣٤	٥٨,٥	٣	٠,٧٥	١٦	٤,٠	٤	١,٠	٤,٢٤	٠,٧٤٨
التعاون مع الجهات المسئولة في البلاغ عما يجده مخالفاً.	٩٠	٢٢,٥	٣٠٤	٧٦,٠	١	٠,٢٥	٤	١,٠	١	٠,٢٥	٤,١٩	٠,٥٠٣
عدم الأنسياق وراء الإعلانات المغرية	١٠٦	٢٦,٥	٢٩٧	٦٦,٢	٣	٠,٧٥	١٩	٤,٧	٨	١,٢	٤,١٢	٠,٧٤٩
عدم الشراء من العمالة الهامشية.	٤٣	١٠,٧	٣٠١	٧٥,٢	٤٧	١١,٧	٧	١,٧	٢	٠,٥	٣,٩٤	٠,٥٨١
التجول بالسوق لفترة كافية لاختيار السلعة المناسبة والسعر المناسب.	٥٧	١٤,٢	٢٤٠	٦٠,٠	٩٤	٢٣,٥	٧	١,٧	٢	٠,٥	٣,٨٦	٠,٦٨٨
المتوسط العام	٤،١٩											

رابعاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الرابع:

ما أثر الإعلام في حماية المستهلك لدى عينة الدراسة؟

للإجابة عن السؤال تم استخدام التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات والانحرافات المعيارية، ونتائج الجدول (٢) تبين ذلك.

وكذلك يشير الجدول رقم (٥) إلى التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات لعبارات البعد الثالث (الإعلام ودوره في حماية المستهلك)، حيث حصلت جميع عبارات هذا المحور على نتيجة (موافق) بمتوسطات حسابية مختلفة، فقد حصلت العبارة الأولى وهي (تتميز وسائل الإعلام بأنها تقدم المعلومة للمواطن المادي فهي قناة الاتصال بين المسؤولية والمستهلك) على نتيجة (موافق) بمتوسط حسابي بلغ (٤,١٣). كما حصلت العبارة الثانية وهي (على التاجر أن يعي بأن سياسة الاقتصاد الحر لا تعني رفع الأسعار بدون مبرر) على نتيجة (موافق) بمتوسط حسابي بلغ (٤,٠٢). وكذلك العبارة الثالثة (على رب الأسرة إعداد ميزانية لأسرته لكي يحقق لها الاستقرار مستفيدا من البرامج الإعلامية) حصلت على نتيجة (موافق) بمتوسط حسابي (٣,٩٤). أما العبارة الرابعة (يجب أن يعلم المستهلك بأن تعاونه مع الجهات الإعلامية الرسمية والأهلية خطوة أساسية في الحد من الغش التجاري وارتفاع الأسعار) حصلت على نتيجة (موافق) بمتوسط حسابي بلغ (٣,٨٩). أما العبارة الخامسة (تقوم بعض الصحف بعمل دراسات وأبحاث حول السوق وسلوك المستهلك وحمايته وتوعيته بعدم الإسراف) فقد حصلت على نتيجة (موافق) بمتوسط حسابي (٣,٧٥)، أما العبارة السادسة (تتمثل أهمية دور الإعلام في موضوع تثقيف المستهلك من خلال تنظيم حلقات نقاشية ونشر تقارير يومية أو أسبوعية) فقد حصلت على نتيجة (موافق) بمتوسط حسابي (٣,٥٨)، أما العبارة السابعة (عدم وجود برامج توعوية هدفها تعديل السلوك الاستهلاكي المسرف لدى المستهلك) فقد حصلت على نتيجة (موافق) بمتوسط حسابي (٣,٣٦)، وبلغ المتوسط العام لجميع العبارات (٣,٨٢) (موافق).

جدول رقم (٥)

التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات والانحراف المعياري لعبارات المحور الثالث: مدى تأثير الإعلام في حماية المستهلك لدى عينة الدراسة

العبارات	موافق بشدة		موافق		محايد		غير موافق		لا أوافق مطلقاً		المتوسط	الانحراف المعياري
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%		
تتميز وسائل الإعلام بأنها تقدم المعلومة للمواطن العادي فهي قناة الاتصال بين المسؤولية والمستهلك.	١٢٤	٢٦,٠	٢٣٥	٥٨,٧	١١	٢,٧	٢٨	٧,٠	٢	٥,	٤,١٢	٠,٨٠٥
على التاجر أن يعي بأن سياسة الاقتصاد الحر لا تعني دفع الأسعار بدون مبرر	٩٠	٢٢,٥	٢٦٥	٦٦,٢	١٤	٣,٥	٢٥	٦,٢	٥	١,٢	٤,٠٣	٠,٧٩٠
على رب الأسرة إعداد ميزانية لأسرته لكي يحقق لها الاستقرار مستفيدا من البرامج الإعلامية التوعوية	٣٨	٩,٥	٣٢٦	٨١,٥	١٣	٣,٢	١٨	٤,٥	٤	١,٠	٣,٨٤	٠,٦٢٩
يجب أن يلتزم المستهلك بأن تعاونه مع الجهات الإعلامية الرسمية والأهلية خطوة أساسية في مجال الحماية من الغش وارتفاع الأسعار	٧٣	١٨,٢	٢٥٩	,٦٣	٢٠	١,٣	٤٠	,١٠	٤	,١	٣,٨٩	٠,٨٩٢
تقوم بعض الصحف بعمل دراسات وأبحاث حول السوق وسلوك المستهلك وحمايته وتوعيته بعدم الإسراف	٥٤	١٣,٥	٢٥٠	٦٢,٥	٢٩	٩,٧	٥٢	١٣,٠	٢	٧٠	٣,٧٥	٠,٨٦٨
تتمثل أهمية دور الإعلام في موضوع تثقيف المستهلك من خلال تنظيم حلقات نقاشية ونشر تقارير يومية أو أسبوعية.	٧	١,٨	٢٧٩	٦٩,٧	٥٥	١٣,٧	٥٧	١٤,٢	٢	٥٠	٣,٥٨	٠,٧٧١
عدم وجود برامج توعوية هدفها تعديل السلوك الاستهلاكي لدى المستهلك	٩	٢,٢	٢٤١	٦٠,٢	٣٨	٩,٥	١١٠	٢٧,٥	٢	٠,٥	٣,٣٦	٠,٦٢٩
المتوسط العام	٣,٨٩											

خامساً: النتائج المتعلقة بالسؤال الخامس:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) لدور الإعلام وحماية المستهلك لدى مرتادي الأسواق التجارية بالنسبة لمتغير الجنس للإجابة عن السؤال استخدم اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين (Independent. Sample T-test) ونتائج الجدول (٦) تبين ذلك.

الجدول رقم (٦)

نتائج اختبار (ت) لدلالة دور الإعلام وحماية المستهلك لدى مرتادي الأسواق التجارية تبعاً لمتغير الجنس

المجالات	ذكر		أنثى		(ت)	الدلالة
	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف		
حماية المستهلك	4.02	0.18	4.09	0.18	4.02	٠,٠٠٠ **
حقوق المستهلك	4.26	0.20	4.16	0.16	5.41	٠,٠٠٠ **
واجبات المستهلك	4.22	0.41	4.16	0.34	1.63	0.105
دور الاعلام في حماية المستهلك	3.75	0.35	3.87	0.49	2.76	٠,٠٠٦ **

* (ت) الجدولية عند مستوى (α = ٠,٠٥) تساوي (١,٩٦) بدرجات حرية (٣٩٨).

يتضح من الجدول (٦) أن قيم اختبار (ت) لدرجة حماية المستهلك كانت على التوالي (٤,٠٢، ٥,٤١، ١,٦٣، ٢,٧٦) وجميع هذه القيم أكبر من القيمة الجدولية (١,٩٦) أي أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدراسة في مستوى حماية المستهلك بين الذكور والإناث ولصالح الإناث في العبارة حماية المستهلك وهذا واضح لأن الإناث أكثر حرصاً من الذكور في عبارات حماية المستهلك، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة عبد الوهاب ومحمد (٢٠٠٠) والتي بينت أن الإناث أكثر حرصاً من الذكور في عبارات حماية المستهلك، أما بالنسبة لحقوق المستهلك فكانت هناك فروق لصالح الذكور، وهذا واضح لأن الذكور أكثر تمسكاً بالحقوق عن الإناث، أما بالنسبة للمحور دور الإعلام في حماية المستهلك فكانت لصالح الإناث.

ويرى الباحثون أن سبب مثل هذه النتيجة هو تغلب الجانب الانفعالي لدى الإناث مقارنة بالذكور، إضافة إلى زيادة حرص الإناث على حماية المستهلك، ودور الإعلام تكون بدرجة أكبر من الذكور، كما ويمكن أن تفسر النتيجة في أن الإناث دائماً يشعرن بفعالية أكثر، ومن ثم يكون حرصهن على الشراء أعلى، كذلك قد يرجع حصول الإناث على درجات أعلى في حماية المستهلك

ودور الإعلام، كما يرجعه عبد الوهاب ومحمد (٢٠٠٠)، إلى استعدادهن الأكبر للشراء وكثرة ترددهن على الأسواق وشراء السلع.

سادساً: النتائج المتعلقة بالسؤال السادس:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α =٠,٠٥) لدور الإعلام وحماية المستهلك لدى مرتادي الأسواق التجارية تعزى لمتغير معلومية وجود لجنة بعنوان اللجنة الوطنية لرعاية شئون المستهلك

للإجابة عن السؤال استخدم اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين (Independent. Sample T-test) ونتائج الجدول (٧) تبين ذلك.

الجدول (٧)

نتائج اختبار (ت) لدلالة الفروق دور الإعلام وحماية المستهلك لدى مرتادي الأسواق التجارية تعزى لمتغير وجود لجنة بعنوان اللجنة الوطنية لرعاية شئون المستهلك

المجالات	نعم		لا		(ت)	الدلالة
	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف		
حماية المستهلك	4.05	0.17	4.06	0.18	0.27	0.78
حقوق المستهلك	4.29	0.17	4.20	0.18	3.06	0.002 **
واجبات المستهلك	4.24	0.34	4.18	0.37	1.02	0.308
دور الاعلام في حماية المستهلك	3.89	0.52	3.81	0.42	1.07	0.285

* (ت) الجدولية عند مستوى (α = ٠,٠٥) تساوي (١,٩٦) بدرجات حرية (٣٩٨)

يتضح من الجدول (٧) أن قيم (ت) المحسوبة لمجالات حماية المستهلك تعزى لمتغير وجود لجنة بعنوان اللجنة الوطنية لرعاية شئون المستهلك كانت على التوالي (٠,٢٧، ٣,٠٦، ١,٠٢، ١,٠٧) ومعظم هذه القيم أقل من (١,٩٦) أي أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) تعزى لمتغير وجود لجنة بعنوان اللجنة الوطنية لرعاية شئون المستهلك الذين أجابوا بنعم والذين أجابوا بلا، عدا المحور الخاص بحقوق المستهلك فكانت قيمة ت اكبر من ١,٩٦ وهذا معناه انه توجد فروق دالة إحصائية بين الذين قالوا نعم والذين قالوا لا لصالح الذين قالوا نعم، بمعنى أن حقوق المستهلك للذين يعرفوا أن هناك جمعية باسم اللجنة الوطنية لرعاية شئون المستهلك كانوا هم الذين يعرفون حقوق المستهلك أكثر من غيرهم.

ولعل السبب في الحصول على مثل هذه النتيجة قد يعود إلى زيادة المعرفة بحقوق المستهلك.

سابعاً: النتائج المتعلقة بالسؤال السابع:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) لدور الإعلام وحماية المستهلك لدى مرتادي الأسواق التجارية تعزى لمتغير المؤهل العلمي ؟

للإجابة عن السؤال استخدم تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) حيث يبين الجدول (٨) المتوسطات الحسابية تبعاً لمتغير درجة حماية المستهلك بينما يبين الجدول (٩) نتائج تحليل التباين الأحادي.

الجدول (٨)

المتوسطات الحسابية لدور الاعلام وحماية المستهلك

المحاور		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
حماية	دون ثانوي	4.05	0.177
	ثانوي	4.03	0.178
	جامعي	4.06	0.191
	ماجستير فما فوق	4.08	0.177
حقوق	دون ثانوي	4.18	0.263
	ثانوي	4.17	0.154
	جامعي	4.22	0.169
	ماجستير فما فوق	4.23	0.176
واجبات	دون ثانوي	3.92	0.472
	ثانوي	4.13	0.386
	جامعي	4.27	0.289
	ماجستير فما فوق	4.25	0.346
اعلام	دون ثانوي	3.85	0.472
	ثانوي	3.80	0.426
	جامعي	3.86	0.432
	ماجستير فما فوق	3.79	0.431

الجدول (٩)

نتائج تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) لدور الإعلام وحماية المستهلك لدى مرتادي الأسواق التجارية تعزى لمتغير المؤهل العلمي

المحاور	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	(ف)	الدلالة
حماية	بين المجموعات داخل المجموعات المجموع	0.12 13.10 13.21	3 396 399	1.184	0.316
حقوق	بين المجموعات داخل المجموعات المجموع	0.19 13.30 13.49	3 396 399	1.924	0.125
واجبات	بين المجموعات داخل المجموعات المجموع	5.25 50.37 55.62	3 396 399	13.768	0.00 **
إعلام	بين المجموعات داخل المجموعات المجموع	0.43 75.13 75.56	3 396 399	0.751	0.522

** دال إحصائيا عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) (ف) الجدولية (٢,٦١).

يتضح من الجدول (٩) أن قيم (ف) المحسوبة على محور واجبات المستهلك وكانت قيمة ف = ١٣,٧٦٨ وهي أكبر من القيمة الجدولية (٢,٦١) أي أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) في واجبات السوق لدى عينة الدراسة تبعاً لمتغير المؤهل العلمي.

لتحديد الفروق استخدم اختبار شفي (Scheffe,Test) للمقارنات البعدية بين المتوسطات الحسابية ونتائج الجدول (١٠) تبين ذلك.

واجبات المستهلك:

الجدول (١٠)

نتائج اختبار شفيه للمقارنات البعدية بين المتوسطات لمحور واجبات المستهلك تبعاً لمتغير المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	دون ثانوي	ثانوي	جامعي	ماجستير فما فوق
دون ثانوي		-0.20*	-0.34*	-0.33*
ثانوي			-0.14*	-0.12
جامعي				0.14*
ماجستير فما فوق				

* دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥).

يتضح من الجدول (١٠) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) في واجبات المستهلك تبعاً للمؤهل العلمي (دون الثانوي، الثانوي، الجامعي، الماجستير فما فوق) ولصالح الجامعيين، بينما لم تكن المقارنات الأخرى دالة إحصائياً.

ثامناً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثامن:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) لدور الاعلام وحماية المستهلك لدى مرتادي الأسواق التجارية تعزى لمتغير الدخل الشهري ؟

للإجابة عن السؤال استخدم تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) حيث يبين الجدول (١١) المتوسطات الحسابية تبعاً لمتغير درجة حماية المستهلك بينما يبين الجدول (١٢) نتائج تحليل التباين الأحادي.

الجدول (١١)

المتوسطات الحسابية لدور الاعلام وحماية المستهلك لدى مرتادي الأسواق التجارية

المحاور		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
حماية	أقل من 3000 ريال	4.17	163.
	من 3000-6000 ريال	4.09	151.
	من 6000-9000 ريال	4.03	164.
	أكثر من 9000 ريال	4.03	202.
حقوق	أقل من 3000 ريال	4.19	147.
	من 3000-6000 ريال	4.30	146.
	من 6000-9000 ريال	4.15	187.
	أكثر من 9000 ريال	4.24	185.
واجبات	أقل من 3000 ريال	4.37	115.
	من 3000-6000 ريال	4.39	166.
	من 6000-9000 ريال	4.11	433.
	أكثر من 9000 ريال	4.12	376.
اعلام	أقل من 3000 ريال	3.73	563.
	من 3000-6000 ريال	3.80	359.
	من 6000-9000 ريال	3.89	431.
	أكثر من 9000 ريال	3.79	423.

الجدول (١٢)

نتائج تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) لدور الإعلام وحماية المستهلك لدى مرتادي الأسواق التجارية تعزى لمتغير الدخل الشهري

المحاور	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	(ف)	الدلالة
حماية	بين المجموعات	839.	3	8.948	000.
	داخل المجموعات	12.374	396		
	المجموع	13.213	399		
حقوق	بين المجموعات	1.207	3	12.961	000.
	داخل المجموعات	12.288	396		
	المجموع	13.494	399		
واجبات	بين المجموعات	5.682	3	15.019	000.
	داخل المجموعات	49.941	396		
	المجموع	55.624	399		
اعلام	بين المجموعات	1.163	3	2.063	105.
	داخل المجموعات	74.398	396		
	المجموع	75.560	399		

* دال إحصائيا عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) (ف) الجدولية (٢,٦١).

يتضح من الجدول (١٢) أن قيم (ف) المحسوبة على محور واجبات المستهلك كانت قيمة ف = (٨,٩٤٨، ١٢,٩٦١، ١٥,٠١٩) وهي أكبر من القيمة الجدولية (٢,٦١) أي أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) في حماية المستهلك وواجبات وحقوق السوق لدى عينة الدراسة تبعاً لمتغير الدخل الشهري.

لتحديد الفروق استخدم اختبار شفي (Scheffehi.Test) للمقارنات البعدية بين المتوسطات الحسابية ونتائج الجدول (١٣، ١٤، ١٥) تبين ذلك.

١- حماية المستهلك:

الجدول (١٣)

نتائج اختبار شفيه للمقارنات البعدية بين المتوسطات لمحور حماية المستهلك تبعاً لمتغير الدخل الشهري

الدخل الشهري	أقل من 3000	من 3000-6000	من 6000-9000	أكثر من 9000
أقل من 3000 ريال			*0.1395	0.1427
من 3000-6000 ريال				
من 6000-9000 ريال				
أكثر من 9000 ريال				

* دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥).

يتضح من الجدول (١٣) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) في واجبات المستهلك تبعاً للدخل الشهري (أقل من ٣٠٠٠، من ٣٠٠٠-٦٠٠٠، من ٦٠٠٠-٩٠٠٠، أكثر من ٩٠٠٠) ولصالح الرواتب التي اقل من ٣٠٠٠ ريال، بينما لم تكن المقارنات الأخرى دالة إحصائياً.

٢- حقوق المستهلك:

الجدول (١٤)

نتائج اختبار شفي للمقارنات البعدية بين المتوسطات لمحور حقوق المستهلك تبعاً لمتغير الدخل الشهري

الدخل الشهري	أقل من 3000	من 3000-6000	من 6000-9000	أكثر من 9000
أقل من 3000 ريال				
من 3000-6000 ريال	*0.1109		* 8.92	
من 6000-9000 ريال				
أكثر من 9000 ريال				

* دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥).

يتضح من الجدول (١٤) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) في واجبات المستهلك تبعاً للدخل الشهري (أقل من ٣٠٠٠، من ٣٠٠٠-٦٠٠٠، من ٦٠٠٠-٩٠٠٠، أكثر من ٩٠٠٠) ولصالح الرواتب التي تتراوح ما بين ٦٠٠٠-٩٠٠٠، بينما لم تكن المقارنات الأخرى دالة إحصائياً.

٣- واجبات المستهلك:

الجدول (١٥)

نتائج اختبار شفي للمقارنات البعدية بين المتوسطات لمحور واجبات المستهلك تبعاً لمتغير الدخل الشهري

الدخل الشهري	أقل من 3000	من 3000-6000	من 6000-9000	أكثر من 9000
أقل من 3000 ريال				0.2447 *
من 3000-6000 ريال				
من 6000-9000 ريال				
أكثر من 9000 ريال				

* دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥).

يتضح من الجدول (١٥) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) في واجبات المستهلك تبعاً للدخل الشهري (أقل من ٣٠٠٠، من ٣٠٠٠-٦٠٠٠، من ٦٠٠٠-٩٠٠٠، أكثر من ٩٠٠٠) ولصالح الرواتب التي اقل من ٣٠٠٠ ريال، بينما لم تكن المقارنات الأخرى دالة إحصائياً.

التوصيات:

في ضوء أهداف الدارسة ونتائجها يوصي الباحث بما يلي:

١- رب الأسرة عليه أن يقوم بإعداد ميزانية لأسرته لكي يحقق لها الاستقرار.

٢-يجب أن يعي التاجر بأن سياسة الاقتصاد الحر لا تعني رفع الأسعار بدون مبرر.

٣-التاجر عليه أن يعلم بأن رضا المستهلك عامل أساسي لاستمرارية المنشآت التجارية.

٤-يجب أن يعلم المستهلك بأن تعاونه مع الجهات الرسمية خطوة أساسية في تحقيق العدل الاجتماعي.

٥-تصميم وتنفيذ دورات تدريبية لعدد من العاملين في وسائل الإعلام الحالية هدفها إكسابهم أساسيات البحث العلمي بمراحله المتسلسلة كخطوة أولى ومن ثم خرطهم بدورات تثقيفية حول حقوق وواجبات المستهلك.

٦-عدم السماح للكتابة بالإعلام الاستهلاكي إلا لأولئك المتخصصين به ووفق المتطلبات المذكورة سابقاً من حيث توفر صفات النزاهة والحيادية والموضوعية بالأفراد الذين يكتبون بهذا المجال.

٧-دراسة إعطاء جوائز مالية إضافية لمجموعة الصحفيين والإعلاميين المتخصصين بالإعلام الاستهلاكي وذلك بهدف تقوية إرادتهم على الممارسة العلمية الجادة وضمان الحيادية في طرح أسباب هذه المشكلة الاستهلاكية أو تلك.

٨-إجراء دراسات جادة هدفها تصنيف الإعلاميين كل حسب قدراته وخبراته وتخصصه العام والدقيق وذلك بهدف تطوير نوعية ما يكتب أو ينشر بهذه الوسائل وبما يحقق أهداف المجتمع.

٩-وتوصي الدراسة بقيام جمعيات أو روابط المؤسسات الإنتاجية بمبادرة إطلاق حملات توعية للمستهلكين.

١٠- إجراء دراسة مماثلة على باقي وسائل الإعلام وبخاصة التليفزيون لكي يحدث ما يمكن تسميته بالتوافق والتناغم بين وسائل الإعلام، بما يزيد من درجة الوعي لدى الجمهور، ويؤكد في نفس الوقت حرص الدولة على حقوق المستهلك باعتباره التزاماً منها.

الهوامش

(1) Martin. Jennifer. (2006).op.cit.

المراجـــع

١-الأشمري ، أحمد بن داوود المزجاجي جدة : خوارزم العلمية ، ١٤٢٨ / ٢٠٠٧م .

٢-احمد احمد عبد الله اللحاج، أميمة مصيلحي سحبل ، أبعاد ومجالات حماية المستهلك "من منظور المستهلك، مجلة المحاسبة والإدارة والتامين، كلية التجارة، جامعة القاهرة، العدد الثاني والخمسون، السنة الثامنة والثلاثون، ١٩٩٨

٣-الخلف ، عبد الله موسى . تحسين الجودة وزيادة الانتاجية - الرياض ، مجلة الإدارة العامة ، معهد الإدارة العامة ، العدد (١) ، (٢٠٠٦م) .

٤-الربيعي، ليث سليمان، حقوق ورغبات المستهلكين في سياسات التسويق، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، المجلد الثالث، العدد الثامن، ١٩٩٦.

٥-العقيل ، عبد الله . حماية المستهلك ، مجلة جامعة الملك سعود ، م ١٢ ، العلوم الإدارية م(٢) ، ص ٢٧٥ — ٣١٠ الرياض ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .

٦-القفيلي ، عبد الفتاح . حماية المستهلك ، مجلة جامعة الملك سعود ، م ١٣ ، العلوم الإدارية (٢) ، ص ٣٩١ — ٤٤٢ الرياض ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م .

٧-القليني سوزان ، "وسائل الإعلام وحماية المستهلك بين الواقع والمأمول، ورقة مقدمة لمنتدى المرأة وحماية المستهلك" ، في القاهرة، المجلس القومي للمرأة، ٢٠٠٥، ص ٧٨.

٨-جلال عبد الله حاتم ، حماية حقوق المستهلك في السوق اليمنية الواقع والمستقبل، بحث مقدم إلى الندوة العلمية الأولى حول التسويق في الجمهورية اليمنية الواقع-المشكلات-الآفاق، عدن ، الجمهورية اليمنية ، ١٢:١٠ مايو ١٩٩٨م.

٩-جودة ، محفوظ أحمد ، القياس في الجودة " الجودة الشاملة الأسس النظرية والتطبيق العملي " - الرياض — تهامة للنشر والتوزيع — ٢٠٠٧م .

١٠- حسين ،سمير، بحوث الإعلام، ط٢ ، (القاهرة : عالم الكتب، ٢٠٠١م)

١١- رامز ، وائق شاكر محمود . دور الإدارة العليا في وضع الأهداف الإستراتيجية والتنفيذية في الشركات المساهمة القطرية ، قسم التسويق ، الجامعة الأردنية - ٢٠٠٣ .

١٢- سامي عبد العزيز ، المعالجة الصحفية لقضية حماية المستهلك المصرى."رؤية تحليلية" مؤتمر أخلاقيات الإعلام والإعلان ، جامعة النهضة و المجلس العربى للتربية الأخلاقية ٢٨، ٢٩ من مارس ٢٠٠٩م.

١٣- سعيد ، خالد سعد عبد العزيز – إدارة الجودة الشاملة – الرياض – فهرسة مكتبة الملك فهد – الطبعة الأولى – ٢٠٠٨م .

١٤- طارق الخير، حماية المستهلك ودورها في رفع مستوى الوعي الاستهلاكي لدى المواطن السوري، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد السابع عشر، العدد الأول، ٢٠٠١م.

١٥- عبد العزيز بن محمد الشعيبي ، جلال عبد الفتاح الملاح ، دراسة تحليلية لأثر الوعي الاستهلاكي في حماية المستهلك، قسم الاقتصاد والإرشاد الزراعي- كلية العلوم الزراعية والأغذية، جامعة الملك فيصل –الإحساء- المملكة العربية السعودية،١٩٩٨م.

١٦- عبد الله ذيب عبد الله محمود، حماية المستهلك في التعاقد الإلكتروني دراسة مقارنة، بحث ماجستير ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٩م.

١٧- ناجي عبد الستار محمود احمد الدوري ، " اثر تحقيق متطلبات إدارة الجودة الشاملة على حماية المستهلك" دراسة استطلاعية في عينة من مستشفيات بغداد، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٠م.

١٨- نبيل ناصري، حماية المستهلك من الممارسات المقيدة للمنافسة، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الوطني الأول لمعهد العلوم القانونية والإدارية، حماية المستهلك في ظل الانفتاح الاقتصادي، في الجزائر، أبريل ٢٠٠٨.

١٩- هاني الضمور ، فايز الزغبي، الأهمية النسبية لدلائل الجودة المدركة للسلع المعمرة :دراسة تطبيقية من وجهة نظر المستهلك الأردني، الجامعة الأردنية ، وجامعة مؤتة ، كلية إدارة الأعمال – قسم التسويق ، عمان – الأردن ٢٠٠٦م .

المراجع الأجنبية :

- Burton. Michael. "When to Hold Em; When to Fold Em. Choosing Consumer Protection Battles". Journal of Consumer Affairs Vol. 40. Issue 1.2006. pp186- 197

- Study No. 15229. Privacy On and Off the Internet. What Consumers Want. Conducted for: Privacy & American Business. Sponsored by: Ernst & Young. AICPA. Harris Interactive. New York. Feb. 7. 2002

- Stone. J. R. N. (1954). " The Measurement of Consumer's Expenditure and Behavior in The United Kingdom.

1920-1938". Cambridge: Cambridge University Press

- Topor. Karl. "The impact of the bankruptcy abuse prevention and consumer protection act on the family law practitioner". American Journal of Family Law. Winter2008. Vol. 21. Issue 4. p153-156

مواقع من شبكة المعلومات تم الاستعانة بها :

http://kenanaonline.com/users/ahmedkordy/posts/135084

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid

٣

التاريخ

جامعة الطائف

تنوع الأسواق المكية في القرن التاسع الهجري

د. عائض محمد الزهراني
أستاذ مشارك - جامعة الطائف

مجلة جامعة الطائف - الآداب والتربية (التاريخ)
المجلد الثاني - العدد السابع - جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ - أبريل ٢٠١٢م

الملخص

تتناول هذه الدراسة الأسواق المكية التي تعد أساسا تنظيميا للحركة التجارية ويقدر استكمال ذلك الأساس يتحدد مدى الازدهار التجاري. ولكي تقوم تلك الأسواق بتحقيق الهدف من إنشائها وضعت تحت إشراف محكم محدد الاختصاصات بما يتناسب مع القواعد والأصول الشرعية للتجارة.

وليس من شك في أن إنشاء مثل هذه الأسواق التجارية في مكة المكرمة، قد تمخض عن نتائج ايجابية فعالة امتزجت فيها قداسة المكان الدينية والموقع الجغرافي الفريد وحزماً من العوامل الايجابية بحركات اقتصادية دائمة مميزه بقوة اندفاعها وبتطورها المستمر.

ورغم قدم ذلك فيما يتعلق بمكة فإن الوضع صار أكثر وضوحا منذ بداية الإسلام فقد أخذت قوافل الحجيج تفد عليها من كل حدب وصوب فكان طبيعياً أن تنشط الأسواق التجارية في مكة، وأن تزداد مرونة أهلها ومحترفي التجارة الإسلامية بها.

وتعتبر دراسة الأسواق الداخلية في بلد ما وفي فترة تاريخية معينة مرآة صادقة ومدخلا حقيقيا لدراسة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والحضارية والسياسية في ذلك البلد وما توصل اليه من ازدهار اقتصادي، ولقد تعددت الأسواق المكية في القرن التاسع الهجري ونستطيع تقريباً أن نصنفها إلى:

* «الأسواق المحلية» تقام داخل المدن وتتميز باستمرار النشاط التجاري فيها بصفة يومية دائمة
* «الأسواق الموسمية» تعقد في مناسبات ومواسم مختلفة على مدار السنة.
* «الأسواق السنوية» وتعقد في وقت معين في كل سنة.

وسوف أفصل كلا منها على حدة وسيرسم البحث أوضح صورة لأسواق مكة التي يصفها مؤرخ مكة في تلك الفترة «العز بن فهد» بأنها(شوارع وأسواق وخانات ودور كبيرة في أماكن متفرقة بل انتشرت حتى شملت المشاعر المقدسة).

مع استعراض أغلب المنتجات التي كانت تزخر بها مكة، ويزداد تأكيدنا لذلك أن سلاطين الدولة المملوكية و العثمانية كانوا يبعثون من يشتري لهم بعض مايحتاجون إلية من السلع كالتحف والهدايا الثمينة من أسواق مكة أيام المواسم.

المقدمة:

تعتبر مكة المكرمة أهم مدن العالم الإسلامي مشرقه ومغربه شماله وجنوبه، حيث تهوى إليها أفئدة المسلمين يتجهون إليها في اليوم والليلة خمس مرات في صلواتهم، تلك المكانة الدينية المميزة لمكة في نفوس المسلمين صحبتها مكانة أخرى حيث كانت مكة من أهم المنشآت التجارية في التاريخ الإسلامي تعود جذورها إلي ما قبل الإسلام خاصة بعد أن أسكنها سيدنا إبراهيم زوجته هاجر وابنه إسماعيل ثم دعا الله تعالى لمكة وأهلها بالخير والبركة وأن تكون مكاناً تهوى إليه الأفئدة وتمثل ذلك في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[1] فمنذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا أصبحت مكة وستظل هي المكان الأول الذي تشد إليه الرحال.

وأصبحت قبلة حجاج بيت الله الحرام في الجاهلية والإسلام، وملتقي الغالبية العظمى من سكان الجزيرة العربية، وصاحب تلك المكانة الدينية المميزة مكانة أخرى اقتصادية وتجارية حيث فرضت مكانة مكة التي اختارها الله تعالى لها أن تكون في طليعة المدن التجارية منذ القدم نظراً لما يصحب هؤلاء الحجاج في موسم الحج من سلع تجارية أو ما يتطلبه إقامتهم بمكة من ضرورة توافر سلع تجارية ووسائل معيشية، ففرضت التجارة وأمور البيع والشراء نفسها على أهل مكة وأصبح النشاط التجاري أحد أهم الأنماط الرئيسية للحياة في مكة علي مر تاريخها وحتى اليوم.

وإذا أخذنا هذا النشاط الاقتصادي التجاري بعين الاعتبار سنجده مرآه صادقة وصورة حقيقة واقعية تعبر عن مدى وشكل وطبيعة ما وصلت إليه مكة من مستوى معيشي وحياتي تميزت به دون غيرها من سائر المدن داخل حدود الجزيرة العربية وخارجها، كما يمكن لنا ذلك التطور والنهوض الاقتصادي الذي تميزت به مكة يمكن بشكل حقيقي وكبير طبيعة التطور الاقتصادي والتجاري الذي يميز بين بلد دون الأخرى ومدينة دون الأخرى.

لذلك يعتبر النشاط التجاري أهم ما تميزت به مكة في أمور البيع والشراء شاهداً حياً علي ذلك الوضع الاقتصادي المتميز لمكة دون غيرها عبر التاريخ، وإذا أردنا الحديث عن الأسواق التجارية بمكة ومدى ما قامت به من دور إيجابي وهام في إثراء مكة اقتصادياً ورفعتها تجارياً إلي تلك المكانة الكبيرة منذ القدم لابد أولاً من الإشارة إلي تلك الأسباب التي وقفت وراء ازدهار وانتشار الأسواق بمكة وإثراء حركة البيع والشراء بها والتي تتمثل في:

أولاً، عوامل الازدهار التجاري في مكة

أ - إستراتيجية الموقع

انعكس أثر الموقع الجغرافي الاستراتيجي المميز الفريد لمكة وتوسطها في طريق التجارة بين ممالك الشمال و دول الجنوب جعلها تحتل مكانة اقتصادية وتجارة عالمية، ومنذ عمق التاريخ تزدحم أسواق مكة بالتجار الصاعدين في الشمال أو الهابطين في الجنوب.

وقد زادت أهمية مكة ومكانتها في عهد قريش حيث كانت لها اليد الطولى في أمور التجارة التي احترفها الغالبية العظمى من أهلها، وكان أهلها على قدر كبير من الوعي بأمور التجارة والبيع والشراء كمورد رئيسي وأساسي للرزق والسبيل الأول للحياة والمعيشة. وقد ساعد موقع مكة المتميز أهلها علي احتلال مكان الريادة في قلب الجزيرة العربية في شئون التجارة، ذلك الموقع المتميز الذي اختص الله تعالي به مكة دون سائر مدن الأرض. يقول (الأزرقي) أحد أبناء مكة وأحد مؤرخيها القدامى: كانت مكة بحكم موقعها بين دول الجنوب وممالك الشمال ذات مركز ممتاز وكانت أسواقها تزدحم بالتجار الصاعدين في الشمال إلي الشام أو الهابطين في الجنوب إلي اليمن، وكانوا ينقلون من منتجات أفريقيا عن طريق اليمن الجلود والثياب كما ينقلون من العراق توابل الهند ومن مصر والشام الزيوت والفلال والأسلحة والحرير والخمور[٢].

وقد ترتب على ذلك أن أصبح لأهل مكة رحلتان تجاريتان رئيسيتان في العام الرحلة (الأولى) في الصيف (والأخرى) في الشتاء. وكانت رحلة الشتاء إلي اليمن ورحلة الصيف إلي أرض الشام، فإذا جاء الشتاء رحلوا بتجارتهم إلي أرض اليمن ومعهم بضائع الحجاز وما تبقي لديهم من سلع الشام فيبيعونها ثم يشترون من اليمن الأقمشة اليمانية وأنواع الطيب ويأتون بها إلي مكة ثم يرتحلون في الصيف إلي الشام ببعض أدم الحجاز وما تبقي من بضائع اليمن مما زاد علي استهلاك سوق مكة وبعد بيعها يشترون من الشام ما يصلح لأسواقهم من البضائع ويأتون بها إلي مكة وذلك بعد أن أخذ لهم هاشم بن عبد مناف بن قصي جد الرسول ﷺ عهداً من قيل قيصر الروم بالشام (إيلاف) بعد أن دخل عليه وقال له: أيها الملك إن لي قوماً وهم تجار العرب فإني رأيت أن تكتب لي كتاباً تؤمنهم وتؤمن تجارتهم فيقدموا لك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابها فيتمكنوا من بيعه عندكم فهو أرضى عليكم فكتب له كتاباً فيه أمان لمن أتى منهم كما أخذ لهم عبد شمس عهداً من النجاشي ملك الحبشة فارتحلوا بتجارتهم إلي أرض الحبشة وأخذ لهم عبد المطلب عهداً من ملوك اليمن فارتحلوا بسبب ذلك في رحلة الشتاء إلي اليمن[٣].

وقد أشار القرآن الكريم إلي تجارة قريش قبل الإسلام وما تمتعت به دون سائر قبائل الجزيرة العربية من الأمن والأمان في قوله تعالي في سورة قريش: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ

رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾[1].

وقد انعكس أثر ذلك الازدهار التجاري الذي عاشته مكة منذ القدم على ظهور الثراء الكبير الذي تمتع به عدد كبير من تجار مكة حيث كانوا من أشهر تجار العرب، أمثال أمية بن خلف وعبد الله بن جدعان وخديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها والعباس بن عبد المطلب وأبي سفيان بن حرب.

وكان من تجار قريش في العهد النبوي مجموعة من أصحاب الثروة الظاهرة الكبيرة من جراء العمل بالتجارة، فقد روت المصادر أن ثروة الزبير بن العوام رضي الله عنه قدرت بعد وفاته بأربعين ألف ألف درهم أي أربعون مليون درهم، وقدرت ثروة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه بثلاثين ألف ألف درهم أي ثلاثون مليون درهم، وكذلك قدرت ثروة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بعد وفاته فكانت أعظم من ثروتي الزبير وطلحة،وكذلك صفوان بن أمية رضي الله عنه كانت ثروته تقدر بمثلهم أو يفوق عليهم، ولم يكن أحد من هؤلاء جميعاً أو غيرهم قد اكتسب درهما أو حصل ثروة من غير طريق التجارة[2]، من ذلك نستطيع القول أن موقع مكة الجغرافي المميز ذا السمة التجارية البارزة كان من أهم الأسباب وراء انتشار التجارة بها وظهور الأسواق التجارية بين ربوعها.

ب- الاستقرار السياسي والإداري

تعتبر الفترة المملوكية أحد الأسباب الرئيسية والدافعة وراء الازدهار التجاري بمكة في القرن التاسع الهجري وكثرة الأسواق وانتشارها بها في ذلك الوقت خاصة بعد أن استقرت للمماليك في مصر أمور الحكم والإدارة وتوفرت لديهم مقومات الأمن والاستقرار والرخاء فانعكس ذلك بطبيعة الحال على مكة باعتبارها أحد مناطق النفوذ المملوكي وخاضعة لسلطة السلطان المملوكي في مصر خاصة بعد أن استمد النفوذ المملوكي شرعيته في الحكم بإقامة الخليفة العباسي في القاهرة على يد الظاهر بيبرس[3]، كما استطاع المماليك القضاء على نفوذ بني رسول حكام اليمن على مكة وإقليم الحجاز والذي أعقب سقوط الدولة الأيوبية، وانتهى ذلك الصراع بعد إلقاء المماليك القبض على الملك المجاهد الرسولي[4] عام ٧٥١هـ/ أثناء وجوده بمكة لأداء فريضة الحج وذلك بعد أن وصل إلى مسامع أمير الحاج المصري بأن الملك المجاهد قد عقد العزم على التدخل في شئون إمارة مكة من خلال القبض على الشريف عجلان[5] وتوليه أخاه ثقبة[6] بدلاً منه فألقي القبض على الملك المجاهد وتوجهوا به إلى مصر[7].

وبعد ذلك الحادث أذعن أمراء وملوك بني رسول باليمن لسلطة المماليك ولم يعلنوا تمرداً عليهم فأمن المماليك شرهم، وهدأت بذلك الأحوال ببلاد الحجاز حيث انتهى بذلك الصراع

بيد ولاة مصر واليمن حول بسط النفوذ علي مكة لصالح المماليك بعد أن عرف ملوك بني رسول حجم القوة المملوكية إلي جانب قوتهم المحدودة فأدى ذلك إلي استقرار بلاد الحجاز سياسياً وادارياً، وقد صاحب ذلك الاستقرار استقرارٌ آخر وهو الاستقرار التجاري..

ج- الاستقرار التجاري

انتهجت الدولة المملوكية سياسة جمركية كان لها أبعد الأثر في إضعاف أهمية البحر الأحمر التجارية، و مما ساعد على ازدهار وانتعاش الطريق التجاري عبر الخليج العربي، وأمام خطر انهيار تجارة البحر الأحمر اضطر السلطان المملوكي إلى تعديل سياسته بهدف استعادة النشاط التجاري مرة أخرى وعودته إلي مياه البحر الأحمر نظراً للأموال الطائلة التي كانت تعود على السلطة المملوكية من الضرائب المفروضة على السلع التجارية، وقد سبب الموقف التعسفي الذي اتخذه سلاطين بني رسول في القرن التاسع الهجري من التجار بشكل عام في صالح المماليك، حيث أرغمهم تعسف السلطان الناصر أحمد الرسولي [11] إلي الفرار من عدن والالتجاء إلي جدة ومليبار تخلصاً من المظالم التي كانوا يتعرضون لها، فانتقم الناصر الرسولي منهم باستصفاء ما لهم من أموال وأملاك في عدن. [12]

وهنا ظهرت فرصة قيمة أمام السلطان المملوكي برسباي[13] لإحياء ميناء جدة ليكون بديلاً تجارياً لعدن، وتشجيع التجار إلي السير بتجارتهم إليه والذي كان له أكبر الأثر في ازدهار مركز مكة التجاري وانتعاش الأسواق بها، حيث تعتبر جدة الواجهة البحرية لمكة على البحر الأحمر، وميناءها التجاري، وذلك للارتباط التاريخي بينهما.

ومن أجل الحفاظ على مركز جدة التجاري فقد فرض السلطان برسباي حصاراً اقتصادياً على عدن بما يضمن عدم رسو السفن بها والتعامل التجاري مع اليمن، كما أصدر عام ٨٢٨هـ مرسوماً يقضي بمصادرة البضائع اليمنية المصدرة من عدن إلي جدة مع تجار يمنيين ومضاعفة العشور عليها، وهكذا أفقرت عدن وانخفضت متحصلات سلطانها من الرسوم الجمركية[14] في الوقت الذي صاحبه انتعاش في الخزينة المملوكية من رسوم الجمارك المستحقة على السفن بميناء جدة، فقد أدرك جيداً السلطان المملوكي برسباي أهمية وصول السفن التجارية إلي ميناء جدة، وعمل على تحصيل الرسوم المستحقة على تلك البضائع، وخشية منه أن يتعرض شريف مكة لتلك الرسوم فقد أرسل برسباي قوة مملوكية إلي جدة وظيفتها تحصيل الرسوم المستحقة على تلك السفن[15].

وبالفعل استطاع المماليك في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي من إحياء ميناء جدة التجاري، حيث أصبح أهم الموانى التجارية في ذلك الوقت، ومما لا شك فيه فقد

صاحب ازدهار ميناء جدة ازدهاراً آخر في حركة التجارة ونشاطاً تجارياً بالأسواق المكية في ذلك الوقت، والتي استفادت بشكل كبير من وجود كميات كبيرة ومختلفة من البضائع متنوعة المصادر والأصناف والتي حملتها السفن التجارية إلى مكة خلال ذلك العهد فقد انعكس أثر ذلك الاستقرار التجاري الذي سعى إليه المماليك بالايجاب على وضع مكة وازدهار حركة البيع والشراء بأسواقها، خاصة وقد سعى المماليك بشتى الطرق إلى تأمين طرق التجارة الواصلة إلى جدة وتشجيع التجار الهنود وغيرهم للوصول ببضائعهم إلى ميناء جدة، كما قاموا بتشجيع تجار الهند بعدم التعامل مع ميناء عدن، فقد وصل عدد المراكب التجارية الهندية التي وصلت إلى ميناء جدة عام ٨٢٩هـ نحو سبعة وعشرين مركباً[٦١]. وقد كان لذلك أثره الواضح في ازدهار مكة وزيادة النشاط التجاري بها وانتعاش السلع التجارية بأسواقها وإقبال التجار عليها من مختلف البلدان وأصبحت ملتقى لمختلف السلع التجارية.

ثانياً، تنوع وتعدد الأسواق المكية

تعتبر الأسواق من أهم الركائز الأساسية التي تقوم عليها العملية التجارية، حيث يعتبر وجودها هام وضروري في حركة رواج السلع التجارية، وكثرة الأسواق أو قلتها ببلد ما أو مدينة ما دليلاً هاماً على قوة أو ضعف الحركة التجارية بها ويؤثر بالسلب أو بالإيجاب على مركز تلك المدينة الاقتصادي حيث تعتبر المنشآت التجارية أو الأسواق ظاهرة اقتصادية صحية نستدل منها على قوة ذلك المكان الذي تقوم به وطبيعته الاقتصادية ومكانته التجارية، ومقدار وصولها إلي درجة عالية من الرقي يكون أساساً لتحديد مدى الازدهار والرقي التجاري بها. وقد شهدت مكة تدفق السلع التجارية عليها منذ القدم من مختلف الأنحاء والذي يعد سبباً مباشراً في ظهور الأسواق بها لتنظيم أمور البيع والشراء الخاصة بالسلع التجارية، كما كان لكثرة السلع التجارية بها واستمرار تدفقها على الأسواق المكية دافع أيضاً لقيام أهالي مكة وتجارها بإجراء العديد من الأمور التنظيمية وإدخال التطورات المتلاحقة والمستحدثة على أمور البيع والشراء بما يتناسب وحجم وأهمية مكانتها التجارية، وربما كان ذلك دافعاً أيضاً إلي وجود اللجان المتخصصة للإشراف على تنظيم وترتيب الأمور داخل الأسواق التجارية بما يتناسب مع القواعد والأصول الشرعية المطلوبة في أمور التجارة بشكل عام، وبما يتناسب أيضاً مع مكانة مكة التجارية وعلى هذا الأساس كان تنظيم الحركة التجارية وكان الإشراف عليها لتحقيق الرقابة والضرب على أيدي العابثين بها[٦٢].

وكان لتلك الإجراءات التنظيمية أثرها البارز في إعلاء مكانة مكة التجارية في أعين ونفوس جميع التجار والواردين إليها على السواء، وأصبحت مكانتها التجارية أحد الأسباب التي سيطرت

بها مكة على قلوب التجار فشدت إليها الرحال، هذا إلى جانب مكانتها الدينية القديمة، ومع ظهور الإسلام وانتشاره أصبحت معه مكة قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تشد إليها الرحال فكثر عدد الوافدين إليها سواء للحج الذي تتعلق به الأفئدة باستمرار أو للتجارة، وفي كلتا الحالتين فالعائد التجاري والاقتصادي والرواج في أمور البيع والشراء على تجار مكة بشكل خاص وأهلها بشكل عام كان كبيراً بعد الإسلام، فأخذت قوافل الحجيج تفد إليها من كل صوب وحدب وكان طبيعياً أن تنشط الحركة وظهر أثر ذلك في ازدياد المرونة التجارية التي تمتع بها أهل مكة حيث أصبح أهلها محترفي التجارة الإسلامية[١٨].

فظهرت بها الأسواق التجارية المختلفة وأخذت في التطور والازدهار حتى وصلت مدى بعيداً في العهد المملوكي بشكل عام والقرن التاسع الهجري بشكل خاص لما تميز به ذلك العهد من استقرار وقد شهدت أسواق مكة في ذلك الوقت تدافع العديد من أصحاب رؤوس الأموال وكبار التجار إليها للعمل بها في أمور البيع والشراء حيث استهوت مكة بما توفر بها من الأمان والاستقرار وبما يعود على التاجر بها من أرباح طائلة على أفئدة العديد من التجار من أرجاء العالم الإسلامي واستقطبت التجار الصغار وأصحاب رؤوس الأموال على السواء[١٩].

والمتابع لتطور حركة المنشآت التجارية بمكة في ذلك الوقت سيقف على حقيقة تاريخية هامة وهي أن الأسواق التجارية بمكة قد انقسمت إلى نوعين من الأسواق قسم ينتمي إلى السلطة التجارية التي يتميز بها هذا السوق، وقد شهدت مكة ظهور العديد من هذا النوع مثل سوق الغنم والماشية[٢٠]، أو سوق بيع الحطب وغير ذلك إلى جانب ذلك النوع الذي اشتق اسمه من اسم المكان الذي وجد به فنسب إليه مثل سوق منى وسوق المسفلة[٢١].

وقد شهدت مكة في تلك الفترة ثلاثة انواع من الاسواق بشكل عام.

(١)، «الأسواق الدائمة»، كثرت الأسواق الدائمة داخل مكة سواء في الجاهلية أو صدر الإسلام وحتى وقتنا الحاضر حيث تعتبر مكة المركز التجاري الأول لمنطقة الحجاز وشهدت مكة في ذلك الوقت وجود عدد كبير من هذه الأسواق والتي تفتح أبوابها طوال العام بمختلف السلع التجارية الواردة إليها من مختلف البقاع وقد تصدر هذه الأسواق مجموعة كبيرة من المحلات والوكالات التجارية أحصاها (أوليا جلبي) في رحلته إلى بلاد الحجاز حيث قال «إن جملة الدكاكين الموجودة داخل مكة ألف وثلاثمائة دكان»[٢٢]، وقد أحصى (الكردي) في كتابه التاريخ القويم عدد الأسواق القائمة بمكة والتي ضمت تلك المحلات التجارية في ثلاثين سوقاً تجارية شهدتها مكة في ذلك الوقت، وهي سوق البزازين، وسوق العطارين وسوق الفاكهة، وسوق الصيارفة، وسوق الغزالين، وسوق الرطب، وسوق الغنم والسوق الصغير، وسوق الساعة، وسوق

الرقيق، وسوق اللبانين، وسوق الخياطين، وسوق الخلقان، وسوق الحطب، وسوق الحمارين، وسوق الملافين، وسوق الحوائين، وسوق القواسين، وسوق البقالين، وسوق البرامين، وسوق الحدادين، وسوق الحجامين، وسوق الحذائين،وسوق الليل، وسوق الوراقين، والمزوقين، وسوق الحبوب، والسمن، والعسل، وسوق الخياطين، وسوق الجزارين، وسوق التجارين[٣٣].

ومن خلال قراءة هذه الأسواق نستطيع بسهولة أن نحدد أسماء تلك السلع المتداولة في كل سوق، وتخصص كل سوق من هذه الأسواق، وهي سمة كانت تميز أسواق مكة بشكل عام حيث أختص كل سوق من هذه الأسواق إلي حد كبير بعدد من السلع التجارية التي تميز بها، وهو نمط تجاري عظيم وأساس قوي للحركة التجارية في مدينة ما أو بلد تجاري كبير في وقتنا الحاضر، هذا إلي جانب أن هذا التخصص عاد بالنفع العظيم على مرتادي الأسواق من الأهالي والتجار حيث وفر لديهم الكثير من الوقت والجهد، هذا إلي جانب أن الغالبية من هذه الأسواق كانت تحتل مكاناً مجاوراً للمسجد الحرام، حيث تصطف حوله الحوانيت التجارية ومحلات البيع والشراء من كل نوع وصنف، وربما يعود ذلك إلي أنه الموقع الأكثر ملاءمة لعملية البيع والشراء حيث يجتمع الناس وهم العنصر الرئيسي في إتمام عملية البيع والشراء وهذا ما انطبق على عدد كبير من الأسواق بمكة في ذلك الوقت.

* **سوق المعلاة**، وهو أحد أهم الأسواق الكبرى بمكة، وهو عبارة عن عدة أسواق متداخلة، حيث كان به سوق الحبابة وسوق النخاسة،كما وجد به البقالون والعطارون وباعوا الخردة وباعوا الأحذية ويقع هذا السوق بين الجودرية إلى ما قبل مقابر المعلاة[٣٤].

* **سوق الغنم والماشية**، ويقع في آخر سوق الغزة من الجهة الشمالية وهو ما يعرف بالجودرية، وهو على ضفة وادي إبراهيم مقابل موقع شعب عامر من الغرب، ثم انتقل هذا السوق إلي عدة أماكن في مكة منها موقع برحة الرشيدى بشرق شعب عامر ثم الخرمانية ثم إلي ربع ذاخر وأخيراً استقر بالمعيصم[٣٥].

* **سوق الشامية**، ومنها السويقة التي كانت بمحلة الشامية بين المروة وقاعة الشفاء وهي عبارة عن حوانيت للكساء وغيره وهي من أكبر أسواق مكة وكانت ذات مظلات لاتقاء حر الشمس وماء المطر، وقد ظهرت بعض الأسماء الذين برعوا في مجال البيع والشراء بهذا السوق في القرن التاسع أمثال قاسم بن محمد الشريطي المتوفى عام ٨٨٥هـ وكان أحد أكبر تجار هذا السوق [٣٦] وقيل أن هذا السوق الذي يقع إلي الشمال من المسجد الحرام يشبه إلي حد كبير الأسواق التركية، وفيه يتم بيع السبح والأقمشة الهندية والتركية، وبه كثير من الفصوص والياقوت والعقيق[٣٧] وقد انتقلت هذه السويقة أكثر من مرة حيث انتقلت إلى شرق المروة ثم اتصلت بسوق المدعى[٣٨].

* **سوق حوش البوني:** وهو من الأسواق التي ظهرت بمكة في ذلك الوقت ووجدت إقبالاً كبيراً من جانب التجار وأهل مكة يقول مؤرخ مكة العز بن فهد، «وتقع دكاكينه بالمعلاة، وكانت تباع بها الذهب والسمن والعسل والتمر وغير ذلك»[19].

* **سوق الحراج:** وهو ليس بأمر مستحدث بل هو تجارة قديمة شهدت رواجاً بمكة منذ القدم، واستمرت حتى وقتنا الحاضر، والمقصود بها المكان الذي يبيع فيه الإنسان ما يحتاج إلي بيعه من ممتلكاته القديمة حيث يقوم البائع ببسط أمتعته وخردواته نهاراً فوق فرش أمامه إذا كانت من القطع الصغيرة ثم يجمعها إذا أقبل الليل في صناديق، ويمضي بها عائداً إلي منزله حتى إذا أصبح ذهب إلي مكان الحراج ومعه ما يريد بيعه، وبمكة عدة مواضع للحراج أي لبيع السلع والأمتعة القديمة، وبها أيضاً حراج لبيع الغنم والمواشي وحراج للحطب والفحم وغير ذلك، وكانت الصفة الغالبة للبيع بها هو عن طريق المزاد، وللحراج شيخ ونظام خاص يبدأ البيع في بعضها من ارتفاع الشمس وحتى وقت الظهيرة، وفي البعض الآخر بعد صلاة العصر وحتى صلاة المغرب، وأكبر حراج مكة للأمتعة هو حراج سوق الليل، وموقعه منذ القدم بسوق الليل وقد انتقل هذا الحراج في العصر الحديث عام ١٣٦١ إلي زقاق البيض جهة المسعى ثم انتقل مرة أخرى من زقاق البيض إلي محله القديم بسوق الليل وذلك عام ١٣٧٦هـ وذلك بسبب توسعه المسجد الحرام[20].

* **سوق الليل:** وهو أحد الأسواق الهامة والقديمة بمكة المكرمة المجاورة للمسجد الحرام، شرق المسجد يقع بين الغزة والمسجد الحرام ويطل علي جبل خندمة، وفيها مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وتعود أسباب تسميته بهذا الاسم وفقاً لما هو متعارف عليه عند أهل مكة في ذلك الوقت أن الباعة كانوا يتجولون فيه ليلاً ليبيع ما تبقي لديهم من بضاعة لم تنفد، ويباع فيه كل ما يلزم حجاج بيت الله الحرام وكانت المأكولات والخضروات هي الأكثر رواجاً بهذا السوق [21] ويوجد به مرافق عامة تهم القائمين عليه من التجار والواردين إليه من الأهالي وكان بهذا السوق حمام عام وكان يحتل المرتبة الثانية في الأهمية بعد حمام أجياد[22]، وفي عام ٨٣٥هـ/١٤٣١م قام الخواجا سراج الدين عمر المزلق أحد تجار مكة الكبار في ذلك الوقت بإعادة تعمير عين حنين والتي كانت تمر علي سوق الليل إلي الصفا[23] مما كان له أكبر الأثر في زيادة اهتمام التجار بهذا السوق وإقبالهم عليه والإقامة به، ويقام بهذا السوق تجارة الجملة للفواكه والخضروات، وهو الذي كان يقام به مزاد الأدوات المستعملة ونظراً لشهرة هذا السوق في أنحاء مكة فقد أطلق أسم السوق على الحي الذي يقع به كاملاً وأصبح يسمى الحي بحي سوق الليل[24].

* **سوق الجملون:** وهو أحد أسواق مكة ويقع هذا السوق بوسط سوق الشراشين وقد أنشئ به

حوانيت سكنها البزازون ووقفه الملك الناصر محمد بن قلاوون[٢٥] على تربة مملوكه يلبغا التركماني عندما مات عام ٧٠٧هـ وكان أشهر من برع بهذا السوق من التجار في القرن التاسع شهاب الدين أحمد بن عبد الملك بن شجاع المصري أحد كبار التجار بسوق الجملون[٢٦].

سوق المسعى:-يقع هذا السوق على جانبي المسعى مباشرة بين المروة وقاعة الشفا، وكان مخصصاً لبيع الأقمشة والسبح والهدايا، وقد أزيل هذا السوق في توسعة الحرم المكي الشريف[٢٧] وكان المسعى سوقاً عاماً تباع فيه كافة الاحتياجات من الأطعمة والمشروبات والأقمشة والملابس والمجوهرات والعطور والخردوات وجميع ما يلزم الإنسان من الكماليات والضروريات، وكان سوق المسعى من أهم الأسواق بمكة لوقوعه على جانبي المسعى والسعي يكون في وسط السوق وكل دكان فيه يختص ببيع نوع من الأنواع، وهذا السوق من الأسواق القديمة بمكة[٢٨] حيث كان يعتبر الأكبر بين أسواق مكة في ذلك الوقت نظراً لموقعه المميز الذي اختص به دون سائر الأسواق في طريق الحجيج ولذلك فقد ظهرت به مختلف السلع الضرورية واللازمة للحجاج مثل الحبوب واللحوم والتمور والخضروات والفواكه.

ويشير الفاسي إلى أن الساعين من الحجاج كانوا يلقون مشقة في مواصلة سعيهم بسبب ازدحام الباعة على الحوانيت في المسعى[٢٩] وقد لفت ذلك الزحام أنظار السلطان المملوكي فأعطى أمره إلى الأمير بيسق[٣٠] عام ٨١٤هـ بنقل السوق من المسعى إلى سوق الليل إلا أن شريف مكة قد أعاد السوق إلى موضعه[٣١] وقد استمر هذا الوضع حتى أصدر السلطان المملوكي مرسوماً بأن السوق لا يجلس فيه أحد للبيع والشراء[٣٢].

* **السوق السفير:** أحد أسواق مكة المكرمة، ويقع غرب المسجد الحرام، بينه وبين الشبيكة والمسفلة وكان يباع فيه الأطعمة المختلفة، والحلويات التي امتازت بها مكة في ذلك الوقت، وقال في ذلك ابن جبير في رحلته: ويكثر في مكة صناعة الحلوى فيصنع فيها أنواع غريبة من العسل والسكر المعقود على صفات شتى أنهم يصنعون بها حكايات جميع الفواكه الرطبة واليابسة [٣٣]، كما تباع الخبز واللحوم والبقول والخضروات كما كان به دكاكين لبيع السمك المقلي وبعض المأكولات الهندية واليمنية[٣٤] هذا إلى جانب الفواكه والتمر والحبوب والألبان والدهون، وقد استمر هذا السوق حتى تمت إزالته عام ١٤٠٧هـ ودخل في توسعه المسجد الحرام وحل محله اليوم فندق انتركونتيننتال.

* **سوق بيع الحطب بالمدعى:** وهو أحد الأسواق القديمة الموجودة بمكة لبيع الحطب والفحم حيث كانت تجارة رائجة في ذلك الوقت ومكانه بالمدعى وفي الوقت الحالي أصبح الحطب والفحم يباع بالمعلاة بل صار يباع أيضاً جهة جبل حراء[٣٥].

* **سوق التمارين:** ويقصد بهم الذين يقومون ببيع وشراء التمر وقد خصصت لهم أحد الأسواق الغربية من المسجد الحرام، حيث وجدت به مختلف أنواع التمور والتي وجدت رواجاً وإقبالاً من قبل أهل مكة والوافدين إليها سواء من التجار أو الحجاج أو القائمين بها على السواء[١٦].
* **سوق البزازين:** ويقع عند باب شبيبة، وقد اختص ببيع النسيج من القطن والحرير والقماش المتنوع بجميع أصنافه المختلفة القيمة الثمن وقد كانت تجارة المنسوجات والملابس تجارة رائجة وكانت تقوم على جلب الملابس والثياب من الخارج سواء من مصر أو اليمن أو الهند أو غيرها[١٧].
* **سوق العطارين:** ويقع بالقرب من باب بني شيبة أحد أبواب المسجد الحرام[١٨] وقد تخصص في بيع وتجارة مختلف أنواع العطور والتوابل والبهار والبخور على اختلاف أنواعها من عود وند ومسك وخشب الصندل والعنبر واللادن والمصطكي فضلاً عن الذخائر النفيسة الغالية الثمن كالجواهر واللؤلؤ والعقيق والياقوت وسائر الأحجار الكريمة[١٩]. وكان سوق العطارين من أكبر أسواق مكة وأكثرها رواجاً في ذلك الوقت لكثرة الإقبال عليها من جانب الوافدين إلى مكة حيث كانت في مقدمة السلع المرغوبة.

هذا إلي جانب مجموعة أخري من الأسواق مثل السوق المصري الذي تباع به المنتجات التي تأتي من مصر والسوق الشامي الذي يخصص للبضائع والحبوب التي تأتي من بلاد الشام وكذلك السوق اليمني والسوق العراقي والسوق الهندي وكذلك الأسواق التي تخصصت في البضائع التي تأتي من سواكن ودهلك وزيلع[٢٠].

هذا بشكل عام الأسواق الدائمة القائمة بمكة في ذلك الوقت وقد رأينا أن السمة الغالبة علي هذه الأسواق هو التفرد بأنواع معينة من السلع دون غيرها وقد خدمت هذه الأسواق أهالي مكة بشكل خاص إلي جانب الوافدين اليها طوال العام من شتى بقاع العالم الإسلامي لأسباب مختلفة سواء لطلب العلم أو للمجاورة والانقطاع للعبادة أو للحج والعمرة إلي غير ذلك من الأسباب مما جعل بمكة رواجاً تجارياً دائماً على مدار العام ويزداد في موسم الحج بشكل خاص لتوافد أعداداً كبيرة من الحجاج والمعتمرين.

(٢)، الأسواق الموسمية

شهدت مكة أسواقاً موسمية متقطعة والتي كانت تقام في فترات محددة خاصة تلك التي شهدتها مكة في بعض المواسم،و ارتبطت بظهور أنواع معينة من السلع أو وفود جماعات تجارية أو قوافل تجارية كبيرة العدد، وقد ساعد على ازدهار هذا النوع من الأسواق بمكة ازدياد الحركة التجارية بين الشرق والغرب في ذلك الوقت، وزيادة الإقبال على شراء سلع تجارية معينة مثل

التوابل والتي شهدت موسماً تجارياً خاصاً بها في ذلك الوقت وكذلك البخور الآتي إلي مكة من الهند والصين في مواعيد معروفة خاصة بموسم الحصاد والبيع في بلد المنبع.

ولعل قيام أمراء مكة من الأشراف في القرن التاسع بالسعي قدماً في تأمين طرق التجارة، وتوفير سبل الراحة لهؤلاء التجار عند وفودهم إلي مكة ومغادرتهم لها دون التعرض لهم،خاصة بعد أن أصبحت جدة أهم مركز تجاري في القرن التاسع بعد الاهتمام الكبير الذي لقيته من جانب سلاطين المماليك خاصة السلطان برسباي، فكان هذا الاهتمام يعكس بشكل واضح التحول الكبير الذي طرأ على المركز التجاري لجدة،وازدهار حركة التجارة بصورة كبيرة، وتعرف هذه الأسواق في مكة والحجاز باسم السوق الهندي لكثرة وصول السفن والمراكب الهندية من الديو[٥١] وكنباية [٥٢] ففي عام ٨٢٩هـ/١٤٢٦م وصل إلي ميناء جدة أربعون سفينة من الهند وهرمز، وقد كان وصول السفن الهندية إلى ميناء جدة في ذلك الوقت ذا أهمية كبرى لدى السلطان المملوكي حيث أرسل خطاباً إلي شريف مكة يأمره فيه أن يراعي مصالح التجار بمكة، وأن يعيد ما أخذ من التجار إليهم، ويوصيه بأحد التجار وهو الشيخ علي الكيلاني وعدم التعرض له لأنه ملك التجارة، وكان ذلك عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م[٥٣].

كما شهدت مكة وجود سوق موسمية أخرى وهي تنعقد لدى وصول تجار السراة الذين كانوا يجمعون بين أداء العمرة وتسويق منتجات بلادهم التي يعتمد عليها أهل مكة في مبرتهم، ولهؤلاء أثر كبير في الحياة الاقتصادية في مكة فوصولهم مكة محملين بالبضائع يعني الرخاء وهبوط الأسعار، حتى لقد كان يفيض الكثير من المؤن التي يجلبونها، فيخزن أهل مكة والمجاورون هذا الفائض ويدخرونه حتى وقت وصول الميرة، ونتيجة لقرب أهل السراة من مكة فقد كان كثرة توافدهم عليها له أثر كبير في استمرار انتعاش أسواق مكة بالبضائع ووفرتها.[٥٤] وقد استفادت مكة من هذه الأسواق كثيراً وأضفى ظهور هذه الأسواق رواجاً اقتصادياً وتجارياً كبيراً على أهل مكة في ذلك الوقت.

(٣)، الأسواق السنوية :

وهي من الأسواق المميزة والمشهورة وتعتبر من الأسواق الموسمية ولكنها أسواق ثابتة تتكرر كل عام حيث ارتبطت بموسم هو الأهم والأشهر على الإطلاق وهو موسم الحج الذي تشد إليه رحال الأعداد الهائلة من المسلمين من شتى بقاع الأرض شرقها ومغربها[٥٥]، وسرعان ما تصبح معها مكة مركزاً تجارياً حافلاً بمظاهر التبادل التجاري حيث يأتي عدد كبير من هؤلاء الحجاج محملين بمختلف أنواع البضائع من منتجات بلادهم ويلتمسون إلي جانب أداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام في هذا الموسم الهام نفعاً مادياً ودنيوياً حيث يقوم هؤلاء ببيع ما لديهم من سلع

تجارية ثم يعودون في نهاية موسم الحج وقد اشتروا بأثمان ما باعوه من مختلف البضائع التي تزخر بها أسوق مكة في ذلك الوقت من مختلف البلدان[٢٦].

كانت الأسواق تقام طوال موسم الحج تتم خلالها عمليات البيع والشراء من جانب الحجاج وتجار مكة، ويعود ذلك بطبيعة الحال على أهل مكة بالخير الوفير نظير ما يحصلونه من أرباح من هذه التجارة وفي ذلك يقول ابن جبير واصفاً الوضع التجاري بمكة أثناء موسم الحج: ولو لم يكن لها من المتاجر إلا أوقات المواسم ففيه مجتمع أهل المشرق والمغرب فيباع فيها في يوم واحد فضلاً عما يتبعه من الذخائر النفيسة كالجواهر والياقوت وسائر الأحجار، ومن أنواع الطيب كالمسك والكافور والعنبر والعود والعقاقير الهندية إلي غير ذلك من جلب الهند والحبشة إلي الأمتعة العراقية واليمانية، إلي غير ذلك من السلع الخرسانية والبضائع المغربية إلا ما لا ينحصر ولا ينضبط ما لو فرق على البلاد كلها لأقام لها الأسواق الناغقة ولعم جميعها بالمنفعة التجارية كل ذلك في ثمانية أيام بعد الموسم حاشا ما يطرأ بها مع طول الأيام من اليمن وسواها فما على الأرض سلعة من السلع ولا ذخيرة من الذخائر إلا وهي موجودة فيها الموسم[٢٧].

ورغم هذا الكم الهائل من السلع التجارية المختلفة وكثرة أعداد الوافدين إليها في موسم الحج سواء بفرض الحج والتجارة معاً أو بفرض التجارة فقط فقد كانت أسواق مكة بشكل عام جميلة، ونظيفة ممتعة وجميع ممروضاتها نظيفة يقول أوليا جلبي في ذلك: إن جميع الأسواق نظيفة وطاهرة وطعامها نظيف وجميع أطعمتها وأشربتها ممدوحة وهي تلبي مختلف الاحتياجات من الأذواق، كما أن بها بعض الأطعمة الخاصة بأقاليم معينة[٢٨].

وبشكل عام فقد كان يفد إلى مكة في موسم الحج أعداداً هائلة من التجار من مختلف البلدان سواء من مصر أو اليمن أو بلاد الشام والهند وغيرها من البلدان وقد قام تجار الكارم[٢٩] بدور كبير في التجارة بأسواق مكة بشكل عام وكان لهم دور إيجابي في زيادة حجم التجارة في موسم الحج بشكل خاص وتعود علاقة هؤلاء بمكة إلي أزمنة بعيدة وظهر نشاطهم التجاري بمكة بشكل واضح خلال العصر الأيوبي وعصر سلاطين المماليك حيث فرضوا سيطرتهم التجارية على البحر الأحمر خاصة وقد احتكروا مجموعة من السلع الهامة والتي كان لها سوق رائجة منذ القدم وهي التوابل بأنواعها من بهارات وفلفل وقرفة وزنجبيل، هذا إلى جانب العطور والبخور بشتى أنواعها فضلاً عن الذخائر النفيسة الغالية الثمن كالجواهر واللؤلؤ والأحجار الكريمة هذا إلى جانب مختلف أنواع الأقمشة المميزة الثمينة بجميع أنواعها والثياب المصنوعة من القطن والحرير والتي وجدت قبولاً واسعاً من تجار وأهالي مكة وظهرت بكميات كبيرة في الأسواق المكية من القدم[٣٠].

وقد انعكس أثر ذلك بطبيعة الحال على الحياة المكية وتجار مكة بل وصل الأمر إلى الاستفادة والعائد الكبير الذي عاد من وجود مثل هؤلاء التجار بالأسواق المكية على شريف مكة حيث حصل على رسوم طائلة مقابل عملهم بالتجارة مع أهل مكة أو مقابل السماح لهم بالنزول بما لديهم من سلع تجارية بميناء جدة وكما يقول (شيخ المؤرخين المكيين الفاسي) أن شريف مكة قد حصل من تجار الكارم مقابل السماح لهم بالنزول بجدة عام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م على أربعين ألف مثقال[٢١].

من ذلك يمكن القول أن أسواق مكة قد استفادت كثيراً من العمل التجاري أثناء موسم الحج ولعبت دوراً هاماً ومؤثراً في النشاط التجاري والسيطرة على الأسعار وذلك نتيجة لكثرة التجار والسلع التجارية بها والتي جاء بها الحجاج والتجار معاً حتى إن تجار مكة استفادوا من خفض الأسعار وبطبيعة الحال وحسب المتعارف عليه تجارياً أن التاجر الذي يسافر ويقطع آلاف الكيلومترات في ذلك الزمان محملاً بالسلع التجارية لا يستطيع أن يعود بها مرة أخرى من حيث أتى بعد انتهاء موسم الحج، ولا يستطيع أن يتنقل بها كثيراً داخل الأسواق المكية أو فترة أداء مناسك الحج فلم يكن أمامه سوى بيع ما لديه من سلع تجارية، أولاً حتى لا تفسد من طول الوقت خاصة إذا كانت هذه السلع سلعاً غذائية كما كان التاجر مضطراً إلي بيع ما لديه من سلع أيضاً لأنه بطبيعة الحال يرغب في شراء سلع أخرى بما يتوفر لديه من أموال جراء بيع ما جلبه معه من سلع تجارية وكانت هذه فرصة كبيرة أمام تجار مكة وهم الذين زاولوا مهنة التجارة منذ القدم وبرعوا فيها وأتقنوها جيداً وكانوا على علم بكل هذه الحقائق، والتي تصب في صالحهم في جميع الأحوال سواء في حالة بيع التاجر ما معه من سلع تجارية بأسعار زهيدة أو في حالة قيامه بالشراء بعد ذلك فهي مصلحة ومنفعة مزدوجة تصب في مصلحة تجار مكة وتعود عليهم بالأرباح الوفيرة.

وقد كان لكثرة المعروض من السلع التجارية أثره في رخاء الأسعار بمكة خاصةً لدى الراغبين في الشراء من الأهالي بشكل عام، ويوضح تلك الصورة أحد مؤرخي مكة في ذلك الوقت (العز بن فهد) بما ساقه عند الحديث عن رخاء الأسعار في شهر جمادى الأولى بقوله: وفي هذا الشهر رخص الحب والسمن والعسل رخصاً عظيماً بحيث بيع الحب الزيلعية[٢٢]، الغرارة[٢٣] بأشرفيين والمليحة بدون ثلاثة والقيمية بدون الأربعة والمن السمن بأشرفي وربع والعسل القنطار بثلاثة وأربعة[٢٤].

وكان الرخاء التجاري وكثرة السلع التجارية وتوافرها بمكة شاملاً يعم جميع أسواقها حيث كانت أسواقها بشكل عام تشهد رواجاً وحركة تجارية رائعة و كانت أسواق منى على سبيل المثال تكتظ بالتجار والمشترين من الحجاج خاصة فترة أقامة الحجاج بها أيام التشريق الثلاثة من

الحادي عشر إلى الثالث عشر من شهر ذي الحجة، وإذا نظرنا إلى ذلك المكان الذي يقع على بعد فرسخ من مكة، ورغم كونها جزءاً أصيلاً من الحرم إلا أنها لا تعمر ولا تشهد نشاطاً أو إقبالاً سوى أيام الحج حيث تزدحم بالحجاج رغم خلوها بقية العام رغم وجود مجموعة من الآثار الإسلامية بها مثل مسجد منى ومسجد الكبش هذا إلى جانب مجموعة من الآبار والبرك المملوءة بالماء يقول ابن جبير (وكان بمنى حوانيت حسنة البناء قد بنيت بالحجر وخشب الساج[٢٤]).

وتعتبر منى في تلك الأيام الثلاثة سوقاً من أعظم الأسواق يباع فيها مختلف أنواع السلع التي تلزم الحجاج ويتهافتون عليها، لا تكاد تخلو منها سلعة من السلع مثل الجوهر النفيس إلى أدنى الخرز إلي غير ذلك من كافة الأمتعة وسائر السلع حيث يدخلها جميع حجاج بيت الله الحرام و يخرجون منها محملين بما تشتهي الأنفس من السلع النفيسة، وما يحلو لكل منهم من تلك السوق الرائجة ويوضح النجم بن فهد لنا أثر وصول بضائع الهند القادمة إلي منى عن طريق جدة محملة مختلف أنواع البضائع والسلع المطلوبة وأثر ذلك على الرواج التجاري الذي كانت تشهده منى في ذلك الوقت ومدى إقبال تجار الهند على أسواقها فترة الموسم وذلك عام ٨٢٨هـ/١٤٢٤م بعد أن وصلت إلى جدة مجموعة من المراكب التجارية قادمة من الهند بقوله: وكثر الجلب من جميع الجهات مع رخص الأسعار في القوت والدقيق والسمن والعسل واللحم والماء كثير في برك الحاج بمني ورخص الغنم والسمن وصارت جدة هي بندر التجار[٢٥]..

وليس أدل على الرخاء التجاري العظيم وكثرة السلع التجارية المعروضة بسوق منى ومدى الإقبال على أسواقها من جانب الحجاج أن البيع والشراء كان يضم جميع أرجاء منى حتى وصل الأمر أحياناً إلى تواجد الباعة بمسجد منى وقد لقي ذلك معارضة شديدة وامتعاضاً من جانب بعض علماء المسلمين[٢٦].

ومن اللافت للنظر وجود أنواع مختلفة من المنسوجات في أسواق منى ووجدت رواجاً عظيما وإقبالاً من قبل الحجاج المزدحمين بها طوال أيام التشريق بل تخطى الأمر أنه كان في بعض المواسم يتأخر نزول الحجاج منها يوماً آخر نظراً للازدحام الشديد بها والإقبال الكبير عليها خاصة أثناء عملية البيع والشراء وكثرة التجار وانتشارهم بأسواقها والذي كان يصاحبه أيضاً رغبة هؤلاء التجار في بقاء الحجاج يوماً آخر[٢٧]

وقد كانت أسواق منى تشكل فرصة للتجار من مختلف البلدان سواء من اليمن أو بلاد الشام والعراق أو مصر وخراسان وبلاد المغرب والحبشة ومختلف البلدان الإسلامية وذلك لبيع ما حملوه معهم مما جعل من منى سوقاً لا مثيل له بمكة في موسم الحج بعد أن كثرت بها السلع القادمة إليها سواء عن طريق ميناء جدة بعد أن أصبح ذا شأن خاصة في القرن التاسع أو عن

طريق ميناء عدن أحد الموانئ الهامة على ساحل البحر الأحمر جنوب الجزيرة العربية[١٩].

ولا يقتصر النشاط التجاري بمكة زمن الحج على أسواق منى وما تشهده من رواج تجاري فقط بل إن جميع أسواق مكة بلا استثناء كانت تشهد رواجاً تجارياً كبيراً وارتفاعاً ملحوظاً في حركة البيع أثناء موسم الحج، وكان الحجاج بعد أداء مناسكهم اليومية يقومون بالتجول في هذه الأسواق ثم يعودون منها محملين بمختلف المشتريات من أنواع البضائع المتوافرة بكثرة بتلك الأسواق ولعل من الدلائل الهامة المؤكدة على ازدهار الحركة التجارية بمكة أثناء موسم الحج أن الأسواق كانت تقام بالمسجد الحرام كثيراً مما أثر كثيراً على مسيرة أداء الحجاج لشعائر الحج والسعي بين الصفا والمروة جراء الزحام الشديد من الناس على الباعة [٢٠].

هكذا كانت الحركة التجارية التي كانت تشهدها أسواق مكة في موسم الحج وهو الموسم الذي يتم الإعداد له مسبقاً كل عام نظراً لتوقع الإقبال على الحج من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، وكان تجار مكة يعدون أنفسهم لاستقبال حجاجهم لما في ذلك من منفعة عظيمة تعود عليهم أثناء موسم الحج وبالتالي فإن الحركة التجارية بمكة في موسم الحج توضح لنا شكل وطبيعة النشاط الهائل الذي كان يطرأ على أسواق مكة فأسواق العطارة والبخور تعج بأنواع التوابل والعقاقير الشرقية والعطور الثمينة التي تملأ الجو عبيراً وشذى وأسواق الصاغة تزخر بأجود الحلي وأثمن الأحجار الكريمة والجواهر النفيسة واللآلىء الحرة[٢١]. وأسواق النسيج والبز تمتلئ بمختلف المعروضات من الأقمشة الحريرية وكتانية والقطنية والمطرزة والسجاجيد الفارسية الفاخرة إلى غير ذلك من السلع والبضائع ولا غرو في ذلك فمكة هي مجتمع أهل المشرق والمغرب واليها ترد المتاجر في قوافل عظيمة من مصر والشام وحلب وبغداد والإحساء ونجد واليمن والهند والحبشة والشحر وحضرموت وغيرها من مختلف أرجاء جزيرة العرب[٢٢]. من ذلك يمكن القول أن الغالبية العظمى من منتجات العالم الإسلامي الضرورية منها وغير الضرورية في ذلك الوقت كانت في طريقها دائماً إلى أسواق مكة حيث وجد بها أكبر الأسواق التجارية لمنتجات الشرق والغرب وبيعت بأسواقها كميات كبيرة من مختلف أنواع السلع التجارية سواء أثناء موسم الحج الذي يعتبر موسماً دينياً عظيماً ومناسبة تجارية كبرى، استفاد منها أهل مكة بشكل كبير في مجال البيع والشراء والإثراء كما عمرت أسواقها الدائمة بما تبقى لدى التجار من مختلف السلع بأرخص الأسعار وقامت بعرضه وبيعه على مدار العام انتظاراً للمواسم القادمة وهكذا كانت طبيعة وشكل الأسواق المكية من الداخل وما كان يدور بها من نشاط تجاري كبير.

* **أسواق النخاسة:** تعتبر تجارة الرقيق وأسواق النخاسة أحد أهم الأسواق التي كانت تقام بشكل عام حيث كان الرقيق أحد السلع التجارية في ذلك الوقت،بل أحد أهم السلع التجارية التي

وجدت إقبالاً كبيراً من جانب البائع والمشترى على السواء ولم تكن تجارة الرقيق قاصرة على بلد دون الآخر فقد عمت مختلف الأرجاء وانتشرت أسواق النخاسة في عدد من مدن الحجاز إلا أنها ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بتجارة الرقيق في مكة المكرمة منذ فترة مبكرة قبل الإسلام وازدهرت بشكل كبير خلال القرن التاسع الهجري نظراً للازدهار والنشاط الاقتصادي الكبير الذي تمتعت به مكة في ذلك الوقت والإقبال عليها من جانب التجار وزيادة النشاط التجاري بها خاصة بعد عودة ميناء جدة إلى احتلال مكان الصدارة كأحد أهم الموانى التجارية في القرن التاسع وإقبال المراكب التجارية إليه محملة بمختلف أنواع البضائع ومن بينها الرقيق المجلوب من مختلف البلدان والذي تم عرضه في أسواق مكة بشكل كبير ووجد إقبالاً من أهالي مكة، ولا غرو إذا قيل بأن مكة في ذلك الوقت قد احتلت مكان الصدارة بين مدن العالم الإسلامي في تجارة الرقيق خاصة وقد أدت كثرة الحروب والصراعات التي شهدها العالم الإسلامي في ذلك الوقت إلى زيادة أعداد الأسرى وبالتالي زيادة أعداد الرقيق وكثرة المعروض منه بالأسواق بصفته أحد السلع التجارية الرائجة في ذلك الوقت بل إنه من المعروف أن بعض الحروب والمعارك والغارات كانت تقع لأجل وقوع البعض في الأسر لاستخدامهم كرقيق وبالتالي بيعهم بالأسواق وليس لأجل السلب أو النهب أو أي أسباب أخرى غير ذلك.

وبشكل عام فقد كانت تجارة الرقيق بمكة تجارة رابحة تعود بالربح الوفير على القائمين عليها من أهل مكة وازدهرت بشكل كبير وواضح خلال مواسم الحج وكان ذلك عادة سار عليها الحجاج منذ القدم حيث كانت أسواق مكة تمتلئ بالرقيق يقبل الناس على شرائهم بشكل كبير وقد أشار إلى ذلك العدد الضخم من الرقيق المتواجد بأسواق مكة في القرن التاسع أحد مؤرخيها الذي ذكر بأن أحد أعيانها أعتق ثلاثمائة عبد ومائتي جارية[٣٣].

ومما لا شك فيه أن تجار الرقيق كانوا يحصلون على مبالغ طائلة من وراء تجارتهم لأن الطلب على الرقيق في ذلك الزمن تزايد كثيراً وبشكل خاص عند الحجاج كبار السن والأثرياء منهم، فكان الحجاج في حاجة دائمة لمن يخدمهم في ركوبهم وحمل متاعهم وإعداد طعامهم[٣٤] إلى غير ذلك من أنواع الخدمات التي من الممكن أن يقوم بها الرقيق في ذلك الوقت.

أما أهل مكة بعدما وصلوا إليه في ذلك الوقت من استقرار وانتعاش اقتصادي وزيادة تدفق رؤوس الأموال إليهم وازدياد حركة البيع والشراء وكثرة إقبال الناس عليهم وبعد أن توفرت لديهم الأموال وأصبحوا في سعة من العيش فقد أكثروا من شراء الرقيق لاستخدامهم في منازلهم أو في أعمالهم الخاصة أو الزراعة أو كعمال يدويين أو غيرها من مختلف الأعمال التي شهدتها مكة في ذلك الوقت.

ومن المعروف أن تجارة الرقيق ليست بالتجارة السهلة الميسورة لعدد كبير من التجار فهي تجارة صعبة يتحمل التاجر في سبيلها أنواع المشاق والصعاب بل قد يفقد التاجر في بعض الأحيان حياته أثناء رحلاته لشراء الرقيق أو قد يفقد حياته على أيدي هؤلاء الرقيق المملوكين له، بل وصل الأمر إلى قيام بعض الرقيق في مناسبات كثيرة بالتخلص من قادة وأمراء وملوك والأدلة من التاريخ على ذلك كثيرة أمام أعين المؤرخين، فهي أذن تجارة صعبة وليست بالأمر الميسور أمام جميع التجار ولذلك فقط مهر في هذه التجارة فئة بعينها من التجار وأصبحت هي المتحكمة في تجارة الرقيق، هذا إلي جانب أن هذه التجارة ربما بما تحققه من أرباح وفيرة تدفع كبار التجار إلي محاربة التجار الصغار والتخلص منهم لانفرادهم بهذه الأرباح دون مشاركة من أحد، فقد كانت هذه المهنة أذن حكراً على التجار المحترفين الذين كانوا يحققون نسبة عالية من الأرباح[٣٠].

كما اختلفت أساليب وطرق بيع الرقيق حيث كان القائمون على هذه التجارة لهم أساليبهم الخاصة التي من خلالها يتم بيع ما لديهم من رقيق عن طريق الترغيب والترويج لهذه السلعة القيمة وذلك من خلال تزيين الجواري وارتداء الملابس النظيفة الشفافة التي تظهر مفاتن الجارية، كما أن العبد لابد وأن يعرض بطريقة تبين مؤهلاته من حيث الذكاء والقوة وحسن الطاعة والنظافة وبعد ذلك يعرض للبيع في موسم الحج وكان يطاف بهم في موسم الحج حول بيت الله الحرام ثم يعرضون للبيع بدار الندوة جهة باب بني شيبة[٣١]. كما وجدت أسواق خاصة لبيع الرقيق داخل بيوت يمتلكها تجار الرقيق بالموانى المهمة مثل ميناء جدة وميناء الليث حيث يباع فيها الرقيق الجيد[٣٢].

وكانت تجارة الرقيق بمكة أحد روافد الثراء الاقتصادي والمادي بها وأحد مصادر الدخل حيث جنى تجار مكة من خلال تجارة الرقيق الأرباح الطائلة خاصة وقد استفادوا كثيراً من موسم الحج في بيع العدد الكبير من الرقيق والذي كان يقبل عليهم الحجاج بشكل كبير سواء للخدمة الخاصة بهم أو لغرض التجارة بهم حين العودة إلي أوطانهم من خلال بيعهم مرة أخرى بأوطانهم،وتحقيق عائد مادي أكبر بكثير ممن دفعوه بمكة أثناء الموسم، ولذلك فقد كان الطلب على الرقيق من مكة يزداد عاماً بعد عام نتيجة للربح الوفير ذلك الربح الذي دفع أحد أشراف مكة الشريف أبو نمي إلى الاستفادة هو الآخر من هذه التجارة بتحقيق أكبر قدر من المكاسب المادية من خلال ذلك المرسوم الذي أصدره والذي يقضي بزيادة المكوس المؤقتة على دلالي الرقيق عن الفترة السابقة لتصبح خمسمائة دينار أشرفي[٣٣].

أما عن شكل تعامل أهل مكة مع أرقائهم وعبيدهم بشكل عام فقد كانت تتم في جو من الرحمة والعدل والرأفة وكانوا يعاملونهم معاملة طيبة حسنة خاصة وهم أهل بيت الله الحرام

وقد فرض عليهم الإسلام التعامل بالحسنى مع الناس بشكل عام فما بالك بملك اليمين من العبيد والإماء الذين لا حول لهم ولا قوة، ومن هذا أحسنوا إليهم. كما كان وجود الرقيق يعتبر نوعاً من الوجاهة الاجتماعية والثراء والرفاهية الاقتصادية التي تمتع بها أهل مكة في ذلك الوقت كما كان أهل مكة حريصين على تعليم عبيدهم القراءة والكتابة وخاصة من يتصف بالذكاء منهم لجعلهم من وسائل التفاخر وقد استطاع كثير من الأرقاء بفضل ما وصلوا إليه من علم وفهم وذكاء أن يترقوا ويتقلدوا مناصب مهمة في مكة وليس أدل على ذلك ما حدث عام ٨١٩هـ/١٤١٦م حين اتخذ شريف مكة حسن بن عجلان[٣٩] أحد أرقائه ويدعى شكر قائداً وسفيراً له وكان قائداً مشهوراً[٤٠] بل وصل بعض هؤلاء الرقيق والعبيد إلى أسمى المراتب بمكة في ذلك الوقت، فقد حكم مكة أحد عتقاء الشريف بركات وكان يدعي القائد زين الدين مبارك زين بدر السحرتي والذي استمر يحكم مكة حتى وفاته عام ٩٣٥هـ/١٥٢٨م[٤١].

هكذا كانت تجارة الرقيق وأسواق النخاسة بمكة في القرن التاسع الهجري أحد مصادر الثراء والثروة والجاه لدى تجار مكة عادت عليهم بالأرباح والأموال الوفيرة حيث كثر عدد أسواق الرقيق بمكة وزاد الإقبال على شراء الرقيق منها على مدار العام وازداد هذا الإقبال بشكل كبير في موسم الحج حيث يتم الاستعداد له من جانب أهل مكة وتجار الرقيق بتوفير الأعداد الكبيرة من الرقيق وإعدادهم أفضل إعداد استعداداً لموسم الحج «موسم بيع الرقيق».

ثالثاً: أهم السلع التجارية

أدى الموقع التجاري الذي تميزت به مكة وما خصها الله به من مكانة عظيمة في نفوس المسلمين في مختلف البقاع إلى رغبة المسلمين الدائمة في الرحيل إليها والإقامة بها بل تملكت رغبة الموت بها على أفئدة الكثيرين من المسلمين على مر العصور كما كان سعي أمراء مكة وأشرافها في القرن التاسع على توفير الأمن والأمان للتجار سواء من أهل مكة أو الوافدين إليها وتوفير أكبر قدر ممكن من الحماية لهم حتى يمارس التاجر نشاطه التجاري في حرية تامة دون أدنى معوقات. وهذا ما فعله شريف مكة الشريف حسن بن عجلان حيث بذل كل الجهد لأجل توفير الأمن والاستقرار أثناء ولايته، كما سعى في تأمين الطرق الموصلة إلي مكة لتأمين التجار الواردين إليها، وتوفير الأمن لهم أثناء إقامتهم وتنقلاتهم وأحاطتهم بكل سبل الراحة حتى تصل قوافلهم سالمة[٤٢].

ولعل ذلك يعكس بطبيعة الحال التحول الكبير الذي طرأ على ميناء جدة في القرن التاسع الهجري وتحول تجارة البحر الأحمر من ميناء عدن إلى جدة والتي استحوذت على غالبية السفن التجارية خاصة الهندية الواردة إلي مياه البحر الأحمر في ذلك الوقت لدرجة أن أصبح وصول

هذه السفن إلي مكة يعتبر موسماً تجارياً بها وأطلقوا عليه الموسم الهندي لكثرة وصول السفن الهندية من موانئ الهند إلي جدة[٣٢] وبالتالي وصول ما بها من بضائع إلي مكة لتباع في أسواقها وهي بلا شك بضائع مختلفة الأنواع والأشكال، مما أدى إلى كثرة الأصناف المعروضة من السلع التجارية بمكة في ذلك الوقت.

كل ذلك جعل من مكة سوقاً تجارياً هاماً أمه التجار من أهل مكة والوافدين إليها سواء في موسم الحج أو على مدار العام مما ساعد على كثرة أنواع السلع التجارية بشكل عام والغالية الثمن والنفيسة القيمة منها بشكل خاص يقول في ذلك أحد من زار مكة وسجل ذلك في رحلته ابن بطوطة: ولقد أكلت بها من الفواكه والعنب والتين والخوخ والرطب ما لا نظير له في الدنيا وكذلك البطيخ المجلوب إليها لا يماثله سواء طيباً وحلاوة واللحوم بها سمان لذيذة الطعوم وكل ما يفترق في البلاد من سلع فيها اجتماعه[٣٣].

ويؤكد ابن جبير على كثرة أسواق مكة وعظمتها وتنوع السلع التجارية بها حيث ذكر أحد الأسواق التي تحيط بالمسجد الحرام بقوله: يباع فيه من الدقيق إلي العقيق ومن البر إلي الدر إلي غير ذلك من السلع[٣٤] وهذه إشارة واضحة على كثرة السلع الموجودة بأسواق مكة وأن أسواقها لا تخلو من سلعة إلا ويوجد منها بأسواق مكة سواء النفيسة منها الغالية الثمن أو حتى الوضيعة الزهيدة الثمن فكل أنواع السلع موجودة بأسواق مكة ويتابع ابن جبير قوله: ما بين الصفا والمروة سوق كبير يباع فيه جميع الفواكه والحبوب واللحوم والتمور والسمن وسائر المبيعات الطعامية والساعون لا يكادون يخلصون من كثرة الطعام وحوانيت الباعة يميناً وشمالاً[٣٥].

وقد أكد ذلك ابن بطوطة حين زيارته لمكة بقوله: إنه شاهد بين الصفا والمروة سوقاً عظيمة يباع فيها الحبوب واللحم والتمر والسمن وسواها من الفواكه والساعون بين الصفا والمروة لا يكادون يخلصون لازدحام الناس على الحوانيت[٣٦] ويقول ابن جبير واصفاً سوق منى وكثرة ما به من السلع الغذائية وتنوعها: من أعظم الأسواق يباع فيها من الجوهر النفيس إلي أدنى الخرز إلي غير ذلك من الأمتعة وسائر سلع الدنيا لأنها مجتمع أهل الآفاق[٣٧].

ويؤكد ذلك أيضاً ما ذكره أحد الرحالة الأجانب الذين زاروا مكة عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م أوائل القرن العاشر وهو لودوفيكو فارتيما حيث يقول متحدثاً عن صنف واحد فقط من أصناف السلع التجارية المختلفة التي شهدتها مكة في ذلك الوقت للدلالة على عظم حركة التجارة بها وتعدد السلع التجارية يقول: يوجد حشود كبيرة من الرجال عطارين ما بين خمسة آلاف وستة آلاف يتاجرون بالمراهم الحلوة والمساحيق الذكية الرائحة التي تستخدم بصفتها عطوراً من هناك حمل كل نوع من الروائح الجميلة إلي بلاد الإسلام لقد فاقت

رائحتها المستديمة كل التصور متفوقة بجلاء على حوانيت الصيادلة[٥١].

فمنذ القدم وأسواق مكة تزدحم بالتجار الصاعدين إلى الشمال حيث بلاد الشام أو هابطين إلي الجنوب حيث بلاد اليمن محملين ببضائع وأصناف اليمن والشام الشيء الكثير كما ينقل إليها من بضائع أفريقيا الرقيق والصمغ والعاج والتبر وينقلون من اليمن البخور والثياب والجلود ومن العراق توابل الهند ومن مصر والشام الزيوت والغلال والأسلحة والحرير والخمور فمهروا في التجارة وتضخمت رؤوس أموالهم وارتفعت أسهم مكة الاقتصادية وزادت مكانتها وأصبحت في صدارة المدن التجارية الكبرى خاصة في القرن التاسع الهجري حيث شهدت مدينة جدة بوابة مكة الرئيسية مرحلة حاسمة في حياتها التجارية كما سبق وأن أشرنا عندما تحولت تجارة البحر الأحمر من ميناء عدن إلي ميناء جدة وتابعت السفن التجارية سيرها حتى ميناء جدة مما أدى إلى انتعاش أسواق مكة بمختلف السلع التجارية القادمة إليها من الهند ودول أفريقيا وغيرها واكتظت أسواق مكة بالبضائع المختلفة المجلوبة من كافة أنحاء العالم.

رابعاً: أبرز وكائز نشاط الأسواق المكية

شهدت الأسواق في مكة في القرن التاسع الهجري مجموعة من الركائز فرضت نفسها وارتبطت جميعها بأمور التجارة والبيع والشراء داخل تلك الأسواق مثل العملات التي يتم بها التداخل وتتم بها عملية البيع والشراء واختلافها وكثرتها وتنوعها سواء ما طبع منها بمكة أو أتي بها من الخارج سواء مع التجار أو الحجاج في موسم الحج، كما شهدت أسواق مكة أيضاً إقبال عدد كبير من العلماء وطلبة العلم سواء من أهل مكة أو المجاورين بها على التجارة وذلك نظير ما يعود عليهم من أرباح وفيرة، وقد برع هؤلاء العلماء في ذلك المجال وحققوا منه أرباحاً وفيرة تركت ميراثاً لأبنائهم بعد وفاتهم.

كما ارتبط بالأسواق وأمور البيع والشراء أيضاً ظهور بعض الحرف التي ارتبطت مباشرة بالأسواق لأجل إتمام عملية البيع والشراء وهذه ظاهرة تجارية صحية متقدمة تدل على مدى الوعي والتقدم الذي تميزت به الحركة التجارية داخل أسواق مكة في ذلك الوقت فظهر ما عرف باسم الدلال أو السمسار أو الوسيط أو المنادي الذي لعب دوراً رئيسياً في إتمام عملية البيع والشراء داخل الأسواق نظير حصوله على بعض الأموال سواء من البائع أو المشترى وقد استهوت هذه الحرفة عددا كبيرا من تجار وأبناء مكة في ذلك الوقت نظراً للعائد المادي الكبير الذي يتحصل عليه من يقوم بها.

ومن الحرف التي ارتبطت بأمور التجارة داخل الأسواق المكية أيضاً الكيال وهو ذلك الشخص الذي يقوم بالإشراف على عملية الكيل،والميزان وهي مهنة هامة وضرورية يجب على من يقوم

بها أن يكون متصفاً بالأمانة والصدق والخوف من الله حتى يأخذ طرفي العملية التجارية حقه سواء من البائع أو المشتري وذلك مقابل الاتفاق على أجر معلوم، ومن العادات التي صاحبت ازدهار النشاط التجاري بمكة في ذلك الوقت أيضاً أثرت بالسلب علي عملية البيع والشراء داخل الأسواق بمكة وإن كانت تحمل بداخلها دلالة هامة وهي أنها توضح مدى المكانة والأهمية التي وصلت إليها مكة في ذلك الوقت ومدى القدر التجاري والاقتصادي الذي تمتعت به وموقعها في نفوس التجار وأصحاب السلطة على السواء.

من ذلك قيام بعض أصحاب النفوس الجشعة ممن يسعون وراء الكسب الفاحش والثراء السريع ولا يبالون من حل أم من حرام والغاية عندهم تبرر الوسيلة فقاموا بعملية احتكار لبعض الأصناف من السلع التجارية التي وجدت لها رواجاً وإقبالاً من جانب المشتري داخل أسواق مكة ولم يكن ذلك الأمر قاصراً على فئة بعينها من التجار بل امتد ليشمل السلطان المملوكي ذاته وبعض أفراد الإدارة داخل مكة إلى جانب بعض التجار سواء من أبناء مكة أو المقيمين بها بهدف الكسب السريع على حساب المشتري أو المستهلك من أبناء مكة الذي كان يضطر إلي شراء السلعة التجارية لحاجته إليها بأضعاف أثمانها الأصلية وما صاحب ذلك من ظهور ووقوع بعض الفتن والتمرد التي شهدتها مكة في ذلك الوقت بسبب قلة المعروض من السلع الغذائية والحاجة إلي الغذاء من جانب البعض كما صاحب هذه الاحتكارات أيضاً ارتفاع شديد في أسعار بعض السلع وقلة وجودها رغم شدة الحاجة إليها من جانب الأهالي.

(1) **العملات المستخدمة في الأسواق المكية:** اختلفت وتعددت أنواع العملات التي استخدمها تجار مكة والتي تداولت في الأسواق في ذلك الوقت ما بين تلك العملات التي ضربت في مصر في ذلك العهد وبين العملات التي ضربت في مكة وبين العملات التي يجلبها الحجاج والمعتمرون والتجار القادمون إلي مكة والأراضي الحجازية من مختلف بلدان العالم الإسلامي مما جعل من مكة مكاناً رائجاً لظهور مختلف أنواع العملات النقدية في ذلك الوقت مثل.

* **المحلق:** وهو نوع من العملة الفضية وسمي بذلك لأنه له حلق وهي عملة ضربت بمكة وكان يطلق عليها أحياناً المحلقة وقد قدر بسعر الصرف بـ ١٢ درهماً مسعودياً والدينار الأشرفي ٢٥,٥ محلقاً وقد ارتفع سعر المحلق في بعض الأوقات إلي ٢٠ درهماً ثم تراجع واستقر عند ١٦ درهماً وذلك نتيجة لما دخل عليه من الغش والتزوير فقد انخفض سعره وقل الإقبال عليه[١٠].

* **المساعيد:** من المعروف أن بداية ظهور مطابع النقود بالحجاز كان عام ٨٢٧هـ وذلك أنه عندما كان الشريف علي بن عنان[١١] بمصر عقد له السلطان برسباي الولاية على مكة المشرفة وذلك عام ٨٢٧هـ فاصطحب الشريف علي بن عنان معه إلى مكة مطبعة من مصر لضرب النقود،

وهي أول مطبعة للنقود بالحجاز[٩٣] وكانت المساعيد أحد هذه العملات التي طبعت بمكة عام ٨٨٩هـ حيث صاحب ضربها وظهورها فرح وسرور وابتهاج من جانب الأهالي وقد صور المشهد عبد العزيز بن فهد بقوله: في يوم الخميس رابع شهر ربيع الأول عام ٨٨٩هـ خرجت السكة الجديدة (المساعيد) وزفت بالمغاني والمطيلين والمزمرين الجميدية من بيت الشريف وإلى الأسواق والشوارع وإلى بيت الشريف أيضاً وعمل صرف الأشرفية ثلاثمائة مسعودي والمحلقة باثني عشر مسعودياً، وكانت المسعودية العتيقة وصلت إلي أربعة آلاف مسعودي وشيء فإن المحلق صرف بمائة وستين، وكان صرف الأشرفي بالمحلقة خمسة وعشرين ونصفا وشيئاً أيضاً، وكان بها رفق للناس وان كان حصل لهم بها ضرر لعدم ضبطها بصرف واحد وتضرر الناس بالجديدة إذ التفاوت في الأسعار بين الدراهم يسير.

* **الحرف:** وهو أحد العملات التي ظهرت بمكة في ذلك الوقت وهو أعلي قيمة من القرش وأكبر من المحلق[٩٤].
* **المقصوص:** وهو أحد العملات التي انتشر استخدامها بمكة في ذلك الوقت[٩٥].
* **الدينار الذهب:** وهو قطعة من الذهب وزنها مثقال حفر عليه اسم الملك أو الإمبراطور الذي ضربت في عهده وكانت تصل إلي مكة غالباً مع التجار الوافدين اليها أو في موسم الحج[٩٦].
* **الدينار الفلورنسي:** ويعود تسميته إلى فلورنسا الإيطالية وكان يطلق عليه اسم فلورين وقد أخذ يتواجد بالأسواق المكية بداية من القرن التاسع الهجري وكان يصلها عن طريق التجار على وجه الخصوص[٩٧].
* **القرش:** وهو نوعان قرش صاغ وقرش رائج أما أهل مكة فكانوا يقسمونه إلى نوعين القرش صاغ وهو ١٢٠ ديوانية والقرش شرك وهو ٤٠ ديوانية[٩٨].
* **أشرفي أحمر:** وهي أحد العملات التي انتشرت بمكة وتعود إلي القرن التاسع وقد استخدمت على نطاق واسع في ذلك الوقت وزاد استخدامها بين التجار[٩٩].
* **الجنيه الإنجليزي:** ويعرف باسم أبو خيال وقد ظهر التعامل به في الأسواق المكية وانتشر تداوله بين التجار حيث وصل إليهم عن طريق التجارة والحج[١٠٠].
* **الأشرفي:** نسبة إلي السلطان الأشرف برسباي وهو أحد العملات التي كانت تطبع في مصر وتداولت على نطاق واسع بمكة وزاد الإقبال عليها حيث وجدت لها رواجاً كبيراً بين التجار[١٠١].
* **البارة:** وهي أحد العملات التي كانت تطبع في مصر وهي تعتبر أغلى العملات الفضية بمصر وهي تساوي نصف فضة وربع قرش وتعرف باسم ميدى[١٠٢].

هكذا فقد شهدت السوق المكية أشكالاً مختلفة من أنواع العملات التي تدفقت عليها من

مختلف أرجاء العالم الإسلامي والخارجي سواء عن طريق التجار الوافدين إليها أو عن طريق حجاج بيت الله الحرام، وفي جميع الأحوال فقد ساعد تدفق هذه العملات النقدية الهائلة والمتنوعة على زيادة النمو الاقتصادي والرواج التجاري الذي سيطر على السوق المكي في ذلك الوقت حيث كانت جميع هذه العملات يتم التعامل بها وتداولها من قبل التجار وكان لكل عملة من هذه العملات قيمتها المصرفية في ذلك الوقت فانتعشت حركة التجارة وزاد ثراء الأهالي وعم النفع جميع أهالي مكة وخاصة التجار فكان كثرة هذه العملات وتنوعها مؤشراً هاماً ودليلاً قاطعاً على التطور والنمو الاقتصادي الكبير الذي كانت عليه مكة في ذلك الوقت.

(٢) **امتهان العلماء التجارة**، أدت الأرباح الطائلة والأرباح الوفيرة التي تعود على القائمين بأمور التجارة بمكة في ذلك الوقت إلى جذب انتباه عدد كبير من العلماء سواء من أهل مكة أو الوافدين عليها أو المجاورين بها القائمين بأمور العلم والتعليم، حيث برع عدد كبير منهم في أمور البيع والشراء إلى جانب اهتماماتهم العلمية نظير ما يحصلون عليه من أرباح طائلة من التجارة وقد خلف مثل هؤلاء العلماء بعد موتهم أموالاً طائلة من التجارة أمثال الشيخ محمد بن خليل أحمد المصري المكي الشهور باللويانى، وهو إلى جانب اهتماماته العلمية حيث كان أحد تلاميذ الشيخ أبي بكر بن الحسين المراغي فقد برع في أمور التجارة حيث كان يمارس أكثر من عمل تجاري في وقت واحد وكان يعمل عطاراً بباب السلام وحلوانيا وناب في الحسبة وقد توفي ليلة الثلاثاء رابع عشر جمادى الأولى سنة اثنين وسبعين وثمانمائة بمكة ودفن بالمعلاة[١٠٠].

هذا إلى جانب الشيخ نور الدين على بن خليل بن رسلان الشهير بالرملاوي فقد كان إلى جانب عمله مقرئاً بمكة المشرفة بارعا في فنون التجارة وحصل منها على أموال طائلة كما برع في تجارة العطارة الرائجة بباب السلام وتوفي ليلة الجمعة ثالث ربيع الأول عام ٨٨٨هـ بمكة ودفن بالمعلاة[١٠١].

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً الشيخ محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن الأمين محمد القسطلاني الشهير بابن الزين جمال الدين بن عبد الله والذي كان يعد من كبار علماء مكة في القرن التاسع الهجري وقد تلقى العلم على أيدي كبار علماء مكة والوافدين عليها أمثال العفيف الشناوي وإبراهيم بن علي بن فرحون وتقي الدين بن حاتم وابن خلدون وابن عرفة وزين الدين العراقي ونور الدين الهيثمي والحلاوي والسويداوي والجمال الأميوطي ورسلان الذهبي وغيرهم و كان إلى جانب عمله واهتماماته بالعلم ومجالسة العلماء أحد أشهر من عمل بالعطارة بمكة المكرمة حتى وفاته بها عام ثمانية وثمانون وثمانمائة[١٠٢] هكذا كان شغف العلماء وإقبالهم على العمل التجاري بمكة سعياً وراء الربح الوفير الذي حصلوه من عملهم بها في ذلك الوقت.

(٣) الدلال أو السمسار: تعتبر وظيفة الدلالين من أهم وظائف السوق وهي أحد الأمور أو الحرف التي ارتبط ظهورها بأمور البيع والشراء داخل الأسواق المكية في ذلك الوقت وظهورها إن دل علي شيء فإنما يدل على مدى التقدم التجاري والازدهار الذي تمتعت به مكة، ومدى الرقي الذي شهدته عملية البيع والشراء بها، ومدى الإقبال على أسواق مكة من جانب التجار من مختلف البقاع حتى ظهر من نظم لهم أمور تجارتهم وتولى عملية بيعها، فالدلال هو السمسار الوسيط بين البائع والمشتري وقد اشتق لفظ الدلال من الدلالة وهو من يقوم بإرشاد المشتري ويدله على البائع أو العكس وهو لفظ أعجمي استعمل للدلالة على المتولي لعملية البيع والشراء[١٠٥].

وقد برع في هذه المهنة عدد كبير من التجار حيث كان يعود على من يقوم بها المبالغ الطائلة سواء من البائع أو من المشتري وكانت طريقة مثلى للثراء السريع من جانب البعض حيث يستطيع من خلال بذل القليل من الجهد أن يتحصل على المبالغ الكبيرة فظهرت هذه المهنة وانتشرت بأسواق مكة في ذلك الوقت، وكان لكل سلعة من السلع الموجودة بأسواق مكة دلالتها المختصة بها، وكان يجب عليه أن يكون جيد الحديث والتحدث يتمتع بالذكاء والقدرة على إقناع التاجر أو المشتري ويجيد الحديث عن السلعة المراد بيعها ويبحث لها عن المشتري نظير ما يتقاضاه من أجر معلوم.

وقد انقسم أصحاب هذه الحرفة في ذلك الوقت إلي نوعين الأول ارتبط بأصحاب الوكالات والحوانيت التجارية حيث كان لكل وكالة وحانوت تجاري كبير دلالتها الدائمين والقائمين على المناداة على ما يوجد بالوكالة من بضائع مع التركيز على ما تتميز به سلعهم التجارية من جودة وسعر، والنوع الآخر أو الثاني هو ذلك الدلال الحر وقد ارتبط وجود هذا الدلال بالتجار الوافدين على مكة حيث كان على الدلال أن يستقبلهم بأحسن ما يكون مع توفير كافة السبل اللازمة لهم مع الوعد أيضاً ببذل الجهد لسرعة إتمام بيع ما يحملونه من بضائع وذلك بعد الاتفاق فيما بينهم على قدر معين من المال نظير إتمام عملية البيع،وقد ازداد دخل الدلالين وارتفع مؤشر الاقتصاد لديهم، ولكنه ينخفض عندما تزداد الرسوم والضرائب خاصة بعد موسم الحج ففي شهر محرم عام ٩٤٦ هـ / ١٥٣٩ أصدر حاكم مكة الشريف أبونمي قراراً بزيادة المكوس على جميع الدلالين في شتى المبيعات بمكة أربعة آلاف دينار أشرفي زيادة عن العام الماضي بألف دينار أشرفي[١٠٦]، وقد ظهر بمكة عدد كبير ممن عمل بهذه المهنة الرائجة أمثال معلم الدلالين أو شيخهم علي العباسي و أبي الوفاء بن عبد الرحمن الدلال وعلي الخضر

(٤) الكيال: وهي من الحرف التي صاحبت الازدهار التجاري والاقتصادي بمكة في ذلك الوقت وكانت أحدى العلامات الدالة على مدى التقدم والرقي والنمو في مجال البيع والشراء بمكة في ذلك الوقت، حيث وجد من يقوم بهذه المهنة،وهو التخصص في متابعة أمور الكيل والميزان

للتجار سواء أصحاب الوكالات التجارية الثابتة والتي كان لابد وأن يكون لدى كل منها أحد العمال الذين يباشرون عملية الميزان والمكيال للبائع بكل دقة وأمانة ومصداقية أو الكيال الذي كان يقوم بتقاضي أجر من التجار الوافدين على مكة مقابل قيامه بعملية الميزان والكيل لما يحملونه معهم من بضائع قبل بيعها بكل دقة وأمانة.

وربما يجب على هؤلاء أن تتوفر لديهم الأدوات اللازمة لإتمام عملية الميزان أو المكيال في ذلك الوقت ثم يتم الاتفاق بينه وبين أصحاب البضائع على القدر المعلوم من المال الذي يتقاضاه مقابل قيامه بعمله وفي ذلك دلالة واضحة على مدى التقدم والازدهار الذي أعلى النشاط الاقتصادي بمكة، وكثرة الرواج التجاري الذي تمتعت به الأسواق المكية في ذلك الوقت ومدى التقدم الذي طرأ عليها، وقد شهدت مكة ظهور عدد من الأسماء التي أتقنت ذلك العمل ولمعت أسماءها في هذا المجال أمثال أحمد بن المعلم محمد الشهير والده بالمجنون، وهو أحد المعلمين الكيالين بالسوق وقد توفي غرقاً ببركة الماجن في يوم الجمعة رابع صفر عام ٨٨٨هـ[١٠٧].

خامساً: الاحتكار التجاري:

وهي الظاهرة التي صاحبت الازدهار التجاري بمكة في ذلك الوقت فقد كانت أحد النتائج المترتبة على الرواج التجاري والثراء وكثرة الأرباح التي تجنى من ممارسة التجارة والعمل بها بمكة في ذلك الوقت، وكانت دافعاً لقيام بعض أصحاب النفوس الجشعة من جانب بعض التجار إلى احتكار بعض السلع التجارية لديهم وتخزينها في مخازن خاصة لديهم ثم إعادة بيعها بأسعار مضاعفة لسعرها الأصلي ويحصلون من وراء ذلك على الأرباح الوفيرة والتي كانت تثقل كاهل سفار التجار والأهالي الأمر الذي أوقع العديد من الفتن والثورات والتعديات على الأسواق رغم محاولات السلطة المملوكية وشريف مكة المتكررة لضبط الأحوال وتهدئة الأوضاع ومنع الاحتكار.

إلا أن حب المال والطمع والرغبة في زيادة الأرباح قد دفعت بعض سلاطين المماليك أنفسهم إلى احتكار أنواع معينة من السلع التجارية بمكة وبيعها لحسابهم الخاص بهدف التحكم في سعر البيع وفرض ذلك السعر على الأهالي غصباً مع ما فيه من جور وظلم وفساد وتعد على قواعد البيع وأصوله في الإسلام الذي يمنع الاحتكار ومثل ذلك ما فعله أحد سلاطين المماليك وهو السلطان برسباي الذي سعى في عام ٨٣٢هـ إلى احتكار أنواع خاصة من السلع الشرقية الخاصة بأهل الهند من بينها الفلفل بشكل خاص وذلك حين ورودها إلى ميناء جدة فقد أمر بإرسال أموال إلى شاد جدة لشراء الفلفل من التجار في أسواق مكة لحسابه الخاص[١٠٨].

كما قرئ في مكة يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر عام ٨٩٠هـ مرسوم سلطاني ينص كما

يقول العز بن فهد على: أن البيارم (نوع من الثياب) لا يعمل فيها بطابع الذهب وأن جميع السمن والعسل والقمح وغير ذلك من المأكولات لا يباع إلا في وكالة السلطان وأن السوق لا يجلس فيه أحد للبيع والشراء[١٠٩].

من هذا المرسوم نستطيع أن نقف على حقيقة هامة وهي أن السلطان المملوكي كان يمتلك وكالة تجارية خاصة به في أسواق مكة ولنا أن نتصور حجم الخسائر الفادحة التي تقع على كاهل التجار من منافسة مثل هذه الوكالة السلطانية لهم والتي بالطبع قد يتوفر لها ما لم يتوفر لباقي حوانيت مكة وتجارها، بل إن السلطان نفسه لم يكن ليسمح لأحد بمنافسة تجارته في مكة،ولن يجرؤ أحد أساساً للقيام بذلك بل أنه قد سعى إلى تقليص نفوذهم التجاري ومنعهم من ممارسة التجارة بحرية كاملة بحرماتهم من أصناف وسلع معينة تدر عليه أرباحاً طائلة تذهب مباشرة إلي خزائن السلطان المملوكي.

وقد تعدى أمر الاحتكار إلي بعض الحجاج أنفسهم حيث كان بعضهم يقوم أثناء تواجده بجدة بشراء كميات كبيرة من الحبوب وبيعها بمكة، بل إن نائب جدة في القرن التاسع مسعود الصبحي الذي كان نائباً للشريف حسن بن عجلان على جدة قد مارس هو الآخر نوعاً من احتكار الحبوب والسلع التجارية حيث كان يحتكر الحبوب بجدة ويشترى كل ما يرد إليها من الحبوب ثم يبيعه بأضعاف سعره الأصلي، فأنكر عليه الشريف حسن بن عجلان ذلك الأمر وأمر بمنعه ومنع الحجاج من احتكار الحبوب وتركها لتتداول بأيدي التجار كما جرت العادة[١١٠].

ويقدم لنا العز بن فهد نموذجاً من نماذج الاحتكار الذي كان يقع بأسواق مكة في ذلك العهد بصفته شاهداً على كثير من الأحداث التي وقعت في عهده يقول: في شهر شعبان عام ٩٠٢هـ ضرب الباشا تنبك الأخرس غلاماً لبعض الأتراك فتشوش أصحابه وأغلظوا له فركب وتوجه لهم فتكلموه في السوق بكلام ولم يسمعوا له ثم أرادوا الصلح على أن يلبس المملوك ثوب صوف ويعطيه له فامتنع فتنكروا له وقالوا له: أنت ضربت المملوك على أنه أخذ زيادة بطيخة في السوق وأنت ودوادارك تحتكر السوق وتأخذ السمن والعسل والزبيب بنقص كثير ثم يخرج الزبيب على الحمارات الفرارة بعشرة أشرفيا[١١١].

كما كان بعض تجار مكة ممن دفعهم حب المال والرغبة في الحصول على أرباح أكثر أثناء موسم الحج إلي الاتفاق مع بعض إخوانهم من أهل مكة من التجار بعدم التسرع في الشراء أثناء موسم الحج وأن ينتظروا إلى أن يرجع الموسم[١١٢].

وذلك رغبة من جانب البعض من التجار من أهالي مكة أن يضيق الأمر أمام التاجر ويخشى إذا انقضى الموسم ولم يبع ما لديه من السلع يخشى العودة بها مرة أخرى وإذا انقضى الموسم

وتفرق الحجاج وعادوا إلي أوطانهم وفرغت الأسواق من المشترين يضطر التاجر في ذلك الوقت إلي بيع ما لديه بأقل الأسعار ثم يقوم التجار من أهل مكة بإعادة بيعها بأضعاف أثمانها مرة أخرى، ولذلك كان موسم الحج فرصة سانحة أمامهم لجني أرباح طائلة ولكن لم يقنع البعض منهم بهذه الأرباح وسعى وراء زيادة هذه الأرباح.

ويشير المؤرخ المكي النجم بن فهد إلي وقوع مثل هذه الاحتكارات من جانب بعض التجار، ولما وقعت في موسم عام ٨٤٢هـ/١٤٣٩م أشار إلى ذلك بقوله: ومن يمنع الباعة من المصريين الذين سكنوا مكة وجلسوا في الحوانيت وحكروا المعاش وتلقوا الجلب أن يخرجوا من مكة فشكر ذلك لأن هؤلاء البائعين كثر ضررهم وتقووا بحماية المماليك فغلوا في الأسعار بمكة لم يعهد بها وعجز الحكام عن منعهم لتقوية المماليك المجردين لهم مما يأخذونه من مال[١٣].

وقد ترك ذلك الاحتكار الذي كان يقع أحياناً من جانب البعض على أسواق مكة بعض الآثار السلبية والتي أثرت بنوع من السلب في حركة البيع والشراء،وقد صاحب هذه الاحتكارات الغلاء الفاحش في الأسعار وقلة الأقوات وضيق المعيشة مما يتمكن بالسلب على بعض الأفراد فيوقعون الفتن والثورات لأجل السلب والنهب والحصول على الأقوات بالقوة، وقد شهدت مكة في ذلك الوقت وقوع مثل هذا النوع من الاضطرابات والغلاء ففي ثاني جمادى الأولى عام ٩٠٣هـ ساد الغلاء ووصل أردب القمح إلي سبعمائة درهم وكان ذلك يرجع في المقام الأول إلي وقوع الاحتكار من جانب بعض أصحاب الطمع خاصة من جانب أتباع المماليك المقيمين بمكة وفي ذلك الوقت يقول العز بن فهد: والأتراك يأخذونه بأربعمائة ويبيعونه بسبعمائة[١٤].

كان لذلك سببه في وقوع الغلاء الفاحش بمكة في فترات مختلفة على مدى القرن التاسع مثل ذلك الغلاء الذي وقع عام ٨٩٠هـ حيث ارتفعت الأسعار بمكة وجدة فبيعت بمكة غرارة الحنطة بستة والذرة كذلك والدخن بستة ونصف والدشيشة بخمسة وفي شهر صفر عام ٨٩١هـ زاد سعر القمح زيادة فاحشة أضرت بالمسلمين وذلك لعدم الواصل من البحر فوصلت الزيلعية نحو سبعة والمصرية نحو ثمانية والدخن لنحو سبعة والذرة نحو ستة، وقد قام الناس بمكة وجدة بصناعة الخبز من الفول[١٥].

وقد صاحب هذه الاحتكارات وقلة السلع وعدم توافرها بالأسواق إلى جانب غلاء الأسعار صاحب ذلك كله وقوع الفتن والثورات التي كانت تضر بمقدرات التجار وممتلكاتهم وقد كان هؤلاء مدفوعين أحياناً بسبب الجوع والقحط الشديد الذي كان يصاحب وقوع الاحتكارات للسلع الضرورية، وقد شهد القرن التاسع وقوع مثل هذه الفتن مثل تلك التي وقعت بين الترك والعرب وقتل الترك جماعة من العرب وذهب بعضهم ونهب بعض التجار وبعض البيوت بسوق الليل،

وتدخل شريف مكة الشريف عنقا واستطاع أن يوقع الصلح بين الطرفين وذهب إلي السوق واشترى حباً ودقيقاً وزبيباً وفرق عليهم النفقة عشرة أيام[١١٦].

و كان السبب المباشر لوقوع هذه الفتنة هو قلة الأقوات وعدم توافرها بأيدي الكثير من الناس وفي شهر شعبان عام ٩١٢هـ وقعت فتنة من جانب الترك بسبب عدم أخذ جرايتهم فصاروا يأخذون ما يجدونه أمامهم سواء بالأسواق أو البيوت فرفع الحب من السوق[١١٧].

وفي ذلك دليل واضح على ما كانت تشهده مكة من وقوع الغلاء على فترات مختلفة رغم هذا الكم من السلع التجارية المتوفرة بها ورغم هذا الإقبال الهائل على أسواقها من قبل التجار، ولعل السبب في ذلك يعود في المقام الأول إلي حب المال الذي سيطر على أفئدة عدد كبير من التجار ورجال السياسة والحكم والإدارة وبعض العناصر التركية المقيمة بمكة على السواء حيث كانت أمور البيع والشراء بمكة في ذلك الوقت تدر أرباحاً هائلة وكانت سبباً مباشراً ودافعاً قوياً إلي قيام البعض بالتعدي على أقوات الناس من خلال احتكار بعض السلع الرئيسية بهدف زيادة الأرباح وجني الكثير من المال.

من ذلك نستطيع القول أن ازدهار الأسواق بمكة في القرن التاسع كان سمة غالبة وطابعا تميزت به مكة في ذلك الوقت وقد تناولنا الأسباب التي وقفت وراء ذلك التقدم والرقي التجاري لأسواق مكة سواء ما شهدته مكة من استقرار سياسي وإداري أو ذلك الموقع المتميز الذي اختصها الله تعإلي به دون سائر بقاع الأرض أو لوجود بيت الله الحرام قبلة المسلمين ومرادهم على الدوام فكانت الرحلة إلي مكة للتجارة من الأمنيات التي يسعى إليها تجار العالم الإسلامي لما شهدته الأسواق بها من رواج وازدهار واستقرار.

الخاتمة

برزت الناحية الاقتصادية في طليعة المسائل الحياتية الباعثة على الرفاة والرخاء لأنها تعتبر عصب الحياة في المجتمع الإنساني.

وكان النشاط التجاري لمكة المكرمة في هذه الفترة شاهداً على الحالة الاقتصادية رغم افتقارها إلى الموارد الاقتصادية الطبيعية.

وتميزت الأسواق التي انتشرت في ربوع مكة بطابع خاص ومميز اختصت بها دون غيرها فقد انفردت تلك الأسواق بالتخصص وكثرة السلع التجارية بها وتوافرها على مدار العام نظراً لكثرة ما يرد إليها من بضائع من شتى البقاع فقد كانت مكة في ذلك الوقت ملتقى القوافل التجارية المحملة ببضائع من مختلف مناطق الأرض ولقربها من تخوم السراة المشتهرة بالمناطق الزراعية وعلى أطراف تهامة التي تمدها فكانت بحق سوقاً رائجة يسعى إليها التجار سواء العرب المسلمين أو غير المسلمين الذين كانت تتزايد أعدادهم بشكل لافت في موسم الحج وهذا كان كفيلاً بمفرده لأحداث ازدهار اقتصادي ورواج مالي وتجاري لأهل مكة وتجارها خاصةً وقد انتشرت الأسواق الدائمة أو الثابتة في ربوع مكة بما تضمه من ألوان شتى من السلع التجارية من مختلف البلدان.

هذا إلى جانب الأسواق الموسمية التي كانت تعقد بمكة في فترات محددة من العام كل ذلك عاد بالأثر المردود الإيجابي على أهل مكة وتجارها جميعاً فكانت الأسواق في ذلك الوقت بمكة أحد أهم السمات التي تميزت بها فكانت مكة وأسواقها أحد أهم المراكز التجارية الهامة في قلب العالم الإسلامي.

وهكذا ارتبطت الأسواق المكية القديمة بمناطق التجمعات الفعلية وارتبطت أهميتها بأهمية هذه التمركزات البشرية كذلك امتدت بامتداد المسجد الحرام والتجمعات السكنية، ومن هنا قامت الأسواق المكية بالإضافة إلى وظيفتها التجارية المهمة بوظيفة أخرى وهي أنها كانت تلعب دوراً مهماً في التبادل الاجتماعي وألوان التواصل والتداخل والتآلف الإنساني وتبادل الأخبار في المجتمع المكي.

وخلاصة لما ورد نستطيع القول بأن أسواق مكة كانت أحدى المراكز والثقل الاقتصادي في الحواضر الإسلامية التي تمتعت بمركز تجاري وحضاري هام يعود إلى فترة مبكرة.

الهوامش والمراجع

(١) سورة إبراهيم الآية (٣٧)

(٢) الأزرقي - محمد بن عبدالله (ت ٢٥٠هـ/٨٦٥ م) - أخبار مكة وما جاء فيها في الآثار - تحقيق - رشدي الصالح ملحس - جـ٢ - مكة المكرمة - دار الثقافة - ١٣٨٥ هـ- صـ ٥٥

(٣) الكردي - محمد طاهر المكي - التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم - ج ٦ - مكة - مكتبة النهضة الحديثة - ١٣٨٥هـ- صـ ١٠٥-١٠٦

(٤) سورة قريش الآيات (١-٤)

(٥) الكردي - التاريخ القويم - جـ٦ - صـ ١٠٠-١٠١

(٦) الظاهر بيبرس العلائي البندقداري الصالحي - تولى السلطنة في مصر سنة ٦٥٨هـ وتوفي سنة ٦٧٦هـ انظر ترجمته في: ابن الوردي - زين الدين عمر (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) - تتمة المختصر في أخبار البشر- ج٢- النجف- الطبعة الحيدرية- ١٩٦٩م - ص ٢٢٤ - ابن شاكر فخر الدين محمد بن أحمد الكتبي(٧٦٤هـ/١٣٦٣م) - فوات الوفيات - ج٢ القاهرة- مكتبة النهضة المصرية ١٩٥١م - ٨٥.ابن تغري بردي - يوسف (جمال الدين)(ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تحقيق فهيم شلتوت- ج٢ - القاهرة -مطابع وستاتوماس -١٩٧٠م- ص ٩٤.

(٧) الملك المجاهد علي بن داوود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول سلطان اليمن تولاها بعد وفاة والده المؤيد سنة ٧٢١هـ وعمره خمسة عشر سنة من آثاره بمكة مدرسة المجاهدية المنسوبة اليه بناها بالجانب اليماني من المسجد الحرام سنة ٧٣٩هـ قبض عليه في مكة في موسم عام ٧٥١هـ من قبل أمراء الحج المصري وحمل إلى مصر ثم أفرج عنه وعاد إلى اليمن توفي سنة ٧٦٤هـ انظر ترجمته في الفاسي: محمد بن أحمد (تقي الدين) - (٨٣٢هـ/١٤٢٩م)- العقد الثمين في تاريخ البلد الامين - تحقيق محمد فؤاد السيد -ج٤- بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٤٠٥هـ - ص٨٦ تقي الدين الفاسي - العقد الثمين - ج٥ - ص ٢٥١.

(٨)عجلان بن رميثة بن ابي نمي المكي الملقب عز الدين أمير مكة وليها ثلاثين سنة ٧٢٤هـ الشهير بالحزم واتساع حكمه له مآثر جميلة وأفعال حميدة ذو عقل ودهاء وحنكة وحكمة ومهارة وسياسة توفي سنة ٧٧٧هـ بمكة انظر ترجمته في: تقي الدين الفاسي - العقد الثمين - ج٦-ص٥٨.

(٩) قايتباي بن بركات بن محمد الحسني كان ذا رأي سديد وفي الوقت نفسه محاربا جسورا ساند شقيقه أبانمي في قمع كثير من الخارجين عن سياسة الدولة له مناقشات مع الفقهاء والعلماء محبا لحضور مجالسهم. انظر ترجمته في- ابن فهد - محمد بن عبدالعزيز بن عمر(جارالله)- (ت ٩٥٤هـ) ذيل المنى بذيل بلوغ القرى - تحقيق محمد الهيلة- لندن - دار الفرقان- ١٤٢٠هـ - ص٢١١- ٢٧٨ - ٢٩٠ - ٣١٥ / الطبري - محمد بن علي المكي (ت١١٧٢/ ١٧٦٠) اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني حسن- تحقيق ناصر عبدالله البركاتي - رسالة دكتوراة - ص ٥٦- ١١١.

(١٠) الخزرجي- علي بن الحسن(٨١٢هـ/١٤٠٩م)، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية - تحقيق محمد بسيوني- جـ٢ - بيروت - دار الآداب - ١٤٠٣ هـ - صـ٨٥

(١١) السلطان الناصر أحمد بن إسماعيل بن العباس الرسولي توج الملك سنة ٨٠٣هـ اتسم بالجبروت والظلم توفي في تعز بعد صاعقة وقعت على حصانه ومرض ومات سنة ٨٢٧هـ انظر ترجمته في- السخاوي- محمد بن عبدالرحمن (شمس الدين) (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع- ج١ - القاهرة - مكتبة حسام المقدسي- ١٣٥٣هـ- ص ٢٢٩/ الزركلي- خير الدين - الأعلام ج١ - بيروت -دار العلم - ١٩٩٠م ص ٩٧.

(١٢) المقريزي أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ /١٤٤١م) السلوك لمعرفة دول الملوك- تحقيق سعيد عاشور - ج٤ - القاهرة- دار الكتب العلمية - ١٤٠٦هـ - ص ٦٢٩

(١٣) برسباي: الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين الظاهري نسبة إلى مولاه السلطان الظاهر برقوق ولقب بالأشرف ولد سنة ٧٦٦هـ أصبح نائبا على ولاية طرابلس الشام ثم دوادار للسلطان ططر فوصيا على ابنه الصالح ولكن لم يلبث أن خلعه واستولى على العرش عام ٨٢٥هـ /١٤٢٢م تميز عهده بالحروب البحرية بينه وبين الإفرنج بالقضاء على أعمال القرصنة وجعل من جدة ميناء التجارة الهند كما عني بعمارة الكعبة تميز حكمه بإصدار عدة تشريعات اجتماعية واقتصادية أثارت عليه موجة من التذمر حتى اتهم بالجنون خلد ذكره بأعمال جليلة ومنشآت ومدارس توفي عام ٨٤١هـ انظر ترجمته في: ابن إياس – محمد بن أحمد (٨٣٠هـ/١٥٢٤م) – بدائع الزهور في وقائع الدهور – ج٢ – نشر محمد مصطفى – القاهرة – دار المعارف– ١٩٦٣م– ص ١١١ /السخاوي – الضوء اللامع – ج٢– ص٨.

(١٤) المقريزي – السلوك – جـ٤ – صـ٦٢٩

(١٥) المصدر السابق – جـ٤ – صـ٦٨١

(١٦) الفاسي – محمد بن أحمد (تقي الدين) (ت ٨٣٢ هـ ١٤٢٩ م) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام – تحقيق محمد فؤاد السيد – ج٢ – بيروت مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ – صـ٢١٠

(١٧) ( ) مصطفى الهمشري – النظام الاقتصادي في الإسلام – الرياض– دار العلوم – ١٤٠٥هـ صـ٢٩٥.

(١٨) جارالله بن فهد – نيل المنى – صـ٤٦ – ٧١ –٩٦– ١١٣

(١٩) سعاد الحسن – النشاط التجاري في مكة المكرمة – رسالة ماجستير– مكة– جامعة ام القرى – مكة ١٤٠٥هـ – صـ٢٧١

(٢٠) البلادي – عاتق بن غيث – معجم معالم الحجاز – جـ٤ – مكة – دار مكة للنشر والتوزيع ١٤٠١هـ – ص ٢٥٤

(٢١) الكردي – التاريخ القويم – جـ٦ – صـ ١١٢

(٢٢) أوليا چلبي – الرحلة الحجازية – ترجمة د. الصفصاف/ أحمد الرسي – دار الآفاق العربية – ١٩٩٩م – صـ ٢٧٣

(٢٣) الكردي – التاريخ القويم – جـ٦ – صـ١٠٨–١١٠

(٢٤) السنجاري – علي بن تاج الدين ت (١١٢٥هـ / ١٧١٣) منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم – تحقيق د. جميل المصري وآخرون– مكة – ج٢– جامعة أم القرى – ١٤١٩هـ – صـ ١٢٣

(٢٥) شيف الله الزهراني وعادل الغباشي – تاريخ مكة التجاري – مكة المكرمة – الغرفة التجارية بمكة – ١٤١٨هـ/١٩٩٨م – صـ ٨٦

(٢٦) ابن فهد – عبد العزيز بن عمر (عز الدين) ت (٩٢٢هـ – ١٥١٧ م) بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى بأخبار أم القرى – ج١– تحقيق صلاح الدين ابن خليل إبراهيم – عليان الملحدي– القاهرة – دار العلوم –١٤٣٠هـ – ١٢٩ص

(٢٧) الزهراني والغباشي، تاريخ مكة التجاري – صـ٨٦

(٢٨) السنجاري – منائح الكرم – جـ٢ – صـ٢٥٢

(٢٩) عز الدين بن فهد – بلوغ القرى– ج٢ – صـ ١٢٧

(٣٠) الكردي– التاريخ القويم – جـ٦ – صـ١١٠–١١١

(٣١) الفاكهي– محمد بن إسحاق بن العباس ت (٢٧٢هـ / ٨٨٥م) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه تحقيق عبدالملك بن دهيش – جـ٣ – مكة النهضة الحديثة – ١٤١٨هـ – صـ٩٧ الأزرقي – أخبار مكة – ص ٣٥.

(٣٢) عز الدين بن فهد– بلوغ القرى– ج٢– ص١١٠

(٣٣) عمر بن فهد بن محمد(نجم الدين) (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م) – الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين – تحقيق عبدالملك بن دهيش – ط١ بيروت دار خضر للطباعة– ١٤٢١هـ = ص ٩٨/ نجم الدين عمر– إتحاف الورى – جـ٤ – صـ٤٣٨

(٣٤) جارالله بن فهد – نيل المنى – صـ ٢–٤٨–٦٦–٧١

(٣٥) الناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر تولاها ثلاث مرات بعد مقتل الاشرف خليل سنة ٦٩٣هـ وبعد خلع كتبغا سنة ٦٩٨هـ بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠٩هـ.للمزيد انظر ترجمته في:ابن ظهيره - محمد القرشي (جمال الدين) (ت ٩٨٦هـ/١٣٤٢م) - الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة - تحقيق مصطفى السقا- القاهرة- مركز تحقيق التراث - ١٩٦٩م- ص٤٦

(٣٦) عز الدين- بلوغ القرى - جـ١ - صـ٤٤١

(٣٧) هورخرونيه سنوك: صفحات من تاريخ مكة - ج١- تعليق د.محمد السرياني وآخرون، الرياض - ١٤١٩ /١٩٩٩م- صـ٩٧

(٣٨) الكردي: التاريخ القويم - جـ٦ - صـ ١١٢

(٣٩) تقي الدين الفاسي - العقد الثمين - ج٤-ص٢٠٣

(٤٠) يسق: عبدالله الشيخ الظاهري أحد أمراء الطبلخانات تولى إمارة مكة نيابة عن شريفها حسن بن عجلان عندما سافر إلى حلب ومارس سلطته حيث منع الدعاء لليمن على زمزم بعد المغرب ومنع حمل السلاح بمكة وأخرج بنات الخطا والمخنثين وغيرهم من أهل الفساد وامر بواب المسجد الحرام بملازمة أبوابه وتنظيف الطرقات من الأوساخ والقمائم له آثار بمكة كعمارة الرواق الغربي للمسجد الحرام وكان شرس الأخلاق جماعا للمال مع البر والصدقة مات بالقدس بطلا في جمادى الأخرة عام ٨٢١هـ ترجم له ابن تغري بردي- يوسف جمال الدين (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م — الدليل الشافي على المنهل الصافي — تحقيق:فهيم شلتوت — ج١- القاهرة- مركز البحث واحياء التراث الإسلامي- ١٩٨٠م - ص٢٢/ المقريزي- السلوك —ج٤ —ص ٤٧٤.

(٤١) نجم الدين بن فهد - اتحاف الورى — ج ٣ ص ٤١٢

(٤٢) ابن فهد - عبد العزيز بن عمر (عز الدين) (٨٢٢هـ/١٥١٧م)- غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام — ج٢- تحقيق فهيم شلتوت —مكة — جامعة ام القرى١٤٠٩هـ - ص ٥٤٢

(٤٣) ابن جبير - أبي الحسين محمد بن أحمد(ت ٦١٤هـ / ١٢٠٨): رحلة ابن جبير المسماة:تذكرة بالأخبار من اتفاقات الأسفار - بيروت - دار الهلال - ١٩٨١ - صـ٨٨ / الازرقي - أخبار مكة — ص٨٦.

(٤٤) الطبري - إتحاف فضلاء الزمن - جـ٢ - صـ ١٩٥

الزهراني والغباشي - تاريخ مكة التجاري- صـ٨٦

(٤٥) الكردي - التاريخ القويم - جـ٦ - صـ١١٢

(٤٦) عز الدين - بلوغ القرى- ج١ — ص ٢٢٠

(٤٧) جار الله بن فهد - نيل المنى: صـ ٣-٤٨-٦٦-٧١

(٤٨) عز الدين- غاية المرام - جـ٢ - صـ١٢-٣١-٥٨-٦٦

(٤٩) عطية القوصي:تجارة مصر في البحر الأحمر-القاهرة -دار النهضة- ١٩٧٦م — صـ ١٧١

(٥٠) أوليا جلبي - الرحلة الحجازية - صـ ٢٢٣

(٥١) الديبل: جزيرة صغيرة طولها سبعة أميال تقع قرابة شاطئ الهند بالقرب من جوجيرات وتمتاز بقلاعها الحصينة أغلب سكانها مسلمون. للمزيد انظر: أحمد محمود - تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم — ج٢ — مكتبة الاداب — القاهرة — ١٩٦٧م ص ٩٨

(٥٢) كنباية: مدينة بأرض الهند من مملكة بلهري حسنة الشكل أغلب سكانها مسلمون وبها ترسو المراكب التجارية من شتى البقاع كما أنها اشتهرت بتصدير القماش. الإدريسي — محمد بن عبدالرحمن (ت بدون تاريخ) نزهة المشتاق في إختراق الأفاق — ج١- القاهرة- عالم الكتب- ١٩٨٩م — ص ١٧٨

(٥٣)اللجم بن فهد - إتحاف الورى - جـ٢ - صـ ٥٢٩

(٤٤) المصدر السابق - صـ ٤٦

(٤٥) جار الله بن فهد - نيل المنى - ص- ٢٥٨

(٤٦) المصدر السابق - صـ٩٧-١٦٣-١٩١-٢٦٣-٢٦٥

(٤٧) ابن جبير - الرحلة - صـ ٨٦-٧٨

(٤٨) أوليا جلبي - الرحلة - صـ ٢٧٣

(٤٩) تجار الكارم:الكارمية فئة من كبار التجار اشتغلوا باحتكار تجارة الهند والشرق الأقصى والتوابل وما إليها من السلع الضرورية والباهظة الثمن وكان مركز نشاطهم في البحر الهندي وكان لهم قواعد في موانئ ساحل الهند الغربي والخليج العربي ومدخل البحر الأحمر. انظر: حسنين ربيع- وثائق الجنيزة ص ٢٣- عطية القوصي- أضواء جديدة على تجارة المكارم - م٢٢ - القاهرة - المجلة التاريخية المصرية ١٩٧٥- ص١٧.

(٥٠) صبحي لبيب - التجار الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى - المجلة التاريخية المصرية المجلد الرابع -العدد الثاني - القاهرة ١٩٥٢ م - ص ٦٠

(٥١) تقي الدين الفاسي - العقد الثمين - جـ٤ - صـ١٠٣

(٥٢) الحب الزيلعية: نوع من الحبوب الجيدة تنسب إلى قرية زيلع الواقعة على ساحل البحر الأحمر من جهة أرض الحبشة وكانت من أشهر البلدان التي تصدر الحبوب إلى مكة وقد اشتهرت بجودة قمحها وكثرته - الزهراني - ضيف الله بن يحي - أسعار المواد الغذائية - مكة - مطابع جامعة أم القرى - ١٤١١هـ - ص ١٠٨

(٥٣) القرارة مكيال لأهل الشام يتألف من ١٢ كيلا أو ٢٣مدا وبالنسبة لأهل مكة بأنها ٢,٥ قرارة وهي تعادل ٢٠٤,٥كغم قمح. ضيف الله الزهراني - أسعار المواد الغذائية - ص ١٠٥

(٥٤) ابن جبير - الرحلة - صـ ٨٧

(٥٥) عز الدين - بلوغ القرى - صـ٦٨

(٥٦) النجم بن فهد - إتحاف الورى - جـ٤ - صـ١٨٠

(٥٧) النجم بن فهد - إتحاف الورى - جـ٤ - صـ ١٨٦

(٥٨) جارالله بن فهد - نيل المنى - ص ٣١٩

(٥٩) المصدر السابق - صـ ٢٦-٣٣-٣٤-٧١-١٩١-٢٢٣-٢٤٧-٢١١

(٧٠) المصدر السابق - صـ٦١

(٧١) المصدر السابق - صـ ٣١-٨٦-٢٧١-٢٤٢

(٧٢) المصدر السابق صـ ٢٦-٣١-٨٥-٢٧١

(٧٣) تقي الدين الفاسي- شفاء الغرام - جـ٢ - صـ ٢٢٢

(٧٤) المصدر السابق - صـ ٣٨٠

(٧٥) المصدر السابق - جـ٢ - صـ٤٤٠

(٧٦) عز الدين - بلوغ القرى - ص ١٨٠ أ

(٧٧) جار الله بن فهد - نيل المنى - صـ ١٣١

(٧٨) جارالله بن فهد - نيل المنى - صـ٤٤٠

(٧٩) المصدر السابق - صـ٤٤٠

(٨٠) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي ويلقب ببدر الدين ولد عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م تولى إمارة مكة عام ٧٦٨هـ/١٣٦٥م صاحب سيرة حسنة استطاع أن يحفظ للحجاز شيئا من الاستقلال بشتى الأساليب وكان سياسيا بارعا استطاع أن يثبت في حكمه والتوثيق أواصر العلاقة القائمة بينه وبين السلطان الناصر فرج ورضاء السلطة المملوكية لإمرته

أن أنعم الله عليه السلطان في شهر ربيع الأول عام ٨١١هـ/١٤٠٨م بمنصب نائب السلطنة في الأقطار الحجازية وأضيفت إلى رقعة نفوذه المدينة المنورة والطائف وينبع وخليص والصفراء واحتفظ بلقب نائب السلطنة الذي أضفى عليه كثيرا من السطوة والهيبة لدى أمراء الحاج المملوكي توفي بالقاهرة عام ٨٢٩هـ/١٤٢٦م. ترجم له بتوسع تقي الدين الفاسي – العقد – ج٤-ص٨٨- النجم بن فهد –إتحاف الورى – ج٢- ص٤٠٥- السخاوي – ا لضوء اللامع – ج٢- ص١٠٢.

(٨١) النجم بن فهد – إتحاف الورى – ج٢ – ص٤٣٠

(٨٢) جارالله بن فهد – نيل المنى – ص ٢٤٥

(٨٣) تقي الدين الفاسي – العقد الثمين – ج٤ – ص ٩٢

(٨٤) النجم بن فهد – إتحاف الورى – ج٤ – ص٦٠٤

(٨٥) ابن بطوطة محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٥)تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار – ج ٤ مـ ١ بيروت – دار الكتب العلمية – ١٤٠٧ هـ- ص ١٥٤

(٨٦) ابن جبير – الرحلة – ص ١٤٣

(٨٧) المصدر السابق – ص ٧١

(٨٨) ابن بطوطة – الرحلة – ص٨

(٨٩) ابن جبير – الرحلة – ص١٤٠

(٩٠) أغسطس والي- مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى، ترجمة د. حسين سعيد غزالة، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٣٠م – ص٨٥

(٩١) الشريف علي بن عنان بن مغامس بن رميثة الحسني أمير مكة سنة ٨٣٧هـ وعزل سنة ٨٢٨هـ غادر إلى القاهرة فاعتقل بها إلى أن مات سنة ٨٣٢هـ. السخاوي – الضوء اللامع – ج ٥- ص ٢٧٣

(٩٢) الكردي – التاريخ القويم – م٣ – جـ٥ – ص٢٦٣

(٩٣) عز الدين – بلوغ القرى – جـ١ – ص٢٣٤

(٩٤) الطبري – إتحاف فضلاء الزمن – ج٢ – ص٨٤

(٩٥) السنجاري – منائح الكرم – جـ٤ – ص٢٢٥

(٩٦) الأب أنستاس الكرملي – النقود العربية والإسلامية وعلم التميمات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٢ – ص ٩٧

(٩٧) الزهراني والغباشي – تاريخ مكة التجاري – ص ١٠٠

(٩٨) أحمد زيني دحلان – خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام – ج١- المطبعة الخيرية بالجمالية مصر – ١٣٠٥ق/ ص١٨٣

(٩٩) السنجاري – منائح الكرم – جـ٢ – ص ٣٩٦

(١٠٠) الزهراني والغباشي – ص١٠٠

(١٠١) المحبي – أحمد بن عبدالله الطبري (ت٦٩٤هـ/١٢٩٥م) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر –ج١ – دار الكتاب الإسلامي – القاهرة – ص٤٢٨

(١٠٢) المرجع السابق – ص ١٠١

(١٠٣) النجم بن فهد – الدر الكمين – جـ١ – ص١٣٨

(١٠٤) عز الدين – بلوغ القرى – جـ١ – ص٢٥٧

(١٠٥) عمر بن فهد – الدر الكمين – جـ١ – ص ٥٨

(١٠٦) أبو نمي - محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن إدريس الحسني المكي ولي إمارة مكة نحو خمسين سنة كان مهابا يحب الأدب ويجالس الشعراء يتمتع بحكمه وحنكه توفي عام ٧٠١هـ / انظر ترجمته: في تقي الدين الفاسي- العقد الثمين – ج ٢ – ص ١٤٨

(١٠٧) عز الدين - بلوغ القرى - جـ١ - صـ ٢٥٠

(١٠٨) المقريزي - السلوك - جـ٤ - صـ٨٦٩ وليم موير - دولة المماليك في مصر - ترجمة محمود عابدين - سليم حسن - القاهرة - دار النهضة – ١٩٢٤م - صـ ١٢٦

(١٠٩) عز الدين – بلوغ القرى- ج٢- صـ٢٩٥

(١١٠) المصدر السابق - جـ٢ – صـ ٨٣٧

(١١١) المصدر السابق - ج٢ - صـ ٩٩٩

(١١٢) تقي الدين الفاسي - العقد الثمين - جـ٤ - صـ ١٠٣

(١١٣) النجم بن فهد - إتحاف الورى - جـ٤ - صـ ١٤٥

(١١٤) عز الدين بن فهد- بلوغ القرى - جـ٢ - صـ١٠١٨

(١١٥) المصدر السابق - صـ ٤١١ - ٤٢٢

(١١٦) عز الدين - غاية المرام- جـ٢ - صـ ٢١٩

(١١٧) المصدر السابق – ج٢ – ص ٢١٨

٤

التربية

جامعة الطائف

اتخاذ القرار المهني وعلاقته بالثقة بالنفس لدى طلاب الصف الثالث الثانوي في محافظة الطائف

د. غالب محمد المشيخي
أستاذ مساعد - قسم علم النفس
كلية التربية بجامعة الطائف

الملخص

تسعى الدراسة الحالية إلى الكشف عن العلاقة بين اتخاذ القرار المهني والثقة بالنفس لدى طلاب الصف الثالث الثانوي بمحافظة الطائف باعتبار أن اتخاذ القرار المهني قرار مصيري يترتب عليه مستقبل حياة الطالب، والكشف عن الفروق بين الطلاب مرتفعي ومنخفضي الثقة بالنفس في اتخاذ القرار المهني وإمكانية التنبؤ باتخاذ القرار المهني من خلال مستوى الثقة بالنفس،ومنهج الدراسة هو المنهج الوصفي، واستخدم الباحث أدوات الدراسة التالية: مقياس اتخاذ القرار المهني إعداد اليلوشي ٢٠٠٧م، مقياس الثقة بالنفس إعداد محمد ١٩٩٧، وكانت عينة الدراسة مكونة من (٢٨٩) طالبا في تخصص العلوم الطبيعية، و(١٢٤)طالبا في تخصص العلوم الشرعية،وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:توجد علاقة موجبة ارتباطيه ذات دلاله إحصائية بين درجات الطلاب في اتخاذ القرار المهني ودرجات الطلاب في الثقة بالنفس،كما أظهرت الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلاب مرتفعي ومنخفضي الثقة بالنفس على مقياس اتخاذ القرار المهني لصالح الطلاب مرتفعي الثقة بالنفس،وتوصلت الدراسة إلى عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية بين متوسطات درجات الطلاب على مقياس اتخاذ القرار المهني تبعا للتخصص،وإمكانية التنبؤ باتخاذ القرار المهني من خلال الثقة بالنفس.

Making vocational Decision and its relationship to Self-Confidence for the third grade Students Of Secondary School in Taif.

Abstract

The current research aims to examine the relation between Decision making vocational and Self-Confidenoe, and To know the statistically significant differences between high and low self Confidence in Decision making vocational, and To know the statistically significant differences between average of the students degree according to major,Investigating how predictable Decision making vocational is according to self Confidence

The study curriculum: The researcher has used the describing method that is based on studying the social phenomena and describing it according to the quality and the quantity.

The study of sample: The study (289) student in Science and (124) student in of Arts in Al-Taif

The study tools:.Measuring of Decision making vocational prepared by al bloshi 2007

Measuring of self Confidence prepared mohammed 1997.

The results:There is a positive statistically significant relation between the students' degrees in Decision making vocational and self Confidence

There is statistically significant differences between the average of the students degree of high self Confidence and low self Confidence on Measuring of Decision making vocational for the favor of students of high self Confidence

There is no statistically significant differences between the average of the students degree of student of Arts and Science on Decision making vocational scale according to major.

Decision making vocational can be predicted according to self Confidence

مقدمة:

يعتبر قرار الفرد بخصوص مهنة المستقبل حصيلة التفاعل المتبادل بين الخبرات التربوية، والبيئة الأسرية، والمجتمع، ومؤسسات العمل؛ فمنذ مرحلة الطفولة المبكرة ومروراً بسنوات الدراسة في المدرسة يفترض في الطلاب أن يكونوا على ألفة ودراية بمعظم أنواع المهن المتاحة في مجتمعاتهم، وإدراك مستوياتها المختلفة، وتقع المسؤولية الكبرى في إتاحة الفرص الكافية أمام الطلاب في المرحلة الثانوية على النظام التربوي لاستكشاف عالم العمل من حولهم، بحيث تكون هذه الخبرات الاستكشافية متسقة ومتوافقة مع الفرص المهنية المتاحة في المجتمع؛ لكي يحدث التوافق بين الفرد وبيئته، وباكتشاف الطلاب للقيم المهنية والقيم الشخصية التي يمتلكونها، يصبحون قادرين على بناء أهداف أكثر واقعية ويعملون من أجل تحقيقها في مراحل لاحقة (رواقه، ١٩٩٥)

وقد أشارت نتائج العديد من الدراسات كدراسة شيرنف (2009) chernev ودراسة بايلي وآخرين (2007) Bailey etal ودراسة رولاند (2004) Rowland ودراسة فلوري وبوشنان Flouri&Buchnan (٢٠٠٢) بأن هناك علاقة بين اتخاذ القرار المهني والثقة بالنفس وأن أكثر الأفراد ثقة في أنفسهم والقادرين على اتخاذ القرارات هم أصحاب الأهداف المخططة مسبقاً ولديهم طموحات وآمال يسعون لتحقيقها.

ويواجه الطالب في حياته مراحل انتقال حرجه وعليه أن يتخذ قرارات مهمة ومن هذه القرارات عملية اختيار تخصص الدراسة الذي سيعده لمهنة المستقبل، وهو بحاجة إلى من يساعده في تيسير وتوضيح اتخاذ القرارات الصعبة، وطرقها في مثل هذه المواقف التي تستوجب اتخاذ قرارات حاسمة، فقد يخفق الكثير من الطلاب في المرحلة الثانوية، ويزداد الإخفاق بشكل أكبر في المرحلة الجامعية، فتجد الطالب ينتقل بين أقسام الكليات بل ربما يترك الجامعة ويذهب إلى أخرى بسبب عدم القدرة على اتخاذ القرار السليم، فعدم إعطاء الفرصة الكافية للطالب من قبل الأبوين، وتدخلهما المستمر في أغلب الأمور إضافة إلى عدم ثقة الطالب بنفسه كل هذا يفقده القدرة على اتخاذ القرار السليم، وفي المقابل تجد البعض من الطلاب يمتلك القدرة على اتخاذ القرار السليم نتيجة ما تمنحه الأسرة من الثقة في اتخاذ قراره بنفسه عبر تدريبه على المشاركة في تقرير شئونه، وشئون أسرته.

وأشار البلوشي (٢٠٠٧) نقلاً عن حجازي (٢٠٠٤) إلى أن اتخاذ القرار يعتمد على عوامل ذاتية تتعلق بالفرد نفسه، فمن الضروري أن يكتشف الفرد ذاته من حيث قدراته، واهتماماته، وقيمه ومزجها معا لتشكل إطارا عاما لمساعدته في اكتشاف الأعمال والمهن التي تنسجم وتتطابق

مع هذه الاهتمامات والقيم والقدرات، وإن إتاحة الفرصة للأبناء للقيام بعملية الاختيار في مجال نشاطات حياتهم اليومية يساعدهم ليكونوا أكثر اعتمادا على أنفسهم، وأكثر قدرة على التعبير عن ذواتهم، وأكثر وعياً بالمتطلبات والمؤهلات التي تعدهم لاتخاذ قرار عن مهنة المستقبل.

ويرى الباحث الحالي أن للتنشئة الأسرية دورا في تهيئة الأبناء على تحمل المسئولية، والاعتماد على النفس، وتكوين القدرة على اتخاذ القرار المهني المناسب كما يعد التعليم الثانوي مرحلة مهمة وحاسمة للطلاب في التعليم العام من خلال تزويدهم بالمعلومات والمهارات والاتجاهات التي تنمي شخصياتهم باعتباره قاعدة للدراسة الجامعية.

وأشار عبدون (١٩٩٦:٢٧٥) إلى أن أهمية اتخاذ القرارات التي تصدر عن الأفراد تؤثر في تغيير مسار حياتهم ومن حولهم، وعلى المشكلات التي تعترضهم، وتعتمد عملية اتخاذ القرار على التفكير السليم لدى الفرد، ومدى ثقته بنفسه، والقدرة على حل المشكلات و شعوره بمسئوليته الفردية والجماعية عن نتائج أي قرار يتخذه.

مشكلة الدراسة :

يواجه الطالب في نهاية المرحلة الثانوية مشكلة اختيار التخصص من أجل الالتحاق بالجامعة حيث يصعب عليه اتخاذ القرار المناسب نظرا لقلة التجربة الحياتية، وضعف المهارات الفردية لدى الطالب، وقلة البرامج والأنشطة التي تعد الطالب إلى مستقبل مهني سليم يبنى على أسس علمية سليمة، وتأثير زملاء الدراسة، وكذلك توجهات الأسرة نحو تخصصات دراسية، أو مهنية قد لا تتوافق مع طموحاته أو توجهاته أو قدراته مما يؤدي إلى شعوره بالفشل والإحباط والاضطراب، وعدم اتخاذ القرارات المناسبة له.

إن اتخاذ القرار المهني بالنسبة للطالب وسيلة لتحقيق الذات، ومجالا يعبر فيه عن ميوله وقدراته ومواهبه، وأيضاً وسيلة لإشباع كثير من الدوافع والحاجات النفسية له. و بهذا يكون له الأثر على حياة الطالب النفسية، فقد يكون مصدراً أساسياً من مصادر سعادته ورضاه عن نفسه وتوافقه مع مجتمعه، وبالتالي تمتعه بالصحة النفسية التي يزيدها إحساسه بالأمن والاستقرار وشعوره بالثقة في نفسه وبقدراته وكفاءته، مما ينعكس إيجابياً على علاقته بأسرته وعلى علاقاته الاجتماعية الأخرى، والعكس صحيح إذا اتخذ قرارا لا يتناسب مع ميوله أو قدراته ولا يلبي له حاجاته المادية والنفسية فأنة يفقد ثقته ويصبح غير قادر على اتخاذ القرار (مبارك، ٢٠٠٢).

وفي العصر الراهن قد يعاني بعض الأفراد من انخفاض في مستوى الثقة بالنفس، نظراً لما يمتاز به عصرنا من سرعة التغيرات المتلاحقة، وعجز الفرد عن بلوغ أهدافه وطموحاته بالرغم من إمكاناته المتاحة مما قد يولد لديه الشعور بالنقص و الدونية، ولذا فإن للثقة بالنفس أهمية من الناحية

النفسية، والاجتماعية والانفعالية كونها سببا في الاعتدال و التوازن النفسي (رايان، ٢٠٠٦).

ويشير رولاند (Rowland Chernev,2009 ,2004) بأن أصحاب الثقة المرتفعة قادرون على اتخاذ القرار المناسب،وأن الإرشاد المدرسي له دور في التأثير على مستوى ثقة الفرد عند صنع القرار المصيري.

لذا، فإن مشكلة الدراسة الحالية تتحدد في معاناة الطلاب في مدارسنا من ضعف في مستوى مهارة اتخاذ القرار المهني، وخاصة بعد انتهاء المرحلة الثانوية، فيما يتعلق باختيار نوع التخصص الدراسي الذي يلبي قدراتهم واتجاهاتهم وطموحهم... أو المهنة التي ستلبي ذلك، وانعدام الثقة في أنفسهم في ظل عدم تنامي الوعي اللازم لديهم في اختيار القرار المصيري لمستقبلهم الدراسي أو المهني، وتقصير عملية الإرشاد والتوجيه في المدارس في مساعدة الطلاب على فهم قدراتهم ومعرفة ميولهم واتجاهاتهم، وعدم تنفيذ البرامج الإرشادية التي تساهم في أعدادهم لتحمل المسؤوليات واتخاذ القرارات المستقبلية.

ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية :

١- هل توجد علاقة بين اتخاذ القرار المهني والثقة بالنفس لدى طلاب الصف الثالث في المرحلة الثانوية؟

٢- هل توجد فروق بين مرتفعي ومنخفضي الثقة بالنفس في اتخاذ القرار لدى طلاب الصف الثالث في المرحلة الثانوية ؟

٣- هل توجد فروق في اتخاذ القرار ترجع إلى التخصص لدى طلاب الصف الثالث في المرحلة الثانوية ؟

٤- هل يمكن التنبؤ باتخاذ القرار من خلال الثقة بالنفس لدى طلاب الصف الثالث في المرحلة الثانوية ؟

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة الحالية إلى:

١-التعرف على نوع العلاقه بين اتخاذ القرار المهني والثقة بالنفس لدى طلاب الصف الثالث الثانوي بمحافظة الطائف.

٢- الكشف عن الفروق بين الطلاب مرتفعي ومنخفضي الثقة بالنفس في اتخاذ القرار.

٣-معرفة الفروق في اتخاذ القرار تبعاً للتخصص.

٤-إمكانية التنبؤ باتخاذ القرار المهني من خلال مستوى الثقة بالنفس.

أهمية الدراسة:

أولاً: الأهمية النظرية:

١- نظراً لعدم وجود دراسات محلية تناولت هذا الموضوع فإن الدراسة الحالية تكمن أهميتها في حدود علم الباحث، أول دراسة محلية تجرى حول علاقة اتخاذ القرار المهني بالثقة بالنفس لدى طلاب الصف الثالث في المرحلة الثانوية بمحافظة الطائف.

٢- التأكيد على أهمية مهارة اتخاذ القرار في مرحلة الثانوية كي يتمكن الطلاب من اتخاذ القرارات المناسبة التي تتعلق بحياتهم الحاضرة والمستقبلية.

٣- مساعدة الطلاب في إتاحة الفرصة لهم بممارسة اتخاذ القرار والاعتماد على النفس.

ثانياً: الأهمية التطبيقية:

١- تحاول الدراسة الحالية أبراز أهمية اتخاذ القرار المهني كقرار مصيري يترتب عليه مستقبل حياة الطالب.

٢- زيادة وعي الطالب بذاته وقدراته ومهاراته في مواجهة متطلبات البيئة وحل مشكلاته ومشاركاً بإيجابية مع الآخرين.

٣- في ضوء ما تسفر عنه نتائج الدراسة يمكن أن تفيد هذه الدراسة القائمين على برامج الإرشاد والتوجيه بوزارة التربية والتعليم في معرفة مستوى اتخاذ القرار والثقة بالنفس لطلاب المرحلة الثانوية والإعداد للبرامج المستقبلية التي تساهم في اختيار الطلاب للمجال الذي يناسبهم في المرحلة الجامعية وبما يتوافق مع ميولهم وقدراتهم ودون هدر للوقت.

مصطلحات الدراسة:

١- **اتخاذ القرار:** عملية المفاضلة بين الحلول واختيار أكثر الحلول المنطقية والتي تتسم بالتركيز والمرونة والوعي والحذر والواقعية والتفاؤل (البلوشي، ٢٠٠٧)

ويتحدد اتخاذ القرار إجرائيا: بالدرجة التي يحصل عليها الطالب على مقياس اتخاذ القرار المهني إعداد (البلوشي، ٢٠٠٧).

٢- **الثقة بالنفس:** يعرف محمد (١٩٩٧م) الثقة بالنفس على أنها إدراك الفرد لكفاءته، أو مهارته وقدرته على أن يتعامل بفاعليه مع المواقف المختلفة، وتتطلب أن يحيا الفرد في أمان، وأن يشعر بالطمأنينة أما عندما يشعر بالخوف، أو يفقد شعوره بالأمن فيبدو عليه عدد من المظاهر منها ضعف الروح الاستقلالية، والتردد، وانعقاد اللسان في وجود الآخرين، والتأتأة، واللجلجة، وخصوصاً عند الأطفال، والخجل، وعدم القدرة على التفكير المستقل، واتهام الظروف عند الإخفاق، والخوف من نقد الآخرين إضافة إلى أحلام اليقظة، والتظاهر بطيب الخلق.

وتتحدد الثقة بالنفس إجرائيا: بالدرجة التي يحصل عليها الطالب على مقياس الثقة بالنفس إعداد (محمد، ١٩٩٧).

الإطار النظري:

أولاً: اتخاذ القرار المهني Decision making vocational

تشير كلمة قرار (Decision) إلى كلمة لاتينية معناها القطع والفصل، بمعنى تغليب أحد الجانبين على الآخر، فاتخاذ القرار نوع من السلوك يجرى اختياره بطريقة معينة تقطع أو توقف التفكير، وتنهي النظر في الاحتمالات الأخرى (شنودة، ١٩٨٠).

ويُعرف القرار على أنه عملية اختيار بديل من بدائل عديدة، لمواجهة موقف معين، أو لمعالجة مشكلة أو مسألة تنتظر الحل المناسب، والمقصود بالبديل هو اختيار أحد الاتجاهات أو الحلول المعروضة للاختيار (ياغي، ١٩٩٣).

وأما اتخاذ القرار فهو القدرة التي تصل بالشخص إلى حل يبقى الوصول إلية في مشكلة اعترضتة بالاختيار بين بدائل الحل الموجودة أو المبتكرة (عبدون، ١٩٩٦: ٢٧٨).

ويعرف الخزامي (١٩٩٨: ٤٢) اتخاذ القرار بأنه عملية الوصول إلى قرار بعد تقييم كل البدائل المتاحة من أجل تحقيق متخذي القرار الهدف أو الأهداف، ويضيف قائلاً أن القرارات التي يتم بناؤها جيداً: هي القرارات التي قامت على الفهم الجيد كنتيجة لمواجهات عديدة بمواقف لها نفس النمط.

هذا ويشير كوبلي (٢٠٠٠: ١٥) إلى أن مفهوم اتخاذ القرار يعني إصدار حكم معين عما يجب أن يفعله الفرد في موقف ما بعد التمعن في البدائل المختلفة التي يتبعها.

إن اتخاذ القرار هو عملية تفكير مركبة تهدف إلى اختيار أفضل البدائل أو الحلول المتاحة للفرد في موقف معين من أجل الوصول إلى تحقيق الهدف المرجو(جروان، ٢٠٠٢: ١٥)

ويعرف الفضل (٢٠٠٤) اتخاذ القرار بأنة عملية الاختيار المدرك الواعي والقائم على أساس من التركيز والتفكير في اختيار البديل المناسب من البدائل المتاحة في موقف معين، ويرى الباحث أن القرار يعني الاختيار المدرك الواعي بين البدائل المتاحة في موقف معين أما اتخاذ القرار فيعني اختيار أفضل البدائل بعد دراسة النتائج المترتبة على كل بديل وأثرها على الأهداف المطلوب تحقيقها.

العناصر الأساسية التي يتكون منها القرار:

يتضمن اتخاذ القرار عناصر رئيسية لابد من اجتماعها حتى نحصل على قرار ناجح وهي كما يلي:

١- المناخ الذي يتم فيه اتخاذ القرار، فالمناخ الذي يتم فيه اتخاذ قرار معين يعد من الأمور الهامة التي ينبغي مراعاتها لضمان الحصول على قرار ناجح،يمكن تنفيذه على أرض الواقع، وفيما يلي حصر لأهم الجوانب المتعلقة بالمناخ الذي يتم فيه اتخاذ القرار:

- الموارد المتاحة لمتخذ القرار والتي يمكن التصرف فيها حلا للمشكلة التي تعترضه.
- أنواع الأنشطة التي يمكن أن يقوم بها تنفيذا للحل الذي قد توصل إليه.
- النتائج التي يحصل عليها باستخدام حل معين للمشكلة.

وهكذا يمكن إدراك أهمية دراسة وتحليل المناخ الذي يتم فيه اتخاذ القرار كوسيلة أساسية لتحديد الأسلوب المناسب لاتخاذه تبعا لطبيعة المناخ الذي قد يقيد حركة متخذ القرار بتحديده للموارد المتاحة أو أنواع الأنشطة والنتائج المطلوبة(حبيب،١٩٩٧:٦٤).

٢- أهداف متخذ القرار،

إن تحديد الهدف مهم جداً لاختيار البديل الذي يحقق ذلك الهدف، لكن في بعض الأحيان تتعدد الأهداف التي يسعى متخذ القرار إلى تحقيقها، وقد تتناقض مما يجعل العملية صعبة، والأهداف تحدد بحسب الحاجات أو الرغبة في تصحيح واقع معين في منظمة معينة مثلا، أو كبداية لتحقيق أهداف أخرى لذلك يجب اعتماد مخطط للوصول للهدف، إلا أنه يضاف عند تحديد الهدف عنصر التخيل، أي تخيل نتائج تنفيذ المخطط بعد اعتماده (رزق الله، ٢٠٠٢: ٥٠).

٣- الاختيار المدرك بين البدائل،

لا بد من وجود بدائل متعددة،أو حلول متنوعة،كي يتم الاختيار منها،وقد تتناقض هذه البدائل أو تتساوى،مما يزيد من صعوبة القرار،إلا إن أهم مميزات الحل البديل قدرته على الإسهام في تحقيق بعض النتائج،التي يسعى إليها متخذ القرار،وأن يكون الحل البديل في حدود الموارد المتاحة لمتخذ القرار،مما يسهل تنفيذه حال اختياره من سائر البدائل الأخرى (القرعان،٢٠٠٢: ٢٥).

إنه من الصعب على الفرد السيطرة على سلوكه وتوجيهه حسب المعطيات المنطقية إلا عندما تتوافر له بدائل سلوكية متنوعة،الأمر الذي ركزت عليه نظرية التحكم التي وضعها وليم جلاسر(١٩٨٢م) وفيها يرى أن التحكم بالسلوك يعني إمكانية الاختيار من بدائل سلوكية متعددة والتي استخدمت فيما بعد كطريقة من طرق الإرشاد النفسي وسميت بالإرشاد الواقعي(الرشيدي، ١٩٩٩:٦١).

٤ - النتائج المحتملة والمتخيلة للقرار،

إن تفحص عملية اتخاذ القرار يتضمن محاولة لتخيل ماذا سيحدث إذا اعتمد مخطط بشأن قرار معين،أو كان على وشك تنفيذه،والتساؤل هل ستتحقق صعوبات تحتاج لخطط وأهداف

أخرى؟ أم سوف تشل في تحقيق الغايات التي وضعت لأجلها ؟ هل ستتعارض الإجراءات مع الوقائع والأحداث ؟ إذا ما اتضحت الإجابات عن هذه الأسئلة تكون الخطة لاتخاذ القرار أيضاً واضحة (مطاوع،١٤٢٤: ٨٣).

ويشير الصراف (٢٠٠١: ١٤٧) إلى اهتمام بعض الباحثين بضرورة التدريب على تحليل النتائج،ويؤكد على وجوب النظر في الإيجابيات والسلبيات للبدائل المتاحة في حياة الفرد قبل الشروع في اتخاذ قرار بشأنه.

وهكذا يمكن القول إنه لابد من توافر المناخ الملائم، الذي يحدد الظروف الخارجية والداخلية لبيئة متخذ القرار،وكذلك لا بد من تحديد الهدف بدقة، لمعرفة ما المراد من القرار نفسه. ومن ثم تحديد البدائل،وتصور نتائجها،وتقدير العائد المتوقع من كل بدائل. وهنا يمكن الاستدلال على أهمية ابتكار بدائل جديدة قد تكون مجدية. وكذلك النتيجة الاحتمالية للقرار،وما يترتب من نجاح أو فشل على عملية اتخاذ القرار.

نظريات اتخاذ القرار:

النظريه المعيارية Normative theory

وتهتم هذه النظريه بما ينبغي أن يكون عليه الناس عند تحديدهم لاختياراتهم التي يتخذونها في الظروف البيئية المختلفة أي أنها تهتم بالقرار في حالته المثالية ومن خلال هذه النظريه اشتقت جميع النماذج الإحصائية لاتخاذ القرارات. ومن أهم نماذج هذة النظرية:

أ – النماذج الخطية في اتخاذ القرار:

ذكر داوس وكورجان Dawas &Corgvean أن فرانكلين Franklin يعد أول من اقترح استخدام النماذج الخطية في اتخاذ القرار وذلك بناء على عدم وجود مقدمات كافية وأوصى بكتابة الحجج المؤيدة والرافضة وأعطى تلميحات قصيرة عن الدوافع التي أدت إلى وضع هذه الحجج وضرورة تكوين رأي واحد فقط من خلالها وكذلك وضع أوزان نسبية للآراء المؤيدة والمعارضة ثم تجمع الأوزان النسبية،وتحدد إشارة الجمع القرار النهائي الذي يجب أن يؤخذ. (كشرود، ١٩٩٥:٤٤٦).

ب – نموذج تعقب التجهيز:

يهتم هذا النموذج بمرحلة البحث عن المعلومات،وتستخدم مرحلتا تجميع المعلومات والتغذية المرتدة ضمنياً في هذا النموذج،حيث أنه يعتمد على بناء نموذج تفصيلي للحقائق المعرفية من خلال فحص البروتوكولات اللفظية،وتمثيلها في نموذج يحاكي نموذج الحاسوب. (نصر،١٩٩٧: ١١٨).

٢- النظرية الوصفية، Descriptive theory

تركز على الأسس السيكولوجية لسلوك الاختيار لمعرفة كيف يصدر الأفراد الأحكام التي تساعد على اتخاذ القرار. وهي تتضمن النماذج التالية:

(أ) - نموذج جيلات Gelaat،

يرى جيلات أن القرار الجيد يعتبر كأحد العمليات المنظمة التي استخدمت للوصول إلى الاختيار والتي من خلالها يعتبر متخذ القرار مسئولاً عن الاختيار ويحتاج القرار الجيد إلى معلومات كافية للوصول إلى نتيجة مرضية.

وأن عملية القرار يمكن وصفها من خلال مراحل متسلسلة هي:

١- تحديد الهدف أو الغرض من القرار.

٢- جمع معلومات عن البدائل المتاحة والمخرجات.

٣- جمع معلومات عن الاحتمالات التي تربط البدائل بالمخرجات بما أسماه (بنظام التنبؤ predictive system).

٤- فحص مرغوبية كل بديل على حدة ثم مرغوبية كل بديل في علاقته بالبدائل الأخرى ثم ترتيب البدائل ترتيباً هرمياً بما أسماه (نظام القيم values system).

٥- اختيار طريقة الأداء وتقييم البديل الذي تم اختياره ثم تقييم النتائج (بما أسماه محك القرار decision criterion (البلوشي،٢٠٠٧: ٣٢).

(ب) - نموذج هورن Horn model،

يهدف نموذج Horn - والذي يتكون من أربعة مراحل - إلى اتخاذ قرار فعال فهو يجمع عدد من المراحل في مصطلحات خاصة بما أسماه بالسلوكية المعرفية هذه المراحل هي:

المرحلة الأولى، على الفرد أن يضع تصوراً للقرار وينشئ نموذج معرفي خاص بالأجزاء أو الجوانب البيئية المضطربة.

المرحلة الثانية، على الفرد أن يحصر البدائل،ويبحث من أجل أن يزيد من الحصيلة الاستجابيه.

المرحلة الثالثة، التوحد بالمثيرات التمييزية المتعلقة بالنتائج الإيجابية أو السلبية الخاصة بكل استجابة وكأنها تجميع لمعلومات أخرى.

المرحلة الرابعة، انتقاء الاستجابة ومن المحتمل أن تصنع بواسطة الاستجابات الاحتمالية المصنفة وتنفيذ ما وقع عليه الاختيار.(كشرود، ١٩٩٥:٤٥١).

(ج) – نموذج فستنجر للتنافر المعرفي cognitive dissonance،

هذا النموذج وضعه فستنجر (Festinger) عام ١٩٥٧ ويقوم هذا النموذج على أن الإنسان يحاول إيجاد تناسق بين آرائه وعقائده وخبراته وقيمه وعندما يواجه بدليل معرفي يتعارض مع قيمه وعقائده واتجاهاته التي يتمسك بها فإنه يكافح للتقليل من ذلك التعارض إما بتجاهل هذه العناصر المعرفية المعاونة له أو إعادة تقييمها بحيث يجعلها أكثر اقتراباً من مفاهيمه وكلما زاد التعارض كلما كافح الفرد للتقليل منه وهو يسمى بديناميه (خفض الدافع) ويقترح لمعارضة هذا التعارض ما يلي:

١- يمكن تقليل الصراع بعد القرار بزيادة جاذبية البديل المختار والتقليل من جاذبية البدائل غير المختارة.

٢- إدراك وجود تماثل بين خصائص البديل المختار والبدائل غير المختارة

٣- تقليل أهمية البدائل المختارة للقرار. (السبيعي،١٤٢٢: ٥٤).

العوامل المحددة لقرار الطالب التعليمي والمهني،

الفرد كائن اجتماعي يولد في بيئة اجتماعية وينمو فيها،يتأثر بها ويتفاعل معها، بالرغم من أن قرار اختيار الفرد لمجال دراسته،أو مهنته قرار فردي إلا أن هذا القرار يتأثر بعوامل شخصية تنبع من داخل الفرد أو اجتماعية بيئية تنبع من خارج الفرد وفيما يلي عرض لهذه العوامل:

أ – العوامل الشخصية والنفسية،

أشار شكور(١٩٩٧:٦٢) إلى اهتمام كثير من الباحثين بدراسة الخصائص الشخصية والنفسية كعوامل مؤثرة على قرار الاختيار المهني وذلك لأن هذه العوامل لها بصمتها على مستقبل الفرد المهني وحياته بشكل عام،ولا شك أن هذه العوامل تنبع من الفرد نفسه ولكنها ليست وليدة اللحظة بل إنها نتاج تفاعلات وتأثر منذ مراحل الطفولة الأولى إلى أن وصل إلى ما وصل إليه،فهي فردية في شكلها وللبيئة دور في تشكلها وبروزها،وهذه العوامل هي:

١- بيئة الطفولة،

منذ اليوم الأول لولادة الطفل وهو محط أنظار ورعاية والديه،ويبدأ مع هذه الرعاية تشكيل ملامح شخصيته وما ستكون عليه،فإذا كان الأساس متيناً وصلباً يملؤه الجو الأسري العاطفي،كانت شخصية الطفل سوية وكان ذلك دعامة قوية لمستوى عال من الطموح،وإن كان الأساس هشاً ومشحوناً بالمشاكل الأسرية كانت شخصية الطفل مهزوزة وكان مستوى طموحه أدنى وأقل شأناً،وذلك لما يوجد من ترابط قوي بين الصحة العقلية والنفسية وشخصية الطفل،ومستقبله،وطموحاته،وفي البيت توضع البذور الأولى لتكوين الشخصية وما سيكون عليه

الناشئ في المستقبل، ولا شك أن الرعاية السوية للأطفال هي التي تنشئ طفلاً سوياً وشخصية وثابة طموحة،أما العطف والحماية الزائدة عن حدودها،أو الحرمان العاطفي فهما اللذان يفقدان الطفل الكثير من خصائص الشخصية السوية.

إن الجو العاطفي الذي يعيشه الطفل في المنزل له أبعاده وأثره في تفتح شخصيته ونموها كما تعد بمثابة اللبنة الأولى في أساس هذه الشخصية فالمنزل الذي تغمره المحبة لا شك أنه يحتضن أطفالا ينعمون بالأمن النفسي، فتنبثق شخصيات وثابة قادرة على صنع مستقبل أفضل وبناء طموحات لا حدود لها.

٢- الميول والاتجاهات:

تعد الميول والاتجاهات من أهم المؤثرات على الاختيار المهني والتعليمي،وقد حظيت الميول والاتجاهات بأهمية كبرى في الدراسات النفسية حيث اهتم الباحثون بدراسة كيفية تكوين الميول ومدى تأثرها في اختيار الفرد لمجال دراسته أو عمله، وأغلب الدراسات التي اهتمت بالعوامل المؤثرة على قرار الفرد التعليمي والمهني أخذت الميول في الاعتبار.

وينظر كل من سترونج وهولاند إلى الميول بوصفها إحدى المكونات المميزة للشخصية، فيشير سترونج إلى أن الميول تعطينا معلومات إضافية لا يمكن أن تظهر عند تحليل قدرات الفرد واستعداداته،مما يؤكد تأثير الميول في قرار الاختيار المهني. (طاهر ١٩٩٨: ١١٥).

يعرّف ربيع الميل بأنه: « شعور بالتفضيل لنشاط وأشياء أو أفكار معينة بحيث يتجه إليها الفرد » فالميل هو استجابة رضا واهتمام لنشط من متاشط الحياة وتستخدم اختبارات الميول بكثرة في مجال التوجيه المهني أي في مساعدة الأفراد لاختيار المهن المناسبة لهم.

ويرى ساكس أن الميل هو تفضيل لنشاط على نشاط آخر ومن وجهة نظر سوبر وكرايتس أن الميول تنقسم إلى ميول لفظية معبر عنها وميول على شكل تصرفات أي سلوك استجابي لما يحب وما لا يحب (الشناوي وخضر، ١٩٩٣:٢٨٦).

أما الاتجاه فتجمع غالبية التعاريف على أنه «عبارة عن مجموعة الأفكار والمشاعر، والادراكات، والمعتقدات حول موضوع ما توجه سلوك الفرد وتحدد موقفه من ذلك الموضوع (الغامدي والراشد ١٤١٩: ١٧٤).

والاتجاه: مجموعة من العمليات المعرفية والانفعالية المنظمة بصورة دائمة والتي تسهم في استجابة الفرد بالقبول،أو الرفض لفكرة،أو قضية،أو موضوعات ذات علاقة بجانب من جوانب الحياة (شمسان والهيتي، ١٩٩٩:٦٧).

لقد ارتبط الاهتمام بدراسة الميول في مجال الاختيار المهني بفكرة أن الأفراد يختارون

الأعمال الأكثر ملاءمة لشخصياتهم،وأن الميول مكون أساسي من مكونات الشخصية.

وقد اختلف الباحثون في كيفية تكوين الميول وتشكيلها،فمنهم من قال أنها وراثية وإنها خصائص موروثة وأن الوراثة تساهم بنسبة تتراوح بين ٤٥ – ٥٠ ٪ في تشكيل الميول ومن هؤلاء مولوني Molony في حين يرى الفريق الآخر ومنهم سوبر Super أن الميول أمور مكتسبة من خبرات الحياة يكتسبها الإنسان خلال مراحل حياته، ويرى فريق ثالث أن الميول تؤثر فيها الوراثة بما نسبته ٣٦ ٪ والبيئة ٦٤٪ (طاهر ١١٦:١٩٩٨).

ويرى Holland (١٩٨٥) في نظريته بلورة الميول المهنية كشرط أساسي للقيام بالاختيار المهني. ويفترض في نظريته بأنه يوجد لكل إنسان ميول مركزية، حيث إن مستوى التوافق بين هذه الميول والمهنة التي يختارها قد يحدد مدى الاكتفاء الذاتي للفرد. فإذا ما قام الشخص بالعمل في مهنة لا تلائم ميوله المركزية سوف يشعر بالإحباط وعدم الرضا الناتج عن عدم التوافق هذا، والعكس هو الصحيح).

واقترح Holland تصنيفاً يستطيع من خلاله تحديد الأنماط الشخصية والميول الذاتية المهنية لدى الأفراد حيث قسم الأفراد متخذي القرار المهني إلى ستة أنماط (نماذج) قد تتقارب من بعضها وقد تبعد عن بعضها اعتماداً على المميزات والصفات الشخصية من ناحية ومميزات ومتطلبات المهن من ناحية أخرى وهذه النماذج هي:

نموذج العملي: هؤلاء الأشخاص يفضلون ممارسة الأنشطة الملموسة، فهم غير حاسمين، وليسوا بالضرورة اجتماعيين، يظهرون ثباتاً عاطفياً وهم عادة ما يكونون يقظين لما يجرى من حولهم. النموذج العملي يحب التعامل مع الأمور التي تحتاج فهماً عملياً، فهو يظهر اهتمامات تقنية ورغبة في التعامل مع الأجهزة أكثر من اهتمامه بالعلاقات الإنسانية. من المواضيع المهنية المفضلة: الهندسة بأشكالها، الطب بصوره المختلفة، العمل الزراعي والحيواني.

نموذج الباحث: هؤلاء الأشخاص يميلون إلى المواضيع التي بحاجة إلى تجريد، يستخدمون المنطق والتفكير المنهجي في تفسير الظواهر، ولا يحبون التعامل مع المحسوس غالباً. هذا النموذج يتميز بحاسة نقد وحب استطلاع، وصعوبة في ممارسة الأعمال الروتينية. من المواضيع المهنية المفضلة: الرياضيات، علم النفس، برمجة الكمبيوتر، الانثروبولوجيا...

نموذج الفني: هؤلاء الأشخاص مرهفو الحس وواسعو الخيال، ولديهم قدرات يدوية عالية، يميلون إلى اتخاذ قرارات لا تأخذ بعين الاعتبار احتياجات وتوقعات المجتمع منهم، وانما يميلون إلى اتخاذ قرارات مستقلة وارتجالية شيئاً ما. ميلهم الفني نابع من الحاجة للتعبير عن العواطف وإبراز الشخصية، فهم أصليون في أفكارهم، و شخصياتهم وكذلك في إنتاجهم. يميل

هذا النموذج إلى الأعمال الحرة وغير المقيدة والتي بحاجة إلى خلق وإبداع. من المهن المفضلة: هندسة التصميم، الموسيقى، التمثيل، الكتابة، الإخراج، هندسة الديكور.

نموذج الاجتماعي: هؤلاء الأشخاص يميلون إلى العمل المجتمعي، لديهم قدرة لإقامة العلاقات مع الآخرين، يستمتعون في حل مشكلات الآخرين أو مساعدتهم على حلها. من المهن المفضلة: العمل الاجتماعي، الاستشارة، إدارة مدرسة، أخصائي نفسي...

نموذج المبادر: هؤلاء الأشخاص يتميزون بقدرة كلامية وقوة إقناع، يعملون حسب مبدأ (العمل القليل والربح الكثير)، يهتمون بالأعمال التي تدر ربحاً مادياً. يميل هذا النموذج إلى المهن التي ترتبط بالمركز الاجتماعي، فهو يتميز بالحسم والمباشرة والعملية في التعامل مع الآخرين. من المهن المفضلة: وكيل تأمين، إدارة برامج إذاعية، اقتصادي...

نموذج الإداري: هؤلاء الأشخاص لديهم قدرة للسيطرة على الذات، وهم غالباً ما يميلون إلى ممارسة الأعمال الدقيقة ملتزمين بالقوانين والمعايير والقيم المفروضة. من المهن المفضلة: إدارة وتدقيق الحسابات، فحص الميزانيات، إدارة بنك، إدارة فندق، إحصاء، إدارة أعمال (البلوشي، ٢٠٠٧)

وعلى الرغم من أهمية الميول والاتجاهات في عملية الاختيار المهني أو الدراسي،إلا أنها ليست العوامل الوحيدة المحددة لمدى نجاح الفرد واستمراره في دراسته،ذلك أن عامل القدرات والاستعدادات أهم وأكثر تأثيراً فمن المعلوم أن الميول العلمية لا تخلق عالما والميول الأدبية لا تخلق أديبا ولا بد من صقل هذه الميول بفعل التدريب والدراسة والمران.

٣- الذكاء والقدرات والاستعدادات:

تتطلب كل مهنة درجة معينة من الذكاء كما تتطلب قدرة واستعدادا للقيام بها،وكل فرد يولد ولديه قدرات واستعدادات كامنة،كما يولد ولديه استعداد وراثي للذكاء والقدرات العقلية، ولكي تستثمر كل الطاقات العقلية لابد من صقلها خلال مراحل الطفولة وما بعدها،ومن المعلوم أن نسبة عالية من الذكاء تتكون خلال السنين الأولى من العمر من خلال التربية الأسرية، والتعليم المدرسي.

ويعرف سبيرمان الذكاء بأنه «القدرة على إدراك العلاقات وخاصة العلاقات الصعبة أو الخفية». أما هريمان فيقسم تعريف الذكاء إلى أربعة أنواع قسم يهتم بتكيف الفرد وتوافقه مع البيئة المحيطة به،والثاني يرى أن الذكاء هو القدرة على التعلم،والثالث يعرف الذكاء باعتباره القدرة على التفكير المجرد،والرابع يعرف الذكاء بأنه القدرة الكلية لدى الفرد على التصرف الهادف والتفكير المنطقي والتفاعل المجدي مع البيئة (جابر ١٩٨٤: ٣٩).

أما الاستعدادات فهي مدى ما يستطيع الفرد أن يصل إليه من الكفاية في منشط من المناشط،

والقدرات هي ما يستطيع الفرد أداؤه في اللحظة الراهنة،وهي عدة أنواع،قدرات لفظية وقدرات ميكانيكية وقدرات رياضية وقدرات علمية.

إن الذكاء والقدرات عاملان مهمان في تحديد اختيار المجال التعليمي والمهني للفرد ويمكننا التنبؤ بنجاح الفرد متى ما تم أخذ هذين العاملين في الحسبان عند اتخاذ القرار التعليمي والمهني من قبل الفرد.

٤- سمات الشخصية:

تركز العديد من الدراسات والنظريات النفسية على خصائص الشخصية ودورها في مجال الاختيار،واتخاذ القرار المهني. وتعتبر نظرية هولاند من أوائل النظريات التي اهتمت بأبعاد الشخصية كعامل هام من عوامل الاختيار المهني وصنفت هذه النظرية أبعاد الشخصية إلى ستة أنماط:

أ - النمط الواقعي: نمط يتميز بالقوة البدنية ويتسم بالثبات الانفعالي.

ب - النمط الذهني: يتصف بالتفكير بدلا من التصرف والفهم.

ج - النمط التقليدي: يركز اهتمامه بالقواعد والقوانين والضبط الشديد للنفس.

د - النمط المغامر: يتميز بقدرة فائقة في المهارات اللفظية.

هـ - النمط الفني: يتميز بالتعبير القوي عن الذات والحساسية الشديدة ويكون لا اجتماعياً (المشعان ١٩٩٢: ١٦٦).

٥- الدافع ومستوى الطموح:

الطموح مفردة حديثة نسبيا حيث ظهرت لأول مرة عام ١٩٣١م على يد (ث. داميو T.Dambo) حيث رأت أن السلوك الهادف يرتكز على مستوى النجاح الذي يتمنى الوصول إليه،وهذا المستوى من النجاح أسمته الطموح.

والطموح مفهوم شامل لكل ما يسعى الفرد لتحقيقه،ولكنه قد يكون طموحاً مرضيا عندما يكون أعلى من قدرات الفرد أو أقل بكثير منها،وتشير فرانسيس روباي إلى وجود المستوى السوي للطموح أو المستوى الطبيعي بحيث أن الفرد لا يُقدم على أعمال لا تتكيف مع الواقع،وحقيقة الطموح تكمن في حرية الاختيار وفق رغبات المرء وميوله،ولكن واقع الحال يدفع المرء أمام بعض الشروط المادية والاجتماعية ألا يختار ما يحب أو يروق له،وإنما يكون مجبرا لاتخاذ ما هو متوفر أو موجود أو ما تمليه عليه بعض الضغوط الخارجية (شكور، ١١٥:١٩٩٧).

إن الإنسان من وجهة نظر كابيل يكون إيجابياً في حياته محققا اكتفاء حين يمتهن ما هو راغب فيه. أما عدم الانسجام في المهنة يفسره البعد عن الموضوع الأساسي للطموح والاحتكام إلى الوهم.

إن الإنسان الطموح يتحرك في سلوكه وفق رغبة أو دافع، وبسلوكه هذا يعكس حاجاته النفسية، كما أنه بهذا الدافع يستطيع مواصلة سلوكه وإثارته حتى ينتهي إلى الغاية المرسومة أو يكاد، فالدافع من وجهة نظر سيلامي إنذار يخطر المرء للقيام بسلوك ينجز فيه عملا يؤول إلى الإشباع.

إن الطموح والدافع عاملان مهمان في حياة الفرد وفي رسم خططه المستقبلية ويدفعان الفرد نحو تحقيق أهداف يسعى لتحقيقها، وقد يكون لهما دور مؤثر وفاعل في تحديد السبل الكفيلة بتحقيق أهداف استراتيجية مرسومة في مخيلة الفرد.

٦- البنية الجسمية:

العمل مهما كان نوعه يحتاج إلى قدرات جسمية وطاقات بدنية وقدرات عقلية معينة وعلى الفرد الوفاء بمتطلبات العمل البدنية،وعليه حين اختيار مجال دراسي أو مهني أن يوائم بين ما لديه من قدرات وطاقات جسمية وبدنية وبين احتياجات العمل وظروفه ومخاطره. فليس مقبولا أن يأتي طالب لديه ضعف في البصر ليختار تخصصه الدراسي هندسة إلكترونيات مثلا.

ولا يعني ذلك أن من لديه قصوراً في حاسة من الحواس أو إعاقة غير صالح للعمل بل إن كل عمل يتطلب قدرات بدنية وجسمية معينة لا تشترطها مهنة أخرى.

٧- العوامل النفسية:

تلعب العوامل النفسية دورا كبيرا في عملية الاختيار المهني ولا شك أن العوامل النفسية هي نتاج تفاعل الفرد مع المثيرات الخارجية فكل العوامل التي تؤثر في حياة الفرد بشكل أو بآخر تترك بصماتها على نفسيته،الأمر الذي ينعكس على شخصيته،ويتم هذا في إطار التكيف والتوافق مع كل موقف جديد يواجهه الفرد.

ويذهب أصحاب نظرية التحليل النفسي إلى أن الطفولة المبكرة وخبراتها تدخل في عملية الاختيار المهني،كما يرون أن الاختيار المهني جزء من عملية تفريغ الطاقة النفسية عند الفرد، كما أن الإنسان يتجه إلى بعض الأعمال التي يفرغ فيها طاقاته بطريقة مقبولة اجتماعيا بدلا من إهدارها بدون منفعة. ويرى أصحاب هذه النظرية أن السلوك المهني يفسر على أساس من رغبات لا شعورية

ويرى جنزبيرج وزملاؤه Ginzberg et.all أن الشخص ينمو نمواً مهنياً منذ مراحل الطفولة الأولى،ويتأثر نموه المهني هذا بعوامل منها الظروف،والمواقف التي يتعرض لها الفرد ونوعية تعليمه،والاحباطات،والصراعات التي يمر بها. (التوايهة والطويل، ٢٠٠١: ١١٣).

والحقيقة إنه من الصعوبة بمكان أن يختار فرد يعاني من اضطرابات نفسية مهنة أو مجالا دراسيا مناسباً له.

٨- مستوى التحصيل:

يلعب مستوى التحصيل دورا هاماً في قرار الطالب التعليمي والمهني ولا أدل على تلك الأهمية من اعتماد الكثير من المؤسسات التعليمية النسب المئوية لدرجات الطلاب في عملية القبول،رغم سلبية هذه الطريقة في عملية الاختيار حيث أنها لا تعد مؤشراً صادقاً يمكن التنبؤ بمستقبل ناجح للطالب.

ويشير (جريو،١٩٩٠: ١٤٦) إلى أن من عيوب هذه الطريقة قبول الطلاب في تخصصات لا يرغبونها وإنما قادتهم مجاميع درجاتهم الأمر الذي قد يؤدي إلى إخفاقهم في هذه التخصصات فيما بعد.

وتؤكد العديد من الدراسات على أن مستوى التحصيل له تأثيره على قرار الطالب التعليمي والمهني

ب - العوامل البيئية الاجتماعية:

تلعب العوامل البيئية والاجتماعية دورا فاعلا في عملية الاختيار المهني،فالفرد الذي يعيش في الريف تختلف نظرته وتطلعاته وطموحاته عن الفرد الذي يعيش في المدينة. كما أن العوامل الاقتصادية ومستوى معيشة الأسرة ومكانتها الاجتماعية لها تأثير لا يمكن إغفاله على عملية الاختيار المهني.

وتؤكد دراسة الدخيل الله (١٩٩٥: ٦٩٥) على أن الارتباط بالمهنة يتأثر بالعوامل الثقافية والاجتماعية أكثر من تأثره بالعوامل الشخصية ومن هذه العوامل:

١- العوامل الأسرية:

تعد الأسرة من أهم العوامل المؤثرة على قرار الطالب التعليمي والمهني بشكل مباشر سواء كانت على شكل نصائح وتوجيهات أو على شكل ضغوط وأوامر بالاتجاه نحو هذا المجال وترك الآخر،أو بطريقة غير مباشرة من خلال عملية التنشئة وغرس بعض المفاهيم.

وأن الآباء يضغطون أحياناً على أبنائهم في اختيار مهنة معينة بدافع الرغبة أو التعويض، وبعض أولياء أمور الطلاب يتدخل في اختيار تخصصاتهم وفرضها عليهم بالقوة،مما يجعل الطالب يعيش في دوامة وصراع بين تحقيق رغبات الأب وبين ما يريد (العنقري، ١٤١١:٣٥).

٢- المستوى الاقتصادي والمكانة الاجتماعية للأسرة:

تؤثر المكانة الاجتماعية والمستوى الاقتصادي على قرار الطالب التعليمي والمهني وتلقي بظلالها عليه حتى وإن كان يظهر عدم تأثره بها.

إن لكل طبقة اجتماعية تفكيرها الخاص ونظرتها الخاصة،ولكل منها سلّم من القيم تختلف

أولوياته وتتباين باختلاف هذا الانتماء والطبقات أنه بقدر ما تكون العائلات متواضعة بقدر ما يتمنون تقصير مدة الدراسة لأولادهم وبقدر ما ترتفع الأسرة في سلّم الطبقات الاجتماعية بقدر ما تكون فترة الدراسة المرغوبة أطول. (عبد الباقي ١٩٩٢: ٧٨).

وتؤكد العديد من الدراسات على أن للمستوى الاجتماعي والاقتصادي دوراً في عملية الاختيار المهني وعلى قرار الطالب في تحديد مستقبله الدراسي ومن هذه الدراسات دراسة العصيمي (١٤١٥) التي أكدت على دور المستوى الاقتصادي ومستوى دخل الأسرة في قرار الطالب التعليمي والمهني، فكلما قل دخل الأسرة فضلت الأسرة العمل الحكومي عن القطاع الخاص، أما إذا كان الدخل مرتفعا فإن الأسرة تفضل الأعمال الخاصة أو إدارة مشاريعهم.

كما أن نتائج دراسة لطفي (١٩٩٣) تشير إلى أنه كلما ارتفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي للآباء زادت ظاهرة الحراك المهني.

٣- القيم الاجتماعية ونظرة المجتمع نحو المهن:

تتأثر عملية الاختيار المهني بالقيم الاجتماعية والنظرة الاجتماعية نحو المهن، بل قد تكون عائقاً أمام بعض المهن وخاصة المهن اليدوية، وقد تختلف النظرة نحو المهن من مجتمع إلى آخر، فما هو مقبول في مجتمع ما قد لا يكون مرغوبا في مجتمع آخر، والمهنة التي ينظر إليها بعين الاحتقار في مجتمع قد ينظر إليها بعين الإجلال والتقدير في مجتمع آخر.

٤- الأصدقاء والأقران:

لا شك أن لجماعة الرفاق تأثيرها في عملية الاختيار المهني فهم مصدر الجاذبية بالنسبة لزملائهم، وكثيراً ما رأينا طلابا ينتقلون من قسم إلى آخر داخل الجامعة نتيجة لتأثير زملائهم عليهم.

وهذا يتفق مع ما ذهب إليه العنقري (١٤١١: ٣٥) في دراسته التي أشارت نتائجها إلى أن هناك فئة من الطلاب يختارون التخصص بناء على إقناع وإلحاح من زملائهم، وهناك فئة من الطلاب يختارون التخصص لأن فلانا من الناس اختار هذا التخصص.

٥- المدرسة:

تعد المدرسة من أهم البيئات التي تشكل توجّه الطالب المهني وتصقل مهاراته وتنمي قدراته، فالبرامج والأنشطة التي تمارس داخل المدرسة تعد الطالب إلى مستقبل مهني سليم يُبنى على أسس علمية، ويرتكز على مبادئ وقيم اجتماعية تمهد لتغيير الواقع للأفضل والمستحيل إلى الممكن، وذلك من خلال أنشطة هادفة وأفكار واعية بما تريد المدرسة التخطيط له.

والحقيقة أن واقع المدرسة لا يحقق الحد الأدنى من التوجهات التي يسعى إليها راسم

التخطيط في هذا الوطن،فقلما نجد برامج إرشادية وأنشطة منهجية وغير منهجية تسعى لبناء توجّه مهني لدى الطلاب، الأمر الذي ينشأ عنه سلبيات عدة أهمها تسرب الطلاب من الجامعة دون إكمالها،والآخر وجود بطالة مقنّعة من حملة الشهادات التي لا حاجة لها.

ويؤكد ذلك الزهراني (١٤٢٥) في دراسته التي أشارت في نتائجها إلى أن اختيار الطالب لتخصص دراسي مناسب يتوقف على مدى معرفته بعالم العمل،وأنواع المهن،ومميزاتها ومتطلباتها وظروف العمل فيها والمستقبل الوظيفي لها،كما يتوقف على المعلومات التي يعرفها عمّا لديه من قدرات واستعدادات وميول. وكل هذا لا يتأتى إلا عن طريق برامج إرشادية تسعى لتأهيل الطالب لاتخاذ قرار يتناسب مع المستقبل الذي ينشده.

ولا شك أن عملية الإرشاد في المدرسة هي المسؤول الأول عن برامج التوجيه المهني والتي لا يمكن لها أن تقدم للطالب ما ينشده إلا بوجود مرشد متخصص ومؤهل في هذا المجال.

كما أن المنهج المدرسي يجب أن يعد الطالب للعمل، ويحقق للطالب ما يصبو إليه من توجهات مهنية، كما يجب أن يحقق متطلبات التنمية وأن يمد لها الكوادر المستقبلية وتهيئة الناشئة لذلك.

إن المدرسة بما تحويه من إمكانات بشرية ومادية باستطاعتها أن تعد الطالب لاختيار مهني ناجح يحقق طموح الطالب،وآمال أسرته،ومتطلبات التنمية والمجتمع.

ثانيا: الثقة بالنفس Self-Confidence

إن الثقة بالنفس غاية ينشدها الناس بغض النظر عن الفروق في أجناسهم، وطبقاتهم الاجتماعية، والاقتصادية لأن من يتمتع بها يشعر بالسعادة، و الرضى، ويسعى إلى التقدم دائماً. فهي تمثل دوراً هاماً في حياة الفرد، وعاملا من عوامل النمو الانفعالي، والاستقرار النفسي، والشعور بالكفاءة، والقدرة على مواجهة الصعاب(اللاحق ١٢:٢٠٠٤).

ويرى باسفير Pasveer (١٩٩٧: ١٢٩) أن الثقة بالنفس تشير إلى القبول غير الخاضع للجدل – غير المشروط- لقيمة الفرد وأفكاره ومشاعره الفطرية، وغرائزه، وانفعالاته باعتبارها مؤشرات حقيقية وصادقة للخبرة الذاتية للفرد. كما أوضح أن قيمة الثقة بالنفس تعبر عن الإحساس الصادق بما أنت عليه بالفعل وأن تشعر بما أنت عليه فعلا I am who I am and Feel what Feel.

كما أوضح ايموس وتوماس Emmons & Thomas (٢٠٠٧:٤٥) أن الفرد بدون الثقة بالنفس يمكن أن يفقد الكثير من الفرص بسبب الخوف من المخاطر أو الخوف من العواقب التي قد تحدث، ومن بين الحقائق التي يمكن رصدها عن الثقة بالنفس أنها ليست فطرية ولكنها مكتسبة.

كما تذكر الوشلي (٢٠٠٧:٣٧) أن نظرية اريكسون Erikson جعلت من الثقة بالنفس سمة

مبكرة يجب أن يكتسبها الفرد مبكراً من خلال مراحل الطفولة ليتولد لديه إحساس بالتفاعل مع من حوله، وثقته بهم، ومن هنا تبدأ أسس الشخصية النفسية بالتكوّن بشكل صحيح.

ويرى المفرجي(٢٠٠٨) إلى أن اريكسون يرى أن إحساس الفرد بالثقة بمن حوله بشكل أساس الشخصية السليمة، والتي بدورها تزوده بالشعور بالكفاية، والقدرة على الانجاز، والتغلب على مشكلاته المستقبلية.

ويذكر محمد(١٩٩٧) أن الثقة بالنفس تسهم بشكل مباشر في تحقيق التوافق النفسي للأفراد، وهي ترتبط بمفهوم الفرد الإيجابي عن ذاته، وتقديره المرتفع للذات، ومن ثم فهي تلعب دوراً هاماً في تحقيق الفرد لذاته مما يكون له أكبر الأثر في تحقيق الهوية الإيجابية.

بينما تشير مريم سليم (٢٠٠٣:٣٠) «إلى أن الدراسات العلمية دلت على أن الثقة بالنفس هي إحدى عوامل الشخصية الأساسية التي ترتبط بالتكيف العام للفرد، كما اتضح من النظريات المتعلقة بنمو الشخصية أن الثقة بالنفس ومشاعر الكفاية تبدأ في النمو في سن مبكرة وتساعد الفرد على إشباع حاجاته، كما تمكنه من تحقيق التكامل النفسي والاجتماعي، لذلك تعتبر الثقة بالنفس إحدى معايير الشخصية السوية».

وترى وداد الوشلي(٢٠٠٨) أن الصحة النفسية مرتبطة بالشخصية القوية الواثقة، والمتكاملة نفسياً، وعقلياً، واجتماعياً، فالتكامل يعبر عن التآزر، والاتساق بين مقومات الشخصية الجسمية، والنفسية ككل بحيث لا ينشأ بينهما اضطراب، أو تمارض لتحقيق الفوائد في مجال الصحة النفسية، والتوافق مع البيئة المحيطة، والتكيف الاجتماعي.

ويرى الباحث أن الثقة بالنفس من مؤشرات الصحة النفسية وحسن التوافق النفسي والرضا عن الذات وتوازن الشخصية وتكاملها والقدرة على تحمل المسؤولية.

مفهوم الثقة بالنفس: Self-Confidence Concept

يرى عبدالمتجلي (١٩٩٢: ٤٦) أن الثقة بالنفس: «حالة نفسية يكتسبها الإنسان منذ نعومة أظافره، وفي محيط أسرته، فتظل تلازمه، وتدفعه، إلى النجاح، وللمستقبل الزاهر».

ويرى المشعان (١٩٩٩: ٢١٠) أن الثقة بالنفس تظهر في إحساس الشخص بكفاءته الجسمية والنفسية والاجتماعية، وبقدرته على عمل ما يريد، وإدراكه لتقبل الآخرين له وثقتهم به، ويتسم الشخص الواثق بنفسه بالاتزان الانفعالي والنضج الاجتماعي وقبول الواقع، ويجد في نفسه القدرة على مواجهة الأزمات بتعقل وتفكير، وتذكر أمل المخزومي (٢٠٠٢: ١٣٠) أن الثقة بالنفس هي: «إحدى سمات الشخصية الأساسية التي يبدأ تكوينها منذ نشأة الفرد، وأنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتكيف الفرد نفسياً واجتماعياً، وتعتمد اعتماداً كلياً على مقوماته العقلية، والجسمية، والنفسية».

ويشير سوندرلاند Sunderland (٢٠٠٤: ٢١٢) أن مفهوم الثقة بالنفس يعني القدرة على تهيأ الفرد وضعاً معيناً بطريقة صحيحة أو تخلص الفرد من أي نقص في المهارات اللازمة ليكمل مهامه مع مراعاة إمكانية اختلاف تلك المهام من النشاط الاجتماعي مثلما يحدث عندما يحاول الفرد الاقتراب من شخص ما ليس لديه معرفة سابقة به، أو مثلما يحدث في النشاط المهني كالقدرة على تحقيق مهام يحتاجها في العمل.

في حين يرى السليمان (٢٠٠٥:١٢) أنها «حسن اعتداد المرء بنفسه، و اعتباره لذاته وقدراته حسب الظرف الذي هو فيه (المكان، الزمان) دون إفراط (عجب أو كبر أو عناد) ودون تفريط (من ذلة أو خضوع غير محمود) وهي أمر مهم لكل شخص مهما كان ولا يكاد إنسان يستغني عن الحاجة إلى مقدار من الثقة في أمر من الأمور».

ويذكر رايان (٢٠٠٦: ٩) إلى أنها ليست هي حب الذات الترجسي، أو تقدير الذات السطحي الظاهري، ولكنها شكل عميق من احترام الذات القائم على إدراك السمات الايجابية و السلبية وبعبارة أخرى أنها ليست الاعتقاد بأنني عظيم؛ بقدر ما هي الفهم الصحيح للكيفية التي تجعلني عظيماً، والمواقف التي أريد لهذه العظمة أن تظهر فيها، وكيفية استخدام هذه العظمة عندما نواجه مصاعب الحياة

وتشير وداد الوشيلي(٢٠٠٧) إلى أن الثقة بالنفس إحدى سمات الشخصية الأساسية التي يبدأ تكوينها منذ نشأة الفرد، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بتكيف الفرد نفسياً، واجتماعياً، وتعتمد اعتمادا كلياً على مقوماته العقلية، والجسمية والنفسية.

ويذكر الدسوقي(٢٠٠٨:١٩) «بأنها إدراك الفرد لكفاءته، ومهارته، وقدرته على أن يتفاعل بفعالية مع المواقف المختلفة التي يتعرض لها».

كما يوضح ايموس و توماس Emmons & Thomas(٢٠٠٧:٤٥) أن الفرد بدون الثقة بالنفس يمكن أن يفقد الكثير من الفرص بسبب الخوف من المخاطر أو الخوف من العواقب التي قد تحدث، ومن بين الحقائق التي يمكن رصدها عن الثقة بالنفس أنها ليست فطرية ولكنها مكتسبة.

العوامل المؤثرة في الثقة بالنفس:

تتعلق بعض العوامل التي تؤثر في مستوى الثقة بالنفس بالفرد ذاته، ومظاهر النمو الجسمي والعقلي المعرفي، والانفعالي، والاجتماعي لديه، كما تتعلق بعض هذه العوامل بالأسرة، والمناخ الأسري، وطرق التربية، والعلاقات مع الأقران، والمقارنات مع الزملاء والجيران، والتقبل الاجتماعي بكل مظاهره.

ويوضح ايليس (Ellis:2003:5) أن الثقة بالنفس تعتمد على بعض العوامل أهمها:

- مجموعة الخبرات المتراكمة التي يستخدمها الفرد لبناء مجموعة من المهارات.
- التعامل مع مجموعة من الأفراد يتمتعون بمستوى مرتفع من الثقة بالنفس.
- الاتجاهات الايجابية من الآخرين - ذوي الأهمية- نحو الفرد وتعليقاتهم بشأنه.
- مواجهة المواقف الصعبة التي يستطيع الفرد التغلب عليها ويشعر بعدها بالراحة.
- اعتدالية مستوى القلق بعيداً عن القلق المرتفع، أو القلق المنخفض.
- الوضع الاجتماعي للفرد، والاستمتاع بالحياة الاجتماعية.
- قيمة الاحترام التي يتمتع بها من جانب الآخرين.
- الاعتقاد النابع من الذات باتجاه الفرد نحو أفكاره ووجهات نظره الخاصة.
- التمتع بقدر من النجاح في الحياة العملية.
- القدرة على مضاعفة الشعور بالثقة بالنفس عند الحاجة.

وتضيف وداد الوشلي (٢٠٠٧) أن العوامل المؤثرة في الثقة بالنفس هي:

صحة العوامل الجسمية وسلامتها

التكيف الاجتماعي

تحسن المستوى الاقتصادي

صحة العوامل العقلية وسلامتها

صحة العوامل الوجدانية وسلامتها.

الدراسات السابقة:

أجرى مارجو وآخرون Margo et al (١٩٩٧) دراسة بعنوان تفعيل صنع القرار عند المراهقين وقد هدفت الدراسة الى تحديد العلاقة بين اتخاذ القرار لدى عينة من المراهقين والشعور بالتحكم بمستقبل حياتهم وتنمية ثقتهم. وإما أدوات الدراسة فهي برنامج تدريبي على مهارة اتخاذ القرار، يتضمن (المسؤولية - التصميم على الأهداف - تحديد الخيارات - القرار)، استبانة التحكم بالإنجاز.ومن أهم نتائج الدراسة فاعلية البرنامج المستخدم بتأثير النشاطات المستخدمة. وإن تنمية المعرفة بعملية صنع القرار تزيد إحساس المراهق بقدرته على التحكم بإنجازاته المستقبلية وكفاءته وثقته بنفسه.

وقام هولوي (Holloway(1999 بدراسة صممت لتقييم كيف أن الطلبة القياديين المرشحين وغير المرشحين يدركون مراكزهم في عدة متغيرات: الدافعية، ودفع الآخرين، واتخاذ القرار، ومهارات الإشراف والتعامل مع أنفسهم، والتكيف ومهارات الإرشاد، والتفكير الاستكشافي، والعلاقات الشخصية والاتصال وعلاقتها بالخصائص الفردية. وأكدت نتائجها بوجود علاقة دالة بين القيادة ومتغيرات الدراسة.

وبناء على ذلك قدمت النتائج عدة فرص للبرنامج التربوي ليفيد في تطوير الطلبة وبناء المهارات القيادية في أنظمة المدارس الثانوية، كما في التعليم الجامعي. كما أنها اهتمت بمتغيرات القيادة التي شملت التفكير الاستكشافي، والدافعية والتعامل مع النفس، والعلاقات الشخصية والاتصال، واتخاذ القرار، والخصائص الفردية، والتي يمكن ربطها بحاجات التكامل وتنمية الكفاية، وتكوين الذات، وتنمية العلاقات الشخصية المتبادلة، وزيادة مستوى الثقة بالنفس، وتنمية الفرض، وتنمية الاستقلالية، وقد تعتبر من مكونات القيادة.

وفي دراسة هجان (٢٠٠٠) بعنوان «واقع اتخاذ القرار على مستوى مدارس التعليم العام كما يراه مديرو المدارس ووكلاؤها»، وكذلك تعرف الفروق بين وجهة نظر أفراد العينة تبعاً للوظيفة والمرحلة التعليمية، والعمر، والمؤهل العلمي، ومدة الخبرة في مجال الإدارة المدرسية. كما استهدفت تعرف المعوقات التي تواجه عملية اتخاذ القرار في مدارس التعليم العام من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة هذا وقد تألفت عينة الدراسة من (٤٠) مديراً ووكيلاً من مديري ووكلاء مدارس التعليم العام وقد طبقت عليهم استبانة تم بناؤها من (٢٢) فقرة إضافة إلى سؤال مفتوح حول معوقات اتخاذ القرار. وقد أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين وجهة نظر أفراد العينة في اتخاذ القرار تبعاً للمتغيرات التالية: الوظيفة، والمرحلة التعليمية، والعمر، والمؤهل العلمي، ومدة الخبرة في مجال الإدارة المدرسية، وكشفت النتائج عن أبرز معوقات في المدرسة اتخاذ القرار وهي عدم توفر الوقت الكافي لتحديد الإبدال، وعدم تعاون بعض العاملين في المدرسة في تنفيذ القرارات، وعدم توفر المعلومات الكافية، وضعف الثقة بالنفس، وصعوبة تقييم الإبدال.

وأما دراسة فلوري وبوشنان (٢٠٠٢) Flouri& Buchanan فقد هدفت إلى معرفة فيما إذا كانت المهارات المتعلقة بالعمل ونماذج الدور الوظيفي ترتبط بالنضج الوظيفي واتخاذ القرار عندما يتم التحكم بالخصائص الاجتماعية السكانية، العمر، والحالة الاجتماعية الاقتصادية، والجنس، وتركيب العائلة، وبالدعم العائلي: مشاركة الأم ومشاركة الأب، وبالخصائص الشخصية: الثقة بالنفس، والتحفيز الأكاديمي، واشتملت عينة هذه الدراسة على ٢٧٢٢ مراهق بريطاني (١١٢٤ من الذكور، و١٤٠٢من الإناث، و١٩٦ لم يحددوا جنسهم في الاستبيانات)، يتراوح أعمارهم من ١٤-١٨ سنة. وقد دلت نتائج هذه الدراسة إلى أن امتلاك المهارات المتعلقة بالعمل، ووجود نموذج للدور الوظيفي، يرتبط إيجابياً بالنضج الوظيفي ولقد دلت النتائج كذلك على أن تركيب العائلة والحالة الاجتماعية الاقتصادية لا يرتبطان بهذا النضج ومن جهة أخرى، فإن التحفيز الأكاديمي، ومشاركة الأم ومشاركة الأب، والثقة بالنفس مرتبط بالنضج الوظيفي واتخاذ القرار، ولكن على مستوى ثنائي التباين وليس متعدد التباين.

وأجرى رولاند دراسة Rowland (2004) هدفت إلى البحث في مستوى الثقة عند صنع القرار الوظيفي لدى المراهقين في مدارس الثانوية في مدينة ناسو في جزر الباهاما؛ وذلك من خلال اختبار عوامل مؤثرة على مستوى الثقة عند الفرد عند اتخاذه القرار الوظيفي. لقد اشتملت عينة الدراسة على ٣٨٥ طالباً وطالبة (٢٣٠ منهم من الإناث، و١٥٥ من الذكور) في الصفوف الحادية عشر والثانية عشر. وقد تم استخدام مقياس القرار الوظيفي The Career Decision Scale، بالإضافة إلى مسح سكانيّ لدراسة ستّ عوامل تقيس تأثيرات التفاعل للعوامل المؤثرة على مستوى الثقة عند صنع القرار الوظيفي. كما تم استخدام عدة تحليلات إحصائية لحساب التباين؛ لتحديد الاختلافات وتأثيرات التفاعل بين المتغيرات التي تقيس مستوى مهارات صنع القرار الوظيفي. ولقد أظهرت النتائج أنه بالنسبة للطلبة فإن نوع المدرسة، والمرحلة الدراسية، وزيارة مكتب الإرشاد المدرسي؛ كانت جميعها عوامل مهمة، تؤثر على مستوى ثقة الفرد بنفسه عند صنع القرار الوظيفي. ولم تختلف النتائج كثيراً ما بين الجنسين.

وقام بايلي وآخرون Bailey & et al (2007) بدراسة عن مستوى الاتصال ونمط القيادة في خبرات الطيارين التي تؤثر ثقتهم في اتخاذ قراراتهم، وكانت عينة الدراسة ١٢ طياراً حيث أظهرت نتائج الدراسة أن الطيارين الذين يمتلكون خبرة طيران على مستوى عال من التواصل لديهم ثقة عالية في اتخاذ القرار.

وأجرى شيرنف chernev (2009) دراسة هدفت إلى معرفة اتخاذ القرار والثقة بالنفس وتوجهات الأهداف على طلاب الجامعة، حيث أجريت سلسلة من ٢ تجارب،وقد أظهرت الدراسة أن الطلاب الذين يميلون أن يكونوا أكثر ثقة في اتخاذ قراراتهم في المحيط أو البيئة التي يعيشون فيها لديهم أهداف مخططة مسبقاً بينما الطلاب الذين ليس لهم أهداف وطموحات مستقبلية فإنهم غير قادرين على اتخاذ أي قرار وكان من نتائج الدراسة أيضاً أن أصحاب الثقة المرتفعة لديهم ميل للإقدام نحو اتخاذ القرار عن ميلهم للإحجام عنه أي شعورهم بميل قوى نحو اتخاذ القرار بما يتناسب مع ميولهم واستعداداتهم.

وكان من نتائج الدراسة وجود ارتباط دال إحصائياً فيما بين التوجهات نحو تحقيق الأهداف والثقة في اتخاذ القرار.

تعليق عام على الدراسات السابقة :

في ضوء ما انتهت إليه الدراسات السابقة يمكننا التوصل إلى مجموعة من الاستخلاصات وأهمها ما يلي:

١- اهتمت الدراسات السابقة في البيئة الأجنبية بعلاقة القرار المهني بالثقة بالنفس بصورة

مباشرة كدراسة شيرنف chernev (2009) ودراسة رولاند Rowland (2004) ودراسة Flouri&Buchnan(2002) ودراسة Margo et al (1997) والتي أوضحت ارتباط القرار المهني بالثقة بالنفس وتحقيق الطموحات المستقبلية وأهمية الإرشاد المدرسي في القرار المهني.

٢- ندرة البحوث المهتمة بموضوع الدراسة الحالية في البيئة العربية حيث كانت أغلب الدراسات حول علاقة القرار المهني ببعض المتغيرات.

٣- غياب واضح لمثل هذه الدراسات في البيئة المحلية وهو ما يبرز أهمية الدراسة الحالية.

٤- تسعى هذه الدراسة لإيضاح العلاقة بين اتخاذ القرار المهني والثقة بالنفس وتأكيدها.

فروض الدراسة :

الفرض الأول: توجد علاقة ارتباطيه ذات دلالة إحصائية بين درجات اتخاذ القرار المهني ودرجات الثقة بالنفس لدى طلاب الصف الثالث ثانوي.

الفرض الثاني: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الطلاب مرتفعي و منخفضي الثقة بالنفس في اتخاذ القرار.

الفرض الثالث: توجد فروق ذات دلالة إحصائية لدى الطلاب الصف الثالث ثانوي في اتخاذ القرار المهني تبعاً للتخصص.

الفرض الرابع: يمكن التنبؤ باتخاذ القرار المهني من خلال الثقة بالنفس.

منهج وإجراءات الدراسة :

منهج الدراسة: اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي الإرتباطي لبحث طبيعة العلاقة بين اتخاذ القرار المهني والثقة بالنفس.

عينة الدراسة :

قام الباحث باختيار عينة عشوائية مكونة من (٢٨٩) طالباً تخصص علوم طبيعية و(١٢٤) طالباً تخصص علوم شرعية تم اختيارهم من مركز الشرق والغرب بإدارة التعليم في محافظة الطائف.

وقد استخدم المقاييس التالية:

مقياس اتخاذ القرار المهني إعداد البلوشي (٢٠٠٧)

وصف المقياس:

تكون المقياس في صورته النهائية من(٤٠)عبارة موزعة على أربعة أبعاد هي:

١- يُعد التركيز والمرونة:ويشير إلى مهارة الطالب في تحديد المشكلة تحديداً دقيقاً، وليس التركيز على الحل ويندرج تحت هذا البعد(١٢) عبارة.

٢- بُعد الوعي والحذر: ويشير إلى مهارة الطالب في جمع معلومات عن المشكلة، وعدم الاكتفاء بالمعلومات التي يعرفها فقط ويندرج تحت هذا البعد (١٠) عبارات.

٣- بعد الواقعية والتفاؤل: وتظهر مهارة الطالب في هذا البعد بقدرته على توقع نتيجة قراره، وتصور الاحتمالات الممكنة كافة، وتمتعه بواقعية في اتخاذ القرار، وذلك بحسب الظروف المحيطة وقت اتخاذ القرار، ويندرج تحت هذا البعد (٩) عبارات.

٤- بُعد التنفيذ والتطبيق: وتبدو مهارة الطالب في هذا البُعد بقدرته على تقويم نتائج البدائل والموازنة بينها، وقدرته على اختيار الحل الذي يعود عليه وعلى من يتأثروا بالقرار بنتائج إيجابية، ويندرج تحت هذا البعد (٩) عبارات.

تصحيح المقياس:

اعتمد المقياس على تدريج خماسي لتصحيح الإجابات بحيث تُحدد درجة انطباق الفقرة على المستجيب وفقاً لما يأتي: تنطبق بدرجة كبيرة جداً، تنطبق بدرجة كبيرة، تنطبق بدرجة متوسطة، تنطبق بدرجة قليلة، لا تنطبق، وأعطيت درجات (٤، ٣، ٢، ١، ٠) على التوالي، أما في حالة الفقرة السلبية فتعكس الدرجات (٠، ١، ٢، ٣، ٤) وتنحصر الدرجة الكلية على الاستبانة بين (٠-١٦٠).

صدق وثبات المقياس:

قام البلوشي(٢٠٠٧) بحساب الخصائص السيكومترية للمقاس عن طريق:

أولاً: صدق المقياس: ويتضمن صدق المقياس مايلي:

١- صدق المحكمين:

للتحقق من صدق محتوى المقياس،عرض الباحث المقياس على (خمسة عشر) محكماً وذلك للكشف عن مدى صدق فقرات المقياس وملاءمتة لقياس ما وضع لقياسه في أبعاد المقياس،وفي ضوء اقتراحات المحكمين وملاحظاتهم، أجريت بعض التعديلات على المقياس.

٢- صدق الاتساق الداخلي:

استخدم الباحث معامل ارتباط بيرسون للتحقق من مدى ارتباط عبارات المقياس بعضها ببعض والتأكد من عدم التداخل بينها،وجاءت معاملات الارتباط مرتفعة،حيث بلغت معامل الاتساق الداخلي (٠,٩٧) للمقياس ككل.

ثانياً: ثبات المقياس:

تم حساب ثبات المقياس من قبل الباحث بطريقة إعادة الاختبار، وبفاصل زمني قدره (١٤) يوماً. وكان معامل ارتباط بيرسون بين الدرجات في المرتين على مقياس اتخاذ القرار ككل

(٠,٩٢) وهي قيمة مرتفعة تدل على ثبات المقياس.

الخصائص السيكومترية لمقياس اتخاذ القرار المهني في البحث الحالي:

أولاً: صدق المقياس: قام الباحث بإجراء دراسة استطلاعية وذلك بتطبيق المقياس على عينة مكونة من(٤٠) طالبًا من أجل التأكد من صدق مقياس اتخاذ القرار المهني،وتم حساب معاملات الارتباط لكل فقرة بالدرجة الكلية للمقياس، ومعاملات ارتباط كل محور بالمحاور الأخرى وبالمجموع الكلي للمقياس كما هو موضح في الجداول التالية

- معامل ارتباط درجة كل عبارة بالدرجة الكلية للمقياس:

جدول رقم (١)، يوضح معامل ارتباط درجات عبارات المقياس بالدرجة الكلية للمقياس

رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط
1	0.54**	21	0.65**
2	0.63**	22	0.48*
3	0.84**	23	0.81**
4	0.70**	24	0.57**
5	0.53**	25	0.68**
6	0.50*	26	0.71**
7	0.88**	27	0.54**
8	0.51**	28	0.67**
9	0.49*	29	0.86**
10	0.67**	30	0.53**
11	0.47*	31	0.76**
12	0.72**	32	0.67**
13	0.72**	33	0.66**
14	0.75**	34	0.81**
15	0.69**	35	0.52**
16	0.80**	36	0.62**
17	0.59**	37	0.62**
18	0.79**	38	0.71**
19	0.77**	39	0.65**
20	0.72**	40	0.79**

** دال عند مستوى ٠,٠١ * دال عند مستوى ٠,٠٥

* معامل ارتباط درجات كل محور بدرجات المحاور الأخرى وبالدرجة الكلية للمقياس:

جدول(٢)، يوضح معامل ارتباط درجات كل محور بالمحاور الأخرى وبالمقياس ككل

المحاور	التركيز والمرونة	الوعي والحذر	الواقعية والتفاؤل	التنفيذ والتطبيق	المقياس ككل
التركيز والمرونة	-	٠.٧٢**	٠.٦٣**	٠.٦١**	٠.٨١**
الوعي والحذر		-	٠.٥٤**	٠.٥٧**	٠.٧٤**
الواقعية والتفاؤل			-	٠.٧٢**	٠.٧٩**
التنفيذ والتطبيق				-	٠.٨٦**
المقياس ككل					-

** دال عند مستوى ٠١ , ٠

بالنظر إلى جميع معاملات الارتباط السابقة نجد أنها ذات دلالة صدق كافية ويمكن الوثوق بها لتطبيق الدراسة الحالية.

ثانياً: ثبات الأداة

تم التأكد من ثبات مقياس اتخاذ القرار المهني عن طريق حساب معامل ألفا كرونباخ للمحاور والدرجة الكلية، كما في الجدول التالي:

جدول رقم (٣)، يوضح معامل ثبات ألفا كرونباخ لجميع المحاور والدرجة الكلية

م	المحـــــاور	عدد العبارات	معامل ثبات ألفا كرونباخ
1	التركيز والمرونة	12	0.89
2	الوعي والحذر	10	0.84
3	الواقعية والتفاؤل	9	0.81
4	التنفيذ والتطبيق	9	0.81
5	المقياس ككل	40	0.92

يتضح من الجدول السابق أن قيمة معامل الثبات لجميع المحاور والدرجة الكلية عالية، ويمكن الاعتماد عليها لتحقيق أهداف الدراسة.

مقياس الثقة بالنفس إعداد محمد (١٩٩٧)،

أعد هذا المقياس في الأصل سيدني شروجر (١٩٩٠) وترجمة محمد (١٩٩٧) وذلك لقياس ثقة الفرد بنفسه وتقييمه لها.

وصف المقياس:

يتألف المقياس في شكله الأصلي من (٥٤) عبارة تم استبعاد ست منها عند إجراء التحليل

العاملي ليصبح بذلك عدد العبارات التي يتألف منها المقياس الحالي من (٤٨) عبارة نصفها إيجابي ونصفها سلبي يوجد أمام العبارات خمسة اختيارات هي (تنطبق تماماً، تنطبق بدرجة كبيرة، تنطبق إلى حد ما، لا تنطبق كثيراً، لا تنطبق إطلاقاً) كما تبين أن المقياس تتوزع عباراته على ستة أبعاد موضحة على النحو التالي:

١-التحدث مع الآخرين ٢-التفاعل الاجتماعي ٣-المظهر الجسمي

٤-الايجابية و التفاؤل ٥-الأداء الأكاديمي

٦- العلاقات الرومانسية

تصحيح المقياس:

تحصل الفقرات الايجابية على الدرجات(٤-٣-٢-١-صفر) على التوالي، أما العبارات السلبية فتتبع عكس هذا التدريج. وبذلك تتراوح الدرجة الكلية للمقياس بين (صفر – ١٩٢ درجة).

صدق وثبات المقياس:

أولاً: صدق المقياس

أظهرت نتائج الصدق التلازمي وجود ارتباط دال إحصائياً عند (٠,٠١) بين درجات أفراد العينة (ن=٥٢) في هذا المقياس وبين درجاتهم في مقياس تقدير الذات الذي أعده محمد (١٩٩١م) بلغت قيمته (٠,٨٧٤) وأوضحت نتائج المقارنة الطرفية المستخدمة لحساب قدرة المقياس على التمييز وذلك بعد تقسيم درجات أفراد العينة تنازلياً إلى مستويين يمثل الأول منهما نسبة الـ٥٠٪ الأعلى (ن=٢٦، م=١٣٠,١٤٢، ع=١٠,٧٩) ويمثل المستوى الآخر نسبة الـ٥٠٪ الأدنى (ن=٢٦، م=٦٧,٨٥، ع=١١,٦٦) وأوضحت النتائج وجود فروق دالة إحصائياً عند (٠,٠١) بين المستويين عند إجراء المقارنة بينهما، وطبقاً لهذه الطريقة يزداد الصدق كلما زادت الدرجات في المستوى الأعلى عنها في المستوى الأدنى، والعكس صحيح.

ثانياً: ثبات المقياس

تم حساب ثبات المقياس عن طريق إعادة الاختبار بعد مرور ثلاثة أسابيع من التطبيق الأول، على عينة من طلاب الجامعة بلغت(٥٢) طالباً، وقد بلغ معامل الاستقرار (٠,٨٢) وتم حسابه عن طريق ألفا كرونباخ حيث بلغ (٠,٧٩)، أما عن طريق التجزئة النصفية فقد بلغ (٠,٧٦)، ومن ناحية أخرى فقد أوضحت نتائج الاتساق الداخلي أن قيم معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة و الدرجة الكلية للمقياس تتراوح بين (٠,٣٢-٠,٩١)، وهي جميعاً قيم دالة إحصائياً.

الخصائص السيكومترية لمقياس الثقة بالنفس في البحث الحالي:

أولاً: صدق المقياس ويتضمن مايلي:

١- **صدق المحكمين:** تم عرض المقياس على عدد من المحكمين وتم استبعاد محور العلاقات الرومانسية وأصبح عدد الفقرات (٤٦) عبارة

٢- **صدق الاتساق الداخلي:** تم حساب الصدق باستخدام معاملات الارتباط لكل فقرة مع المجموع الكلي للمقياس، ومعاملات الارتباط لكل محور مع المحاور الأخرى وبالمجموع الكلي للمقياس كما هو موضح في الجداول التالية:

- معامل ارتباط درجة كل عبارة بالدرجة الكلية للمقياس:

جدول رقم (٤): يوضح معامل ارتباط درجات عبارات المقياس بالدرجة الكلية للمقياس

رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط
1	0.53**	25	0.67**
2	0.64**	26	0.28
3	0.40*	27	0.62**
4	0.59**	28	0.62**
5	0.64**	29	0.63**
6	0.74**	30	0.28
7	0.46*	31	0.63**
8	0.61**	32	0.75**
9	0.61**	33	0.49*
10	0.76**	34	0.71**
11	0.77**	35	0.67**
12	0.66**	36	0.40*
13	0.34**	37	0.77**
14	0.52**	38	0.70**
15	0.54**	39	0.56**
16	0.41*	40	0.65**
17	0.56**	41	0.72**
18	0.81**	42	0.64**
19	0.33	43	0.74**
20	0.75**	44	0.51**
21	0.70**	45	0.62**
22	0.68**	46	0.79**
23	0.66**		
24	0.49*		

** دال عند مستوى ٠,٠١ * دال عند مستوى ٠,٠٥

- معامل ارتباط درجات كل محور بدرجات المحاور الأخرى و بالدرجة الكلية للمقياس:

جدول(٥): يوضح معامل ارتباط درجات كل محور بدرجات المحاور الأخرى وبالدرجة الكلية للمقياس:

المحاور	التحدث مع الآخرين	التفاعل الاجتماعي	المظهر الجسمي	الايجابية والتفاؤل	الأداء الأكاديمي	المقياس ككل
التحدث مع الآخرين	-	0.51**	0.49*	0.47*	0.67**	0.72**
التفاعل الاجتماعي		-	0.64**	0.57**	0.66**	0.80**
المظهر الجسمي			-	0.82**	0.72**	0.84**
الايجابية والتفاؤل				-	0.76**	0.81**
الأداء الأكاديمي					-	0.72**
المقياس ككل						-

** دال عند مستوى ٠,٠١ * دال عند مستوى ٠,٠٥

بالنظر إلى جميع معاملات الارتباط السابقة نجد أنها ذات دلالة صدق كافية ويمكن الوثوق بها لتطبيق الدراسة الحالية.

ثانياً: ثبات المقياس

تم التأكد من ثبات مقياس الثقة بالنفس عن طريق حساب معامل ألفا كرونباخ للمحاور والدرجة الكلية، كما في الجدول التالي:

جدول رقم (٦): يوضح معامل ثبات ألفا كرونباخ لجميع المحاور والدرجة الكلية

م	المحـــــاور	معامل ثبات ألفا كرونباخ
1	التحدث مع الآخرين	0.82
2	التفاعل الاجتماعي	0.86
3	المظهر الجسمي	0.81
4	الايجابية والتفاؤل	0.83
5	الأداء الأكاديمي	0.87
	المقياس ككل	0.90

يتضح من الجدول السابق أن قيمة معامل الثبات لجميع المحاور والدرجة الكلية عالية، ويمكن الاعتماد عليها لتحقيق أهداف الدراسة.

مناقشة النتائج:

الفرض الأول: توجد علاقة ارتباطيه ذات دلالة إحصائية بين درجات اتخاذ القرار المهني ودرجات الثقة بالنفس لدى طلاب الصف الثالث ثانوي.

للتحقق من صحة هذا الفرض قام الباحث باستخدام معامل ارتباط بيرسون لحساب العلاقة بين درجات اتخاذ القرار ودرجات الثقة بالنفس.

وفيما يلي عرض النتائج التي أسفرت عنها المعالجة الإحصائية:

جدول رقم (٧) قيم معاملات ارتباط بيرسون بين درجات اتخاذ القرار ودرجات الثقة بالنفس

اتخاذ القرار / الثقة بالنفس	التركيب والدراية	الوعي والحذر	الواقعية والتفاؤل	التنفيذ والتطبيق	الدرجة الكلية
التحدث مع الآخرين	0.24*	0.27*	0.30*	0.39**	0.31*
التفاعل الاجتماعي	0.38**	0.28*	0.33*	0.38**	0.35**
المظهر الجسمي	0.33*	0.44**	0.47**	0.40**	0.41**
الايجابية والتفاؤل	0.31*	0.44**	0.45**	0.37**	0.36**
الأداء الأكاديمي	0.43**	0.48**	0.49**	0.25*	0.44**
الدرجة الكلية	0.32*	0.37**	0.40**	0.33*	0.38**

** دال عند مستوى ٠,٠١ * دال عند مستوى ٠,٠٥

يتضح من الجدول رقم (٧) وجود علاقة ارتباطيه موجبة ذات دلالة إحصائية بين درجات الطلاب في اتخاذ القرار ودرجاتهم في الثقة بالنفس.

وجاءت نتيجة هذا الفرض لتؤكد أنه يوجد علاقة ارتباطيه موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠١) ومستوى (٠,٠٥) بين درجات الطلاب على مقياس اتخاذ القرار ودرجاتهم على مقياس الثقة بالنفس، الأمر الذي يعني أنه كلما زادت الثقة بالنفس لدى الطلاب كلما ارتفع لديهم مستوى اتخاذ القرار.

ويرى الباحث أن اتخاذ القرار يعتمد على دور الأسرة والعوامل الاجتماعية في تنشئة الأفراد على الاعتماد على النفس «الاستقلالية» وإعطائهم فرصاً تضفي عليهم صفة الذاتية في اتخاذ القرار على التعبير عن ذواتهم ورسم مستقبلهم مما يؤدي إلى زيادة الثقة بأنفسهم وهذا يتفق مع دراسة شيرنف (٢٠٠٩) chernev ودراسة بايلي وآخرين (2007) Bailey&etal ودراسة رولاند (٢٠٠٤) Rowland ودراسة Flouri&Buchnan (٢٠٠٢) ودراسة Margo

et al(١٩٩٧) في أن أكثر الأفراد ثقة في أنفسهم والقادرين على اتخاذ القرارات هم أصحاب الأهداف المخططة مسبقاً. ويؤكد الباحث انة كلما ارتفع مستوى الثقة بالنفس للطلاب كلما أدى إلى اتخاذ القرارات الهامة وادراكهم لفهمهم لذواتهم واستعداداتهم وقدراتهم وميولهم بما يمكنهم من اختيار التخصص المناسب في المرحلة الجامعية أو التعامل بكفاءة مع مهنة المستقبل.وقد أشار اليلوشي (٢٠٠٧) بأن الأسلوب المثالي في اتخاذ القرار يساهم في تكوين الميل نحو التوجه المستقبلي والتفكير في الأهداف والاهتمام باحتياجات الفرد وما هو مفيد بالنسبة له وبذل أقصى ما يمكن لمراعاة الأفكار والمشاعر والميل للثقة.

الفرض الثاني:

توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الطلاب مرتفعي و منخفضي الثقة بالنفس في اتخاذ القرار.

وللتحقق من صحة هذا الفرض استخدم الباحث اختبار (ت)

وفيما يلي عرض للنتائج التي أسفرت عنها المعالجة الإحصائية:

جدول رقم (٨) نتائج اختبار (ت) لحساب الفروق بين متوسطات درجات الطلاب مرتفعي ومنخفضي الثقة بالنفس على أبعاد مقياس اتخاذ القرار ودرجته الكلية

اتخاذ القرار	عينة مرتفعي الثقة بالنفس (ن = 103)		عينة منخفضي الثقة بالنفس (ن = 103)		درجة الحرية	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
	م1	ع1	م2	ع2			
التركيب والمرونة	41.52	6.84	37.44	7.92	204	2.52	0.05
الوعي والحذر	30.80	8.70	26.90	6.20	204	2.44	0.05
الواقعية والتقلل	30.60	4.95	25.20	6.75	204	3.84	0.01
التنفيذ والتطبيق	30.24	6.30	27.00	6.03	204	2.38	0.05
الدرجة الكلية	132.40	21.60	117.20	18.80	204	3.34	0.01

يتضح من الجدول رقم (٨) وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الطلاب مرتفعي و منخفضي الثقة بالنفس على جميع أبعاد مقياس اتخاذ القرار لصالح الطلاب مرتفعي الثقة بالنفس، حيث بلغت قيم (ت) على التوالي (٢,٥٢، ٢,٤٤، ٣,٨٤، ٢,٣٨، ٣,٣٤) وهي قيم دالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠٥) ومستوى (٠,٠١).

ويرى الباحث أن هذا يعني أن الطلاب مرتفعي الثقة بالنفس لديهم قدرة على التوافق وتحمل المسؤولية والميل إلى الإقدام نحو اتخاذ القرارات والقدرة على اكتساب الثقة فهي تلعب دوراً كبيراً في موقف الطالب من خلال الإحساس بالقدرة على مواجهة مشكلات الحياة والقدرة

على التوافق مع ظروف المستقبل والبت في الأمور واتخاذ القرارات وتنفيذ الحلول، والرغبة في الاتقان،ويؤكد ليندل هيدل (٢٠٠٥) بأن الأشخاص الواثقين من أنفسهم متفهمون لذواتهم، ولا يتوقفون عن التعرف على ذواتهم بل يهتمون بتنمية ذواتهم، ويعرفون ما يريدون ولا يخافون من الاستمرار في وضع أهداف جديدة في حياتهم، ويفكرون بطريقة إيجابية، ويتصرفون بمهارة ولا يشعرون بالتردد والانسحاب تحت وطأة المشكلات التي تواجههم.

وأن الطلاب منخفضو الثقة تنقصهم الثقة في ذواتهم ويشككون دائماً في قيمتهم ويميلون إلى الإحجام عن أي قرار فيه مخاطرة أو يعرضهم للفشل والشعور بالإرباك والمبالغة في الخطر والتردد باستمرار وقلة الإرادة، وتؤكد وداد الوشلي (٢٠٠٧) إلى أن ظهور الثقة في الشخصية يساعد على الاتزان والتفاعل ضمن المجتمع والقدرة على الاعتماد على النفس والعزم والإرادة والشجاعة ودلائل الثقة بالنفس.

وقد أشار العنزي (١٩٩٩: ٤١٨) إن مظاهر ضعف الثقة بالنفس تتمثل في الإحساس بالعجز عن مواجهة المشكلات والميل إلى التردد، والحساسية للنقد الاجتماعي والاستياء من الهزيمة والشعور بالخجل والارتباك والإحجام عن المشاركة الإيجابية.

الفرض الثالث:

توجد فروق ذات دلالة إحصائية لدى الطلاب في اتخاذ القرار المهني تبعاً للتخصص. وللتحقق من صحة هذا الفرض قام الباحث بحساب قيمة (ت) بين متوسطات درجات الطلاب على مقياس اتخاذ القرار تبعا للتخصص كما في الجدول التالي:

جدول رقم (٩) نتائج اختبار (ت) لحساب الفروق بين متوسطات درجات الطلاب على مقياس اتخاذ القرار تبعاً للتخصص

اتخاذ القرار	التخصص	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة ت	مستوى الدلالة
التركيب والمرونة	طبيعي	289	31.20	5.64	411	0.29	0.77
	شرعي	124	31.44	5.64			
الوعي والحذر	طبيعي	289	26.50	4.90	411	0.91	0.36
	شرعي	124	25.8	4.50			
الواقعية والتقابل	طبيعي	289	23.67	4.41	411	0.34	0.74
	شرعي	124	23.49	3.69			
التنفيذ والتطبيق	طبيعي	289	21.87	6.21	411	0.34	0.72
	شرعي	124	21.60	6.21			
الدرجة الكلية	طبيعي	289	104.80	18.40	411	0.014	0.98
	شرعي	124	104.40	18.00			

يتضح من الجدول رقم (٩) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات طلاب الصف الثالث ثانوي طبيعي وشرعي على مقياس اتخاذ القرار، حيث بلغت قيم (ت) على التوالي (٠,٣٩ ، ٠,٩١ ، ٠,٣٤ ، ٠,٣٤ ، ٠,٠١٤ ، ٠) وهي قيم غير دالة إحصائياً، وهذا يعني عدم تحقق الفرض الثالث.

ويرى الباحث أن تفسير هذه النتيجة يرجع إلى أن الطلاب في مرحلة الثانوية بحاجة ماسة إلى رعاية وإرشاد نحو اختيار القرار المهني المناسب حتى يتعرفوا على المعلومات الدراسية والمهنية التي تتناسب مع ميولهم وقدراتهم سواءً في اختيار التخصص المناسب لهم أو اختيار المهنة حيث من الصعب اتخاذ قرار بالنسبة لهم في سن صغيرة نسبياً لأن هذه القرارات مصيرية وعدم توافر المعلومات اللازمة لاتخاذ هذا القرار وعدم تنامي الوعي اللازم لهم نحو الاختيار المصيري سوف يقلل من ثقتهم في أنفسهم ولا يدركون مستقبل حياتهم خصوصاً في هذه المرحلة لأن الطالب يعتمد على وعي الكبار بأهمية المساندة والتشجيع له وهذا لا يظهر أحياناً عندما لا تقوم المدرسة بدورها الكامل في تشكيل توجه الطالب المهني وصقل مهاراته وتنمية قدراته وعدم تحقيق الحد الأدنى من هذه التوجيهات الأمر الذي يؤدي إلى عدم مقدرة الطلاب على اتخاذ القرار الصحيح والمصيري بالنسبة لهم.

وتؤكد دراسة رولاند (Rowland.2004) بأن نوع المدرسة والمرحلة الدراسية وزيارة مكتب الإرشاد المدرسي تساهم في رفع مستوى ثقة الفرد عند صنع القرار الوظيفي.

ويشير فلوري وبوشان (Flouri & Buchan. 2002) في نتائج دراستهما بأن الثقة بالنفس والتحفيز الأكاديمي لهما دور في اتخاذ القرار ويرى الباحث الحالي أن المدرسة بما تحويه من إمكانات بشرية ومادية باستطاعتها أن تعد الطلاب أياً كانت تخصصاتهم لاختيار مهني ناجح يحقق طموح الطالب وآمال أسرته ومتطلبات التنمية و المجتمع.

ويذكر هولوي في نتائج دراسته (Hollowy.1999) بأن البرنامج التربوي يفيد في تطوير الطلبة ودافعيتهم وقدرتهم على اتخاذ القرار والتكيف وتنمية العلاقات الشخصية والاستقلالية.

الفرض الرابع:

يمكن التنبؤ باتخاذ القرار المهني من خلال الثقة بالنفس. للتحقق من صحة هذا الفرض تم استخدام أسلوب الانحدار المتعدد الأسلوب ويستخدم للتنبؤ بمتغير تابع في ضوء بعض المتغيرات المستقلة، وفيما يلي عرض للنتائج التي أسفرت عنها المعالجة الإحصائية:

جدول رقم (١٠) نتائج تحليل الانحدار المتعدد لتفير اتخاذ القرار من خلال الثقة بالنفس

المتغيرات المستقلة	قيمة الثابت	معامل الانحدار	قيمة ف	مستوى الدلالة
الثقة بالنفس	75.89	1.27	13.34	* 0.01

* دالة عند ٠,٠١

من الجدول رقم (١٠) يمكننا استخلاص المعادلة التنبؤية التالية:

اتخاذ القرار = ٧٥,٨٩ + ١,٢٧X الثقة بالنفس

ونجد أن معادلة التنبؤ ذات دلالة إحصائية، حيث أنه تم اختيار دلالة معادلة الانحدار باستخدام اختبار (ف) وكانت قيمة (ف) = ١٣,٣٤ وهي دالة إحصائياً عند مستوى(٠,٠١) وتعني هذه المعادلة أن ارتفاع مستوى اتخاذ القرار يتبعه ارتفاع في الثقة بالنفس.، ويرى الباحث أن الثقة بالنفس تلعب دوراً مهماً في مساعدة الفرد على مواجهة تحديات الحياة والقدرة على اتخاذ القرارات والتعبير عن الذات والإفصاح عن الرأي والإحساس بالثقة بالنفس يمنح الشعور بالأمان والطاقة وإكساب روح المبادأة والقدرة على اتخاذ القرار السليم.

وأن الفرد عندما يكون واثقاً من نفسه يستطيع أن يعبر عما يريد ويتخذ أي قرار يتناسب مع إمكانياته وطموحه وقدراته.

وهذا يتفق مع نتائج دراسة كل من (Chernev. 2009. Rowland. 2004 Margeo et al.1997) بأن إيمان الفرد بذاته وثقته بنفسه تساعده في القدرة على اتخاذ القرار.

التوصيات:

إقامة برامج تدريبية وتأهيلية في القدرة على اتخاذ القرار بصورة عقلانية لطلاب الصف الثالث الثانوي في مختلف المجالات بالتعاون مع الجامعات.

تضافر كافة جهود مؤسسات المجتمع في توفير معلومات مطلوبة للطلاب عن سوق العمل والوظائف المتاحة في المجتمع وطبيعة كل وظيفة ومتطلباتها مع ميول الطلاب وقدراتهم ورغباتهم

يجب على الأسرة دعم ومؤازرة وتوجيه أبنائهم ليتمكنوا من اتخاذ قرارات مناسبة تتعلق بحياتهم الحاضرة والمستقبلية.

تنمية مستوى الثقة لدى الطلاب من خلال برامج إرشادية هادفة تساعد على تحقيق ذاتهم ومواجهة العقبات بجرأة وإقدام.

المراجع:

١- البلوشي، راشد غريب (٢٠٠٧) . بناء برنامج تدريبي مهني مستند إلى أنموذج جيلات وقياس أثره في تحسين مستوى اتخاذ القرار المهني لدى طلبة الصف العاشر في سلطنة عمان . رسالة دكتوراه غير منشورة .الأردن. جامعة عمان العربية .

٢- التوايهة، عياطة والطويل، هاشم (٢٠٠١) . أثر بعض التغيرات الديموغرافية في المكانة الاجتماعية للمهن (دراسة ميدانية) . مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، المجلد ٢٠، العدد (٢)، ص ١٢١ –١٩١

٣- جابر،عبد الحميد جابر(١٩٨٤). الذكاء ومقاييسه. القاهرة: دار النهضة.

٤- جروان، فتحي(٢٠٠٢) . تعليم التفكير – مفاهيم وتطبيقات . عمان: دار الفكر .

٥- جرير، داخل حسن(١٩٩٠). قبول الطلبة في الجامعات بين الرغبة والمؤهلات. مجلة اتحاد الجامعات العربية. العدد(٢٥)، ص ١٤٤-١٤٩.

٦- حبيب، مجدي عبد الكريم (١٩٩٧) . سيكولوجية صنع القرار. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

٧- الخزامي، عبد الكريم أحمد (١٩٩٨) . فن اتخاذ القرار مدخل تطبيقي . القاهرة: مكتبة ابن سينا.

٨- الدخيل الله، دخيل بن عبد الله (١٩٩٥). الارتباط بالوظيفة في ضوء بعض المتغيرات. مجلة دراسات نفسية، العدد (٤)، ص ٦٩٣-٧١٩.

٩- الدسوقي، مجدي محمد(٢٠٠٨). دراسات في الصحة النفسية. المجلد الثاني. . القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

١٠- رايان، أم جيه(٢٠٠٦). الثقة بنفسك. جدة: مكتبة جرير .

١١- رزق الله، رندا سهيل (٢٠٠٢) . فاعلية برنامج تدريبي لتنمية مهارة اتخاذ القرار لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي دراسة ميدانية شبه تجريبية في مدارس مدينة دمشق الرسمية . رسالة ماجستير غير منشورة . سوريا، جامعة دمشق .

١٢- الرشيدي، بشير صالح (١٩٩٩) . نظريات الاختبار وتطبيقاتها في علم النفس . مجلة النشر العلمي، الكويت، جامعة الكويت، المجلد ١٦، العدد (٢)، ص٤٦-٩٨ .

١٣- دولة، غازي (١٩٩٥) . مدى التوافق بين التفضيل المهني ومسارات التعلم الثانوي لدى طلبة الصف العاشر في مدارس أربد الحكومية . أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة الدراسات العليا،جامعة اليرموك، المجلد ١١، العدد(٢)، ص ٧٩-٩٥ .

١٤- الزهراني، عبدالرحمن علي أحمد (١٤٢٥) . علاقة اتخاذ القرار التعليمي المهني ببعض المتغيرات الشخصية والاجتماعية لدى الطلاب المتفوقين بكليتي التقنية والمعلمين بالباحة . رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة أم القرى، كلية التربية.

١٥- السبيعي، علي محسن (١٤٢٢) . أساليب التفكير وعلاقتها باتخاذ القرار لدى عينة من مديري الإدارات الحكومية بمحافظة جدة . رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة أم القرى، كلية التربية . مكة المكرمة.

١٦- سليم، مريم(٢٠٠٢). تقدير الذات والثقة بالنفس دليل المعلمين. القاهرة: دار النهضة العربية.

١٧- السليمان، هاني ابراهيم (٢٠٠٥) . الثقة بالنفس . عمان: دار الأسراء.

١٨- شكور،خليل وديع (١٩٩٧) . تأثير الأهل في مستقبل أبنائهم على ضعيد التوجيه الدراسي والمهني بحث ميداني. لبنان . بيروت: مؤسسة المعارف.

١٩- شمسان، أحمد والبيتي، خلف نصار(١٩٩٩) .الاتجاهات نحو التعليم المهني والتقني في اليمن،مجلة العلوم والمعرفة، العدد(١٤)، ص٦٤-٩٦.

٢٠- الشناوي، محمد محروس وخضر، السيد علي(١٩٩٢). الميول المهنية والتخصص والتحصيل الدراسي لدى طلاب الثانوية والجامعة. مجلة الإرشاد النفسي. جامعة عين شمس. العدد(١)،ص ٢٨٢-٣١٤.

٢١- شنودة، أمل فهمي (١٩٨٠) . القرار التربوي بين المركزية واللامركزية دراسة مستقبلية . القاهرة: الدار المصرية.

٢٢- الصراف، قاسم (٢٠٠١). التربية والمستقبل. مجلة العلوم الاجتماعية. جامعة الكويت. مجلس النشر العلمي. مجلد ٢٩. العدد(٤) .

٢٣- طاهر، هدى جعفر (١٩٩٨) سلوك النمط (أ) في علاقته بالميول والاختيار المهني . مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. جامعة الكويت. المجلد ٢٦ العدد (٤)، ص ١١١- ١٣٩ .

٢٤- عبد الباقي، سلوى(١٩٩٢). محددات اختيار التخصص الدراسي للطالبة الجامعية السعودية.مجلة علم النفس.العدد(٢١)، ص ٧٤-٨٧.

٢٥- عبد المتجلي، محمد رجاء (١٩٩٢) . الثقة بالنفس أساس بناء الشخصية. مجلة الرابطة الإسلامية. العدد (٤٦)، ص ٣٣٣.

٢٦- عبدون، سيف الدين (١٩٩٦) . اتخاذ القرار وعلاقتة بمحل التبعة لدى عينة من طلاب الجامعة في كل من السعودية ومصر . مجلة كلية التربية. جامعة الأزهر. العدد(٥٥)، ص ٣٧٣-٤١٣.

٢٧- العصيمي، دخيل ذاكر(١٤١٥) . الاختيار المهني وعلاقته ببعض العوامل الاجتماعية والاقتصادية لدى طلبة الصف الثالث ثانوي بمدينة الرياض. رسالة ماجستير غير منشورة . كلية التربية.جامعة الملك سعود.

٢٨- العنزي، فريح عويد(١٩٩٩). الثقة بالنفس وعلاقتها بالعوامل الخمسة الكبرى في الشخصية. مجلة دراسات نفسية. رابطة الإخصائيين النفسيين المصرية. المجلد ٩. العدد(٣) . ص ٤١٧-٤٣٩.

٢٩- العنقري، سلطان بن عبد العزيز(١٤١١) . مهنة المستقبل، مجلة الأمن والحياة،العدد(١٠٩)، ص٣٤-٣٦.

٣٠- الغامدي، عبد الله مفرم والراشد، إبراهيم محمد (١٤١٩). اتجاهات الطلاب نحو الالتحاق بكلية المعلمين بالرياض. مجلة رسالة الخليج. مكتب التربية العربي لدول الخليج. العدد(٧٩)، ص١٦٥-٢٢٥.

٣١- الفضل، مؤيد عبد الحسين (٢٠٠٤) . نظريات اتخاذ القرار، الأردن . عمان: دار المناهج .

٣٢- القرعان، عبدالجليل (٢٠٠٢) . أثر برنامج تعليمي مستند لنظرية ستيرغ الثلاثية لتحسين مستوى اتخاذ القرار لدى طلبة الصف الأول الثانوي . رسالة دكتوراه غير منشورة. الأردن . جامعة عمان العربية للدراسات العليا.

٣٣- كشرود،عماد الطيب(١٩٩٥)علم النفس الصناعي والتنظيمي الحديث،مفاهيم ونماذج ونظريات،الجلد الأول،منشورات جامعة قار يونس،بنغازي، ليبيا.

٣٤- كوبلاند، ستيفن (٢٠٠٠) . العادات السبع لأكثر الناس فاعلية (دروس فعالة في عملية التغيير الشخصي) . ترجمة عبد الكريم بكيل. الرياض: مكتبة جرير.

٣٥- اللاحق، عبدالله محمد(٢٠٠٥). الثقة بالنفس وعلاقتها ببعض السمات المزاجية لدى عينة من الأحداث الجانحين وغير الجانحين بمنطقة مكة المكرمة. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة أم القرى. مكة المكرمة.

٣٦- لطفي، عظمت إبراهيم(١٩٩٣). العوامل الاجتماعية المؤثرة على اختيار نوع التعليم والمهنة. مجلة حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، العدد(٢٠) ،ص ٦٨-١٢٥.

٣٧- ليندل فيلد،جيل(٢٠٠٥).الثقة الفائقة . جدة: مكتبة جرير

٣٨- مبارك، خضر ذيب (٢٠٠٢) . أثر برنامج تدريبي في الإرشاد والتوجيه الجمعي المهني على التضج المهني واتخاذ القرار المهني لدى طلبة الصف العاشر في مدارس مديرية الخليل . رسالة ماجستير غير منشورة . فلسطين . جامعة القدس .

٣٩- محمد، عادل عبدالله (١٩٩٧). مقياس الثقة بالنفس. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية

٤٠- المخزومي، أمل (٢٠٠٢م). التنشئة الاجتماعية والثقة بالنفس مجلة المنهل، المجلد ٦٣، العدد (٥٧٨) ص١٢٢.
٤١- الشعلان، عويد سلطان (١٩٩٢) . التوجيه المهني . الكويت: مكتبة الفلاح .
٤٢- الشعلان، عويد سلطان (١٩٩٩) . دافع الإنجاز وعلاقته بالقلق والاكتئاب والثقة بالنفس لدى الموظفين الكويتيين وغير الكويتيين في القطاع الحكومي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد (٢٠) ،ص ١٢٩ .
٤٣- مطاوع، هتون بن حامد حسن (١٤٢٤) . إعادة هيكلة عملية اتخاذ القرار في جامعة أم القرى بمكة المكرمة في ظل القيادة الجماعية رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى . كلية التربية.
٤٤- المقرجي، سالم محمد. (٢٠٠٨) . الثقة بالنفس وحب الاستطلاع ودافعية الابتكار لدى عينة من طلاب وطالبات المرحلة الثانوية بمنطقة مكة المكرمة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
٤٥- نصر، سعيد محمد محمد (١٩٩٧) . التطرف والاعتدال في القرار في ضوء السمات الشخصية للفرد دراسة مقارنة للقيادات من الجنسين . رسالة ماجستير غير منشورة . القاهرة ،جامعة عين شمس، كلية البنات .
٤٦- هجان، علي حمزة (٢٠٠٠) . واقع عملية اتخاذ القرار على مستوى مدارس التعليم العام . دراسة ميدانية بمنطقة المدينة التعليمية، مجلة كلية التربية،العدد (٢٤)، القاهرة، جامعة عين شمس، ص٨٩.
٤٧- الوشلي، وداد احمد(٢٠٠٧)، الثقة بالنفس وبعض سمات الشخصية لدى عينة من الطالبات المتفوقات دراسيا والعاديات في المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى.
٤٨- ياغي، محمد (١٩٩٢) . مبادئ الإدارة العامة . الرياض: مطابع الفرزدق .

49- Bailley.W;Bustamante.E;Bliss.J&Newlin.E.(2007). Analysis Of Aircrews Weather Decision Confidence As A function of Distance .Display Agreement. Communication . Leadership. International Journal of Applied Avation Studies . vol.7 (2). PP272- 294.
50- Cherneve.A. (2009). Choosing Versus Rejecting. The impact of goal – task Compatibility on Decision confidence . journal Of Social Cognition . Vol . 27(2) . pp249- 260.
51- Ellis. A.. (2003).Self- Confidence and Rational Emotive Behaviour Therapy. Journal Of Cognitive Psychotherapy. An International Quarterly. vol 17(3) pp.225-240.
52- Emmons. S.. & Thomas. A.. (2007).Power Performance For Singers. Transcending the Barriers. Oxford Univ. Press. Briton .
53- Flouri. S & Buchanan. K.(2002). The Role Of Work-Related Skills And Career Role Models In Adolescent Career Maturity And Decision. Journal of Vocational Behavior. vol 68(2) . 189-204.
54- Holloway. E (1999). "Candidates' And Non- Candidates' Perceptions of Students Leadership Factors at the University of Southern Mississippi". Dissertation Abstracts. University of Southern Mississippi. 17(3) 225-240
55- Margoe . J.& ZIMMER.MJ.& HOLMES. M..& SHANAHAN. M.(1997). The process of occupational decision-making: Patterns during the transition to adulthood. Journal of Vocational Behavior. vol 61(3). 439-465.
56- Pasveer. K.. (1997).Validating a measure of Self-Trust. the Role Of Attachment Processes. Poster. Presented at The anvil Conference. of the international Network on Personal. Relationship. Oxford Britain
57- ROWLAND. K. (2004). Career decision-making skills of high school students in the

Bahamas. Journal of Career Development31(1). 1-13.

58- Sunderland. L., (2004).Speech. language and audi logy Services in public Schools. Intervention in School and Clinc. 39 (4). 209-217.

جامعة الطائف

الأبعاد التربوية
لمواجهة ظاهرة إرهاب الانترنت

م.د. هديل مصطفي مصطفي الخولي
مدرس بقسم أصول التربية
بكلية التربية جامعة حلوان بمصر

مجلة جامعة الطائف - الآداب والتربية (التربية)
المجلد الثاني - العدد السابع - جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ - أبريل ٢٠١٢م

مقدمة:

عاش العالم من أواخر القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين والألفية الثالثة في موجة جديدة من التطور الحضاري تعتمد بشكل أساسي على التقدم السريع والمعقد لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات؛ ليمثل ذلك التطور الحقيقي للعولمة بثقافتها وجوانبها وأبعادها المتنوعة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، وتأثيراتها الايجابية والسلبية تحديًا لدول العالم النامي ومنها مصر.

وأدى الانفجار المعرفي إلى تضاعف المعرفة كل خمس سنوات، وأصبحت ثروة الأمم ورفاهيتها تقاس بما لديها من أفراد متعلمين مدربين على تطبيق ما تقلوه من معارف، وما يمتلكونه من مهارات وقدرات تؤهلهم لأداء أعمالهم والقيام بواجباتهم بوصفهم مواطنين مع التغير المعرفي الكبير، وقد ظهر نتيجة لتكنولوجيا المعرفة والمعلومات مصطلح العمل المعرفي «Knowledge work»، وعمال المعرفة هم من يمتهنون المعرفة باعتبارها مهنة يتكسبون منها ويعيشون على التبادل المعرفي[1].

وقد تمثلت التغيرات الأساسية في شكل المعرفة في الآتي[2]:

- بدأ الارتباط الوثيق بين مقدار معرفة الأفراد وانتمائهم لدولتهم - والعقد الاجتماعي بين الأفراد والدولة - في التحلل ببطء في نهاية التسعينيات وبداية الألفية الثالثة؛ إذ لم تعد الدولة هي الحارس الوحيد على إنتاج المعرفة وأصبحت المعرفة متاحة للجميع مع حماية الملكية الفكرية.
- اعتماد المجتمع الحديث أكثر فأكثر على المعرفة في كل ميادين الحياة، في الإنتاج الاقتصادي والنظام السياسي.
- ظهور أنواع جديدة لتكنولوجيا المعلومات بسبب الانتشار الواسع والسريع للمعرفة.

وتجاوز الانتشار المعرفي السيطرة المجتمعية والقطرية؛ عن طريق التكنولوجيا الحديثة بدءًا من التلفزيون وشبكات الكمبيوتر (متضمنة الإنترنت)، والأقمار الصناعية، والفاكس، وكذلك انتشار أنواع جديدة من التكنولوجيا الكيميائية والنووية، ذلك كله خلق مجتمعات جديدة -خصوصًا عبر الإنترنت- وأصبح لهذه المجتمعات مواطنوها المتفاعلون معها ومع المنظمات العالمية[3].

ودخلت التكنولوجيا وما يتصل بها من معرفة في كل جوانب حياة الأفراد والمجتمعات، فهناك تكنولوجيا الغذاء، والتقدم الطبي مما أسهم في زيادة متوسط العمر الإنساني، وبما يحقق جودة الحياة، ويحقق الرفاهية العالمية، مما يدعم المواطنة الاجتماعية[4].

ومع تزايد التغيرات والمصطلحات العالمية المتسارعة المتزايدة تتزايد الاختلافات والتناقضات

الحادثة في المجتمعات نتيجة التطورات المستمرة في المفاهيم و الرؤى[٥]، مما أدى إلى ظهور بعض المشكلات، منها مشكلة التفاهم و الاحترام المتبادل، بحيث يبني المجتمع نزعة إنسانية جديدة تتحقق فيها العالمية من خلال الاعتراف بالقيم المشتركة بين الحضارات المختلفة، وتكمن المشكلة في تحول وجهة النظام العالمي الجديد - المستوعب للمصطلحات الجديدة السابقة - من حوار الثقافات من أجل بناء عالم الإنسان (الفكر، القيم، الإرادة، و السلوك) إلى صراع الحضارات من أجل هيمنة الاقتصاد و اغتيال الهوية، و من ثم تتحقق التبعية إلى التاريخ و الثقافة و الحضارة المميزة[٦].

وبذلك جاءت التكنولوجيا الحديثة والعولمة المعرفية لتعلن نهاية الجغرافيا، مع تقدم وسائل الاتصالات الحديثة، وذلك بعد فكرة نهاية التاريخ التي طرحها فوكوياما، فقارات العالم في حالة فقدان مستمر لدعائمها الجغرافية لصالح وسائل الاتصال عبر القارية[٧]. وانتشر في العقود الأخيرة من القرن العشرين عدد كبير من المصطلحات الأكاديمية في الحديث اليومي بين فئات واسعة من المواطنين، مثل كلمة الكمبيوتر والإنترنت ومركبات الفضاء والأقمار الصناعية، وفي بعض الأحيان كلمات مثل ثقب الأوزون والجينات والاستنساخ، ودخلت مثل هذه المصطلحات إلى اللغات الوطنية، والتي تعبر عن نوع من الهيمنة للغة البلاد الآتية منها وثقافتها وخصوصا اللغة الإنجليزية[٨].

وقد أصبحت المعلوماتية والتكنولوجيا من المحددات الرئيسية لتوازن القوى، حيث التحول الكبير من تكنولوجيا البضائع والمعدات إلى تكنولوجيا صناعة المعلومات، مما ترتب عليه تغير في مراكز القوى التقليدية، تمثل في بروز طبقة تربع على عرشها نخبة من الأفراد وقليل من المؤسسات والدول التي تحتكر صناعة المعلومات، وتمتلك مفاتيح القوة والسيطرة على المستويات الدولية والإقليمية والوطنية[٩]. وقد يكون ذلك لصالح الإنسان وتفوقه، ولكنها إذا لم تحكمها القيم الخلقية الأصيلة فقد تدمر الحياة البشرية[١٠].

ويات الانترنت من أهم مكاسب الثورة المعلوماتية التكنولوجية، حيث يستطيع المرء الوصول بسهولة وسرعة إلي كم هائل من المعلومات والقيام بالبحوث ومحاورة العديد من الشخصيات والتعرف على الثقافات والجنسيات المختلفة.

وتم استغلال الانترنت في تطوير التعليم عن بعد والمعاهد التعليمية الافتراضية والمدارس والجامعات الذكية، ونشر العديد من الكتب والمدونات.

وقد منحت شبكة الانترنت - في مصر- بعد سنوات طويلة من سيطرة الحزب الواحد والأيديولوجية الواحدة مجالا لفئة متعطشة من الشباب لتداول الأفكار والآراء المتباينة في مجال ظلوه بعيدا عن الرقابة، عبر المدونات، إلي أن بدأ الأمن في التعامل بمبدأ الرقابة والمصادرة مع

المدونين، وإصدار قانون تنظيم البث الفضائي لتقنين وقمع ومصادرة حرية الرأي والتعبير على الفضائيات والانترنت من خلال وزارة الإعلام[11].

ومثال على ذلك ما قام به شباب مصر بداية من يوم ٢٥ يناير لسنة ٢٠١١، بالمطالبة بإصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية، وانتهت بتخلي رئيس الجمهورية عن الحكم يوم ٢٠١١/٢/١١، وكانت بداية الحملة عبر أحد الشبكات الاجتماعية على الانترنت، ويبرز ذلك خطورة الانترنت وخدماته وتأثيره الكبير على واقع ومستقبل الأفراد والدول.

ومع كل المزايا السابقة لشبكة الانترنت فقد أكدت بعض الدراسات وجود الكثير من السلبيات لاستخدامه منها انتشار الإرهاب وممارسته من خلال الشبكة، ومن هذه الدراسات دراسة وورن.م (Warren M)[12] التي ضرورة تصفية المحتوى غير المرغوب فيه من الإنترنت والقضاء على كمية كبيرة من المعلومات السلبية المتعلقة بالإرهاب، والقرصنة، والمواد الإباحية، والمعلومات العنصرية البغيضة، وأكدت نتائج الدراسة أن للمدارس والجامعات والكليات دورا رئيسيا في حماية الشباب من أخطار شبكة الإنترنت عن طريق تدريس أخلاقيات في عصر الكمبيوتر، وأنه ينبغي السعي إلى مناهج بديلة، بما في ذلك تقديم مزيد من الأموال لتنظيم حملات توعية وطنية على الإنترنت تغطي جميع القضايا الرئيسية على شبكة الإنترنت، وكذلك تقديم منتدى وطني للاتصال على الانترنت حيث يمكن للشباب الحصول على المشورة والدعم في المسائل المتصلة بالإنترنت.

وسلطت دراسة لين وآخرين (Lin C-H & others)[13] الضوء على السيناريوهات المحتملة لتكنولوجيا الإرهاب والحرب الإلكترونية على الشبكات، وتفضيل الإرهاب استخدام وسائل تكنولوجية جديدة مثل الإنترنت وذلك في الاتصالات، والدعاية، وجمع المعلومات ونشرها، وأكدت الدراسة على ضرورة استغلال فرص التطور التكنولوجي في مجال مكافحة الإرهاب.

واقترحت دراسة براون وآخرين (Braun B & others)[14] نظاما لفرض عقوبات جنائية على الأفراد الذين يستخدمون الإنترنت لارتكاب الجرائم الالكترونية والعمليات الإرهابية.

مشكلة البحث:

مع كل المزايا والمكاسب التي تتحقق من خلال الاستخدام الهادف الفعال للانترنت، تجد بعض الظواهر السلبية لهذا الاختراع سريع الانتشار ومنها ظاهرة إرهاب الانترنت، حيث انتشار مواقع الكترونية كثيرة تحض على الإرهاب وتشجع على التطرف بشتى أنواعه، سواء الديني أو السياسي أو الثقافي.

والخطير في ثقافة الانترنت - إذا جاز التعبير- أنها تدفع الشباب إلي مزيد من العزلة عن

المجتمع، والعيش في عالم افتراضي، يتم فيه غسل الأدمغة تحت تأثير ثقافة تجعل الفرد يعيش الحياة لحظة بلحظة، وكل لحظة مستقلة عما قبلها وبعدها، وبالتدريج يكون التخلي عن الذات والمسئولية الاجتماعية، ليصبح الشباب مجرد قطيع في عصر المعلومات المسيطر عليه القوي العظمي[٥٠]. وخصوصا في ظل التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية العلمية والإقليمية والمحلية التي تعيشها المجتمعات خاصة المجتمع المصري، و التي أفرزت آثاراً سلبية عميقة شديدة الخطورة تهدد بتراجع التنمية، وقد زاد من خطورتها غياب الدور التربوي في المؤسسة التعليمية و تقلص دور الأسرة المصرية والدور المضطرب و المتناقض للإعلام والدور الناقص للمؤسسات السياسية والدور غير الفعال للمؤسسة الدينية، حيث تحتاج المؤسسات والبني الاجتماعية والتربوية إلى إعادة تشكيل، وإلى تضافر هذه المؤسسات مع بعضها البعض، ويحتاج ذلك إلى السعي الدءوب من قبل المؤسسات التربوية المصرية إلى تبني رؤى جديدة ومستقبلية لمواجهة هذه الظواهر السلبية في المجتمع وخصوصا ظاهرة الإرهاب والذي يزداد ضراوة ووحشية بارتباطه بالتكنولوجيا الحديثة والانترنت وتطويعها لتحقيق أهدافه، لإعداد أجيال تستطيع التمييز بين الصالح والطالح، والاختيار الرشيد وإدارة التكنولوجيا بشكل يحقق التطور والتنمية المستمرة للفرد والمجتمع.

تساؤل البحث:

ما الأبعاد التربوية لمواجهة ظاهرة إرهاب الانترنت؟

هدف البحث:

يهدف البحث الحالي بشكل أساسي إلي تحليل الأبعاد التربوية لمواجهة ظاهرة منتشرة بين الشباب العربي بصفة عامة والشباب المصري بصفة خاصة وهي ظاهرة إرهاب الانترنت.

منهجية البحث:

يستخدم البحث الأسلوبين التحليليين الآتيين:

المنهج التحليلي التركيبي: وهو منهج يقوم على تقسيم الكل إلي أجزائه ورد الشئ إلي عناصره المكونه له لتوضيح جوهر الظاهرة، وكشف أجزائها المختلفة وعناصرها الأساسية وتمييزها من الفرعية، وفصل عناصرها الجوهرية وتمييزها من العرضية، ويمكن عن طريق التحليل التركيبي استخلاص النتائج بالاستقراء واستخراج تفسيرات وقواعد من شأنها أن تقدم الحلول الملائمة للمشكلة[٥١].

تحليل المفاهيم: لتحليل مفهوم الإرهاب وعلاقته بالانترنت والأمن المعلوماتي والجرائم المعلوماتية.

ولتحقيق هدف البحث وإتباعا للمنهجية سالفة الذكر يمكن أن يسير البحث وفقًا للإطارين التاليين:

١- الإطار النظري التحليلي:

ويتضمن:

- معرفة فلسفة الانترنت ودوره الاجتماعي والثقافي في العصر الحالي.
- تحليل مصطلح الإرهاب بمعناه اللغوي والقانوني والاجتماعي والسياسي والاصطلاحي والديني بشكل عام ومصطلح إرهاب الانترنت بشكل خاص مع التفرقة بين كلٍ من القوي التقليدية التي يمثلها الإرهاب التقليدي، والقوي الرمزية للعنف التي يمثلها إرهاب الانترنت.
- تحليل أسباب انتشار الظاهرة، وكيفية مواجهتها.

٢- الإطار التركيبي:

ويتم فيه استخلاص النتائج من خلال معرفة كيفية مواجهة الظاهرة، واستخراج أبعادٍ تربوية من شأنها أن تقدم الحلول الملائمة لمواجهتها.

١- الإطار النظري

شهدت المجتمعات الدولية تطورًا خطيرًا لظاهرة الإرهاب منذ عقد الستينيات، عندما أصبح أحد أهم الأساليب التي تركز عليها مخابرات الدول المختلفة في تهديدها الأمن القومي للدول التي تقع في صراع معها[١٣]. وقد انتقلت مؤسسات القهر في الدولة الحديثة من العهد الاستعماري إلى عهد الاستقلال تقريباً بدون تغيير يُذكر، وفي العديد من دول العالم الثالث تحولت الدولة إلى أداة في أيدي أوليجاركية سلالية أو دينية عائلية أو عسكرية، مما أدى إلى زيادة استخدام الدولة للقوة باعتبارها أسلوب التخاطب مع معارضيها[١٤].

وقد اتخذ الإرهاب بعدا جديدا مثيرا للقلق في القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين حيث استخدمت التقنيات الحديثة والتكنولوجيا المتطورة في تنفيذ عمليات إرهابية مدمرة بأقل مجهود عضلي ودون أن تتمكن الأجهزة الأمنية من ضبط الجناة، ولقد كان لظهور الانترنت دورٌ كبيرٌ في تنفيذ الإرهابيين لعملياتهم الإرهابية والوصول للشباب والتأثير والسيطرة عليهم وتجنيدهم.

فلسفة الانترنت:

يؤكد تاريخ الأنظمة الغربية السياسية والاجتماعية على الصراع الجذري بين نوعين من المعرفة، المعرفة بوصفها علماً، والمعرفة بوصفها ثقافة، فالمعرفة بوصفها علماً تعتمد على المبدأ العقلاني لتنظيم المعرفة، ومثال ذلك المعرفة اليونانية الكلاسيكية التي تستند إلى المبدأ العقلي، أما المعرفة بوصفها ثقافة وتظهر بوضوح في الدول التي تتيح حرية التعبير عن الرأي والديمقراطية، فمعرفة الديمقراطية ينبغي أن تسبق ممارستها، ذلك أن هناك صراعًا حقيقيًا بين المعرفة والممارسة، فمعرفة الديمقراطية ليست شرطا مؤكداً لممارستها، وبذلك فالمعرفة بوصفها ثقافة تعبر عن نفسها بانتشارها وتأثيرها على حياة المواطنين اليومية وبشكل دائم[١٩]، ويوضح ذلك التعامل مع الانترنت بوصفه أداة لثقافة عصر المعرفة يؤثر في حياة الأفراد والجماعات وليس مجرد أداة للمعرفة.

وقد سعت العولمة إلي عولمة الثقافة عبر وسائل الاتصال الجماهيري والانترنت، من خلال استخدام وسائل متنوعة لإحداث التجانس بين الشعوب وإقناع الشعوب بأن المبدأ الرئيس في الحياة هو التجانس والتشابه وليس الاختلاف في أسلوب الملبس والمأكل والتقنيات التكنولوجية، وبذلك تستطيع بعض الدول السيطرة على العالم وفرض ثقافتها[٢٠].

ويمكن القول بأن الانترنت نظام عالمي مترابط من شبكات الكمبيوتر التي تستخدم تقنية بروتوكول الانترنت، وهي شبكة من الشبكات التي تتكون من الملايين من القطاعين العام والخاص، والأعمال التجارية والأكاديمية، والشبكات الحكومية، من المحلية إلى النطاق العالمي، التي ترتبط من قبل مجموعة واسعة من تقنيات الشبكات الضوئية والالكترونية.

ويحمل الإنترنت مجموعة واسعة من المعلومات الموارد والخدمات، مثل الربط بين النص التشعبي الوثائق من شبكة ويب العالمية (الشبكة العالمية)، والبنية التحتية لدعم البريد الإلكتروني[٢١].

وقد بدأ الانترنت في نهاية الستينيات من خلال شبكة وكالة المشروعات البحثية المتقدمة (ARPA-net(Advanced Research Projects Agency وشبكة الدفاع للولايات المتحدة US defense network والتي وافقت على أول اتصال دولي من خلال الشبكة عام ١٩٧٣، وفي بداية التسعينات ومع وجود شبكات المعلومات الرقمية؛ وصلت المعلومات بسرعة حول العالم، وتم تقديم الشبكة الدولية للاتصالات (World Wide Web) بواسطة المركز الأوربي للبحث الذري CERN (European Center for Nuclear Research) عام ١٩٩١، واستطاعت كثير من الدول الأجنبية في نفس العام أن تتواصل من خلال شبكة المؤسسة الأمريكية الوطنية للعلوم

(US National Science Foundation NSF-net)، وأصبح البنك الدولي على الخط في السنة التالية، تبع ذلك البيت الأبيض في الولايات المتحدة عام ١٩٩٣، ونمت وانتشرت الشبكة العالمية واستخداماتها التجارية بشكل كبير في كافة مجالات الحياة[٢٦].

وقد مكن الانترنت الأفراد والمنظمات من استخدام أشكال جديدة تماما من التفاعل والأنشطة والتنظيم الاجتماعي، وذلك بفضل ميزاته الأساسية مثل قابليته للاستخدام على نطاق واسع والوصول لشرائح اجتماعية عديدة بفضل الشبكات الاجتماعية، ومن أمثلة هذه الشبكات فيس بوك (Facebook) وتويتر (Twitter) وماي سبيس (Myspace)، وهذه المواقع قادرة على إضافة مدي واسع ومتنوع من المعلومات عبر صفحات الويب، بالإضافة للتواصل مع الآخرين، ومواقع مثل لينكدين (linkedin) التجارية لتعزيز الاتصالات التجارية، ويوتيوب (youtube)، وفليكر (flickr)، متخصصون في أشرطة الفيديو والصور الفوتوغرافية للمستخدمين[٢٧]، وقد أتاحت الصداقات التي تتم عبر تلك الشبكات الاجتماعية الحفاظ على رأس المال الاجتماعي (social capital)، لإتاحتها التفاعلات الاجتماعية بين طوائف عديدة من البشر المتمايزين والذي قد لا يجمعهم أي نقاط مشتركة؛ لتلعب دورا حاسما أمام مشكلات الاستبعاد الاجتماعي ونقص شبكات الأمان الاجتماعي[٢٨].

ورغم قيمة هذه التفاعلات الاجتماعية وأهميتها، إلا أنه ظهرت لها بعض الجوانب السلبية، حيث أسئ استغلالها في مجالات عدة أخلاقية وسياسية واقتصادية، إلا أن أسوأ استغلال لها كان في مجالات الإرهاب وكل ما يرتبط به من نشر للأفكار الإرهابية والتجنيد حتى وصل الأمر إلي تكتيكات الإرهاب وآليات تصنيع أدواته.

تعريف الإرهاب

يأتي اصطلاح الإرهاب Terrorism من الفعل اللاتيني Terrere وتعني التخويف والذعر، وفي العصر الحديث يشير إلي قتل الأبرياء[٢٩]. وفي تقرير الأمم المتحدة نوفمبر ٢٠٠٤ وصف الإرهاب بأنه أي عمل يتسبب في الوفاة أو الضرر الجسدي للمدنيين بهدف ترويع المجموعات السكانية، أو إرغام حكومة أو منظمة دولية القيام بعمل ما أو الامتناع عن القيام بأي عمل[٣٠]، ويمثل الإرهاب شكل من أشكال الحرب غير التكافئة تستخدم - في كثير من الأحيان- عندما لا يصلح الحل السياسي أو الحرب التقليدية للوصول للنتائج واضحة وحل أنواع الصراع، مثال ذلك[٣١]:

١- الانفصال من إقليم لتشكيل دولة ذات سيادة جديدة أو أن تصبح جزءا من دولة مختلفة.

٢- الهيمنة على الأراضي أو الموارد حسب المجموعات العرقية المختلفة.

٣- فرض نمط معين من السلطة وحكومة جديدة.

٤- الحرمان الاقتصادي للسكان.

٥- المعارضة للحكومة.

٦- التعصب الديني.

وقد عبرت المادة (٨٦) من القانون المصري عن التعريف القانوني للإرهاب بأنه كل استخدام للقوة أو العنف أو التهديد أو الترويع يلجأ إليه الجاني تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي بهدف الإخلال بالنظام العام أو تعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر.

ويأخذ الإرهاب عديداً من الصور تبدأ باستخدام القوة والعنف لتتطور إلي التهديد بالضغط على إرادة إنسان ما وتخويفه مثل الاختطاف أو هتك العرض ثم الترويع وهو أعلى درجات الخوف ويخلق جوا عاما لدي مجموع أفراد المجتمع بأنهم يعيشون في رعب وخطر دائمين، ومن أمثلته تسميم مياه الشرب أو وضع متفجرات في الأماكن المزدحمة بالسكان[٢٨].

ولا يختلف إرهاب الانترنت في معناه عن الإرهاب التقليدي وإن اختلف عنه في الوسيلة وبعض الأهداف، واستغلال الانترنت بخدماته المتنوعة بفضل طبيعة الاتصالات التي تتجاوز الزمان والمكان، وزيادة فرص البحث السريع ونشر الوثائق والمنشورات الجماعية في أقل وقت وجهد[٢٩].

تعريف إرهاب الانترنت

ويعبر إرهاب الانترنت عن استخدام الانترنت بوصفه وسيلة يمكن من خلالها شن هجوم، واختراق لأنظمة الأمن والشبكات، أو توزيع فيروس كمبيوتري قوي واختراق شبكات الأمان للدول، وينظر كولمان (Colman) إلي إرهاب الانترنت بأنه ببساطة طلب للإرهاب على الانترنت[٣٠]، ويعتبر باري كولن (Barry Collin) هو المسئول عن وضع اصطلاح إرهاب الفضاء المعلوماتي للتعبير عن إرهاب الانترنت، وهي تسمية ذات دلالة تميزه عن الإرهاب التقليدي الذي يقوم على استخدام الفضاء الفيزيقي المحسوس، ويعرف بأنه القدرة على اختراق شبكات الانترنت لتحقيق أهداف عدوانية ذات طابع سياسي في الأغلب، وإن خلف وراءه آثارا سلبية تنال كثيرا من جوانب الحياة الأخرى[٣١].

ويعتمد إرهاب الانترنت في كثير من الأحيان على افتراض مفاده إمكانية التسلل للشباب أو الأفراد في أي مجتمع من خلال عرض مبادئ عامة للمجتمعات لتعبر عن صالح هذه المجتمعات من خلال قيم إنسانية في ظاهرها تدعم مبادئ أخلاقية إنسانية فيما يسمي مجتمع المجتمعات Community OF Communities وفي باطنها تعمل لصالح بعض الجماعات أو الأفراد أو الحكومات ضد أخرى / مستخدمة في ذلك وسائل الانتشار السريع مثل الانترنت أو وسائل

الاتصال الجماهيري في عمومها؛ لتستخدم بوصفها أسلحة تخدم المخططات الإرهابية العالمية International Terrorism، وتؤثر على المجتمعات والدول القومية[٣٣] - والتي تحاول البقاء- بوصفها أداة للضغط والتأثير في الخطط والسياسات[٣٤].

ويستخدم إرهاب الانترنت القوة الرمزية للعنف، والتي تختلف عن القوة التقليدية، كما يوضح جدول (١)

جدول رقم (١) [٣٤]

الفرق بين القوة التقليدية للإرهاب التقليدي والقوة الرمزية لإرهاب الانترنت

القوى الرمزية للعنف	القوى التقليدية
تعمل بالجذب	تعمل بالضغط
تعمل بالترغيب	تعمل بالترهيب
تستخدم لغة تخاطب العقول والقلوب لكسب التأييد	تستخدم لغة تؤذي الأرواح والممتلكات لاكتساب الأرض
انتزاع الإرادة الجماعية	نزع السلاح والملكية
فرض المواقف وزرع الآراء	الحصار وزراعة الألغام
توسيع نطاق الإعلام	نشر القوات
تعمل بالأجندة	تعمل بالتكتيك
تستخدم الهوائيات والفضائيات	تستخدم ترسانة الأسلحة ومنصات الصواريخ
المناورة زمنيا وجغرافيا	محدودية المناورة
تمارس بصورة مستمرة ودائمة	لها وقت محدد
تنفذ إلى طبقات اللاوعي الفردي والجماعي لتعمل بصورة لاإرادية أو شبه إرادية	تكون واعية ومباشرة
تستتر وراء تشريعات ومنظمات دولية وإقليمية	تستتر وراء التشريعات الوطنية

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على وجهة نظر نبيل علي، تحديات عصر المعلومات

ومن صور الإرهاب المنتشرة على الانترنت الإرهاب الديني وهو الإرهاب التي تقوم به جماعات أو أفراد، بدافع ديني، وطوال قرون كانت الأعمال الإرهابية التي تجرى على أسس دينية تحاول أن تنتشر بفرض نظام مؤيد لوجهة نظر المعتقد أو الرأي الديني. ونشر دين معين في حد ذاته لا يمثل بالضرورة إرهابا ولكن تبني وجهات نظر تعادي وجهة نظر دينية معينة أو رأي بلا أسس منطقية أو حوار للرأي والرأي الآخر، ووجهة النظر تلك لا تلقى الاتفاق والإجماع الديني وإنما يتبناها عادة فرد أو جماعة محددة[٣٥].

ويروج البعض لعمليات تحريف القرآن الكريم والسنة النبوية من خلال شبكة America online، بإضافة تفاسير مغلوطة ومفرضة، وتقديم معلومات خاطئة عن الإسلام، ويستخدمون الصور التي تشوه صورة الإسلام، وإهانة رموز هذا الدين من الأنبياء والصحافة وقادة الإسلام وعلمائه ودعاته، وتشكيك المسلمين في عقيدتهم[٣٦].

والإرهاب المسيحي هو الإرهاب الديني المسيحي من الطوائف أو الأفراد، من خلال بعض التفسيرات والتأويلات الفقهية الخاطئة لبعض نصوص الكتاب المقدس والتعاليم الأخرى. وهي تعتمد في كثير من الأحيان على هذا التفسير لتبرير الأنشطة السياسية العنيفة[٣٧].

الإرهاب الديني اليهودي هو الإرهاب الديني الذي يرتكبه أتباع الديانة اليهودية، بدوافع لدى بعض المتعصبين والمتشددين في تفسير العقائد اليهودية، وفي بعض الأحيان ربط المذاهب اليهودية والنصوص بالدعوى للعنف. فضلا عن القوانين التي تتطلب القضاء على الشر، وذلك باستخدام وسائل عنيفة في بعض الأحيان، موجودة في التقاليد اليهودية. وقد استخدمت التعاليم الدينية والنصوص اليهودية على مر التاريخ لتعزيز العنف من قبل المتعصبين[٣٨].

وأكثر صور العنف وضوحا العنف السياسي الصهيوني والذي يشير إلى أعمال العنف التي يرتكبها الصهاينة لأسباب سياسية، وأشهرها فرض الحماية الذي فرضه اليهود في دولة الانتداب البريطاني في فلسطين، عبر تنفيذ الإجراءات التي كانت من قبل الأفراد والجماعات شبه العسكرية اليهودية مثل الإرجون the Irgun واللي the Lehi، و الهاجانا the haganah والبلماها the Palmah، بوصفه جزءًا من الصراع بين السلطات الصهيونية والبريطانية مقابل المقيمين العرب، فيما يتعلق بالهجرة، والأراضي، والتطلعات الوطنية اليهودية، بالهجوم على الممتلكات المنزلية والتجارية، والحكومة، والبنية التحتية، والمادية، ووقوع العديد من الضحايا[٣٩].

والإرهاب الإسلامي هو مصطلح يتناول أعمال الإرهاب التي يرتكبها المسلمون لغرض تحقيق أهداف متفاوتة سياسية و/ أو الدينية، والمنظمات الإرهابية الإسلامية موجودة في جميع أنحاء العالم، ونفذوا هجمات في منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا وأوروبا وجنوب شرق آسيا، والولايات المتحدة على الأقل منذ عام ١٩٧٠. ومثال ذلك المنظمة المعروفة باسم القاعدة، بما تقوم به من إعلان عن هجمات انتحارية وعمليات الخطف والإعدام، وتجنيد أعضاء جدد من خلال شبكة الإنترنت[٤٠].

ولتوضيح معنى إرهاب الانترنت ينبغي أولا التفريق بين تعريف إرهاب الانترنت والجريمة المعلوماتية التي تعبر عن كل عمل يأتيه الإنسان بواسطة نظام معلوماتي معين إما اعتداء على حق أو مصلحة أو أية بيانات معلوماتية يحميها القانون، وإما الإضرار بالمكونات المنطقية للحاسب ذاته أو بنظم شبكات المعلومات المتصلة به[٤١]، وتعرف كذلك بأنها كل أشكال السلوك غير

المشروع أو الضار بالمجتمع الذي يرتكب عن طريق الحاسب، وهي كل نشاط إجرامي تستخدم فيه تقنية الحاسب الآلي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كوسيلة أو هدف لتنفيذ الفعل الإجرامي المقصود[١٢].

ويكون محل الاعتداء في جرائم الانترنت هو المال أو الأشخاص، وأخيرا يمكن أن يكون الحقوق الذهنية كالاعتداء على حقوق المؤلف، ومنها جرائم النصب والسب والقذف وبيع الأطفال والمخدرات (بتحديد الزمان والمكان وطريقة الدفع)، وجرائم الفتنة الطائفية التي ترتكب في غرف الحوار والمحادثة داخل شبكة الانترنت، ويديرها في الغالب أشخاص مأجورين من قبل دول أو جماعات إرهابية لها ميول عدوانية تحض على الكراهية بين الأديان وتفكيك أسرة المجتمع، وبث أفكار مغلوطة بين مجتمع الشباب[١٣].

وهناك العديد من الجرائم التي ترتكب على الانترنت بعضها تقليدي وبعضها مستحدث، والتقليدي منها ينقسم إلي جرائم ترتكب على الانترنت، وجرائم ترتكب بواسطة الانترنت؛ ليصبح مجرد أداة، والنوع الأخير يساعد في تحليل مفهوم إرهاب الانترنت، فيستخدم الانترنت باعتباره وسيلة لارتكاب الجرائم التقليدية (وهي جرائم موجودة من قبل وتطورت مع دخول التكنولوجيا) وهي نوعان أحدهما له طابع سياسي ويقصد بها الجريمة الإرهابية والآخر له طبيعة جنائية وهي الجريمة المنظمة، ويقصد بالجريمة المستحدثة المرتبطة بتكنولوجيا الانترنت ونظم المعالجة الآلية للمعلومات[١٤].

مما سبق يتضح أن:

١- كثير من الجرائم التقليدية كالسرقة والنصب والمخدرات وجرائم الجنس والتجسس والاستغلال غير المشروع وحتى الجرائم الجنائية يمكن أن تمثل جرائم معلوماتية الكترونية إذا استخدم الانترنت في القيام بها أو ارتكبت من خلاله.

٢- هناك جرائم مستحدثة نتيجة دخول التكنولوجيا واستخدام شبكة الانترنت بخدماتها المتنوعة مثل تعطيل نظم التشغيل وإتلاف نظام التشغيل للحاسبات الآلية وتلاف البرامج والمعلومات.

٣- يمكن أن تكون جرائم الانترنت جرائم إرهابية إذا اقترفت تحقيقا لأهداف إرهابية مثل بث أفكار متطرفة سواء كانت سياسية أو دينية أو عنصرية بما يعرض سلامة المجتمع وأمنه للخطر أو يضر بالنظام العام.

وتستخدم الجماعات الإرهابية الانترنت لتحقيق ثلاثة أهداف[١٥]:

١- اتخاذ الشبكة وسيلة من وسائل فك الحصار عن هذه الحركات لاسيما في جانبها الإعلامي،

٢- توظيف شبكة الانترنت لتقديم صورة الدين كما تتبناها هذه الحركات

٣- تقوية هذه الحركات ونشر رسالتها، وخلق التواصل مع عدد أكبر من الناس على مختلف الأطياف والأوساط.

كما ظهرت المقابر الالكترونية عبر الانترنت من خلال تمجيد أبطال العمليات الانتحارية، مما يزيد هذه العمليات ويعتبر حافزا للانتحاريين، وتخصص مواقع إسلامية على الانترنت عددا متزايدا من المقابر الالكترونية تمجد المجاهدين المنفذين للعمليات الانتحارية [١٦].

الفرق بين الإرهاب التقليدي وإرهاب الانترنت:

يوضح جدول (٢) الفرق بين الإرهاب التقليدي وإرهاب الانترنت كما يلي:

جدول (٢)

الفرق بين الإرهاب التقليدي وإرهاب الانترنت

الفرق	الإرهاب التقليدي	إرهاب الانترنت
الأسلحة المستخدمة أسلحة الدمار الشامل	الأسلحة التقليدية من قنابل ومفرقعات وصواريخ أسلحة الدمار الشامل أسلحة نووية وبيولوجية وكيميائية	شبكة المعلومات الدولية والفضاء المعلوماتي وخدمات الانترنت. أسلحة الدمار الشامل باستخدام الأسلحة البيولوجية المعلوماتية المتمثلة في جيوش الفيروسات الالكترونية التي تخترق حدود الدول لتشيع الخراب والفوضى في أرجاء البنية المعلوماتية.
الخطورة	يمثل خطورة على أمن وأمان وسلامة الأفراد والمجتمعات	أخطر وأشد ضراوة من الإرهاب التقليدي، وذلك لتعدد وتنوع واتساع أهدافه مع توفير قدر كبير من السلامة للمهاجمين، وضمان عدم تعرضهم للخطر أو اكتشاف هويتهم، أو المواقع التي شنوا هجومهم منها
حجم الخسائر	خسائر ملموسة في الجوانب المادية والبشرية ويمكن تقدير حجم الخسائر بشكل مباشر	خسائر مباشرة وملموسة وأخرى غير مباشرة تتضح على المدى البعيد تصل آثاره إلى القضاء على إمكانات أي دولة في توفير الحاجات الأساسية لسكانها.
الزمان والمكان	يحدث في زمان ومكان محددين	تتنوع الأماكن التي يضرب بها الإرهاب محليا وإقليميا ودوليا، ويمتد على جهات متنوعة في أزمنة ممتدة متغيرة ويبقى آثاره لفترة طويلة ويؤثر على نطاق واسع.
أنواعه	• إرهاب الدولة لمواطنيها من خلال أجهزتها الرقابية والتنفيذية (الشرطة، والجيش، القضاء)، بوصفه نوع من العنف الرسمي والحكومي، بهدف ضمان استمرار النظام الحاكم والحفاظ على الوضع الراهن، وتقليص حجم ودور القوى المناوئة للنظام، ورد الفعل الطبيعي لكل هذا العنف، عنف مقابل (عنف شعبي) بممارسة العنف من قبل المواطنين، أو جماعات معينة ضد النظام[١٠]. ويسمي أيضا الإرهاب الهيكلي الذي يعرف عموما بأنه الأعمال الإرهابية التي تقوم بها الحكومات في السعي لتحقيق أهداف سياسية بوصفه جزءا من سياستها الخارجية[١١]. • إرهاب دولة مهيمنة على دول أخرى أو إرهاب مجموعات وجماعات على دول وذلك في نطاق الإرهاب الدولي، لفرض دولة ما فلسفتها وأهدافها على دول أخرى، وتهدف تلك الإستراتيجية إلى تحقيق نتائج سياسية[١٢]. • إرهاب الأفراد ويعني العنف السياسي المسلح الذي يقوم به الأفراد ضد دولتهم أو ضد دولة أخرى، أو ضد أفراد آخرين، ويطلق عليه إرهاب الضعفاء، أما إرهاب الدولة فإرهاب الأقوياء[١٣]	• إرهاب المؤسسات: يعبر عن اختراق شبكات اتصال المؤسسات والتفاذ على قواعد البيانات التي تتضمن المعلومات الحيوية عن أنشطتها، والتجسس عليها من قبل منافسيها مثل اختراق البنوك المركزية (البنوك السودانية في إطار حملة مكافحة الإرهاب)[١٥]. والنوع الآخر من إرهاب المؤسسات يتمثل في التعسف الالكتروني ويقصد به الهجوم على شبكات المعلومات من طريق توجيه مئات الآلاف من الرسائل الالكترونية إلى مواقع هذه الشبكات مما يزيد الضغط على قدرتها على استقبال الرسائل من المتعاملين معها، مما يؤدي إلى وقف الشبكة؛ مما قد يدمر البنية التحتية الخاصة بأنظمة المعلومات في العالم بأسره، وليس فقط المؤسسات الكبرى أو بعض الدول المستهدفة[١٥]. • إرهاب ضد الدول: يتمثل الإرهاب الالكتروني للدول في إمكان النفاذ إلى شبكات التحكم في المرافق العامة؛ مما يتسبب في الشلل التام للبنى التحتية الأساسية، واحتمال تدميرها بالكامل، ويشمل الإرهاب الالكتروني للإضرار بالمصالح الاقتصادية للدول[١٥]. • إرهاب ضد الأفراد: يمثل تهديدا للخصوصية الفردية من خلال النفاذ على ما يتناوله البشر من أحاديث عبر الشبكة، والذي ينتج عنه الابتزاز المعلوماتي، وتقمص الرجال شخصية النساء والعكس[١٥].

المصدر: إعداد الباحثة

والفكر المتطرف وما ينجم عنه من ظاهرة ممارسة الإرهاب هي القمة في سلسلة من الممارسات الفكرية والعلمية، تبدأ من[٢٨]:

١- عدم الاستماع إلى الرأي الآخر وعدم المبالاة بالفكر على المستوى الفردي والجماعي.

٢- العدوانية والعنف في مواجهة أفكار الآخرين وممارستهم، ومحاولة طمسها والتصدي لها.

٣- محاولة القضاء على المخالفين قضاءً جسدياً- وإيذائهم باليد والقوة، وبالقتل والاغتيال أو أي تشويه جسدي- وجعلهم أمثلة لغيرهم ممن يحتضنون أفكارهم وتلك هي مرحلة الإرهاب الإجرامي.

أسباب انتشار الظاهرة، وكيفية مواجهتها:

أدي انتشار التكنولوجيا إلي سقوط الأمن تحت وطأة الشعور بالظلم والإحباط والكيل بمكاييل مختلفة؛ ولذلك ظهر الإرهاب وشاع العنف وظهر ما يسمي «الحرب الموازية» التي تستخدم كل الأساليب التكنولوجية في سرعة الحركة والمفاجأة والتفكير فيما لا يمكن التفكير فيه مما لا يحكمه قيد أو حد ولا يؤدي إليه العلم أو توازن القوي مهما كانت دقة العلم وحساباته[٢٩].

وجدير بالذكر أنه من الممكن مواجهة أخطار الإرهاب وذلك بالوصول للأمن المعلوماتي للسيطرة على كافة أنواع المعلومات ومصادرها وحمايتها من السرقة والتشويه والابتزاز والاستخدام غير المرخص[٣٠].

وبالرغم من آلاف المواقع المحجوبة التي لجأت لها بعض الدول مثل تونس وسوريا، فقد ظهر للنور مقابل هذه الأعداد الضخمة آلاف من المواقع الجديدة التي يطرح الكثير منها نفس أفكار المواقع المحجوبة بل تتجاوزها في شدة التقد وغزارة المعلومة[٣١].

وبذلك يواجه التقدم في أساليب المقاومة والمكافحة للمواقع الإرهابية تقدم مضاد في التكنولوجيا وأساليب التغلب على أساليب المقاومة بما يطلق عليه (التكنولوجيا والتكنولوجيا المضادة)، وظهرت مصطلحات جديدة تعبر عن هذه الحالة مثل حرب المعلومات أو حرب الشبكات أو الإرهاب الرقمي أو الحروب التخيلية، وغير ذلك من المصطلحات التي تنم عن مدي الفزع والنظرة المتشائمة للمستقبل، وهي حروب بلا دماء ولكن آثارها التدميرية والتخريبية هائلة[٣٢].

- يتيح الانترنت بخدماته المتنوعة مثل غرف الدردشة والمحادثة فرصاً لنشر الفكر المتطرف وتنسيق هجمات الإرهابيين وتجنيد الأفراد، وتم استغلال بعض المواقع لتقديم الدروس لصنع القنابل اليدوية واستخدام الصواريخ وإطلاق النار، وتوسيع الشبكات الجهادية والتي تستغل في الكثير من الأحيان من تنظيم القاعدة كنوع من الإعلام الجهادي[٣٣]؛ لعرض أفكار بعض الحركات الدينية واتخاذ الشبكة وسيلة من وسائل فك الحصار عن تلك الحركات، ويعتبر

الانترنت وسيطا افتراضيا لتمرير فكر هذه الحركات، ليكون الانترنت بذلك مصدرا للحرب النفسية أو العنف الموجه ضد الأفكار والعقول، ويكون أشد من العنف التقليدي الموجه ضد الأشخاص والممتلكات[٦١].

ويستطيع الإرهابيين الاستفادة من مزايا الانترنت في الأتي[٦٢]:

١- استخدام الانترنت في جمع الأموال من خلال التبرعات أو التدريب أو أخذ مشورة الخبراء أو المساعدة في عمل وثائق مزورة أو تبادل الأسلحة.

٢- السعي إلي حشد التأييد من قبل بعض المنظمات والوكالات الأخرى

٣- قد يرتبط الإرهاب ببعض الجرائم الأخرى مثل غسيل الأموال والمخدرات، واستخدام هذه الأموال غير المشروعة في تمويل الأنشطة الإرهابية العدوانية ودعم أعمال الوحشية والعنف ضد الضحايا الأبرياء.

٤- يستخدم الانترنت باعتباره وسيلة غير مكلفة لتنظيم وتنفيذ أنشطة جمع الأموال بشكل مباشر من خلال غرف الدردشة والمكاتبات الالكترونية لجمع الأموال من مؤيديهم، أو يستخدم بشكل غير مباشر من خلال الوصول لمستخدمي الانترنت وطلب تبرعات لقضاياهم بإقناع أو بعنف.

٥- استغلال الجمعيات الخيرية ومواقع التجارة الالكترونية لجمع الأموال بشكل خفي، لكسب ثقة المتعاطفين مع القضايا الإنسانية وذلك بالاستغلال المباشر وتحويل الأموال مباشرة للحركات الإرهابية أو التسلل عبر فروع الجمعيات الخيرية وجمع الأموال خلسة ويمكن التسلل للجمعيات المشروعة واستغلال قاعدتها التمويلية لتمويل عمليات إرهابية عن طريق الانترنت.

- حقق الإنترنت أهمية جديدة باعتباره أداة سياسية في الحملات الانتخابية، وطلب التبرعات، واستخدم من خلال العديد من الجماعات السياسية لتحقيق طريقة جديدة لتنظيم صفوفهم من أجل تنفيذ مهماتهم، واستخدم من قبل بعض الحكومات، مثل إيران، وكوريا الشمالية؛ للدفاع عن مواقفها السياسية وجذب المؤيدين لها، ونشر فكرهم السياسي والديني؛ مما أدى إلى الرقابة على الإنترنت من قبل بعض الدول[٦٣]. ويحمل الانترنت العديد من الرسائل السياسية عن أهمية العمل الفوري للإصلاح السياسي للدول وتعبئة الشباب للعمل داخل مجموعات المصالح، ورمز وأداة لسياسات ما بعد الحداثة[٦٤]. ويرى هارفي أن «ما بعد الحداثة تمثل تغيراً حقيقياً في مستوى من مستويات التشكل الاجتماعي، وهذا التغير وليد تطورات جرت على مستوى أعمق في النسق نفسه، ويعزو هارفي التغيرات الاقتصادية والثقافية إلى كونها استجابة لأزمات الرأسمالية التقليدية، ويرى أن التطورات الحادثة في عالمنا تجعل منه عالماً تتغير فيه

الأشياء بصورة سريعة، وفى الوقت نفسه حطمت وسائل الاتصال الحديثة الحواجز المكانية، وأصبح من المهم للأماكن - وهى المواقع الجغرافية الفعلية - أن تميز نفسها عن غيرها، من أجل أن تكون مكاناً يجذب الاستثمار، فكانت نتيجة هذه العملية هي التفتيت وعدم الأمان والتقلب السريع في اقتصاد عالمي مترابط ترابطاً شديداً، يقوم على انتقال رؤوس الأموال[٦٥].

- يؤثر الانترنت على سلوكيات الأفراد اليومية وأسلوب حياتهم وتشكيل وعيهم حيث أن زيادة وتطور وسائل الاتصال والتفاعل في المجتمع المصري يغير بشكل مطرد السلوكيات والأنماط الاجتماعية في المجتمع وهذا التغير المستمر إذا لم يصادفه آليات وسياسات تربوية تساعده على المضي في طريقه وتقويمه يمكن أن ينحرف عن المسار ويخترق تقاليد وعادات المجتمع، ويتحول تدريجياً ليصبح معوقا للتنمية في المجتمع، ويصل لأقصي انحرافه ويأخذ أشكالاً جديدة من الإرهاب والتطرف.

وقد سارعت دول العالم المتقدم في اتخاذ التدابير اللازمة للحد من الإجرام المعلوماتي العابر للحدود ومن ذلك مجلس أوروبا الذي حرص على التصدي لهذه المشكلة والتعامل معها بشكل جذري من خلال اتفاقية بودابست المتعلقة بالإجرام الكوني، والتي تتكون من ثمان وأربعين مادة تتناول القوانين الإجرائية والاختصاصات القضائية والتعاون الدولي؛ للقضاء على هذه الجرائم[٦٦].

وقد حاول المجتمع الدولي وضع قانون للانترنت من خلال المؤتمر الأول لوضع قانون الانترنت وإصدار إعلان حول ما يلي[٦٧]:

١- ضرورة تأسيس الجمعية الدولية لقانون الانترنت لكي تكون الخط الاستراتيجي العالمي للتنظيم القانوني للعالم الافتراضي.

٢- تأسيس جمعيات إقليمية ومحلية لقانون الانترنت حول العالم.

٣- تشكيل المجموعة التأسيسية للجمعية الدولية لقانون الانترنت.

وعليه صدر إعلان القاهرة عام ٢٠٠٤، وقد عقد المؤتمر التأسيسي الأول بالقاهرة وانبثق عنه الجمعية المصرية لقانون الانترنت وعرف قانون الانترنت بأنه الاتجاه الوظيفي الجديد للتنظيم القانوني للعالم الافتراضي.

مما سبق يتضح أن أسباب ظاهرة إرهاب الانترنت بعضها يرجع إلي أسباب تكنولوجية من خلال ما يتيحه الانترنت من مزايا وخدمات، تساعد على الانتشار السريع والمنظم، وأسباب أمنيه لمزاياه المتعددة في إمكانية الهروب والتخفي دون ترك أي أثر يذكر، وصعوبة التعقب من الأجهزة الأمنية، وبعضها سياسي لاستغلاله من قبل السياسيين وجماعات المصالح والسلطات لنشر أفكارها أو مساعدتها لتحقيق ما ترنو إليه من أهداف، وأيضا يوجد أسباب اقتصادية

تجمع وتحويل الأموال والتبرعات بطريقة آمنة وعدم السماح أو صعوبة تعقبها، وأخرى اجتماعية ثقافية تتمثل استغلاله للتأثير في سلوكيات الشباب والعلاقات الاجتماعية بينهم وبين المجتمع الكبير، بما يتيحه من فرص للتعبير عن ذواتهم بحرية، دونما رقابة أو نقد من الكبير، واستغلال حماس الشباب وسذاجة ثقافتهم الدينية والتاريخية والسياسية - في بعض الأحيان- للقيام بأعمال تحت مسميات ومقاصد قد تكون في ظاهرها خيرية ونبيلة ولكنها تحمل في طياتها أغراضها الحقيقية من تخريب وإرهاب.

وعلى ذلك تحتاج مواجهة الظاهرة إلي حلول متكاملة لها جوانب متعددة تكنولوجية وأمنية وسياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية. وترى الباحثة أن خير من يجمع تلك الجوانب ويضمن نجاحها في القضاء على ظاهرة الإرهاب هي التربية، بما تتيحه من عمليات ضبط وتنشئة اجتماعية تساعد على تحديد الشكل والنموذج المثالي للمواطن في مجتمعه.

ومما هو جدير بالذكر، اختلاف شكل المواطن باختلاف كل مجتمع عن غيره ويختلف باختلاف الوسط الاجتماعي والبيئة التي يعيش فيها الفرد وطبقته الاجتماعية، والفترة الزمنية التي يعيش فيها، وتتحدد قوة التربية بمدى تأثيرها في الأجيال الشابة التي تمثل الواقع والأجيال المستقبلية، وتكتشف جوانب الاختلاف والتمايز بين الشباب لتقوي المواهب والاستعدادات[٦٨].

وبذلك يبرز بشدة دور التربية بمؤسساتها المختلفة التي تؤدي أدوارا تربوية مباشرة وغير مباشرة، مقصودة وغير مقصودة لحماية المجتمع وتنشئته تنشئة سليمة تساعده على التطور والنمو والوصول للأمن على كل الأصعدة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية والشخصية.

٢- الإطار التركيبي

ويتم في هذا الإطار تناول الأبعاد التربوية لجهود مواجهة إرهاب الانترنت بشتي صوره وأشكاله.

الأبعاد التربوية لمواجهة ظاهرة إرهاب الإنترنت:

ينبغي أن يكون للتربية رؤية واضحة ودور فعال في مواجهة ظاهرة إرهاب الإنترنت؛ لتؤدي هدفها الأسمى وهو إعداد الفرد للحياة - من خلال انخراطه فيها ليطورها للأفضل - وللوصول لهذا الهدف تنطلق الرؤية من مجموعة من المنطلقات كما يلي:

١- الوعي بأن الاتجاه السلبي من الانترنت اتجاه خيالي؛ لانتشار الانترنت الذي فرض وجوده من خلال عدد كبير جدا للمواقع والصفحات الالكترونية لها فوائدها وأضرارها ولكن ينبغي ألا تترك بلا توجيه للإساءة والبث المعادي من الشبكة والذي قد يكون أقوي من الأنشطة العلمية التي تعتمدها الشبكة.

٢- لما كان كل من مستخدمي الشبكة يحمل دينا وفكرا وثقافة يسعى في الكثير من الأحيان إلي نشرها والدفاع عنها من خلال الشبكة وتعبر فقط عن فكر من أنشأها[٦٩]. ولذلك ينبغي مقابلة الفكر بالفكر وأن يدخل التربويون هذا المجال لحماية الشباب وتربيتهم بطريقة حديثة تتوافق مع المستحدثات والتحديات.

٣- أهمية تكاتف جهود كل المؤسسات القائمة على عمليات التربية والتنشئة الاجتماعية للشباب بدورها المنوط بها لتنمية وتثقيف الشباب وإعداده للمواطنة الفعالة.

٤- التحدث مع الشباب بلغة عصرية وتكنولوجية وعلمية وموضوعية، حتى لا يتركوا المجال لغير المتخصصين ليلعبوا بعقول ووجدان الشباب.

٥- تربية عقل الشباب تربية تساعده على الحكم الصحيح والموضوعي على الأقوال والأفعال.

٦- وترتكز هذه المنطلقات على التسليم بأن تطور اقتصاد المعرفة بمفهومه الشامل يتوقف على تربية العقل الإنساني تربية متكاملة، وبغياب العقل تنتهي المسئولية الاجتماعية والقانونية وتتوقف القدرة على التعلم والاختيار والاستخدام الأمثل للمعرفة. وكما تحول الاقتصاد من اقتصاد الآلات والعقارات والمصانع والمواد الخام إلي اقتصاد المعرفة، فقد تحول التعليم من التركيز على المهارة اليدوية والعضلية إلي التركيز على المهارة العقلية، فالذي يملك العقل المتعلم، والمرن، والمتكامل، هو الذي يملك الثروة والغنى[٧٠].

٧- الإيقاع السريع والمتزايد السرعة لمجتمع المعلومات والمعرفة، مقارنة بالإيقاع البطئ نسبيا الذي تتسم به عمليات التطور التربوي المحكوم بدوره بقوانين التغير الاجتماعي، الأمر الذي يؤدي إلي حدوث فجوة زمنية بين مطالب التغير الاجتماعي المحكوم بالتدفق المعرفي وبين أداء المؤسسات التربوية واستجابتها لتلك المطالب.

انتشار أجهزة الكمبيوتر والاتصالات في المجتمع المصري بكل طبقاته وأوساطه، في كل المجالات وخصوصا بعد تبني سياسة الحكومة الالكترونية، مما يوسع من استخدامها في المؤسسات الاجتماعية لتؤدي أغراضا تربوية.

وبذلك تحتاج التربية لمواجهة ظاهرة إرهاب الانترنت؛ بالإسهام الفعال لكل المؤسسات الاجتماعية والتعليمية التربوية، لتحقيق التربية بمعناها الواسع الذي يتضمن أبعادا تربوية متعددة، وهذا يتضح في شكل رقم (١).

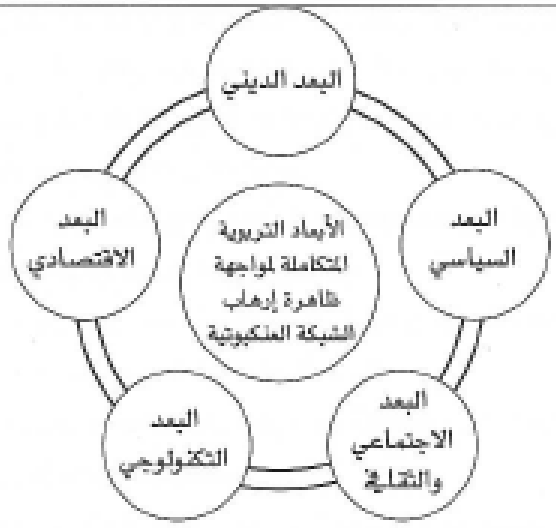

شكل (٢)

الأبعاد التربوية لمواجهة ظاهرة إرهاب الشبكة العنكبوتية

المصدر: إعداد الباحثة

البعد الديني:

استخدم الانترنت من قبل الجماعات والمنظمات الإرهابية التي تتستر تحت مسميات دينية لدعم الفتنة الطائفية في بعض البلاد أو إقناع الشباب ببعض أهداف هذه الجماعات وتجنيدهم أو تدريب الشباب على القيام بالأعمال الإرهابية تحت مسمى الدين أوجمع التبرعات أو تحديد المواقع والأهداف الحيوية في الدول التي لا تتوافق مع هذه الجماعات.

واستخدام مثل هذه الجماعات للانترنت يؤدي إلي زيادة انتشارها ويزيد من إمكاناتها لتحقيق أهدافها، ويحتاج ذلك من التربية أن تقوم مؤسساتها بدورها المنوط به، فينبغي أن تقوم دور العبادة بوصفها مؤسسة دينية تربوية بالدور المنوط بها لتوعية الشباب بأبعاد هذه الظاهرة، وذلك كما يلي:

١- تتغير لغة الخطاب في المؤسسات الدينية لتنتهج لغة جديدة يفهمها الشباب وتؤثر فيه، لغة تعتمد على الإقناع والمنطق والقدرة على الحوار في الأمور التي بها اجتهاد والتي لا تتضمن نصوصا واضحة في الكتب السماوية.

٢- استخدام المؤسسات الدينية للانترنت لنشر أفكارها ومبادئها بخطاب متجدد راقي، تحت

إشراف حقيقي لدور العبادة والمراكز الدينية على بعض المواقع التي تعرض التفسيرات الصحيحة للدين، ونشر مواقع أخرى تهدف إلي حوار الأديان يشرف عليها أهل الثقة من رجال الدين لتوضيح العلاقة الصحيحة بين الأديان وأن جميعها ينبع من نبع واحد؛ لدرء الفتنة الطائفية وليعم السلام والأمن الاجتماعي.

٣- تشجيع الشباب على ارتياد هذه المواقع وذلك باستخدامها تكنولوجيا الوسائط المتعددة التي تكامل بين الصوت والصورة لإيصال المعلومة السليمة.

٤- توعية الشباب بأصول الدين الصحيح بلا تطرف أو تهاون، ليستطيع الشباب الحكم على المواقع المختلفة وعدم الوقوع فريسة للجماعات الإرهابية.

٥- استخدام اللغة العربية والترجمات للغات أجنبية يفهمها الشباب في كل أنحاء العالم ليتجاوبوا ويتحاوروا للوصول للإدراك والفهم الصحيح للدين.

وفي هذا الصدد ينبغي الإشارة إلي أن كثيراً من الكنائس الأوربية استخدمت الانترنت لنشر الدعوات الدينية، وهناك بعض المواقع لجامعات إسلامية[٦٦]، وينبغي العمل على زيادة المواقع العربية ليتسنى لها مخاطبة أفرادها بسهولة وموضوعية، في مواجهة التيارات الدينية والمذهبية المختلفة.

والأمر لا يقتصر على دور العبادة والمراكز الدينية وإنما على الأسرة بوصفها المؤسسة التربوية الأولى التي تقوم بعملية التوجيه الخلقي للطفل وغرس القيم الخلقية والدينية، وتشجيع الطفل على القيام بفرائض دينه والحكم على ما يقدم من خطاب في المؤسسات الاجتماعية المختلفة، وذلك من خلال ما يلي:

١- مساعدة المؤسسة الدينية في تعريف الأبناء بصحيح الدين.

٢- إرشاد الأبناء إلي ما ينفعهم وما يضرهم، وأسس الحكم على الخير والشر، وتوعية النشء بأمر دينهم، ومراقبتهم المستمرة ومعرفة المواقع والأفكار التي يداولونها على الانترنت.

٣- الحوار الدائم مع الأبناء ومناقشتهم في أمر دينهم ودنياهم، وتوضيح العلاقة المتكاملة بين الدين والدنيا.

٤- غرس القيم الإنسانية وما يتفق معها من عادات وتقاليد تحض على الفضائل وتحترم الآخر وتؤصل قيم الصدق والأمانة والاحترام المتبادل للصغير والكبير.

ويكمل دور الأسرة ودور العبادة في تربية النشء للتصدي لإرهاب الانترنت دور المدرسة والمنظمات التعليمية بتربية الطلاب تربية عقائدية وقيمية وأخلاقية، وتحصنهم بأساليب تربوية تشجع على التفكير الناقد لاختيار الأفكار والآراء ونقدها، والقدرة على تحليل هذه الأفكار

واستخلاص الجيد من الرديء، كما تشجع الطلاب على احترام الرأي والرأي الآخر من خلال توضيح نقاط الاتفاق بين الأديان في القيم وقصص الأنبياء، مع احترام خصوصية كل دين من الأديان، وذلك كما يلي:

١- الاهتمام بالتعليم الالكتروني في مراحل التعليم المختلفة من الروضة إلى التعليم العالي والجامعي.

٢- إنشاء مواقع خاصة وصفحات بكل مؤسسة تعليمية تجمع طلابها وأساتذتها معا.

٣- عمل منتديات عامة وثقافية ودينية توجه الشباب وتحاورهم وتكون تابعة لكل مؤسسة تعليمية

٤- دعوة رجال الدين لمحاورة الشباب داخل المؤسسة التعليمية أو عبر موقعها الالكتروني.

٥- ويشارك المؤسسات السابقة مؤسسة لها دور رئيسي ومحوري ومؤثر عند التحدث عن التكنولوجيا الحديثة والانترنت وهي جماعة الرفاق التي تتسع عبر حلقات المناقشة والمنتديات وغرف الدردشة لتشمل شباب من خلفيات ثقافية واجتماعية مختلفة، ولذلك ينبغي أن يشارك الشباب الجاد المؤمن برأيه في هذه الخدمات وأن يشارك رجال الدين في منتديات خاصة تتيح الحوار البناء مع الشباب وتعريفهم بصحيح الدين بحيث تتيح تفاهم بين الشباب من أعمار متقاربة مما ييسر توصيل المعلومة بشكل أكثر إقناعا.

ويأتي أخيرا دور المؤسسة الإعلامية في نشر القيم والحقائق للشباب بلا تزييف، ومناقشة التفسيرات الدينية بشكل مبسط يتيح القدرة على التواصل مع الجماهير من خلفيات اجتماعية وثقافية مختلفة، ودورها التحذيري لعرض الأفكار والمواقف المتعارضة مع الدين وتحذير الشباب من مخاطر التكنولوجيا الحديثة، ولكل وسيط إعلامي دوره الهام في التصدي لظاهرة إرهاب الانترنت، ويمكن تلخيص المعايير الأخلاقية في الوسيط الإعلامي في الآتي:

أ- ألا ينزلق نحو الترويج له -دون قصد - أو على الأقل تبريره، وصياغة خطاب إعلامي موضوعي ومتزن وشامل حول الإرهاب الديني دون التحيز لوجهة نظر دون أخرى.

ب- ألا يتم التعامل مع الأحداث والأخبار بوصفها سلعة يتم الترويج والإعلان عنها بشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة من خلال تضخيمها أو استغلالها لترويج الرأي العام، أو استغلالها للتحريض أو التضليل ونشر الأفكار المتطرفة.

ج- أن يكون للوسيط الإعلامي هدف ورسالة واضحة سياسية واجتماعية وتربوية.

د- الترويج لثقافة الحوار وإشاعة روح التسامح القائم على الاعتراف بالتعددية الدينية والثقافية.

هـ - مواجهة الإعلام الإرهابي بالحجة والمنطق وليس بالتهديد والوعيد غير المبرر.

البعد السياسي:

تضطلع العديد من المؤسسات السياسية بالقيام بأدوار أساسية في مواجهة ظاهرة الإرهاب بشكل عام وإرهاب الانترنت بشكل خاص ومن هذه المؤسسات:

تبدأ التربية السياسية من الأسرة، وهي المؤسسة الأولى التي تزرع جذور عملية التطبيع الاجتماعي، وغرس قيم الانتماء والمواطنة، والتي يكتسبها الطفل في سنوات عمره الأولي وتؤثر في قيمه واتجاهاته في المستقبل، وهي في سعيها لتحقيق هدفها في تربية الطفل عي قيم ومبادئ المجتمع تعمل على تنشئته تنشئة سياسية، فإما أن تكون الأسرة تسلطية يسيطر أحد الوالدين على مجريات الأمور ويهمش الأفراد الآخرين فتكون أسس الدكتاتورية والتسلط، وبذلك ينشئ الفرد ضعيفا عنيفا لا يتقبل الرأي الأخر ومتزمتا في أفكاره، مما ييسر السيطرة عليه من قبل الجماعات المتشددة دون رقابة الأسرة، أو يربي الفرد داخل أسرة متحابة تشجع على الحوار والاعتراف بالأخطاء فتربي أبنائها على قبول الرأي والرأي الأخر والقدرة على النقاش وحل المشكلات، والمصارحة والشفافية، مما يكون حائط صد منيع ضد الإرهاب بشتى صوره التقليدية والحديثة.

وتتعاون مع الأسرة في هذا الصدد، **المؤسسات السياسية مثل الأحزاب والروابط والنقابات**، وهي منابر للعمل السياسي، وتعمل هذه المؤسسات على زيادة وعي المواطنين بمجتمعهم ومشكلاته، وتحفيزهم على المشاركة الفعالة، من خلال تدريبهم على الحكم الموضوعي للأمور واتخاذ القرارات وتنمية وعيهم بمصالح أمتهم والتكامل بين المصلحة الشخصية والمصلحة العامة وجعل مصلحة المجتمع فوق كل المصالح والاعتبارات وذلك عبر برامجها وأنشطتها، والحوار الفعال مع كافة القوى السياسية الأخرى، وبذل تواجه الإرهاب وتتصدي له بشكل فعال نابع من إيمان الفرد بأهميته وقدرته على تطوير مجتمعه، وحبه وانتمائه لهذا المجتمع.

وتؤدي **المؤسسات التعليمية** دورا بارزا في التربية السياسية للفرد مما يتيح المواجهة الفعالة للإرهاب وذلك كما يلي:

١- الاهتمام بالتثقيف السياسي للطلاب من خلال مناقشة القيم والاتجاهات السياسية وأنظمة الحكم للمجتمعات المختلفة، ودور الفرد في صنع القرار.

٢- الاهتمام بالأنشطة السياسية في المؤسسات التعليمية بدءا من التعليم قبل الجامعي وصولا إلي التعليم الجامعي؛ ليعبر الطلاب عن أرائهم بحرية وربطهم بمفكري المجتمع وعلمائه.

٣- الاهتمام بمقررات مثل التربية الوطنية أو التربية القومية والتاريخ؛ لدورها في تشكيل وعي الطلاب بماضيهم وتضحيات الزعماء في الحفاظ على الوطن، ودوره في تشكيل حاضر الوطن ومستقبله وحمايته من الأخطار المحيطة به.

٤- نشر قيم حقوق الإنسان وتأصيل مبدأ كرامة الوطن من كرامة أفراده والتوازن بين حقوق المواطن وواجباته، فحقه في الأمن والأمان يقابله واجب حماية الوطن من الإرهاب والتطرف وأخطار الداخل والخارج.

٥- تنمية وعي الطلاب السياسي، وتحقيق المعادلة الصعبة بين واجب التنوير و مزلق القهر الفكري و التسلط، و التأكيد على الوظائف و الأدوار التوجيهية للمدرسة والمعلمين؛ لتحقيق التنشئة السياسية، والاجتماعية للطلاب.

٦- تربية شباب المستقبل بصيغة تجمع بين المحلية و العالمية، و تؤكد على التسامح و التآلف مهما اختلفت الأوطان مع نبذ التعصب و العنصرية مهما اختلفت الأديان، بما لا يتعارض مع المعاني المقصودة للذاتية الثقافية أو الهوية الحضارية.

٧- التأكيد على أهمية تنمية مدركات الطلاب بصورة كلية تجسد وجهة نظرهم حول علاقة الفرد بمجتمعه، كما تحددها قيم الولاء و الانتماء، وأن يدرك الطلاب أن ما يحققه الفرد من إنجازات تنمية مجتمعه هو في حقيقته رصيد بشري تتقاسمه المجتمعات، و بذلك فالفرد يعمل من أجل خير مجتمعه أو الجماعة التي يعيش فيها، أو بنظرة أعمق و أوسع من أجل خير الإنسانية.

أما المؤسسة الإعلامية فلها دور كبير من خلال رسائلها الإعلامية بالصوت والصورة لتوعية الشباب لخطورة وسلبيات الانترنت في نقل صورة غير حقيقية للمجتمعات، وعرض الحقائق موثقة ومدعومة بآراء أهل الثقة من السياسيين والمثقفين؛ لتكون الصورة حقيقية ومعبرة عن الظاهرة بسلبياتها ونتائجها المدمرة.

ويلاحظ استغلال الكثير من الدول والهيئات والمنظمات للإعلام لفرض أجندتها الخاصة وتهديد أمن الدول بمعلومات مغلوطة مع الفضاء المفتوح لكل الآراء والاتجاهات مما يحمل على كاهل المؤسسة الإعلامية الوطنية أن تتصدي لكل تلك الآراء بصدق وموضوعية وحيادية تجعل المواطنين على ثقة فيما تقدمه بلا زيف أو افتراء.

البعد التكنولوجي:

نتيجة لعصر المعلومات والتكنولوجية المتقدمة، أصبح للإعداد للحياة والمجتمع التكنولوجي أهمية قصوى؛ للإسهام الفعال في تقدم الوطن ونموه، ولذلك ينبغي أن تساهم فيه كل المؤسسات التربوية بداية من الأسرة، وذلك من خلال:

١- تشجيع أبنائها على استخدام التكنولوجيا مع أخذ التدابير الكافية لحمايتهم من سلبياته.

٢- وعي الأسرة بأهمية التكنولوجيا وكونها ليست من الكماليات ولكنها جزء لا يتجزأ من حياة الأفراد وسلوكياتهم اليومية ومدخلا للمستقبل.

٣- محو الأمية التكنولوجية والتعامل الذكي مع التكنولوجيا بما ينفع الناس.

ويبرز في هذا الشأن دور قوي للمؤسسة الإعلامية التي توجه أفراد المجتمع من خلال بث رسائل إعلامية واضحة ومحددة لمخاطر التكنولوجيا وايجابياتها، واستخدام الوسائل التكنولوجية للتواصل الفعال مع الجماهير، وأداء مهمتها المتمثلة في التوعية والتربية والتثقيف.

فقد طورت الوسائط الإعلامية آلياتها ووسائلها تبعا لتطور المجتمعات، وأصبحت السرعة من أهم مميزات الإعلام المعاصر، نظرا للتقنيات الحديثة بدءا بوسائل الاتصال الأرضية وانتهاء بوسائل الاتصال الفضائية؛ مما يجعلها أداة قوية لنشر خطاب تكنولوجي يوضح الدور الايجابي للوسائل التكنولوجية واستخدامها الأمثل لمنفعة الفرد والمجتمع.

ويبرز كذلك دور المؤسسات التعليمية والتي تواجه تحديا ضخما متمثلا في قدرة النظام التعليمي على إعداد أجيال على أسس معلوماتية، وتحويل النظام التعليمي من الاعتماد على النظم التقليدية المعتمدة على تلقين معلومات معروفة سلفا إلي نظام معلوماتي يساعد على توليد أفكار جديدة واكتشاف عوالم والاستقصاء والبحث المتجدد عن المعلومات وحمايتها وتحليلها بما يساعد على الوصول للأمن المعلوماتي والمجتمعي.

وبذلك تصبح الحاجة ملحة إلى تعليم دقيق صارم قادر على إدارة التكنولوجيا المتقدمة و التدفق المعرفي الهائل، و قادر على استيعابه، و يمثل التحاماً وتقارباً بين التعليم و التكنولوجيا، وذلك بعد أن أصبح الهدف من التعليم العالي في عصر العولمة وتكنولوجيا الاتصالات و المعلومات هو تخريج أجيال جديدة (منتج جديد) يستطيع العمل في سوق العمل الإلكتروني العالمي المعتمد على تكنولوجيا الاتصال و المعلومات و نظم المعرفة الذكية؛ وذلك لاختلاف البيئة الاقتصادية و الاجتماعية المحيطة بنظام التعليم بشكل عام والتعليم العالي بشكل خاص اختلافاً جذرياً عن مؤسسات ما قبل الإنترنت و التطور التكنولوجي و المعلوماتي، مما يخلق فرقًا جوهريًا بين التعليم التقليدي و التعليم الحديث؛ ليصبح التعليم يعني بالتعليم مدى الحياة و التعلم المستمر، مع تعلم كيفية إنتاج التكنولوجيا واستخدامها، وقد أصبح التعليم يتم بشكل فعال عن طريق الخدمات المتعددة لشبكة الانترنت والقدرة على التواصل عبر شبكات الاتصالات و بواسطة الكمبيوتر والمؤتمرات المرئية والمسموعة، والأقمار الصناعية، والمحادثات عن بعد والتي تطورت مع نظام التعليم عن بعد وانتشار المكتبات الإلكترونية والبريد الإلكتروني وخدمات البحث ومؤتمرات الفيديو.

ومع انتشار أجهزة الكمبيوتر والاتصالات، وإنتاج نظم المعلومات الرقمية أو ما يسمى بالبيئة الفضائية «Cyber Space» أصبحت الجامعات موجودة بالفعل و لكنها في واقع الأمر ليست

حقيقة مادية بل كيانا إلكترونيا، يلتقي فيه الطلبة و المعلمون بواسطة أجهزة الكمبيوتر و شبكة الاتصالات العالمية[٣٠]، كما ظهرت الجامعة الافتراضية « Virtual university»، و هي ليست جامعة للتدريس عن بعد فحسب، و لكنها جامعة تستخدم الإنترنت بديلاً للوسائل التعليمية (الكتاب و أشرطة الفيديو... الخ) ليصل التعليم للطلاب في أي مكان [٣١].

ويتطلب العصر المعلوماتي التكنولوجي معلما واعيا بالمستحدثات قادرا على استخدامها بشكل فعال بما يخدم العملية التعليمية، مستوعبا لطلابه ومحاورا لهم، وبذلك نبتعد عن نمط المعلم المبرمج أو الآلي الذي يؤدي أدواره التعليمية دون النظر في التطورات والمستحدثات المجتمعية والتكنولوجية والتعليمية، المعلم الموظف الذي يؤدي وظيفة محددة دون أن يرتبط بميول وقدرات الطلاب.

البعد الاجتماعي والثقافي:

وتهتم بشكل أساسي بالمحيط المجتمعي المفرز للإرهاب وتحاول التقليل من آثاره وذلك بخلق نوع من التجانس الفردي والاجتماعي بين أفراد المجتمع من خلال الأنشطة التعاونية بينهم وتبادل الحوار بالاستماع للآراء المختلفة واحترامها مع إقرار مبدأ أن الاختلاف في الرأي لا يفسد العلاقات الطيبة بين الأفراد.

ويتم هذا الحوار داخل **المؤسسات الاجتماعية** المختلفة وفي الندوات والصالونات الثقافية، وخلال ممارسة الأنشطة الرياضية، وخصوصا في المؤسسات التعليمية، التي ينبغي أن تعد الشباب مستندة إلي مبدأ الحوار البناء والتفاهم المشترك، و تفعيل دور كل من الأخصائي الاجتماعي والأخصائي النفسي؛ للمساعدة في الكشف عن المشكلات والعقد النفسية لدي الشباب والمساعدة في حلها أو التقليل من آثارها عليه مما يعطي الشباب وقاية حقيقية من الإرهاب، والاهتمام بالتربية الدولية، الذي يطور المعرفة و المهارات و الخبرات، ويساعد الطلاب على اتخاذ القرارات المناسبة و المشاركة في عالم يتميز بالتعددية الثقافية و المنافسة الاقتصادية الدولية، و التعامل مع طلاب و علماء من بلدان مختلفة، مع رؤية العالم بوصفه نظاماً به علاقات سياسية و اجتماعية واقتصادية وبيئية وتقنية متداخلة متشابكة عبر الحدود، والتواصل بين الأقطار و البلدان المختلفة، اقتصاديا وثقافيا.

ويبرز هنا دور **مؤسسات المجتمع المدني** التي تساعد على ترسيخ مبدأ التضامن الاجتماعي وتقلل الفجوة بين الأغنياء والفقراء بالتركيز على الأهداف والعوامل الإنسانية، ولابد أن تكون مصادرها ومصادر تمويلها واضحة ومعلنة، ويتطلب ذلك محاسبتها ومراقبتها المستمرة حتى لا تنحرف عن مسارها بتمويل أعمال مشبوهة.

وكذلك تعمل **المؤسسة الإعلامية** على تسليط الضوء على النماذج الجيدة في المجتمع،

وترسيخ القدوة لدي الشباب، وعرض لتجارب ومعاناة البعض من الإرهاب وأثاره المدمرة للفرد ذاته وأسرته ومجتمعه.

وبذلك على التربية استخدام الداء ليعبر عن الدواء، بمعني استخدام الأسلحة الإعلامية والانترنت وشبكات التواصل التي ينتشر عبرها الإرهاب لمحاربته ونشر الأفكار الصحيحة والتحاور في المبادئ الأخلاقية بمدخل نسبية القيم ونسبية المعرفة حسب المواقف والقيود الأخلاقية لكل دولة والتي لا تتعارض مع القيم الإنسانية المطلقة وإنما تعارضها يكون في أسلوب تطبيقها وممارستها في الدول المختلفة ثقافيا وتاريخيا وفلسفيا.

البعد الاقتصادي:

يحرك الاقتصاد التطور التكنولوجي بتوفير الموارد اللازمة لاكتمال البنية التحتية للقاعدة التكنولوجية، وتؤثر التكنولوجيا في تطوير الاقتصاد، ولذلك ينبغي إعداد أجيال منتجة ومستخدمة للتكنولوجيا وليست مستهلكة فحسب، لتستطيع امتلاك مفاتيحها وبالتالي تسخيرها لخدمة أهدافها، والوصول للأمن المعلوماتي والتكنولوجي الذي يوفر حماية أكيدة ضد مخاطر الإرهاب والجرائم الالكترونية، وعلى المؤسسات التعليمية أن تؤدي دورها في هذا الإطار من خلال توفير الدعم المالي اللازم للقيام بالآتي:

١- الاهتمام بالمتفوقين والمبدعين في شتي المجالات وخصوصا التكنولوجية منها، ورعايتهم وتشجيعهم على الاكتشاف والاختراع.

٢- تدريب الطلاب على البرمجة وبرامج الحاسب المتقدمة؛ للتعامل مع التكنولوجيا المتقدمة بإيجابية.

٣- تحويل البيئة التعليمية التقليدية لبيئة ذكية توفر الدعم لمبادرات التكنولوجيا الحديثة، وتسخر التكنولوجيا لخدمة المجتمع.

٤- توصيل المدارس بشبكات الانترنت للتعامل الفعال معها.

٥- تفعيل دور المراكز التكنولوجية وإنشاء مراكز جديدة في شتي المحافظات، والتي تهدف إلي التخطيط والتنفيذ والمتابعة لمشروعات التطوير التكنولوجي، ونشر مفاهيم المعلوماتية في التعليم قبل الجامعي والجامعي، وذلك باستخدام تكنولوجيا التعليم وتكنولوجيا المعلومات وشبكات الاتصالات والوسائل التعليمية الحديثة، مع دعم اتخاذ القرار التعليمي.

٦- نشر وتوظيف دور نوادي العلوم والمراكز الاستكشافية للعلوم والتكنولوجيا، التي تهدف إلى إيجاد مناخ يعمل على تنمية القدرات الابتكارية للشباب، بتوفير الإمكانات العلمية والمرجعية، بحيث يتمكن الطالب من إطلاق قدراته في البحث العلمي، وربط المعلومات بالتطبيق، وإدخال

الحاسبات باعتبارها عنصراً أساسياً في الحصول على المعلومات، وتطويرها لتصبح مراكز محلية للإنتاج التكنولوجي لتدريب الشباب من الصفر على الإنتاج في مجالات متعددة كالالكترونيات والحاسبات والبرمجيات، وربط المعلومات و النظريات بتطبيقاتها والقيام بالتجارب وعرض أحدث الاختراعات العلمية، كما تساعد قوافل التكنولوجيا – وهي الصورة المتنقلة لمشروعي نوادي العلوم والمركز الاستكشافي – على انتقال التكنولوجيا والتطبيقات العلمية إلى المناطق النائية.

٧- ضرورة التنسيق بين السياسات التعليمية والسياسات التكنولوجية، وإنشاء المعاهد والمؤسسات التعليمية المتخصصة في المجالات والعلوم التكنولوجية.

ويبرز أهمية التنسيق بين المؤسسات التعليمية والتكنولوجية **والمؤسسات الإعلامية** بوسائطها المتعددة في وضع آليات للاهتمام بالنشء منها:

- تبني مشروع للمخترع الصغير في البرمجيات ووسائل الحماية.
- عقد المسابقات للشبكات الاجتماعية المتميزة واضحة الأهداف والرؤى.
- تطوير الأهداف التربوية للبرامج الإعلامية الترفيهية والثقافية وبرامج الأطفال؛ لتهدف إلي نشر الوعي الاجتماعي والتكنولوجي والتعريف بالعنف والإرهاب بشكل مبسط ومحبب، دون نشر للصور التي تجرح المشاعر أو تدعو للعنف.

ويكون **للقطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني** دورها في هذا الإطار من خلال توفيرها للإمكانات المادية اللازمة للتطوير التكنولوجي والتوعية بمخاطر الإرهاب مع التنسيق بين الأطراف المختلفة لعملية التنمية التكنولوجية، وبلورة سياسة واضحة لإنشاء صناعة معلومات وطنية، من أهدافها مقاومة الإرهاب بشتى صوره وخصوصاً إرهاب الانترنت.

مما سبق يتضح بشكل جلي أهمية تكامل الأبعاد التربوية؛ للوصول إلي التربية السليمة التي تضمن الأمن والأمان في مجتمع يعتمد بشكل أساسي على التكنولوجيا المتقدمة والانتشار المعلوماتي السريع، فمن يسيطر على مفاتيح العلم والتكنولوجيا يمتلك العالم أجمع ويكون ذلك بمثابة حائط صد ضد حملات الإرهاب الفكري والثقافي في عصر العولمة والتغيرات السريعة المتوالية في الهياكل الاجتماعية؛ الأمر الذي يسبب ضغطًا كبيرًا على الأفراد وخاصة الشباب؛ مما يعطل العمل والإنتاج في المجتمعات، ويزيد الفجوة بين العالم النامي والعالم المتقدم، ويتسبب في تأخر التنمية في المجتمعات.

المراجع

1 - Martin J. Finkelstein & Others: Dollars , Distance & On Line Education . American Council Of Education . Oryx Press . Usa. . 2000 . P.P. 270 -271.

2 - Gerard Delanty. Challenging Knowledge (The University In The Knowledge Society). Open University Press. Buckingham. 2001. P.P 4-5.

3 - John Urry. Global Flows And Global Citizenship. In: Engine F. Isin. Democracy . Citizenship And The Global City . Routledge . London & New York . 2000 . P.P. 64-67.

4 - Diana Kendall & Others. Sociology In Our Times . Nelson . Thomson Learning . United States . Second Edition . 2000 . P. 662

5 - Anne Edward & Others. Rethinking Teacher Education. Routledge Flamer. London & New York. 2002. P.16.

٦ – عبد الودود مكروم: الإسهامات المتوقعة للتعليم الجامعي في تنمية قيم المواطنة، مجلة مستقبل التربية العربية، المجلد العاشر، العدد ٣٣، ابريل ٢٠٠٤، ص. ص ٨٦٥– ٨٦٦.

٧ – بول فيريليو: نهاية التاريخ أم نهاية الجغرافيا، في: كاميليا صبحي: الإرهاب الفكري وبزوغ العولمة، ترجمة كاميليا صبحي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨، ص.ص ١٤٨–١٥١.

٨ – أحمد أبو زيد: المعرفة وصناعة المستقبل، وزارة الإعلام، الكويت، ٢٠٠٥، ص.ص ١٨–١٩.

٩ – هتمي جروان: رعاية المبدعين والتحديات العربية، مجلة آفاق، تشرا دورية، الشبكة العربية للتعليم المفتوح والتعليم من بعد، العدد (١٤)، إبريل ٢٠٠٢، ص ٩.

١٠ – علي أحمد مدكور: التربية وثقافة التكنولوجيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٣، ص.ص ٢١٠–٢١١.

١١ – الجمعية المصرية للنهوض بالمشاركة المجتمعية: تقرير حالة الديمقراطية في مصر (نحو بناء ديمقراطية جديدة)، الجمعية المصرية للنهوض بالمشاركة المجتمعية، و Undlfe(The United Nations Democracy Fund)، القاهرة، مارس ٢٠٠٩، ص.٢٤.

12 - Warren M. An Alternative To Censoring The Net (Filtering Out Objectionable Content From The Internet). Information Age Journal. Issn. 1324-5945. 2010. pp.76-78.

13 - Lin C-H. Liou D-Y. Wu K-W. Opportunities And Challenges Created By Terrorism. Technological Forecasting & Social Change Journal. . Volume. 74. Feb 2007. Issue. 2. PP.148-164

14 - Braun B & Others. A Proposed Federal Criminal Statute Addressing The Solicitation Of Commercial Terrorism Through The Internet. HARVARD JOURNAL ON LEGISLATION Volume. 37 Issue. 1. 2000. Pages. 159-185

١٥ – علي أحمد مدكور: مرجع سابق، ص.٢١١.

١٦ – هلالي عبد اللاه أحمد: تفتيش نظم الحاسب الآلي وضمانات المتهم المعلوماتي "دراسة مقارنة"، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨، ص.١١.

١٧ –. أحمد جلال عز الدين: الإرهاب السياسي والتطور الديمقراطي، في: علي الدين هلال وآخرون: النظام السياسي

المصري (التغير والاستمرار)، أعمال المؤتمر السنوي الأول للبحوث السياسية، مركز البحوث والدراسات السياسية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٨٥١.

١٨ - علي الدين هلال: مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث، في: علي الدين هلال وآخرون: التطور الديمقراطي في مصر، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٦، ص ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

19 - Gerard Delanty. Op.Cit . P.P. 1-2.

20 - Arun Appadurai: Disjuncture And Difference In The Global Cultural Economy. In: Hugh Lauder & Others. Education. Globalization. And Social Change. Oxford University Press. Oxford. 2006. P.187

21 - Wikipedia (Free Encyclopedia). Internet. Wikipedia.2011. Http://En.Wikipedia.Org/Wiki/Internet.

22 - Leonard J. Waks. How Globalization Can Cause Fundamental Curriculum Change. An American Perspective. In: Hugh Lauder & Others. Education. Globalization. And Social Change. Op.Cit.. P.P.842-843.

23 - Wikipedia (Free Encyclopedia).Internet. Op.Cit.. P.P.1-2

24 - Tess Ridge.. Fitting In. & .Joining In.. Social Relations And Social Integration. In: Hugh Lauder & Others. Education. Globalization. And Social Change. Op.Cit.. P.P.435-436

25 - Wikipedia (Free Encyclopedia). Terrorism. Wikipedia.2011. Http://En.Wikipedia.Org/Wiki/Terrorist

26 - Rick Lawhorn. Does Internet Terrorism Exist?. Massachusetts Institute Of Charles M.Rest Technology. 2008

27 - Wikipedia (Free Encyclopedia): Internet And Terrorism. Wikipedia.2011. Http://En.Wikipedia.Org/Wiki/Internet__And__Terrorism

٢٨ - حسنين المحمدي بوادي: مرجع سابق، ص ص.١٩-٢١

29 - Gerard Delanty. Op.Cit.. P.119

30 - Eben Kaplan. Terrorists And The Internet. Council Of Foreign Relations. 2009. Http://Www.Cfr.Org/Publication/1005/

٣١ - حسنين المحمدي بوادي: إرهاب الانترنت (الخطر القادم)، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص.١٠٩.

32 - Fazal Rizvi & Bob Lingard. Globalization And The Changing Nature Of The Oecd.S Educational Work. In: Hugh Lauder & Others. Education. Globalization. And Social Change. Op.Cit.. P.267

٣٣ - بيبا نوريس: الفارق الرقمي (الميثاق المدني)، وفقر المعلومات والانترنت الدولي، ترجمة هشام عبد الله، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٦، ص.٦١

٣٤ - نبيل علي: مرجع سابق، ص.٢٤٤

35 - Wikipedia (Free Encyclopedia). Terrorism. Op.. Cit.. P.4

٣٦ - عبد الله عوض راشد العجمي مرجع سابق، ص ص.٣٩٩، ٤٠١

37 - Wikipedia (Free Encyclopedia). Christian Terrorism. Wikipedia.2011. Http://En.Wikipedia.Org/Wiki/Christian__Terrorism

38 - Wikipedia (Free Encyclopedia). Jewish Religious Terrorism. Wikipedia.2011. Http://En.Wikipedia.Org/Wiki/Jewish__Terrorism

39 - Wikipedia (Free Encyclopedia). Zionist Political Violence. Wikipedia.2011. Http://En.Wikipedia.Org/Wiki/Zionist__Political__Violence

40 - Wikipedia (Free Encyclopedia). Islamic Terrorism. Wikipedia.2011. Http://En.Wikipedia.Org/Wiki/Islamic__Terrorism

٤١ – هلالي عبد اللاه أحمد: جرائم المعلوماتية عابرة الحدود، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص.٢١

٤٢ – عبد الفتاح بيومي حجازي: الدليل الجنائي والتزوير في جرائم الكمبيوتر والانترنت (دراسة متعمقة في جرائم الحاسب الآلي والانترنت)، دار الكتب القانونية، المحلة الكبرى، ٢٠٠٤، ص.ص.٥،١.

٤٣ – محمد أمين الرومي: جرائم الكمبيوتر والانترنت، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣، ص.١٣٠.

٤٤ – حسنين المحمدي بوادي: مرجع سابق، ص.٦٩.

٤٥ – مركز الدراسات والترجمة: إعلام القاعدة وأساليب الجهاد الالكتروني، مركز الدراسات والترجمة، بيروت، ٢٠١٠، ص.٩٧.

٤٦ – المرجع السابق نفسه، ص.١١٧.

٤٧ – حسنين توفيق إبراهيم: ظاهرة العنف السياسي في مصر (دراسة كمية / تحليلية / مقارنة) ١٩٥٢-١٩٨٧، في: علي الدين هلال، وآخرون: النظام السياسي المصري (التغير والاستمرار)، أعمال المؤتمر السنوي الأول للبحوث السياسية، مركز البحوث والدراسات السياسية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٢٢.

48 - Wikipedia (Free Encyclopedia). Terrorism. Op..Cit..P.5

٤٩ – أحمد جلال عز الدين: الإرهاب السياسي والتطور الديمقراطي، في: علي الدين هلال وآخرون: النظام السياسي المصري (التغير والاستمرار)، مرجع سابق، ص.ص ٨٥٨ – ٨٥٩.

٥٠ – سهير القلاوي: الإرهاب والإرهاب المضاد، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٩٧.

٥١ – نبيل علي: تحديات عصر المعلومات، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣، ص.٢١٨

٥٢ – حسنين المحمدي البوادي: مرجع سابق، ص.ص.٩٧-٩٩.

٥٣ – نبيل علي مرجع سابق، ص. ٢٤٩

٥٤ – المرجع السابق نفسه، ص.ص.٢٤٧-٢٤٨

٥٥ – حامد عمار: مواجهة العولمة في التعليم والثقافة، دراسات في التربية والثقافة (٨)، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص. ص.٢٤٩-٢٥٠.

٥٦ – علي أحمد مدكور: التربية وثقافة التكنولوجيا، مرجع سابق، ص.٩٠

٥٧ – هشام يكير: الأمن المعلوماتي: ما بين تحديات الداخل والخارج، مؤتمر حرية تداول المعلومات حق لكل مواطن، وزارة الدولة للتنمية الإدارية، وآخرين، القاهرة، ٢٠٠٨

58 - Ehab El-Zeleky. Implacable Adversaries (Arab Governments And The Internet). The Arabic Network For Human Rights Information. Cairo. December 2006k P.5

٥٩ – حسنين المحمدي البوادي: مرجع سابق، ص.١١٥

60 - Eben Kaplan. Op.. Cit.. P.6

٦١ – مركز الدراسات والترجمة: إعلام القاعدة وأساليب الجهاد الالكتروني، مرجع سابق، ص.ص.٩٧، ١٠٧.

62 - Todd M. Hinnen. The Cyber-Front In The War On Terrorism. Curbing Terrorist Use Of The Internet. The Columbia Science And Technology Law Review. Vol.5. 2004

63 - Wikipedia (Free Encyclopedia). Internet. Op.Cit., P. 2

64 - Paul Willis. Foot Soldiers Of Modernity: The Dialectics Of Cultural Consumption And Twenty-First Century School. In: Hugh Lauder & Others. Education, Globalization, And Social Change. Op.Cit., P.530

٦٥ - إيان كريب: النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين غلوب، عالم المعرفة، العدد ٢٤٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٩، ص٧٣.

٦٦ - هلالي عبد اللاه أحمد: جرائم المعلوماتية عابرة الحدود، مرجع سابق، ص ص٢١-٢٥

٦٧ - المجموعة التأسيسية للجمعية الدولية لقانون الانترنت، والمجلس العربي الأوروبي الإفريقي التجاري: وثائق المجموعة التأسيسية، المؤتمر العربي الأول حول قانون الانترنت، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ص٨، ٢٢.

68 - Emile Durkheim. Education Its Nature And Its Role. In: Hugh Lauder & Others. Education, Globalization, And Social Change. Op.Cit., P.85

٦٩ - عبد الله عوض راشد العجمي: الغزو الفكري عبر وسائل الإعلام المرئي وخطره على المجتمع، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد التاسع والسبعين، السنة الرابعة والعشرون، ديسمبر ٢٠٠٩، ص ص٢٩٢، ٢٩٤.

٧٠ - علي أحمد مدكور: مرجع سابق، ص، ٢٢٢

٧١ - مركز الدراسات والترجمة: مرجع سابق، ص١٤٦

٧٢ - تيسير الكيلاني: شبكة الاتصالات العالمية، مجلة آفاق، الشبكة العربية للتعليم المفتوح و التطليم عن بعد، العدد (١٥)، ٢٠٠٢، ص ٢٢.

73 - Steve Ryan & Others. The Virtual University (The Internet And Resource - Based Learning). Koganpage. London. Stytus Publishing. U.S.A. 2000., P.15.

٥

الشريعة

جامعة الطائف

تعريف الحافظ ابن حجر للحديث المنكر
في ضوء التطبيقات العملية للأئمة المتقدمين

د متعب بن خلف بن متعب السلمي
عضو هيئة التدريس بجامعة الطائف
كلية الشريعة والأنظمة - جامعة الطائف

مجلة جامعة الطائف - الآداب والتربية (الشريعة)
المجلد الثاني - العدد السابع - جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ - أبريل ٢٠١٢م

الملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله وبعد:

الحديث المنكر: من الألفاظ الاصطلاحية، التي أكثر النقاد المتقدمون من علماء الحديث استعمالها، وإطلاقها على الأحاديث المعلولة الضعيفة. وقد وقفت على تعريف الحافظ ابن حجر للحديث المنكر وتقييده بقيدين هما: ضعف الراوي ومخالفته. فإن تخلف أحد هذين القيدين لم يوصف الحديث - على القول الراجح عنده- بأنه حديث منكر. وبمقارنة هذا التعريف بتطبيقات الأئمة المتقدمين، وجد أن الحديث المنكر عندهم لا يشترط فيه ذلك، بل يطلق على هذا وعلى ما هو أعم منه. بحيث يطلق على الحديث الذي تأكد الناقد أو غلب على ظنه أنه معلول، سواء رواه ثقة أو غيره، وسواء خولف أو انفرد بهذا الحديث. يضاف إلى هذا: أن الحافظ وغيره من الأئمة المتأخرين ذكروا أن جماعة من الأئمة المتقدمين أطلقوا لفظ المنكر على مجرد التفرد الذي لا يلزم منه الرد. وبتحقيق ذلك وجد أنهم لم يطلقوا المنكر إلا على ما هو مردود. لهذا تمثل جديد هذا البحث في تحقيق هاتين النقطتين الأساسيتين. والله أسأل أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فيعد لفظ (المنكر) بمختلف تصريفاته اللغوية، من أكثر الألفاظ شيوعاً، واستخداماً عند أئمة النقد المتقدمين،الذين عاصروا زمن تدوين السنة، وعلى أيديهم وضعت اصطلاحات هذا العلم، وحكموا على رجاله. والأصل أن يعرف المنكر - وغيره من الألفاظ الاصطلاحية - بما عرفه به الأئمة المتقدمون فإن لم يعرفوه فيكون تعريفه عند من يريد تعريفه موافقاً لما دلت عليه تطبيقاتهم العملية،لأنه إذا تغير التعريف عما كان عليه عند من استخدموه - تضييقاً أو توسيعاً - أثر ذلك في فهم مرادهم من إطلاق هذه اللفظة.

سبب الكتابة في هذا الموضوع وهدفه:

يعلم عموم المشتغلين بالحديث وعلومه، أن الحافظ ابن حجر - رحمه الله - أحد الأئمة الكبار الذين كتب لهم القبول، وأخذت كثير من أقواله بالتسليم، واعتمدت عند من جاء بعده من أهل العلم بالحديث. ويعلمون كذلك أن الحافظ ابن حجر يقيد الحديث المنكر بقيدين هما تفرد الضعيف مع مخالفته، على ما يدل عليه قوله (وإن وقعت المخالفة، مع الضُّعف، فالراجح يقال له المعروف، ومقابله يقال له المنكر)[1].

وقد اصطحبت هذا التعريف، ودرست جملة من الأحاديث التي حكم عليها أئمة متقدمون من أئمة هذا الشأن، فوجدتهم لم يتقيدوا بهذين القيدين، بل بعض ما حكموا عليه بالنكارة رواتها ثقات، وبعضها ليس فيه مخالفة. مما يعني أن تعريف الحافظ ابن حجر ليس مستوعباً لتعريف الحديث المنكر عند الأئمة المتقدمين. أو أن الأئمة المتقدمين أطلقوا لفظ (المنكر) توسعاً على غير (المنكر) الذي عناه الحافظ ابن حجر.

فإن صح الفرض الأول ترتب عليه: أن من يأتي بعد الحافظ ابن حجر سيقلده في تعريفه هذا لإمامته وتصبح المخالفة للأئمة المتقدمين في تعريف (الحديث المنكر) منهجاً مطرداً عند المتأخرين. وربما دفع ذلك بعض العلماء المتأخرين للرد على الأئمة المتأخرين.

وأن صح الفرض الثاني لزم التمييز بين إطلاق المنكر على بابه الذي ورد في تعريف الحافظ ابن حجر وبين المنكر الوارد على غير بابه الذي أطلقه الأئمة المتقدمون. لئلا يحمل كلام الناقد على غير مراده.

ولم أقف على من حرر هذه المسألة، إلا ما كان من الباحث: عبد الرحمن بن نويقع في

كتابه: (الحديث المنكر عند نقاد الحديث دراسة نظرية وتطبيقية). وبحثه مختص بالمنكر عند المتقدمين. وقد أشار في ثنايا إلى مخالفة الحافظ ابن حجر للأئمة المتقدمين في تعريف المنكر، إلا أنه لم يفصل في المسألة. وكذا أشار إليها طارق عوض الله في كتابه (لغة المحدث) ولم يذكر تفاصيلها. ولأن هذه اللفظة أحد الألفاظ التي يكثر استعمالها في كلام الأئمة المتقدمين أحببت أن أخدمها بهذا البحث لأقف على حقيقة هذا الإشكال، ومعالجته إن أمكن. فيما أسميته: (تعريف الحافظ ابن حجر للحديث المنكر في ضوء التطبيقات العملية للأئمة المتقدمين).

خطة البحث:

وقد رأيت أن أعرض لهذا البحث من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف الحديث المنكر.

المطلب الأول: تعريف المنكر في اللغة

المطلب الثاني: تعريف الحديث المنكر عند بعض المتأخرين الذين سبقوا ابن حجر.

المطلب الثالث: تعريف الحديث المنكر عند الحافظ ابن حجر.

المبحث الثاني: الحديث المنكر عند الأئمة المتقدمين.

المطلب الأول: مدلول الحديث المنكر في ضوء أقوال الأئمة المتقدمين.

المطلب الثاني: مدلول الحديث المنكر في ضوء التطبيقات العملية للأئمة المتقدمين.

المبحث الثالث: موقف الحافظ ابن حجر من (المنكر) الذي لا يوافق تعريفه.

المطلب الأول: حمل الحافظ ابن حجر (المنكر) الذي لم يوافق تعريفه على مجرد التفرد

المطلب الثاني: الرد المجمل على القول بأن المنكر يطلق على مجرد التفرد.

المطلب الثالث: الرد المفصل على القول بأن المنكر يطلق على مجرد التفرد.

الخاتمة: وتتضمن أبرز النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

قد التزمت في هذا البحث بما يأتي:

١- خرجت الأحاديث،وعزوتها إلى مصادرها من كتب السنة، بذكر المصدر، مع رقم الجزء، ورقم الصفحة، ورقم الحديث، إن وجد، إلا أن يكون الحديث في الصحيحين، أو أحدهما، فأكتفي بالعزو إليهما.

٢- وثقت الأقوال الواردة في البحث، بعزوها إلى أقدم مصادرها ما أمكن. بذكر الكتاب، والمؤلف ورقم الجزء، والصفحة. وربما أغفل ذكر المؤلف أحياناً لشهرة الكتاب أو لتكرر ذكره. وأرجأت بيانات النشر المفصلة إلى فهرس المصادر والمراجع ؛ طلباً للاختصار وتخفيفاً للهوامش.

٣- إذا وردت كلمة (قلت) فهي من قولي، أوردها عند مواضع الاشتباه، لئلا يشتبه قولي بقول غيري.

٤- بينت حال الرواة الَّذين احتجت للكشف عن حالهم، من (تقريب التَّهذيب) لابن حجر، في الغالب.

هذا والله أسأل أن يجعل عملي صالحاً، ولوجهه الكريم خالصاً. وهو حسبي ونعم الوكيل،عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأول: تعريف الحديث المنكر

المطلب الأول: المنكر في اللغة:

قال ابن فارس: (النون والكاف والراء أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب. ونَكِر الشيء وأنكره: لم يقبله قلبه، ولم يعترف به لسانه...والباب كله راجع إلى هذا)[2]. وقال في اللسان: (والنُّكرة خلاف المعرفة، ونَكِرَ الأمرَ نكيراً وأنْكَرَه إنكاراً ونُكْراً: جهله...والمنكر من الأمر خلاف المعروف، وقد تكرر في الحديث الإنكار والمنكر، وهو ضد المعروف)[3]. وقال الراغب الأصفهاني: (الإنْكارُ: ضد العرفان. يقال: أنْكَرْتُ كذا،ونَكِرْتُ وأصله: أن يرد على القلب ما لا يتصوره وذلك ضرب من الجهل... والمنكر: كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول فتحكم بقبحه الشريعة... وتنكير الشيء من حيث المعنى: جعله بحيث لا يعرف (قال نكروا لها عرشها)[1]. وتعريفه: جعله بحيث يعرف)[2].

وبهذا يتبين: أن المنكر في اللغة يدل على معاني متقاربة نحو: ما يقابل المعروف، والمجهول الذي لا يقبله القلب، والمستقبح.والجامع بين هذه المعاني: أن المنكر غير معروف ولا مقبول.

وينبغي أن يكون هذا المعنى اللغوي هو المراد عند إطلاق هذه اللفظة على حديث معين. وذلك لأن الأئمة أطلقوا ألفاظهم على الحديث مفهمة للسامع بمرادهم، واستخدامهم لهذه الكلمة دون غيرها من الكلمات يدل على أنهم راعوا دلالتها اللغوية. وذلك أن المعنى الأساس لهذه الكلمة قد وجد قبل استخدامه في اصطلاح المحدثين.وعليه: فلا يتصور أن المعنى الاصطلاحي الذي حمّلوه هذه الكلمة غريباً عن مدلولها اللغوي. ولا يمنع هذا من القول: أنهم زادوا في هذا المعنى الذي دلت عليه هذه الكلمة أو نقصوا منه. إلا أن المعنى اللغوي، لابد أن يكون قد بقي من مدلوله عند الناقد ما يستدعي استخدام هذه اللفظة دون غيرها من الكلمات، لإفادة عدم القبول.

المطلب الثاني: تعريف الحديث المنكر عند بعض المتأخرين الذين سبقوا ابن حجر

يبدو لي أن أهل العلم المتأخرين[3]، والذين سبقوا الحافظ ابن حجر، وعرفوا الحديث المنكر،لم يتفقوا على تعريف واحد له،بل تباينت تعريفاتهم، وسأورد نماذج منها للتدليل على هذا الاختلاف، وليتبين الفرق بينها وبين تعريف الحافظ ابن حجر. ومن تلك التعريفات مرتبة زمنياً:

١- تعريف ابن الصلاح (ت: ٦٤٣)؛ لم يفرق ابن الصلاح بين الشاذ والمنكر،حيث قال: (إذا انفرد الراوي بشيء نظر فيه، فإن كان ما انفرد به مخالفاً لما رواه من هو أولى منه بالحفظ لذلك وأضبط، كان ما انفرد به شاذاً مردوداً. وإن لم تكن فيه مخالفة لما رواه غيره، وإنما هو أمر رواه هو، ولم يروه غيره، فينظر في هذا الراوي المنفرد. فإن كان عدلاً حافظاً موثوقاً بإتقانه وضبطه قبل ما انفرد به، ولم يقدح الانفراد فيه...وإن لم يكن ممن يوثق بحفظه

وإتقانه لذلك الذي انفرد به، كان انفراده به خارماً له، مزحزحاً له عن حيز الصحيح. ثم هو بعد ذلك دائر بين مراتب متفاوته بحسب الحال فيه، فإن كان المنفرد به غير بعيد من درجة الضابط المقبول تفرده، استحسنا حديثه ذلك، ولم نحطه إلى قبيل الحديث الضعيف. وإن كان بعيداً من ذلك، رددنا ما انفرد به، وكان من قبيل الشاذ المنكر.. ثم ذكر المنكر وقال: (والصواب فيه التفصيل الذي بيناه آنفاً في شرح الشاذ. وعند هذا نقول: المنكر ينقسم قسمين على ما ذكرناه في الشاذ، فإنه بمعناه)[7]. فتبين من كلامه أن المنكر يطلق على الفرد الضعيف المخالف، والفرد غير المخالف.

٢- وعرفه ابن دقيق العيد (ت: ٧٠٢) فقال: (وهو كالشاذ. وقيل: هو ما تفرد به الراوي، وهو منقوض بالأفراد الصحيحة)[8]. وقد عرف الشاذ من قبل فقال: (وهو ما خالف رواية الثقات، أو ما انفرد به من لا يحتمل حاله أن يقبل ما تفرد به)[9]. وهذا قريب من تعريف ابن الصلاح، بزيادة أنه عدّ النكارة في مجرد المخالفة كما يبدو من قوله (خالف راويه الثقات). ووافقه في نكارة حديث من لا يحتمل حاله التفرد.

٣- وعرفه الذهبي (ت: ٧٤٨) بقوله: (هو ما انفرد الراوي الضعيف به. وقد يعد مفرد الصدوق منكراً)[10]. وفي موضع آخر قال: (وقد يسمى جماعة من الحفاظ الحديث الذي يتفرد به مثل: هشيم[11] وحفص بن غياث[12]: منكراً. فإن كان المنفرد من طبقة مشيخة الأئمة، أطلقوا النكارة على ما انفرد به مثل: عثمان بن أبي شيبة[13]، وأبي سلمة التبوذكي[14]. وقالوا: هذا منكر. فإن روى أحاديث من الأفراد المنكرة غمزوه، ولينوا حديثه، وتوقفوا في توثيقه...)[15]. وقد دل كلامه أن تفرد الضعيف يعد منكراً. وقد تطلق النكارة على تفرد الصدوق، وعلى تفرد الثقة النازل في طبقته. ولم يذكر المخالفة التي نص عليها ابن الصلاح ابن دقيق العيد.

المطلب الثالث: تعريف الحديث المنكر عند الحافظ ابن حجر

عرف الحافظ ابن حجر المنكر في كتابه (النكت) بقوله: (إذا انفرد المستور، أو الموصوف بسوء الحفظ، أو المضّعف في بعض مشايخه دون بعض، بشيء لا متابع له، ولا شاهد. فهذا أحد قسمي المنكر. وهو الذي يوجد في إطلاق كثير من أهل الحديث، وإن خولف في ذلك. فهو القسم الثاني، وهو المعتمد على رأي الأكثرين)[16]. وعرفه في كتابه (نزهة النظر) بقوله: (وإن وقعت المخالفة مع الضّعف، فالراجح يقال له المعروف، ومقابله يقال له المنكر)[17].

ويتبين من هذا أمور:

الأول: أن تعريف الحافظ ابن حجر للحديث المنكر في (النكت) قارب تعريف ابن الصلاح حيث جعل المنكر يطلق على أمرين هما: تفرد الضعيف مع مخالفته. وتفرده من غير مخالفة. إلا

أنه زاد عليه فجعل (تفرد الضعيف مع المخالفة) هو المعتمد على رأي الأكثرين. مع أنه ذكر أن (تفرد من لا يحتمل حاله التفرد) يطلق عليه منكر أيضاً عند كثير من أهل الحديث.

الثاني: في (نزهة النظر)، لم يشر للقسم الثاني - وهو تفرد من لا يحتمل حاله التفرد - وجزم بأن المنكر هو ما قيد بقيدين هما: (تفرد الضعيف مع المخالفة). وأكد هذين القيدين في تعريف المنكر بقوله: (وعرف بهذا أن بين الشاذ، والمنكر عموماً من وجه، لأن بينهما اجتماعاً في اشتراط المخالفة وافتراقاً في أن الشاذ راويه ثقة أو صدوق، والمنكر راويه ضعيف. وقد غفل من سوى بينهما)[18].

الثالث: أن تفرد الضعيف بلا مخالفة عده منكراً: ابنُ الصلاح، وابنُ دقيق العيد، والذهبيُّ، وابنُ حجر في (النكت). في حين أنه - أي ابن حجر - قيده بالمخالفة في (نزهة النظر)، وكتابه هذا متأخر عن الأول[19]. مما يعني أن هذا هو الذي استقر عليه رأيه -رحمه الله - حيث قيد المنكر بهذين القيدين.وهو بهذا لم يوافقه أحد ممن سبقه من الأئمة المتأخرين على هذا الاختيار، وسنقارن اختياره هذا بالمنكر عند الأئمة المتقدمين فيما يلي:

المبحث الثاني: الحديث المنكر عند الأئمة المتقدمين

الأئمة المتقدمون الذين قام هذا العلم على أكتافهم، وهم المرجع في فهمه، ومن أعيانهم: شعبة ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، وعبد الله بن المبارك، وسفيان بن عيينة، و يحي بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، وابن معين، ومحمد ابن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج، وأبو داود السجستاني، والترمذي، والنسائي، ومن قاربهم في عصرهم وأخذ بمنهجهم.هؤلاء استخدموا لفظ (المنكر)، فقد ورد في أقوالهم، واستخدموه في أحكامهم، ومن نظر في ذلك أدرك مرادهم.

المطلب الأول: مدلول (الحديث المنكر) في ضوء أقوال الأئمة المتقدمين.

لم يعن الأئمة المتقدمون بتعريف (الحديث المنكر) تعريفاً جامعاً مانعاً على النحو الذي وجد عند علماء أصول الفقه، وتبعهم أئمة الحديث المتأخرون فيما ظهر لي من تتبع أقوالهم- ولعل مرد ذلك إلى أمرين:

الأول: وضوح معنى المنكر عندهم، بحيث إنه دال بوضعه اللغوي على المراد.

الثاني: أنهم سبقوا عصر التعريفات الجامعة المانعة ذات الحدود الدقيقة.

ومع هذا: فقد وجدتُ في ثنايا أقوالهم، وسياقاتها - والتي لم تتفق على لفظ واحد - ما يمكن أن يبين مرادهم بالحديث المنكر، ويكّون من مجموعها تعريفاً لهذا المصطلح عندهم. وكلام بعضهم يكمل بعضاً. ومن تلك الأقوال ما يلي:

١-الحديث المنكر عند الإمام أحمد (ت: ٢٤١):

سئل الإمام أحمد رحمه الله: ترى أن نكتب الحديث المنكر ؟ قال: المنكر أبداً منكر، قيل له: فالضعفاء ؟. قال: قد يحتاج إليهم في وقت)[٢٠].

فسياق كلامه هذا -رحمه الله - يدل على أنه عرّف الحديث المنكر، وبين حكمه من حيث القبول والرد. فهو عنده: الخطأ البين، الذي لا يمكن أن يعتضد، ولا يحتاج إليه، وأنه أشد ضعفاً من أحاديث الضعفاء التي قد يحتاج إليها. وكلام الإمام صريح في عدم قبول المناكير.إلا أنه لم يتعرض لحال راويه.

٢-الحديث المنكر عند الإمام يحي بن معين (ت: ٢٣٣):

ورد عن ابن معين أنّه سئل عن رجل حدث بأحاديث منكرة، فردها عليه أصحاب الحديث، إن هو رجع عنها، وقال: ظننتها. فأما إذا أنكرتموها وردتموها علي، فقد رجعت عنها. فقال: (لا يكون صدوقاً أبداً، إنما ذاك الرجل يشتبه له الحديث الشاذ، والشيء، فيرجع عنه. فأما الأحاديث المنكرة التي لا تشتبه لأحد، فلا). فقيل ليحيى: فما يبرئه ؟. قال: (يخرج كتاباً عتيقاً فيه هذه الأحاديث فإذا أخرجها في كتاب عتيق، فهو صدوق. وقد شُبِّه له فيها. وأخطأ كما يخطئ الناس، ويرجع عنها. وإن لم يخرجها فهو كذاب أبداً)[٢١].

وسياق كلامه- رحمه الله - يدل على أنه عرّف الأحاديث المنكرة وبين حكمها فهي عنده: الأخطاء المقطوع بها، بدلالة قوله: (التي لا تشتبه لأحد)، وقوله (وأخطأ كما يخطئ الناس) .وأن النكارة ليست مرتبطة بحال الراوي. فقد يكون راوي الحديث المنكر صدوقاً، وقد يكون كذاباً.

٣-الحديث المنكر في كلام الإمام مسلم (ت: ٢٦١):

قال الإمام مسلم رحمه الله: (وكذلك من الغالب على حديثه المنكرُ، أو الفلطُ أمسكنا عن حديثهم. وعلامةُ المنكر في حديث المحدث، إذا ما عُرضت روايتُه للحديث على رواية غيره من أهل الحفظ والرضا، خالفت روايتُه روايتَهم، أو لم تكد توافقُها. فإذا كان الأغلبُ من حديثه كذلك، كان مهجورَ الحديث، غيرَ مقبوله ولا مستعمله. فمن هذا الضرب من المحدثين: عبد الله بن محرر[٢٢]، ويحي بن أبي أنيسة،[٢٣] والجراح بن المنهال أبو العطوف[٢٤]، وعباد بن كثير[٢٥] ،وحسين بن عبد الله بن ضميرة[٢٦]، وعمر بن صهبان[٢٧]. ومن نحا نحوهم في رواية المنكر من الحديث، فنحنا نعرج على حديثهم ولا نتشاغل به. لأن حكم أهل العلم، والذي نعرف من مذهبهم في قبول ما يتفرد به المحدث من الحديث أن يكون قد شارك الثقات من أهل العلم والحفظ في بعض ما رووا، وأمعن في ذلك على الموافقة لهم. إذا وجد كذلك ثم زاد بعد ذلك شيئاً ليس عند أصحابه قبلت زيادته...)[٢٨].

ويتبين من كلامه رحمه الله ما يلي:

أولاً: أنه عرّف الحديث المنكر بعلامته التي يعرف بها، وهي: مخالفة راويه لرواية من شاركه من أهل الحفظ.

ثانياً: أن المخالفة إذا كانت هي الأغلب، تدل على ضعف المخالف. وينبني عليها: تضعيف بقية أحاديثه التي لم يشارك في روايتها. فيطلق عليها النكارة ولو لم يخالف بعد أن عرفت حاله.

ثالثاً: يترتب على المقدمتين السابقتين أن الحديث المنكر عند مسلم يطلق على أحاديث الراوي الضعيف التي خالف فيها غيره من أهل الحفظ والرضا. ويطلق أيضاً على أحاديثه التي تفرد بها، ولم يشارك في روايتها، بعد أن عرف أن حاله لا تحتمل مثل هذا التفرد[٣٠].

٢-الحديث المنكر في كلام الحافظ البرديجي (ت: ٣٠١)

ورد عن الحافظ البرديجي ثلاث عبارات تدل على مراده بالمنكر:

الأولى: قوله:(إن المنكر هو الّذي يحدث به الرجل عن الصحابة أو عن التّابعين عن الصحابة لا يعرف ذلك الحديث، وهو متن الحديث، إلا من طريق الّذي رواه فيكون منكراً...)[٣١].

الثانية: قوله: (فأما أحاديث قتادة التي يرويها الشيوخ مثل حماد بن سلمة، وهمام، وأبان والأوزاعي. ينظر في الحديث فإن كان الحديث يحفظ من غير طريقهم عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أو عن أنس بن مالك من وجه آخر لم يدفع، وإن كان لا يعرف عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ولا من طريق عن أنس إلا من رواية هذا الّذي ذكرت لك، كان منكراً)[٣٢].

الثالثة: قوله: (إذا روى الثّقة من طريق صحيح عن رجل من أصحاب النَّبِيّ ﷺ حديثاً لا يصاب إلا عند الرجل الواحد لم يضره أن لا يرويه غيره إذا كان متن الحديث معروفاً، ولا يكون منكراً ولا معلولاً)[٣٣].

ويتبين من مجموع كلامه -رحمه الله- ما يلي:

أولاً: عبارته الأولى تدل على أن الحديث المنكر هو الحديث الفرد مطلقاً، الذي لا يعرف له أصل. وإنكار الحديث بأنه لا يعرف له أصل، وإن كان راويه ثقة، تعليل مستقيم، لأن التفرد ذاته مظنة الخطأ،فكيف إذا أضيف إليه أنه لا يعرف له أصل. ثم إنه موافق لصنيع الأئمة النقاد غيره كما سيأتي بيانه.

ثانياً:عبارته الثانية تدل على أن الحديث المنكر هو: الحديث الفرد، الذي لا يحتمل حال راويه التفرد. وذلك أن قوله: (الّذي يرويها الشيوخ)، ظاهر في مراعاة حال المتفرّد، إذ لفظة (الشيخ) تشعر بعدم قوة الضّبط[٣٤]. وهذا يعني أنّه لم يحكم على حديث هؤلاء لمجرد التّفرّد، بل لأنّ حال أحدهم لا تحتمل مثل هذا التّفرّد بمثل ذلك الأصل.

ثالثاً: عبارته الثالثة تدل على أن ما تفرد به الثقة، في طبقة الإسناد العليا، إذا كان له أصل، لا يعده حديثاً منكراً. إذ إن قوله في هذه العبارة: (إذا كان متن الحديث معروفاً) أي: أن له أصلاً، ولا يقصد أن له متابعة، بدلالة قوله: (لا يرويه غيره).

رابعاً: أنه راعى في تعريف الحديث المنكر القرائن التي تحتف بالحديث، ويحكم لأجلها على الحديث بأنه منكر. ومنها: التفرد بأصل، ونزول طبقة المتفرد، وأن حال المتفرِّد لا تحتمل التَّفرُّد. وهي قرائن للعلل مراعاة عند أئمة عصره. وهذا ما أكده ابن رجب في قوله: (وأما أكثر الحفاظ المتقدمين فإنهم يقولون في الحديث - إذا تفرد به واحد، وإن لم يرو الثقات خلافه -: (إنه لا يتابع عليه) ويجعلون ذلك علة فيه، اللهم إلا أن يكون ممن كثر حفظه، واشتهرت عدالته وحديثه، كالزهري ونحوه، وربما يستنكرون بعض تفردات الثقات الكبار أيضاً. ولهم في كل حديث نقد خاص، وليس عندهم لذلك ضابط يضبطه)[٢٤].

خامساً: يتبين من مجموع كلامه المتفرق أن الحديث المنكر عنده: هو الحديث الفرد، سواء كان راويه ثقة أو دونه، وقد دلت القرائن على أن فيه علة توجب رده يقيناً أو ظناً. وهو بهذا يساوي الفرد المعلل، ولا يقال: إنه بمجرد التفرد يحكم على الحديث بأنه منكر، بعد أن علمنا من كلامه أنه يقبل بعض الأفراد، ولا يطلق عليها النكارة.

وبناء على هذا التقرير: فإن الحافظ ابن الصلاح رحمه الله لم يحرر تعريف البرديجي للحديث المنكر، حينما نسب له أنه يطلق النكارة على مجرد التفرد[٢٥]، حيث قال: (بلغنا عن أبي بكر أحمد بن هارون البرديجي الحافظ: أنه - أي المنكر - الحديث الذي ينفرد به الرجل، ولا يعرف متنه من غير روايته، لا من الوجه الذي رواه منه، ولا من وجه آخر. فأطلق البرديجي ولم يفصّل. وإطلاق الحكم على التفرد بالرد، أو النكارة، والشذوذ، موجود في كلام كثير من أهل الحديث)[٢٦]. ولعل الحافظ ابن الصلاح لم يجمع كلام البرديجي في تعريف المنكر، بل بنى قوله هذا على بعضه، ولو وقف على قوله الذي يقبل فيه بعض الأفراد، ولا يحكم عليها بالنكارة، لما نسب إليه هذا القول.

ومن مجموع أقوال من ذكرنا من الأئمة المتقدمين، يتبين أن الحديث المنكر عندهم هو: الحديث المقطوع بخطأ راويه فيه. أو الذي يغلب على الظن أنه أخطأ فيه. سواء كان راويه ثقة أو صدوقاً أو دونهما. ويستدل على النكارة بالقرائن المحتفة بالحديث، كالمخالفة، وتفرد من لا يحتمل حاله التفرد ونزول طبقة المتفرد، وتفرده بأصل تتوافر الدواعي على نقله، وغيرها كما سيأتي.

المطلب الثاني: مدلول الحديث المنكر في ضوء التطبيقات العملية للأئمة المتقدمين.

سأورد فيما يلي طائفة من الأحاديث التي أطلق عليها الأئمة المتقدمون لفظ (المنكر)، ثم أدرسها مراعياً الإجابة على هذا السؤال: هل يتقيد هؤلاء الأئمة حينما يطلقون (المنكر) على الحديث بضعف الراوي ومخالفته- على ما ذكره الحافظ ابن حجر- أم يطلقونه على ما هو أعم من ذلك ؟.

الحديث الأول:

ما رواه عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الولاء وهبته)[٣٧].

قال شعبة: (استحلفت عبد الله بن دينار:هل سمعته من ابن عمر؟ فحلف لي)[٣٨].قال أبو حاتم الرازي:(كان شعبة بصيراً بالحديث،فهماً فيه، كان إنما حلّفه لأنه كان ينكر هذا الحديث، حكمٌ من الأحكام عن رسول الله ﷺ لم يشاركه أحد، لم يرو عن ابن عمر أحدٌ سواه علمناه)[٣٩].

ويستفاد من موقف شعبة من هذا الحديث ما يلي:

١- راوي هذا الحديث هو: عبد الله بن دينار المكي. قال عنه الذهبي: (حجة بالإجماع، وثّقه أحمد، ويحي، وأبو حاتم)[٤٠]. ومع هذا أنكر شعبة حديثه هذا. فدل على أن المنكر عند شعبة ليس مقيداً بضعف راويه. وأنه يمكن أن يطلق (المنكر) على حديث الثقة.

٢- القرينة التي بنى عليها شعبة إنكار هذا الحديث - كما فهمها أبو حاتم الرازي -هي: تفرد الراوي بحكم تتوافر الهمم على روايته، والدواعي على نقله.

الحديث الثاني:

ما رواه عبد الله بن رجاء عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال:(الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ...) الحديث[٤١].

قال الأثرم: قلت لأحمد: تحفظ عن عبد الله بن رجاء، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً (الْحَلَالُ بَيِّنٌ) فقال: هذا منكر، لعله توهمه. ثم حسّن أحمد أمر عبد الله[٤٢].

ويؤخذ من هذا ما يلي:

١- راوي هذا الحديث هو: عبد الله بن رجاء المكي. قال الأثرم: سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل سئل عن عبد الله بن رجاء الذي بمكة فحسّن أمره[٤٣]. وقال الميموني: أكبر ظني أن أبا عبد الله ذكر عبد الله بن رجاء فوثقه وفضله[٤٤].

٢- قول الإمام أحمد:(حديث منكر) مع تحسينه لأمر راويه، يدل على أنه يطلق المنكر على أحاديث بعض من يحسّن أمرهم أو يوثقهم من الرواة.

٣- القرينة التي بنى عليها الإمام حكمه على الحديث بأنه منكر يبدو أنها مركبة من أمرين:

أولهما:وقوع الخطأ في متنه جزماً كما يفهم من قوله (حديث منكر).وثانيهما: حال الراوي وميناها على الظن، كما يفهم من قوله:(لعله توهمه).وفي موضع آخر قال:(زعم أن كتبه كانت ذهبت، فجعل يكتب من حفظه، ولعله توهم هذا)[14].

الحديث الثالث:

ما رواه عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: (الْجَارُ أَحَقُّ بِشُفْعَتِهِ يُنْتَظَرُ بِهِ وَإِنْ كَانَ غَائِبًا إِذَا كَانَ طَرِيقُهُمَا وَاحِدًا)[15].

قال الإمام أحمد: (هذا حديث منكر)[16] وقال في موضع آخر: (ليس العمل على هذا، لا شفعة إلا لخليط)[17]. ويؤخذ من هذا ما يلي:

١- حَكَمَ الإمام أحمد على هذا الحديث بأنه منكر، مع توثيقه لراويه عبد الملك بن أبي سليمان. يقول أبو داود السجستاني: قلت لأحمد: عبد الملك بن أبي سليمان ؟ قال ثقة. قلت: يخطئ ؟ قال: نعم، وكان من أحفظ أهل الكوفة، إلا أنه رفع أحاديث عن عطاء[18]. مما يعني أن المنكر عنده، لا يقتصر على رواية الراوي الضعيف، بل يطلقه كذلك على أحاديث الثقة إذا كانت معلولة.

٢- القرينة التي بنى عليها الإمام أحمد إنكار هذا الحديث يبدو أنها مركبة من أمرين: من حال الراوي عبد الملك بن أبي سليمان، الذي عرف عنه أن يخطئ خاصة في أحاديث شيخه في هذا الإسناد: عطاء بن أبي رباح، إضافة إلى كون هذا الحديث ليس عليه العمل.

الحديث الرابع:

ما رواه الحسن بن سوار، قال: حدثنا عكرمة بن عمار اليمامي، عن ضمضم بن جوس، عن عبد الله بن حنظلة بن الراهب، قال: (رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالبيت على ناقة، لا ضرب، ولا طرد، ولا إليك إليك)[19].

قال الإمام أحمد عن الحسن بن سوار: (أما الشيخ فثقة، وأما الحديث فمنكر)[20].

يؤخذ من هذا ما يلي:

١- أنكر الإمام أحمد هذا الحديث، مع أنه وثق راويه في نفس السياق. مما يدل بوضوح على أن المنكر عنده لا يقيد بضعف الراوي.

٢- جزم رحمه الله بنكارة الحديث، ولم يبين السبب الذي من أجله أنكره.إلا أن السبب لا يتمثل في حال الراوي عنده كما يفهم من السياق.

الحديث الخامس:

ما رواه محمد بن الفضيل، عن يحي بن سعيد، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال: قال رسول الله ﷺ: (تسحروا فإن في السحور بركة)[٣٢]. قال النسائي: (حديث يحي بن سعيد هذا إسناده حسن، وهو منكر، وأخاف أن يكون الغلط من محمد بن فضيل)[٣٣].

ويؤخذ من هذا ما يلي:

١- راوي الحديث هو محمد بن الفضيل قال عنه النسائي: ليس به بأس[٣٤] وقال عن هذا الإسناد بأنه حسن، ومع هذا أنكر الحديث، مما يعني أنه ليس من حد المنكر عنده أن يكون راويه ضعيفاً.

٢- جزم النسائي بأنه حديث منكر، ولم يجزم بخطأ راويه فيه، ولعل القرينة التي بنى عليها حكمه، بأنه حديث منكر هي: حال الراوي، مع احتمال علة القلب وذلك: أن هذا الإسناد (محمد بن الفضيل عن يحي بن سعيد، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً) يروى به حديث آخر، مقارب لهذا الحديث في معناه وهو قوله ﷺ (من صام رمضان إيماناً واحتساباً...) الحديث. وقد أخرجه البخاري[٣٥] وابن ماجه[٣٦] من هذا الطريق. فخاف النسائي أن يكون حديث (تسحروا...) قد انقلب على محمد بن فضيل فأبدل متناً بمتن مشابه له، لاسيما وهذا الراوي عنده ليس بالقوي، على ما يدل عليه قوله فيه: (ليس به باس).

الحديث السادس:

ما رواه محمّد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: (غفر الله لرجل كان قبلكم سهلاً إذا باع...)[٣٧] قال عبد الرّحمن بن أبي حاتم الرازي: قلت لأبي في حديث محمّد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: (غفر الله لرجل كان قبلكم سهلاً إذا باع..) فقال أبي: (هوعندي منكر، رواه بعض الثّقات عن محمّد بن المنكدر قال: بلغني أنّ النّبيّ ﷺ قال... ولم يذكر جابراً)[٣٨].

ويؤخذ من هذا ما يلي:

١- أن أبا حاتم جزم بأنه منكر ولم يعين راويه الذي أخطأ فيه، مما يعني أن النكارة عند أبي حاتم يمكن أن تطلق على متن الحديث، بقطع النظر عن حال راويه.

٢- أن القرينة التي حكم بموجبها على هذا الحديث بأنه منكر: أن رواية الوصل مخالفة لما تتابع عليه بعض الثقات، حيث رووه مرسلاً عن محمد بن المنكدر، ولم يذكروا جابراً. وهو تعليل مستقيم.

الحديث السابع:

ما رواه قتيبة بن سعيد، عن الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الطفيل، عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ كان في غزوة تبوك، إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس، أخر الظهر حتى يجمعها

إلى العصر فيصليهما جميعاً، وإذا ارتحل بعد زيغ الشمس، صلى الظهر والعصر جميعاً، ثم سار...الحديث[٥٤]

قال أبو داود:(هذا حديث منكر، وليس في جمع التقديم حديث قائم)[٥٥]. ويؤخذ من هذا ما يلي:

١- راويه هو قتيبة بن سعيد، قال عنه ابن معين،وأبو حاتم، والنسائي: ثقة[٥٦]. وأثنى عليه الإمام أحمد[٥٧]. وقال ابن حجر: (ثقة ثبت)[٥٨]. ومع هذا أنكر أبو داود حديثه هذا مع أنه لم يضعفه أحد، مما يعني أنه ليس من حد المنكر عند أبي داود، أن يكون راويه ضعيفاً.

٢- القرينة التي من أجلها حكم أبو داود على هذا الحديث بأنه منكر: هي علم الإمام بأنه ليس في بابه حديث يصح.

الحديث الثامن:

ما رواه عبد الرزاق قال حدثنا معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر أن النبي ﷺ رأى على عمر ثوباً فقال:(أجديداً هذا أم غسيل؟...)الحديث[٥٩].

قال النسائي: هذا الحديث منكر، أنكره يحي بن سعيد القطان على عبد الرزاق، لم يروه عن معمر غير عبد الرزاق، وقد روي هذا الحديث عن معقل بن عبد الله، واختلف عليه فيه، فروي عن معقل عن إبراهيم بن سعد عن الزهري مرسل،وهذا الحديث ليس من حديث الزهري[٦٠].

ويؤخذ من هذا ما يلي:

١- أن يحي بن سعيد القطان أنكره، مع أنه مسلسل بالثقات، كما هو ظاهر.

٢- أشار النسائي إلى أن القرينة التي أنكر يحي القطان هذا الحديث من أجلها هي مركبة من عدة قرائن، تمثلت في تفرد راويه به، والاختلاف في وصله وإرساله، وأنه لا يعرف من حديث الراوي المنسوب إليه، وهو الزهري.

الحديث التاسع:

ما أخرجه الطبراني من حديث عفان بن مسلم، عن همام بن يحي، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ (إذا أكل أحدكم فليلعق أصابعه الثلاث،فإنه لا يدري في أيتهن البركة). وقال: قال زكريا بن حمدويه: أنكره يحي بن معين على عفان، فقام عفان، فدخل بيته فأخرجه من كتابه،كما أملاه علينا،لم يروه عن قتادة إلا همام[٦١]. ويؤخذ من هذا ما يلي:

١- أنكر هذا الحديث يحي بن معين، على عفان بن مسلم، مع أنه قال عن عفان بأنه ثقة[٦٢] فدل على أن المنكر عند ابن معين يمكن أن يطلق على أحاديث بعض الثقات.

٢-القرينه التي من أجلها أنكر يحي بن معين هذا الحديث على عفان، لم يفصح عنها يحي، ولعلها

تتمثل في كون هذا الحديث محفوظاً من فعل النبي ﷺ لا من قوله. فقد رواه حماد بن سلمه عن ثابت البناني- وحماد من أثبت الناس في حديث خاله ثابت ويقدم على غيره في حديثه – عن أنس أن رسول الله ﷺ (كان إذا أكل طعاماً لعق أصابعه الثلاث)[٦٥] هو تعليل مستقيم.

الحديث العاشر:

مَا رَوَاهُ أبو الأحوص، عن سماك، عن القاسم بن عبد الرَّحمن، من أبيه، من أبي بردة بن نيار، قال: قال رسول الله ﷺ: (اشْرَبُوا فِي الظُّرُوفِ وَلا تُسْكِرُوا)[٦٦].

قال النسائي: (هذا حديث منكر، غلط فيه أبو الأحوص..)[٦٧].

يؤخذ من هذا ما يلي:

١- أبو الأحوص هو: سلاّم بن سليم الكوفي. قال النسائي عنه: ثقة[٦٨] ومع هذا قال عن حديثه بأنه منكر. وهذا يبين أن النسائي يطلق (المنكر)، على حديث الثقة إذا أخطأ فيه.

٢- قرينة الرد التي حكم النسائي لأجلها بنكارة الحديث هي: ما علمه من أن أبا الأحوص غلط في هذا الحديث بعينه.

الخلاصة:

بعد دراسة هذه النماذج التطبيقية التي استخدم فيها الأئمة المتقدمون لفظ (المنكر) يتبين ما يلي:

١- أن (المنكر) يطلقه الأئمة المتقدمون على الحديث الذي تبين خطأ راويه فيه. سواء كان راويه ثقة أو صدوقاً أو دونهما.

٢- ليس للحديث المنكر عند الأئمة المتقدمين ضابط معين. بل مداره على القرائن التي تظهر للناقد منهم، وهي تختلف من حديث إلى حديث، ومن ناقد إلى آخر. وبعضها أظهر من بعض. وقد تكون في الإسناد وقد تكون في المتن.

٣- أن الناقد منهم قد ينكر الحديث، ولا يبين القرينة التي لأجلها حكم على الحديث بالنكارة. وقد ينكره ويذكر بعض القرائن التي ظهرت له. وقد يكتفي بالإشارة إلى أبرزها.

٤- ظهر من الدراسة التطبيقية أن القرائن التي يراعيها الأئمة النقاد كثيرة ظهر منها:

١- التفرد بحكم تتوافر الدواعي على نقله.

٢- تفرد من لا يحتمل حاله التفرد.

٣- العلم بأن هذا الراوي يخطئ في شيخه المعين.

٤- أن يكون الحديث ليس عليه العمل.

٥- تقارب معنى هذا الحديث، بحديث آخر يروى بهذا الإسناد.

٦- أن لا يعرف هذا الحديث من حديث من نسب إليه. لا سيما إن كان حديث المروي عنه محصوراً

وكان مشهوراً كالزهري، والناقل عنه ليس من كبار أصحابه، المعروفين بملازمته.

٧- أن يخالف غيره ممن شاركه الرواية على الشيخ.

٨- أن لا يصح في بابه شئ، ولا يعرف له أصل.

٩- أن يعلم أن راويه غلط فيه بعينه.

المبحث الثالث: موقف الحافظ ابن حجر من (المنكر) الذي لا يوافق تعريفه:

لم يخف على الحافظ ابن حجر كثرة إطلاق الأئمة المتقدمين (المنكر) على بعض أحاديث الثقات، وعلى أحاديث ليس فيها مخالفة.فأجاب عن ذلك: بأن بعض الأئمة يطلقون المنكر على مجرد التفرد الذي لا يلزم منه الرد، وإليك التفصيل من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: حمل الحافظ ابن حجر (المنكر) الذي لا يوافق تعريفه على مجرد التفرد:

قال الحافظ ابن الصلاح في تعريف المنكر: (وإطلاق الحكم على التفرد بالرد،أو النكارة، أو الشذوذ موجود في كلام كثير من أهل الحديث).فسر الحافظ مراده بقوله: (قلت: وهذا مما ينبغي التيقظ له، فقد أطلق الإمام أحمد، والنسائي وغير واحد من النقاد لفظ المنكر على مجرد التفرد، لكن حيث لا يكون المتفرد في وزن من يحكم لحديثه بالصحة بغير عاضد يعضده)[٣٤].

وقد تبع الحافظ ابن حجر بعض المتأخرين منهم: اللكنوي[٣٥] الذي استفاد من كلام الحافظ ابن حجر ومن وافقه في التفريق بين المتقدمين والمتأخرين في إطلاق (المنكر) فقال: (يجب أن تفرق بين قول القدماء: (هذا حديث منكر) وبين قول المتأخرين: (هذا حديث منكر) فإن القدماء كثيراً ما يطلقونه على مجرَّد ما تفرَّد به راويه وإن كان من الأثبات، والمتأخرون يطلقونه على رواية راوٍ ضعيف خالف الثِّقات)[٣٦].

قلت: وهذا الذي ذكره الحافظ ابن حجر نظرياً، حمل عليه عملياً أقوال أهل العلم المتقدمين، التي ظهر له منها: أنهم أطلقوا المنكر على مجرد التفرد، حيثما لم توافق تعريفه.

وإليك أمثلة من ذلك:

١- المثال الأول: ما رواه قيس بن أبي حازم،قال: لما أقبلت عائشة مرت ببعض مياه بني عامر طرقتهم ليلاً، فسمعت نباح الكلاب، فقالت أي ماء هذا ؟ قالوا: ماء الحوأب قالت: ما أظنني إلا راجعة... سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب)[٣٧].

فأنكر هذا الحديث الإمام يحي بن سعيد القطان [٣٨]. فتعقبه ابن حجر بقوله: (ومراد القطّان بالمنكر: الفرد المطلق)[٣٩].

المثال الثاني: قال الإمام أحمد عن محمَّد بن إبراهيم التيمي: (يروي أحاديث مناكير، أو

منكرة)[٧٨]. فتعقبه بقوله: (المنكر أطلقه أحمد بن حنبل وجماعة على الفرد المطلق، الذي لا متابع له، فيحمل هذا على ذلك، وقد احتج به الجماعة)[٧٩].

المثال الثالث: قال الإمام أحمد عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة: (يروي أحاديث مناكير)[٨٠]. فتعقبه بقوله: (احتج به الأئمة كلهم، وأحمد وغيره يطلقون المناكير على الأفراد المطلقة)[٨١].

المثال الرابع: وفي ترجمة يزيد بن عبد الله بن خصيفة الكندي نقل ابن حجر قول أحمد عنه بأنه: (منكر الحديث). وتعقبه بقوله: (هذه اللفظة يطلقها أحمد على من يغرب على أقرانه بالحديث، عرف ذلك بالاستقراء من حاله، وقد احتج بابن خصيفة مالك والأئمة كلهم)[٨٢].

المثال الخامس: ونقل ابن حجر في ترجمة يونس بن القاسم الحنفي عن البرديجي قوله فيه: (منكر الحديث) ثمّ تعقبه بقوله: (أوردت هذا لئلا يستدرك، وإلا فمذهب البرديجي: أن المنكر: هو الفرد، سواء تفرّد به ثقة، أو غير ثقة، فلا يكون قوله: (منكر الحديث) جرحاً بيناً، كيف وقد وثّقه يحيى بن معين)[٨٣].

المطلب الثاني: الرد المجمل على القول بأن المنكر يطلق على مجرد التفرد.

القول بأن الأئمة المتقدمين أطلقوا المنكر على مجرد التفرد، أو أنهم عنوا به التفرد المطلق، دعوى تحتاج إلى إثبات، بل هي وهم[٨٤] ثم إنها مؤثرة في فهم أحكام الأئمة المتقدمين، لأنها - لو قبلت - يتفرع عليها: تفريغ كلام الناقد من مضمونه، وحمله كلامه على غير مراده. ولا يكون لقوله (حديث منكر) أثر في حكمه على الحديث، وذلك أن (المنكر) وصف، وحكم بالرد، أما التفرد فوصف لا يلزم منه الرد، والقول بأن بعض الأئمة يطلقون المنكر على مجرد التفرد يعني أنهم يطلقون المنكر ولا يريدون به الرد والإعلال، وتتمثل أدلة رد هذه المقولة فيما يلي:

١- لفظ (المنكر) يدل بمعناه اللغوي على الرد، وعدم القبول، كما سبق بيانه، والظن بالأئمة المتقدمين أنهم راعوا في الألفاظ التي استخدموها- للإبانة عن مرادهم - معناها الظاهر، المفهم للسامع وهو المعنى اللغوي. والقول بأنهم قصدوا معنى آخر، لا يدل عليه المعنى اللغوي، المتبادر للكلمة قول على خلاف الأصل، لا يصار إليه إلا بدليل منقول عنهم، أو مأخوذ من تطبيقاتهم.

٢- من يعرف وضوح منهج الأئمة المتقدمين، وتحريهم في إطلاق اللفظ على أنسب معانيه، وبعدهم عن التكلف، والإيهام، يدرك أن إطلاق المنكر للتعبير به عن مجرد التفرد لا يجيّ، لأنهم يعلمون أن الأفراد منها المقبول، ومنها المردود. فلو أطلق المنكر على مجرد التفرد، وجعل مرادفاً له، للزم أن يكون من المناكير ما هو مقبول، وما هو مردود كذلك، ولا قائل بهذا فيما أعلم.

٣- أن الحافظ ابن حجر - صاحب هذه المقولة - لم يذكر دليلاً واحداً يدل على صحة هذا القول، والدليل الذي يطلبه المخالف هو: أن يحكم الناقد على حديث بأنه منكر، ثم يصححه، أو

يقبله، أو يحتج به، وهذا لا يوجد فيما وقفت عليه من أقوالهم وتطبيقاتهم.

المطلب الثالث: الرد المفصّل على القول بأن المنكر يطلق على مجرد التفرد:

وسأورد فيه بعض أقوال الأئمة التي أطلقوا فيها (المنكر) على أحاديث معينة أو على راوٍ معين. وتعقيب الحافظ بن حجر بأن قصدوا مجرد التفرد، ثم أقوم بدراستها، لنرى هل تلك الأحاديث صحيحة عند من أطلق عليها النكارة، ليتوجه قول ابن حجر: أن المنكر في هذا السياق بمعنى التفرد. أو أن المنكر أطلقه الناقد على أحاديث معلولة فيكون حينئذ على بابه.

أولاً: إطلاق يحي بن سعيد القطان للمنكر:

روى قيس بن أبي حازم قال:لما أقبلت عائشة مرت ببعض مياه بني عامر، طرقتهم ليلاً فسمعت نباح الكلاب فقالت أي ماء هذا ؟ قالوا: ماء الحوأب قالت: ما أظنني إلا راجعة... سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب)[٢٨]. فأنكر هذا الحديث الإمام يحي بن سعيد القطان[٢٩]. فتعقبه ابن حجر بقوله: (ومراد القطّان بالمنكر الفرد المطلق[٣٠].

المناقشة:

١- دفع الحافظ ابن حجر النكارة التي أطلقها يحي بن سعيد القطان على هذا الحديث بأنه عنى بالمنكر في هذا السياق الفرد المطلق الذي لا يلزم منه الرد.

٢- هذا الفهم خالف فهم الذهبي، فقد قال في ترجمة قيس بن أبي حازم: (قال علي بن عبد الله عن يحي بن سعيد: منكر الحديث، ثم سمى له أحاديث استنكرها فلم يصنع شيئاً، بل هي ثابتة لا ينكر له التفرد في سعة ما روى...من ذلك حديث كلاب الحوأب)[٣١] وفيه: أن الذهبي حمل النكارة الواردة عن يحي القطان في هذا السياق على المنكر المقتضي للتضعيف والرد على ما يفهم من قوله (بل هي ثابتة). ثم لم يرتض إطلاق المنكر عليها، فحملها على أنها من الأفراد، لا من المناكير، وأن قيساً يحتمل له مثل هذا التفرد، لسعة ما روى.وهو شبيه بقول يعقوب السدوسي حينما قال عن قيس بن أبي حازم: (تكلم فيه أصحابنا فمنهم من حمل عليه وقال: له مناكير، والذين أطروه عدوها غرائب)[٣٢] ومناكير في هذا السياق تدل على أنها أخطاء مردودة بدلالة أنه جعلها قسيمة للغرائب التي لا يلزم منها الرد.

٣- أن يحي القطان عرف بالتشدد في نقد الرواة ومروياتهم فقد قال ابن حجر: (نقل البخاري عن علي بن المديني أن يحي بن سعيد شديد التعنت في الرجال)[٣٣]. وقال الذهبي: (يحي متعنت جداً في الرجال)[٣٤]. ومن كان كذلك لا يستغرب أن يتفرد بالطعن في قيس بن أبي حازم. وأن تعنته يتمثل في إنكار رواية الراوي، لا في وصفها بالتفرد.

٤- أن الحديث الذي أنكره يحي القطان على قيس بن أبي حازم، فيه من قرائن الرد ما يمكن

حمل إنكار ابن القطان عليها منها:

أ- أن قيس بن أبي حازم لم يصرح بالسماع من عائشة بل قال: (لما أقبلت عائشة..) وقد وصف بأنه يحدث عمن لم يسمع منه. قال علي بن المديني: (روى قيس بن أبي حازم عن بلال ولم يلقه، وروى عن عقبة بن عامر فلا أدري سمع منه أم لا)[٣٢]. وقال العلائي:(وكذلك روى مرسلاً عن عبد الله بن رواحه لأنه استشهد بمؤتة)[٣٣].

ب- وقيس وإن أدرك زمن هذه الحادثة، وأمكن سماعه من عائشة، فإنه ليس من خاصة من روى عنها.

ج- ولو رأت عائشة تحقق هذه النبوة لرجعت، ولو روت هذا الحديث لاشتهر ولم يتفرد به قيس بن أبي حازم. ويبعد أن تتحدث به في مناسبة واحدة. فإن عائشة بعد رجوعها حدثت بأحاديث كثيرة ليس منها هذا الحديث، مع أهميته في تحقق هذه النبوة، التي تتوافر الدواعي على نقلها، وتكرار التحدث بها. وإنكار الحديث لأنه مما تتوافر الدواعي على نقله ثم لا يحدث به إلا راو واحد، منهج نقدي معروف لدى الأئمة المتقدمين والتعليل به تعليل مستقيم.فما المانع أن يحكم يحي القطان بأنه منكر ؟.

ثانياً، إطلاق الإمام أحمد للمنكر،

أ- قال الإمام أحمد عن محمّد بن إبراهيم التيمي: في حديثه شيء، يروي أحاديث مناكير، أو منكرة[٣٤]. فتعقبه ابن حجر بقوله:(المنكر أطلقه أحمد بن حنبل وجماعة على الفرد المطلق الّذي لا متابع له، فيحمل هذا على ذلك، وقد احتج به الجماعة)[٣٥].

المناقشة،

١- فسر الحافظ ابن حجر مراد الإمام أحمد من قوله (يروي أحاديث مناكير أو منكرة) يعني يروي أحاديث أفراد مطلقه لم يتابعه فيها أحد.

٢- لا يظهر من سياق كلام الإمام أحمد أنه قصد بالمناكير:الأفراد المطلقة. بل يظهر منه أنه قصد أحاديث منكرة معلولة، بدلالة قوله: (في حديثه شيء)، وهي قرينة النكارة.

٣- ورد عن الإمام أحمد أنه سئل: ترى أن نكتب الحديث المنكر ؟ قال: (المنكر أبداً منكر، قيل له: فالضعفاء ؟. قال: قد يحتاج إليهم في وقت)[٣٦]. هذا القول يدل على أنه يفرق بين الأحاديث المنكرة والضعيفة. وأن المنكرة عنده أخطاء، مطرحة، لا يحتاج إليها، بخلاف الضعيفة التي قد يحتاج إليها في بعض الأحوال.فكيف يطلق لفظ المنكر الذي لا يقبله في حال من الأحوال على الأفراد التي تقبل في بعض الأحوال ؟.

ولو فرضنا أنه أطلق المناكير على الأفراد أحياناً -ولا يقصد إلا مجرد التفرد - لالتبس ما

أراد به منكراً على بابه، وما قصد به مجرد التفرد. وهذا لا يستقيم مع قوله (المنكر أبداً منكر). ثم إنه لا يخفى من السياق وضوح مدلول المنكر عنده رحمه الله. وهذا الوضوح - إذا أضيف إليه شدة عبارته - لا يناسبه أن يطلق المنكر على الأفراد التي منها عنده مقبول ومردود.

ب- قال الإمام أحمد في بريد بن عبد الله بن أبي بردة: (يروي أحاديث مناكير)[99]. فتعقبه ابن حجر بقوله: (احتج به الأئمّة كلهم، وأحمد وغيره يطلقون المناكير على الأفراد المطلقة)[100].

المناقشة:

١- قول الإمام أحمد: (يروي أحاديث مناكير) يعني معلولة لا مجرد أفراد. وقد ترجم ابن حبان لبريد فقال: (كان يخطئ)[101]. فالأنسب أن يقال المناكير في سياق كلام الإمام أحمد هذا هي التي عناها ابن حبان في قوله (كان يخطئ) لأن المناكير أخطاء، يقع فيها الراوي، ولا تنفي عنه أنه ثقة إذا لم تكثر منه.

٢- لم ينفرد الإمام أحمد بنكارة بعض حديث هذا الراوي. بل شاركه غيره فقال أبو الفتح الموصلي: (فيه لين، يحدث عن أبيه نسخة فيها مناكير)[102]. وقال الحافظ ابن عدي بعد أن ساق في ترجمته جملة من الأحاديث التي لا تخلو من مقال- (وقد اعتبرت حديثه فلم أر فيه حديثاً أنكره، وأنكر ما روى هذا الحديث: (إذا أراد الله بأمة خيراً قبض نبيها قبلها)[103] وهذا طريق حسن ورواه ثقات)[104]

ثالثاً، إطلاق الحافظ البرديجي للمنكر:

قال البرديجي عن يونس بن القاسم الحنفي: (منكر الحديث)[105]. فتعقبه الحافظ ابن حجر بقوله: (أوردت هذا لئلا يستدرك، وإلا فمذهب البرديجي: أن المنكر هو الفرد سواء تفرّد به ثقة أو غير ثقة. فلا يكون قوله: (منكر الحديث) جرحاً بيناً. كيف وقد وثّقه يحيى بن معين)[106].

المناقشة:

١- أراد الحافظ ابن حجر أن يقول أن (منكر الحديث) عند البرديجي تعني أن له أفراداً. وهذا مبني على أنه يرى أن المنكر عند البرديجي هو الفرد. وليس كذلك، بل هذا تفريغ لهذا الاصطلاح من مدلوله.

٢- الصواب أن المنكر عند البرديجي: هو الحديث الذي أخطأ فيه راويه، أو غلب على الظن أنه أخطأ فيه - كما سبق تقريره - سواء كان الراوي ثقة أو غيره.

ومما يدل على أن المنكر عند البرديجي هو الحديث الخطأ: أنه يقرنه أحياناً بما يدل على وقوع الخطأ فيه. ومن ذلك ما قاله في حديث رواه عمرو بن عاصم حدثنا همام بن يحيى حدثنا إسحاق بن عبد الله عن أنس قال: (كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي

أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ)[١٠٥]. قال البرديجي: (هذا عندي حديث منكر، وهو عندي وهم من عمرو بن عاصم)[١٠٦]. فتسمر المنكر بأنه الحديث الذي وقع فيه وهم، فظهر بهذا مراده بالمنكر.

٢- قوله: (فلا يكون قوله: (منكر الحديث) جرحاً بيناً، كيف وقد وثقه يحي بن معين). الجواب:

أن يقال: بل هو جرح بيّن عند البرديجي، لكنه معارض بتوثيق ابن معين.واختلافهم في الراوي الواحد أمر ظاهر. ثم إن توثيق بعض الأئمة لراو معين، لا يلزم منه أن يوثقه غيره. فإذا وثق ابن معين مثلاً أو أحمد راوياً معيناً من الرواة المختلف فيهم، فإنه لا يلزم منه أن يوثقه البخاري أو البرديجي. فكل منهم مجتهد، لا يقضى باجتهاده على اجتهاد غيره من الأئمة. كذلك احتجاج الأئمة براو معين، لا يلزم منه قبول كل ما رواه. بل إنهم ينتقون من أحاديث بعض الرواة ما علموا صحته. ويدل على ذلك ما قاله الذهبي: (عبد الواحد بن زياد...أحد المشاهير احتجا به في الصحيحين وتجنبا تلك المناكير التي نقمت عليه)[١٠٧]. وهذه قاعدة مفيدة، يقع فيها الغلط كثيراً. وقد قررها ابن القيم رحمه الله في قوله:

(يعرض الغلط لطائفتين من الناس. طائفة: تجد الرجل قد خرج حديثه في الصّحيح، وقد احتج به فيه، فحيث وجدوه في حديث قالوا: (هذا على شرط الصّحيح). وأصحاب الصّحيح يكونون قد انتقوا من حديثه، ورووا له ما تابعه فيه الثّقات، ولم يكن معلولاً. ويتركون من حديثه المعلول، وما شذ فيه، وانفرد به عن الناس، وخالف فيه الثّقات، أو رواه عن غير معروف بالرواية عنه، ولا سيما إذا لم يجدوا حديثه عند أصحابه المختصين به. فإن لهم في هذا نظراً واعتباراً اختصوا به عمن لم يشاركهم فيه. فلا يلزم حيث وجد حديث مثل هذا أن يكون صحيحاً. ولهذا كثيراً ما يعلل البخاري ونظراؤه حديث الثّقة: بأنه لا يتابع عليه.

والطائفة الثانية: يرون الرجل قد تكلم فيه بسبب حديث رواه، وضعف من أجله، فيجعلون هذا سبباً لتضعيف حديثه أين وجده، فيضعفون من حديثه ما يجزم أهل المعرفة بالحديث بصحته. وهذا باب اشتبه كثيراً على غير النقّاد. والصواب: ما اعتمده أئمّة الحديث ونقاده: من تنقية حديث الرجل، وتصحيحه، والاحتجاج به في موضع، وتضعيفه وترك حديثه في موضع آخر. وهذا فيما إذا تعددت شيوخ الرجل: ظاهر. كإسماعيل بن عياش في غير الشاميين، وسفيان بن حسين في غير الزهري، ونظائرهما متعددة. وإنما النقد الخفي: إذا كان شيخه واحداً كحديث العلاء بن عبد الرّحمن- مثلاً- عن أبيه، عن أبي هريرة، فإن مسلماً يصحح هذا الإسناد، ويحتج بالعلاء، وأعرض عن حديثه في الصيام بعد انتصاف شعبان، وهو من روايته وعلى شرطه في الظاهر، ولم ير إخراجه لكلام الناس في هذا الحديث، وتفرده وحده به. وهذا أيضاً كثير، يعرفه من له عناية بعلم النقد، ومعرفة العلل.وهذا إمام الحديث البخاري يعلل حديث الرجل بأنه لا يتابع عليه،ويحتج به في صحيحه.ولا تناقض منه في ذلك)[١٠٨].

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث الذي تطرقت فيه للحديث المنكر عند الحافظ ابن حجر وقارنته بالحديث المنكر عند الأئمة المتقدمين من أهل الحديث من واقع تطبيقاتهم العملية وقفت على النتائج التالية:

١- ظهر من أقوال الأئمة المتقدمين،وتطبيقاتهم العملية، أنهم يطلقون (الحديث المنكر) على الحديث الذي تبين خطأ راويه فيه، أو غلب على الظن أنه أخطأ فيه، سواء كان راويه ثقة، أو صدوقاً، أو دونهما.وأن النكارة مدارها على القرائن التي تظهر للناقد منهم، وهي تختلف من حديث إلى حديث، ومن ناقد إلى آخر،وبعضها أظهر من بعض.

وتلك القرائن كثيرة ورد في هذا البحث منها: التفرد بحكم تتوافر الدواعي على نقله. وتفرد من لا يحتمل حاله التفرد. والعلم بأن هذا الراوي يخطئ في شيخه المعين. وأن يكون الحديث ليس عليه العمل. وأن يتقارب الحديث بمعنى حديث آخر روي بإسناده.

وأن لا يعرف هذا الحديث من حديث الشيخ الذي نسب إليه. وأن يخالف الراوي غيره ممن شاركه الرواية عن الشيخ لاسيما إن كان أثبت منه.وأن لا يعرف له أصل.وأن يعلم أن راويه غلط فيه بعينه.

٢-عرف الأئمة المتأخرون (الحديث المنكر) وممن عرفه: ابن الصلاح،وابن دقيق العيد، والذهبي وابن حجر. وأقرب تعريف منها إلى أقوال الأئمة المتقدمين وتطبيقاتهم: تعريف الإمام الذهبي،حيث راعى القرائن. وأبعدها: تعريف الحافظ ابن حجر حيث قيد المنكر بقيدين هما: تفرد الضعيف ومخالفته. ولم يسبقه أحد إلى هذا لا من الأئمة المتقدمين، ولا من الأئمة المتأخرين.

٣- نتج عن تقييد الحافظ ابن حجر للحديث المنكر بهذين القيدين أنه وجد أحاديث كثيرة رواتها ثقات أو ليست فيها مخالفة ومع هذا أطلق الأئمة المتقدمون عليها النكارة.

فحمل الحافظ هذه الأقوال التي لم ينطبق عليها تعريف المنكر عنده على أنهم قصدوا مجرد التفرد الذي لا يلزم منه الرد.

٤- أظهرت الدراسة أن الأئمة المتقدمين لم يطلقوا المنكر على مجرد التفرد كما ذكر الحافظ رحمه الله. بل أطلقوا (المنكر) على بابه قاصدين به الإعلال والرد.

التوصيات:

- أوصي بأن تعمم هذه التجربة فتدرس تعريفات الأئمة المتأخرين للمصطلحات الحديثية، كالشاذ وزيادة الثقة، والغريب، والحسن ونحوها، على ضوء التطبيقات العملية للأئمة المتقدمين.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

الهوامش

(١) نزهة النظر (ص: ٩٨) .

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٥٨١)

(٣) لسان العرب لابن منظور (٤/ ٩١-٩٢)

(٤) سورة النمل آية: (٤١)

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٨٢٣)

(٦) قال الذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ٤):(والحد الفاصل بين المتقدم والمتأخر هو رأس سنة ثلاثمائة)

(٧) علوم الحديث لابن الصلاح (ص: ٧٦- ٨٠)

(٨) الاقتراح في بيان الاصطلاح لابن دقيق العيد (ص: ٢١٢)

(٩) المصدر السابق (ص: ٢١١)

(١٠) الموقظة في علم مصطلح الحديث للذهبي (ص: ٤٢)

(١١) قال عنه في تقريب التهذيب رقم ٧٣١٢: (ثقة، ثبت، كثير التدليس و الإرسال الخفي) .

(١٢) قال عنه في المصدر السابق رقم ١٩٤٣: (ثقة، فقيه، تغير حفظه قليلاً في الآخر)

(١٣) قال عنه في المصدر السابق رقم ٤٥١٣: (ثقة، حافظ، شهير، وله أوهام)

(١٤) قال عنه في المصدر السابق رقم ٦٩٤٣: (ثقة، ثبت)

(١٥) الموقظة في علم مصطلح الحديث للذهبي(ص: ٧٧ -٧٨)وقد أشار السخاوي في فتح المغيث (١/ ٢٢٩) إلى أن الذهبي سوى بين الشاذ والمنكر كما فعل ابن الصلاح وذلك في قوله: (وأما جمع الذهبي بينهما في حكمه على بعض الأحاديث فيحتمل لعدم الفرق بينهما ويحتمل غيره).

(١٦) النكت على ابن الصلاح (٢/ ٦٧٥) .

(١٧) نزهة النظر (ص: ٩٨) .

(١٨) المصدر السابق (ص: ٩٩) . وقد سوى بينهما ابن الصلاح، والذهبي، وغيرهما .

(١٩) الحافظ ابن حجر رحمه الله فرغ من تأليف (نزهة النظر) سنة اثني عشرة وثمان مئة على ما أفاده السخاوي في الجواهر والدرر ينظر: النكت على نزهة النظر لعلي حسن عبد الحميد (ص: ٢١) وقد ألف كتابه (النكت على ابن الصلاح) قبل ذلك . ينظر ما حققه عمرو عثمان في رسالته: (الرواة الذين اختلفت أقوال الحافظ ابن حجر فيهم ١/ ٤٥-٥٦) .

(٢٠) شرح علل الترمذي (١/ ٩١) .

(٢١) شرح علل الترمذي لابن رجب (١/ ٢٢٤ ٢٢٥)

(٢٢) قال عنه في تقريب التهذيب رقم ٣٥٧٣: (متروك)

(٢٣) قال عنه في المرجع السابق رقم ٧٥٠٨: (ضعيف)

(٢٤) قال عنه في ميزان الاعتدال (١/ ٣٩٠): (قال أحمد: كان صاحب غفلة . وقال ابن المديني: لا يكتب حديثه . وقال البخاري ومسلم: منكر الحديث . وقال النسائي والدارقطني: متروك . وقال ابن حبان: كان يكذب في الحديث، ويشرب الخمر) .

(٢٥) الثقفي، البصري العابد . قال عنه في التقريب رقم ٢١٣٩: (متروك، وقال أحمد روى أحاديث كذب) .وقد يشتبه بعباد بن كثير بن قيس الرملي وهو أيضاً ضعيف كما في التقريب ولكن المقصود في كلام مسلم: الثقفي بدلالة أن الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/ ٣٧٢) في ترجمة الثقفي قال: (وفي خطبة مسلم: قال ابن المبارك: قلت للثوري: إن

عباد بن كثير من تعرف حاله ...) فعلم أنه هو الذي يتردد في كلام مسلم

(٢٦) قال عنه في ميزان الاعتدال (٥٢٨/١): (كذبه مالك، وقال أبو حاتم: متروك الحديث كذاب. وقال أحمد: لا يساوي شيئاً. وقال ابن معين: ليس بثقة ولا مأمون. وقال البخاري: منكر الحديث ضعيف. وقال أبو زرعة: ليس بشيء، اضرب على حديثه).

(٢٧) قال عنه في تقريب التهذيب رقم ٤٩٢٣: (ضعيف) وحاله أضعف من ذلك فقد قال في ميزان الاعتدال (٢٠٧/٣-٢٠٨): (قال أحمد: لم يكن بشيء. وقال يحي بن معين: لا يساوي فلساً. وقال البخاري: هو منكر الحديث وقال أبو حاتم والدارقطني: متروك الحديث).

(٢٨) مقدمة صحيح مسلم (١٧/١-١٨).

(٢٩) وبمقارنة كلام الإمام مسلم هذا بكلام من أوردنا قولهم فيما سبق من الأئمة المتأخرين، نجد أنه قريب من ما اختاره ابن الصلاح ومن وافقه، الذين عرفوا المنكر بمخالفة الضعيف أو بتفرده من غير مخالفة، ولا يتوافق مع ما اختاره الحافظ ابن حجر الذي لم يجعله منكراً إلا باجتماع قيدي الضعف والمخالفة، وأخرج من تعريفه: تفرد الضعيف من غير مخالفة.

(٣٠) أورد هذا القول ابنُ رجب في شرح علل التِّرمذي (٤٥٠/١) وصدره بقوله: (ولم أقف لأحد من المتقدمين على حد المنكر من الحديث، وتعريفه إلا ما ذكره أبو بكر البرديجي الحافظ، وكان من أعيان الحفاظ المبرزين في العلل، وذكره. قلت: وهذا التعريف هو الذي أورده ابن الصلاح بنحوه عن البرديجي في تعريف الحديث المنكر، كما في علوم الحديث (ص: ٨٠) وتعقبه، وسنأتي مناقشته قريباً.

(٣١) شرح علل التِّرمذي (٤٥١/١-٤٥٢).

(٣٢) شرح علل التِّرمذي (٤٥٢/١).

(٣٣) قال ابن رجب في شرح علل الترمذي (٤٦١/١): (الشيوخ في اصطلاح أهل العلم عبارة عمن دون الأئمة والحفاظ، وقد يكون فيهم الثقة وغيره).

(٣٤) شرح علل الترمذي لابن رجب (٢٥٢/١) وكلام ابن رجب هذا لا يبدو أن الإمام النووي يرتضيه، إذ لا يقبل أن يطلق (المنكر) على حديث الثقة الضابط كما يفهم من قوله في شرح مسلم: (ص: ١٨): (وقد يطلقون المنكر على انفراد الثقة بحديث، وهذا ليس بمنكر مردود، إذا كان الثقة ضابطاً متقناً). وأقول: ليس من حد الثقة الضابط أن لا يخطئ. وإذا جوزنا ذلك ما المانع أن يطلق على ما أخطأ فيه منكراً، إتباعاً لأئمة هذا الشأن الذين هم أعلم بأقوالهم ممن جاء بعدهم؟ والأولى أن لا يرد قولهم، بل يفهم، بالتماس وجه النكارة في إطلاقهم.

(٣٥) وقد نبه على هذا القول الحافظ ابن حجر، وسنأتي مناقشته قريباً.

(٣٦) علوم الحديث (ص: ٨٠)

(٣٧) أخرجه البخاري (٨٩٦/٢ رقم ٢٣٨٩) ومسلم (١١٤٥/٢ رقم ١٤٠٦) وغيرهما

(٣٨) الجرح والتعديل (١٧٠/١).

(٣٩) المصدر نفسه (١٧٠/١).

(٤٠) ميزان الاعتدال للذهبي (٤٦٢/٢)

(٤١) أخرجه ابن أبي حاتم في علله (٤٠٧/٢ رقم ١٨٨٢) والعقيلي في الضعفاء (٢٥٢/٤) والطبراني في الأوسط (٤١٢/٢ رقم ٢٨٨٩) وفي الصغير (ص٢٠١ رقم ٢٢) من طرق مختلفة عن عبد الله بن رجاء عن عبيد الله بن عمر عن نافع به. وعبد الله بن رجاء ثقة تغير حفظه قليلاً – كما في التقريب – وبقية رجال إسناده ثقات. وهذا الحديث مشهور من حديث النعمان بن بشير وعنه أخرجه البخاري (٢٨/١ رقم ٢٥٢) ومسلم (٧٢٢/٢ رقم ١٩٤٦) قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص: ٦٦): (وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر، وعمار بن

ياسر، وابن مسعود . وحديث النعمان أصح أحاديث الباب) .

(٤٢) موسوعة أقوال الإمام أحمد في رجال الحديث وعلله (٢٤٢/٢)

(٤٣) المرجع السابق (٢٤١/٢) .

(٤٤) المرجع السابق (٢٤١/٢) .

(٤٥) الضُّعفاء للعقيلي (٢٥٢/٢) .

(٤٦) الحديث أخرجه أبو داود (٣٠٨/٢ رقم ٣٥١٨)، والترمذي (٦٥١/٣ رقم ١٣٦٩ وقال: غريب)، وفي العلل الكبير(ص: ٥٢٠)

والنسائي في (الكبرى) (٣٦٥/١٠ رقم ١١٧١٤)، وابن ماجه (٨٣٣/٢ رقم ٢٤٩٤)، وأحمد في مسنده (٣٠٢/٣ رقم ١٤٣٣٦) وأبو داود الطيالسي (ص: ٢٣٤ رقم ١٦٧٢) ، و ابن عدي في (الكامل) (٢٠٣/٥)، من عدة طرق من عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء به .وقد ضعفه جمع من أهل العلم منهم: شعبة (كما في الضعفاء للعقيلي ٣٢/٣)، ويحي القطان (كما في الكامل لابن عدي ٢٠٢/٥)، والبخاري (كما في العلل الكبير للترمذي ص: ٥٢١) .

(٤٧) العلل ومعرفة الرجال (٨١/٣)

(٤٨) التنقيح لابن عبد الهادي (ص: ٥٧١)

(٤٩) سؤالات أبي داود للإمام أحمد (ص: ٢٩٦- ٢٩٧) .

(٥٠) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢٧٥/٥) والعقيلي في الضعفاء (٢٢٨/١) والخطيب في تأريخ بغداد (١٤٠/٤) وذكره الترمذي في العلل الكبير (٣٨٤/١) .

(٥١) تهذيب الكمال (١٧٠/٦)

(٥٢) أخرجه النسائي (١٤٢/٤ رقم ٢١٥١) ولم يخرجه من هذا الطريق أحد من أصحاب الكتب الستة غيره، ومتن الحديث معروف من حديث انس . أخرجه البخاري (٦٧٨/٢ رقم ١٨٢٣) ومسلم (٧٧٩/٢ رقم ١٠٩٥) .

(٥٣) سنن النسائي (١٤٢/٤ رقم ٢١٥١) .

(٥٤) منهج النسائي في الجرح والتعديل وجمع أقواله في الرجال قاسم علي سعد (٢١٢٤/٥). وقال في تهذيب التهذيب (٤٠٦/٩): وثقه ابن معين، وابن المديني، والدارقطني، ويعقوب بن سفيان، وابن سعد، والعجلي .

(٥٥) صحيح البخاري (٢٢/١ رقم الحديث ٢١٥١) .

(٥٦) سنن ابن ماجه (٥٢٦/١ رقم الحديث ١٦٤١) .

(٥٧) أخرجه الترمذي في جامعه (٦١٠/٣ رقم ١٣٢٠)وقال: (حديث صحيح حسن غريب من هذا الوجه) .وفي العلل الكبير (٥٣١/١) وقال: (سألت محمداً – يعني البخاري – عن هذا الحديث فقال: هو حديث حسن) . وأحمد في مسنده (٢٤٠/٣ رقم ١٤٦٤١) وزاد (سهلاً إذا اقتضى). والبيهقي في (الكبرى) (٣٥٧/٥ رقم ١٠٧٦١) من طريق عبد الوهاب بن عطاء، عن إسرائيل بن يونس، عن زيد بن عطاء، من محمد بن المنكدر، عن جابر، به مرفوعاً. وزيد بن عطاء بن السائب قال عنه أبو حاتم: (كما في الجرح والتعديل ٥٧٠/٣): (شيخ وليس بالمعروف) . وقد توبع في روايته عن ابن المنكدر متابعة تامة، تابعه محمد بن معرف (وهو ثقة كما في التقريب) . إلا إنه اختلف على محمد بن معرف فقد رواه عنه ثلاثة من أصحابه . اثنان منهم رفعاه وكلاهما ثقة -كما في التقريب- وهما:

١- علي بن عياش . وقد أخرج حديثه البخاري في صحيحه (٧٣٠/٢ رقم ١٩٧٠) من نفس الطريق بلفظ (رحم الله عبداً سمحاً إذا قضى، سمحاً إذا اقتضى) . وكذا ابن حبان (٢٦٧/١١ رقم ٤٩٠٣) . والبيهقي في الكبرى (٣٥٧/٥ رقم ١٠٧٦٠) .

٢- عثمان بن سعيد الحمصي . وقد أخرج حديثه: ابن ماجه (٧٤٢/٢ رقم ٢٢٠٣) وابن أبي حاتم في العلل (٢٢٩/٢ رقم ١١٤٦) .

٣- وخالفهما: يحي بن سعيد الأنصاري فرواه عن محمد بن مطرف مرسلاً ولم يذكر جابراً . أخرجه مالك في الموطأ (٢/٩٥٤ رقم ١٠٠) . يضاف إلى هذا ما ذكر ابن عبد البر في (التمهيد ٢٤/١١٥) في قوله: (لم يختلف على مالك في هذا الحديث أنّه موقوف على ابن المنكدر، وكذلك رواه أكثر أصحاب ابن المنكدر) .وعلى هذا فالحديث مختلف في وصله وإرساله .ولعل هذا يفسر سبب إنكار أبي حاتم له وأنه كان موافقاً لمالك في ترجيحه رواية الإرسال، فلأجلها أنكر رواية الوصل .

(٥٨) علل الحديث: ٢/٨٤ رقم ١١٤٧)

(٥٩) أخرجه أبو داود (١/٢٨٩ رقم ١٢٢٠) واللفظ له . والترمذي (٢/٤٢٨ رقم ٥٥٢ وقال: غريب)، وأحمد (٥/٢٤١ رقم ٢٢٠٩٠)، وابن حبان (٤/٢١٢ رقم ١٤٥٨)، و (٤/٤١٥-٤١٦ رقم ١٥٩٣)، والدارقطني في سننه (٢/٢٤٢ رقم ١٤٦٤)، والطبراني في الأوسط (٥/٢٦٩ رقم ٤٥٣٠)، والصغير (ص: ٢٧٩ رقم ٦٥٧)، والبيهقي في الكبرى (٢/١٦٣ رقم ٥٣١٧)، من طرق متعددة عن قتيبة به . وقد تتابع جمع من الأئمة على رده وتضعيفه منهم: البخاري، وأبو حاتم الرازي، وأبو داود، والترمذي وغيرهم، حتى قال الذهبي رحمه الله: (ما علمتهم تقمروا على قتيبة سوى ذلك الحديث المعروف في الجمع في السفر) ينظر: سير أعلام النبلاء (١١/٢٠) .

(٦٠) التلخيص الحبير: (٢/٤٩) .

(٦١) تهذيب التهذيب (٨/٢٦٠) .

(٦٢) المصدر السابق (٨/٢٥٩) وأشار أبو داود السجستاني إلى مكانته . فقد قال في سؤالات أبي عبيد الآجري (٢/٢٠٨): (قدم قتيبة بغداد، سنة ست عشرة، فجاءه أحمد، ويحي) وفي هذا تضمين للثناء عليه .

(٦٣) تقريب التهذيب رقم (٥٣٢٥)

(٦٤) أخرجه عبد الرزّاق في (مصنفه ١١/٢٣٣ رقم ٢٠٤٨٢)، ومن طريقه أخرجه أحمد في (مسنده ٢/٨٨رقم ٥٦١٤)، وعبد بن حميد كما في (المنتخب ٢/٦ رقم ٧٢١)، وأخرجه الترمذي في (العلل الكبير ص: ٩٣٧)، و النسائي في (الكبرى) (٩/١٢٤ رقم ١٠٠٢٠) وابن ماجه في (سننه ٢/١١٧٨ رقم ٣٥٥٨)، وأبو يعلى في (مسنده ٩/٤٠٢ رقم ٥٥٤٥)، وابن حبان في (صحيحه ١٥/٣٢٠ رقم ٦٨٩٧) من طرق متعددة عن عبد الرزّاق به .

(٦٥) ينظر: (سنن النسائي الكبرى) (٩/١٢٤ رقم ١٠٠٧٠)

(٦٦) أخرجه الطبراني في المعجم الصّغير (ص: ١٩٨ رقم ٤٥٩) ولم أقف عليه عند غيره .

(٦٧) تأريخ الدارمي عن ابن معين (ص: ٨٢ رقم ٢٠٠) .

(٦٨) صحيح مسلم (٢/٩٠٧ رقم ٢٠٣٤)

(٦٩) أخرجه النسائي (٨/٣١٩ رقم ٥٦٧٧) وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/١١٦ رقم ٢٤٢٩٢) وأبو داود الطيالسي (ص: ١٩٥ رقم ١٣٦٩) والدارقطني في سننه (٥/٤٤٦ رقم ٤٦٧٦) من طرق عن أبي الأحوص به .

(٧٠) سنن النسائي (٨/٣١٩ رقم ٥٦٧٧)

(٧١) تهذيب التهذيب (٤/٢٨٢) .

(٧٢) النكت على ابن الصلاح (ص: ٢/٦٧٤) .

(٧٣) هو أبو الحسنات محمد بن عبد الحي اللكنوي الهندي المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ (مقدمة الرفع والتكميل: ص: ١٨)

(٧٤) الرفع والتكميل في الجرح والتعديل (ص: ١٥٠-١٥١) وفيه: أن اللكنوي نسب تعريف المنكر عند الحافظ ابن حجر لكل المتأخرين، مع أنه لم يشارك ابنَ حجر أحدٌ ممن سبقه في القول به، وقد خالف بهذا القول: تعريف ابن الصلاح،وابن دقيق العيد،والذهبي وهم من المتأخرين . وهذا يدل على أثر أقوال الحافظ ابن حجر رحمه الله فيمن جاء بعده من أهل العلم بالحديث .

(٧٥) أخرجه أحمد (٦/٥٣ رقم ٢٤٩٤٦)، (٦/٩٧ رقم ٢٤٦٤٥)، وأبو يعلى (٨/٢٨٢ رقم ٤٨٦٨) وابن حبان (١٦/١٢٦

رقم ٦٧٣٣) والحاكم (١٢٩/٢) من عدة طرق عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس به .

(٧٦) تهذيب التهذيب (٣٨٩/٨)

(٧٧) المصدر نفسه (٣٨٩/٨) .

(٧٨) العلل ومعرفة الرجال (٥٦٦/١ رقم ٣٥٥) .

(٧٩) هدى الساري (ص: ٤٥٩) .

(٨٠) العلل ومعرفة الرجال (١١/٢ رقم ١٣٨٠) .

(٨١) هدي الساري (ص: ٤١٢) .

(٨٢) هدي الساري (ص: ٤٧٦)

(٨٣) المصدر السابق (ص: ٤٧٨) .

(٨٤) وسبب الوقوع في هذا الوهم ما قاله الشيخ طارق عوض الله في كتابه لفة المحدث (ص:٤١٠-٤١١)، (وقد حاول بعضهم تفسير (المنكر) حيث أطلقه بعض الأئمة كأحمد، وأبي داود، والبرديجي، على ما تفرّد به بعض الثقات بالفرد المطلق، محاولة منهم للتوفيق بين ما اشترطوه هم في (المنكر) من الضعف والمخالفة، وما وجد في كلام الأئمة، مما يقتضي عدم اشتراط ذلك، وهذا التفسير ليس بشيء . ففي الأمثلة التي ذكرناها عن الإمام أحمد وأبي داود ما يدل على أن المنكر عندهما هو الحديث الخطأ . وأما الإمام البرديجي فصنيعه مثل صنيع أحمد وغيره. فهو لا يطلق المنكر على مطلق التفرّد وإنما حيث يترجح له أن هذا الحديث الفرد قد أخطأ فيه الراوي المتفرد به)

(٨٥) سبق تخريجه

(٨٦) تهذيب التهذيب: (٣٨٩/٨)

(٨٧) المصدر نفسه: (٣٨٩/٨) .

(٨٨) ميزان الاعتدال (٣٩٣/٣)

(٨٩) المصدر نفسه (٣٩٣/٣)

(٩٠) هدي الساري (ص: ٤٤٥)

(٩١) ميزان الاعتدال (١٢١/٢)

(٩٢) المراسيل لابن أبي حاتم (ص: ١٣٩)

(٩٣) جامع التحصيل (ص: ٢٥٧)

(٩٤) العلل ومعرفة الرجال (٥٦٦/١ رقم ١٣٥٥) ليعلم أن فول العلماء: يروي مناكير ليس كقولهم منكر الحديث، فالأولى لا تنفي ممن قيلت فيه أنه ثقة بخلاف الثانية .

(٩٥) هدى الساري (ص: ٤٥٩) .

(٩٦) شرح علل الترمذي: (٩١/١) .

(٩٧) العلل ومعرفة الرجال: (١١/٢ رقم ١٣٨٠) .

(٩٨) هدي الساري: (ص: ٤١٢) .

(٩٩) معرفة الثقات لابن حبان (٢٤٤/١ رقم ١٤٥)

(١٠٠) إكمال تهذيب الكمال لمغلطاي (٣٢١/٢ رقم ٧٠٢)

(١٠١) أخرجه مسلم (١٧٩١/٤ رقم ٢٢٨٨)، وابن حبان في صحيحه (٢١/١٥ رقم ٦٦٤٧) ووجه النكارة التي عناها ابن عدي- فيما يبدو لي - أن بريداً لم يتابعه أحد في رواية هذا الحديث عن جدة أبي بردة، ولم أقف عليه من طريق يصح عن أبي موسى الأشعري غير هذا الطريق - بل ولم أقف عليه من طريق غيره من الصحابة -وقد ورد حديث قريب في معناه من هذا الحديث رواه أبو بردة عن أبي موسى مرفوعاً (أمتي هذه أمة مرحومة) أخرجه أبو داود

(٥٠٢/٢ رقم ٤٢٧٨) وأحمد (٤١٨/٤ رقم ١٩٧٦٧) قال عنه البزار في مسنده (٩١/٨): [وقد روي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري من غير وجه) - فلعل بريداً عني هذا فرواه عن أبي بردة بالمعنى غير المطابق فحصل له هذا التفرد المنكر .

(١٠٢) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٦٣/٢-٦٤)

(١٠٣) هدي الساري: (ص: ٤٧٨) .

(١٠٤) المصدر السابق: (ص: ٤٧٨) .

(١٠٥) أخرجه البخاري (٢٥٠١/٦ رقم ٦٤٣٧) ومسلم (٢١١٧/٤ رقم ٢٧٦٤)

(١٠٦) شرح علل الترمذي (٤٢٥/١) ولا يرد ما يقال: كيف يضعفه وهو عند البخاري ومسلم ؟ الجواب: أنه لا يقلدهما بل إنه مجتهد وهما مجتهدان .ويقاس عليه ما أنكره أحمد مثلاً وقبلاه .

(١٠٧) ميزان الاعتدال (٦٧٢/٢)

(١٠٨) تهذيب السُّنن (٢٢٦/٥) .

فهرس المصادر والمراجع

- الاقتراح في بيان الاصطلاح لابن دقيق العيد ت: عامر صبري دار البشائر الإسلامية، بيروت ط١، ١٤٢٦هـ
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي . دار الكتب العلمية بيروت .
- تدريب الرّاوي، لجلال الدين السّيوطي، ت: عزت عطية وموسى محمّد علي، دار الكتب الحديثة .
- تدريب الرّاوي، ت: أبي قتيبة نظر محمّد الفاريابي، مكتبة الكوثر، ط ٢، ١٤١٥ هـ .
- تعريف أهل التقديس، لابن حجر، ت: أحمد المباركي، ط ١، ١٤١٣ هـ .
- تقريب التّهذيب، لابن حجر، ت: محمّد عوامة، دار العلم، سوريا . ط ٤، ١٤١٢ هـ .
- تلخيص الحبير، لابن حجر، ت: عبد الله هاشم المدني .
- التمهيد لما في الموطأ المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، ت: أسامة بن إبراهيم، الفاروق . ط ١، ١٤٢٠ هـ .
- تنقيح التحقيق بحاشية التحقيق، لابن عبد الهادي، مكتبة الفاروق، ط ١، ١٤٢٢ هـ .
- تهذيب التّهذيب، لابن حجر، مطبعة مجلس دائرة المعارف في الهند، ط ١، ١٣٢٥ هـ .
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ت: بشار عواد، مؤسسة الرّسالة ط ١، ١٤١٣ هـ .
- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، الكتب الثّقافيّة . ط ١، ١٤٠٨ هـ .
- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثماني، الهند، ط ١ .
- الحديث المنكر عند نقّاد الحديث، عبد الرّحمن نويفع، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٦ هـ .
- الرفع والتكميل، للكنوي، ت: أبي غدة، دار البشائر، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ .
- سؤالات أبي عبيد الآجري ت: البسنوي، مؤسسة الريان ط ١، ١٤١٨ هـ .
- سنن ابن ماجه، ت: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار البيان للتراث .
- سنن أبي داود، ت: كمال الحوت، دار الجنان، بيروت، ط ١، ١٤٠٩ هـ .
- سنن الترمذي، ت: أحمد شاكر وغيره، العلمية، بيروت . ط ١، ١٤٠٨ هـ .
- سنن الدارقطني، ت: عبد الله هاشم المدني، دار المحاسن، القاهرة .
- سنن الدارقطني، ت: شعيب الأرنؤوط وزملائه، مؤسسة الرّسالة، بيروت ط ١، ١٤٢٤ هـ .
- السنن الكبرى، للبيهقي، عناية: أبو عبد الله عبد السلام علوش، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٥ هـ .
- السنن الكبرى، للنسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرّسالة . ط ١، ١٤٢١ هـ .

- سنن النسائي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر، بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ.
- سير أعلام النبلاء، للذَّهبيّ، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرِّسالة، ط ٩، ١٤١٣ هـ.
- شرح علل الترمذي، لابن رجب الحنبلي، ت: عتر، دار العلماء، الرياض، ط ٤، ١٤٢١ هـ.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ت: شعيب الأرنؤوط، الرِّسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٨ هـ.
- صحيح البخاري، ت: مصطفى ديب، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠١ هـ.
- صحيح مسلم، ت: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت
- صيانة صحيح مسلم، لابن الصَّلاح، ت: موفق عبد القادر، دار العرب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٨ هـ.
- الضعفاء الكبير، للعقيلي، ت: قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤١٨ هـ.
- علل الترمذي الكبير، لأبي طالب القاضي، ت: ديب مصطفى، مكتبة الأقصى، ط ١، ١٤٠٦ هـ.
- علل الحديث، لابن أبي حاتم، ت: نشأت كمال، الفاروق، ط ١، ١٤٢٧ هـ.
- علل الحديث، لابن أبي حاتم، ت: الدباسي، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٤ هـ.
- العلل ومعرفة الرجال، للإمام أحمد، ت: وصي الله عباس، دار الخاني، الرياض، ط ٢، ١٤٢٢ هـ.
- علوم الحديث، لابن الصَّلاح، ت: نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦ هـ.
- قواعد العلل وقرائن الترجيح، عادل الزرقي، دار المحدث، ط ١، ١٤٢٥ هـ.
- الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٤٠٩ هـ.
- الكفاية للخطيب، للخطيب البغدادي، دار التراث العربي، ط ٢.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر بيروت.
- لغة المحدث، لطارق عوض الله، مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- المحلى، لابن حزم، ت: أحمد شاكر، دار التراث، القاهرة.
- مختصر سنن أبي داود للمنذري مع معالم سنن أبي سليمان الخطابي وتهذيب ابن القيِّم، ت: أحمد شاكر ومحمَّد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
- المراسيل، لابن أبي حاتم الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣ هـ.
- المستدرك على الصَّحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التَّلخيص للحافظ الذَّهبيّ، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ.
- مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.
- مسند أبي عوانة، ت: أيمن الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ.
- مسند أبي يعلى الموصلي، ت: حسين سليم أسد، دار الثقافة، دمشق، ط ١، ١٤١٢ هـ.
- مسند الإمام أحمد، إشراف: سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤١٣ هـ.
- المصنف، لعبد الرزَّاق بن همام، ت: الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت ط ٢، ١٤٠٣ هـ.
- المصنف، لابن أبي شيبة، ت: حمد بن عبد الله الجمعة وزميله، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٥ هـ.
- المعجم الأوسط، للطبراني ت: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
- المعجم الصَّغير، للطبراني، ت: محمَّد سمارة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المعجم الكبير للطبراني، ت: حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
- معجم مقاييس اللُّغة، لابن فارس، دار الكتب العلمية، ط ١ ١٤٢٠ هـ.
- معرفة السنن والآثار، للبيهقي، ت: عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء، القاهرة، ط ١، ١٤١١ هـ.
- مقاييس نقد متون السنة، لمسفر الدميني، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٥ هـ.

- موسوعة أقوال الإمام أحمد، جمع: أبي العاطي وزملائه، عالم الكتب، بيروت ط ١، ١٤١٧ هـ .
- موطأ مالك، برواية يحي الليثي ت: محمّد فؤاد عبد الباقي .
- الموقظة، للذّهبيّ، عناية عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر، بيروت . ط ٢، ١٤١٢ هـ .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للإمام الذّهبيّ، ت: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت .
- نزهة النّظر شرح نخبة الفكر، لابن حجر، مكتبة منار العلماء . ١٤٠٩ هـ .
- نزهة النّظر شرح نخبة الفكر، لابن حجر، ت: عبد الله الرحيلي، مطبعة سفير، ط ١، ١٤٢٢ هـ .
- النكت، لابن حجر، ت: ربيع بن هادي، دار الرّاية . ط ٢، ١٤٠٨ هـ .
- النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، ت: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت .
- هدي الساري (مقدمة فتح الباري)، لابن الحجر . دار الريان، ط ١، ١٤٠٧ هـ .

٦

التصميم

جامعة الطائف

متطلبات الارجونوميكس الأساسية في مقررات التصميم الداخلي لإثراء المنتج التصميمي بكلية التصاميم جامعة الطائف

د. أيمن فاروق عبد العظيم المليجى
أستاذ مشارك بقسم التصميم الداخلي
بكلية التصاميم جامعة الطائف

مجلة جامعة الطائف - الأداب والتربية (التصميم)
المجلد الثاني - العدد السابع - جمادى الأخرة ١٤٣٣هـ - أبريل ٢٠١٢م

الملخص

سوف يظل موضوع التعليم في الوطن العربي على رأس القضايا التي تحتاج إلى جهود فكرية وعملية وميدانية، لما له من تأثير كبير على حاضر الأمة ومستقبلها. الحديث عن تطوير مناهج ومقررات التعليم العالي حديث ذو شجون، فهو ينطوي على الرغبة في إرساء دعائم التطور والتحديث، وتوفير مقومات الإبداع والابتكار، في عالم تتسارع فيه منتجات العقل البشري معرفة وتقنية. إن التغييرات العميقة التي لحقت بالنظام الدولي والإقليمي في المجالات المختلفة وضرورة ربط التعليم الجامعي بالاهتمامات والحاجات اليومية للمواطنين يتطلب إعادة النظر في وظائف الجامعات، وخاصة الكليات العملية وكيفية توفير مخرجات ملائمة لسوق العمل، والتأكيد على تطوير الأداء الجامعي ووضع مؤشرات للأداء، ونظاماً للاعتماد الجامعي بغية ضمان الجودة والتطوير المستمر للنظم الجامعية.

ومن المؤثرات العلمية التي ظهرت في القرن العشرين وكان لها أثر بالغ في تطوير التعليم وتنمية جوانب الإبداع علم الارجونوميكس، هو <دراسة للعلاقة بين الإنسان وبيئة عمله بالاستناد إلى العوامل التشريحية والفسيولوجية والعوامل البشرية> ويعرف الارجونوميكس كذلك بأنه كم متراكم من المعلومات عن القدرات البشرية وأوجه القصور فيها والصفات والخصائص البدنية الأخرى المتعلقة بالتصميم بصفة عامه والتصميم الداخلي خاصة. لذلك يهدف هذا البحث إلى أهمية دراسة تطوير مقررات التصميم الداخلي في ضوء معطيات الارجونوميكس كأحد الاتجاهات الحديثة في التصميم في الربط بين الوظيفة النفعية القيم الجمالية وأثبتت نتائج البحث تطوير المنهج في ضوء الارجونوميكس يثري العملية التعليمية بالقيم الإبداعية والوظيفية في المنتج التصميمي لتحقيق الجودة في أداء وظيفته.

مقدمة:

سوف يظل موضوع التعليم في الوطن العربي على رأس القضايا التي تحتاج إلى جهود فكرية وعملية وميدانية، لما له من تأثير كبير على حاضر الأمة ومستقبلها.

الحديث عن تطوير مناهج ومقررات التعليم العالي حديث ذو شجون، فهو ينطوي على الرغبة في إرساء دعائم التطور والتحديث، وتوفير مقومات الإبداع والابتكار، في عالم تتسارع فيه منتجات العقل البشري معرفة وتقنية، إذ يعيش العالم الآن مدينة «عصر المعلومات» مدينة القرن الحادي والعشرين التي تتسم بترابط العالم وتفاعله، واتساع نطاق العلاقات الدولية المتبادلة ونمو صناعات جديدة تتحصر نشاطاتها في جمع المعلومات وتخزينها واسترجاعها، واستخدام الإلكترونيات في المجالات المختلفة وتوجيه الاستثمار في مجالات المعرفة والبحث العلمي، واعتماد المنافسة الاقتصادية على قدرة المعرفة البشرية على الإنتاج والدخول إلى مجالات العلم المتطورة، لذا يستلزم تطوير المهارات البشرية وتنمية كوادر وقدرات تستطيع التعامل مع مخرجات هذا العصر والتكيف مع نتائجه.

إن التغييرات العميقة التي لحقت بالنظام الدولي والإقليمي في المجالات المختلفة وضرورة ربط التعليم الجامعي بالاهتمامات والحاجات اليومية للمواطنين يتطلب إعادة النظر في وظائف الجامعات، وخاصة الكليات العملية وكيفية توفير مخرجات ملائمة لسوق العمل، والتأكيد على تطوير الأداء الجامعي ووضع مؤشرات للأداء، ونظاماً للاعتماد الجامعي بغية ضمان الجودة والتطوير المستمر للنظم الجامعية (٦).

ومن المؤثرات العلمية التي ظهرت في القرن العشرين وكان لها أثر بالغ في تطوير التعليم وتنمية جوانب الإبداع علم الارجونوميكس. ويعني «دراسة علمية للإنسان في بيئة عمله» والبيئة هنا تعني كل ما يحيط بالإنسان كما يعرف أيضا بأنه «دراسة علميه لكفاءة العمل» أوبأنه «دراسة للعلاقة بين الإنسان وبيئة عمله بالاستناد إلى العوامل التشريحية والفسيولوجية والعوامل البشرية» ويعرف الارجونوميكس كذلك بأنه كم متراكم من المعلومات عن القدرات البشرية وأوجه القصور فيها والصفات والخصائص البدنية الأخرى المتعلقة بالتصميم بصفة عامه والتصميم الداخلي خاصة. و دور الارجونوميكس في التصميم الداخلي يختص بتطبيق هذا الكم من المعلومات في تصميم الأثاث الأدوات وإعداد البيئة المناسبة من ديكور ودراسة الضوء الصناعي والطبيعي وإعداد المكان لوظيفته للحصول على استخدام كفء وآمن ومريح.

وعبر المراحل التاريخية المتعاقبة ارتبط الإبداع الفني بالتصميم الداخلي منذ عصور قديمة وبمتطلباته الاجتماعية ووظيفته على حد سواء، سعى فيها المصمم إلى تحقيق الإبداع الجمالي

المتوافق وظيفيا مع المجتمع المتواجد به ومرتبطا بالتطور التقني والفكري للعصر الذي يعيشه لذلك يهدف هذا البحث إلى أهمية دراسة تطوير مقررات التصميم الداخلي في ضوء معطيات الارجونوميكس كأحد الاتجاهات الحديثة في التصميم في الربط بين الوظيفة النفعية وتحقيق القيم الجمالية.

مشكلة البحث:

- قلة الدراسات والبحوث في علم الارجونوميكس رغم أهميته في تطوير مناهج ومقررات الكليات العملية.

- يقوم الطالب بالتركيز على جماليات التصميم الداخلي دون دراسة علم الانثروبومترية الخاص بنسب الأشخاص الذين يستخدمون منتجات التصميم سواء في المنزل أو العمل أو المطاعم والفنادق أو..... الخ

أهداف البحث:

- تطوير مقررات قسم التصميم الداخلي في ضوء معطيات الارجونوميكس.
- استخدام الارجونوميكس في تحديد الأبعاد الإنشائية والوظيفية للمنتج في ضوء الانثروبومترية
- دراسة وصفيه وتحليلية للوصول إلى بعض متطلبات الارجونوميكس في تصميم منتج عالي الجودة وتنمية القدرات الإبداعية وتحسين وتعزيز الفاعلية والكفاءة السيكولوجية التي يتم بها الأداء والأنشطة الأخرى. وهذا الهدف يشمل زيادة ملائمة المنتجات للإستخدام الانساني وتقليل الأخطار، وزيادة معدلات الأداء الوظيفي.

منهجية البحث:

يعتمد تصميم البحث على المنهجين التحليلي والتطبيقي لتحقيق أهداف البحث.

- المنهج التحليلي: دراسة تحليلية لمقررات ومناهج التصميم الداخلي في ضوء معطيات الارجونوميكس وأهدافه و في ضوء نظرية الجشتالت كإحدى نظريات التعلم.
- دراسة أهمية قياسات الانثروبومترية في منتجات التصميم الداخلي.

المنهج التطبيقي:

تنمية القدرة المهارية والإبداعية في تصميم وتنفيذ منتج فني عالي الجودة يحقق أهداف الارجونوميكس الوظيفية والجمالية.

- تطبيق معطيات وأهداف الارجونوميكس في مقررات التصميم الداخلي.

محاور البحث:

- دراسة مجال وخصائص وأهداف الارجونوميكس في متطلبات المنتج للتصميم الداخلي وتنمية القدرات الإبداعية للطالب في إنتاج وتصميم منتج فني جيد.
- دراسة نظرية الجشتالت كإحدى نظريات التعلم.
- دراسة تحليلة لمقررات التصميم الداخلي لإيجاد المدخل المناسب لتحقيق أهداف الارجونوميكس وارتباطه بالتصميم في ضوء دراسة علم الانثربومترية (إحدى فروع الارجونوميكس)
- التعرف على الفروق الفردية الخاصة بالقدرات والحدود الإنسانية وإدراكها لتضمينها في التصميم
- دراسة أهمية مقررات الارجونوميكس في تطوير مناهج التصميم الداخلي وتنمية التفكير المتشعب للطلاب.
- تقديم مقترح لمقرر الارجونوميكس ضمن محتويات مقررات التصميم الداخلي.
- زيارة ميدانية لبعض المصانع الفنية في تصنيع الأثاث والرخام والديكور للاستفادة العلمية والمهارية في استخدام الماكينات والأدوات الفنية في ضوء الارجونوميكس.
- تقييم الأداء الفني والابداعي والمهارى للطالب في معطيات الارجونوميكس ومدى ارتباطه العلمي والتطبيقي بالمنهج.

دراسات مرتبطة:

١- محمد متولي مرسي محمد: متطلبات الارجونوميكس الأساسية في تصميم المنشآت المعدنية.

تناول البحث متطلبات الارجونوميكس الأساسية التي تؤثر في تصميم منتج الأثاث المعدني والإنشاءات المعدنية (السيكولوجية، والوظيفية، والأمنية) ودور المصمم في ضوء هذه المتطلبات وقد تضمن البحث تعريف الارجونوميكس وبعض المتطلبات الارجونومية من خلال المتطلبات السيكولوجية التي تهتم بالنواحي السيكولوجية (النفسية) للإنسان المستخدم هى علاقته بالمنتج عامة، كما تضمنت الدراسة أيضا دور متطلبات الارجونوميكس الوظيفية في تصميم المنتج وذلك للحصول على الخدمة (الوظيفية) المصمم من أجلها والمطلوب أن يؤديها. وتفيد الدراسة الحالية في دراسة متطلبات الارجونوميكس الأساسية في (السيكولوجية والوظيفية والأمنية ودور المصمم في ضوء هذه المتطلبات).

٢- مايكل هرتيمر، نظريات التعليم (دراسة مقارنة)، ترجمة على حسين حجاج ١٩٩٠.

والنظريات التي يتناولها الكتاب هي: الارتباط لثورندايك والأشراط الكلاسيكي لبافلوف والاقتران لجاثرى والدافع لهل والإجراء لسكنر والطبيعة التطورية الأساسية الغريزية

والتطورية) التي قال بأسسها داروين وفيشر وويتمان وكريج ولويد مورجان وآخرون والجشطالت والبنائية التطورية لبياجيه والرياضية لاستس والذاكرة ومعالجة المعلومات لدوندرز وايبنجهاوس كرائدين لها. والتعلم بالملاحظة لباندورا وأخيرا التعلم الاجتماعي. ويفيد البحث الحالي في نظرية الجشطالت.

٣- فؤاد محمد عساف، أثر علم الارجونومكس في تصميم أدوات يدوية لإنجاز النماذج.

تحتوى الدراسة على اعتبارات ارجونوميكية يمكن للمصمم الاسترشاد بها عند القيام بعمليات التصميم المختلفة للمعدات اليدوية، وإمكانية تحقيق الموامة بين الأداء المطلوب من المعدات اليدوية والأداء المطلوب من الإنسان لتحقيق أكبر كفاءة في الاستخدام،، تطبيق نتائج البحث من اعتبارات ارجونومية في تصميم المعدات والأدوات اليدوية، تحقيق الاستفادة من علم الارجونوميكس باعتباره إحدى علوم التصميم الصناعي في تحسين، التصميم الاستخدامي للأجهزة والمعدات عامة والمعدات اليدوية لإنجاز النماذج خاصة، إيجاد اعتبارات ارجونوميكية استرشادية

تمكن المصمم باستخدامها من تصميم النوعيات المختلفة للعدد اليدوية من حيث الاستخدام الجيد وتفيد البحث الحالي: مع إمكانية تحقيق الموامة بين الأداء المطلوب من المعدات اليدوية والأداء المطلوب من الإنسان لتحقيق أكبر كفاءة في الاستخدام.

مصطلحات الدراسة :

مفهوم التصميم الداخلي:

- عبارة عن تصميم إبتكاري قائم على دراسة سيكولوجية وثقافة المقيمين في المكان المراد تصميمه جماليا، وإخراج هذا التصميم لحيز الوجود و تنفيذه مع مراعاة توزيع عناصر التصميم الداخلي في الفراغات مهما كانت أغراض استخدامها وطابعها باستخدام المواد المختلفة والألوان المناسبة ودراسة أساليب الإضاءة المناسبة التي تناسب طبيعة المكان وايجاد التفاعل بين وظيفة المنتج وجمالياته.
- معالجة ووضع الحلول المناسبة لكافة الصعوبات التي تواجه مجال الحركة في الفراغ من حيث ضيق المكان وسهولة توظيف الأثاث وتجهيزات مقاسات تتناسب مع حيز فراغ المكان وجعل هذا الفراغ مريحا وهادئا ومميزا بكافة الشروط والمقاييس الجمالية وأساليب المتعة و البهجة.
- الإدراك الواسع والوعي بلا حدود لكافة المعالجات الفنية وتفاصيلها وخاصة الداخلية منها ومسايرة التطور التكنولوجي للخامات وماهيتها وكيفية استخدامها والمعرفة الخالصة بالأثاث و مقاسية الخاصة التي تناسب الإنسان في أداء وظائفه براحة ويسر وتوزيعه في

الفراغ الداخلي حسب أغراضها وبالألوان وكيفية استعمالها واختيارها في المكان وكذلك بأمور التنسيق الأخرى اللازمة كالإضاءة وتوزيعها والزهور وتنسيقها وبالإكسسوارات المتعددة الأخرى اللازمة للفراغ حسب وظيفته ومعالجة الأسقف جماليا والحلول الجمالية للحوائط وتوزيع الألوان(٥).

الارجونوميكس:

الإرجونومية تعنى بالتوافق والملائمة والمطابقة. التوافق بين البشر والأشياء التي يفعلونها والبيئة التي يعملون خلالها وينتقلون في أرجائها بل والتي يلهون ويلعبون فيها. إذا ما تحقق هذا التوافق والملائمة بشكل جيد فان الضغوط التي تقع على البشر تقل. وسيشعرون بالراحة أكثر وسيمكنهم أداء مهامهم أسرع وأسهل وسيقعون في عدد أقل من الأخطاء.(١) (جمعية الارجونوميكس الأوروبية)

الارجونوميكس أو العوامل البشرية هو نطاق علمي يتعلق بفهم التفاعل بين الإنسان وعناصر النظم الأخرى وهو المهنة التي تطبق النظرية والمبادئ والبيانات والأساليب في التصميم بغرض تحسين معيشة البشر وأداء النظم التي يشكلون جانبا منها، ويسهم الارجونوميكس في تصميم وتقييم المهام والوظائف والمنتجات والبيئات والنظم بغرض جعلها متوافقة مع احتياجات وقدرات ومعوقات أداء الناس. واشتقاق كلمة إرجونوميكس من اللفظين اليونانيين nomo بمعنى القانون و ergon بمعنى العمل تشير إلى أن الارجونوميكس هو علم العمل. وهو لفظ يشير أيضا إلى كون الارجونوميكس علما ونطاقا منظوما أمتد أخيرا إلى جميع الاعتبارات المتعلقة بالحياة البشرية.

هو الجانب التطبيقي من تصميم المعدات وتصميم مكان العمل يتم بغرض تعظيم الإنتاجية بتقليل إجهاد المشغل وتحسين راحته. ويسمى العلم أيضا باسم التكنولوجيا الحيوية كما يسمى بالهندسة البشرية. والإرجونوميكس أحد عوامل التصميم واستخدامه في تصميم أماكن العمل ينتج عنه ملاءمة عالية وتوافق يريح العامل ويزيد من إنتاجيته وراحته وأمانه (١٥).

الارجونوميكس أو هندسة العوامل البشرية هو العلم الذي كرسه العالم لجلب وتقييم ومعالجة وعرض البيانات المتعلقة بالجسم البشري وعلاقته بتصميم المنتجات وظروف وبيئات العمل. ويعرف هذا العلم بأنه كم من المعلومات عن القدرات البشرية ومعوقات حركته والصفات البشرية الأخرى المتعلقة بالتصميم. كما يعرف مصطلح إرجونومية التصميم بأنه تطبيق هذا الكم من المعلومات في تصميم الأدوات والماكينات والنظم والمهام والوظائف والبيئات لاستخدام كفء آمن ومريح. وآخر تعريف رسمي للإرجونوميكس يمكن الاعتداد به عمليا وأكاديميا هو التعريف الذي أصدره المجلس التنفيذي لرابطة الارجونوميكس العالمية في أغسطس ٢٠٠٣ ليحمل

في طياته توسيعاً للمفهوم، فهو يعرف الارجونوميكس بأنه نطاق من العلم يتعلق بفهم التفاعل بين البشر والمكونات الأخرى في نظام حياتهم وأنه هو المهنة التي تطبق النظريات العلمية والمبادئ والبيانات والأساليب المناسبة في تصميم ما يمكن أن يحقق للبشر بحياة مريحة آمنة وأداء أفضل لمهام حياتهم الشخصية والعملية (١٦).

الارجونوميكس هو علم متعدد المداخل أو ما يسمى بالعلوم البيئية التي ظهرت منذ أكثر من نصف قرن كأسلوب مثمر وناجح للحصول على المعلومات وتوفيرها للآخرين في مجال تصميم المنتجات.

وقد أعطي هذا العلم أسماء عديدة في مختلف بلاد العالم مثل العوامل البشرية وهندسة العوامل البشرية والبيانات الحيوية وغيرها.

الارجونوميكس مجال تطبيقي مشترك بين علوم كثيرة، حيث تطلب دراسة الإنسان أثناء العمل خبرة في علم التشريح الذي يبحث في شكل وبنية الجسم ومختلف أعضاؤه، وعلم وظائف الأعضاء الذي يدرس العمليات التي تحدث في الجسم حيث يدرس وظائف الجسم ونشاط أعضائه المختلفة، أيضا علم الأنثروبومتري ليعطي معلومات عن قياس الجسم البشري وهذا هام جدا للتصميم الداخلي لدراسة النسب والتناسب في تصميم الأثاث ومعرفة القياسات اللازمة الواجب توافرها في تصميم الأثاث، كذلك السيكولوجي والذي يتضمن كل المتغيرات المتعلقة بسلوك وأداء الإنسان وخاصة النواحي المعرفية والوجدانية والاجتماعية، وغيرها من العلوم الطبية والهندسية، حيث يتناول كل منها الأناس كعنصر بحث لمعرفة طاقته وحدود إمكانياته للحصول على أكفأ أداء له، ودراسة العوامل التي تؤثر في أدائه وقراراته مع تهيئة الظروف المناسبة لعمله (١٥).

الانثروبومترية، ANTHROPOMETRY

هو إجراء قياس لأجزاء الجسم البشري وتحديد معايير لها من أجل استخدامها في أغراض كثيرة كان أهمها في الماضي استخدامها في إجراء المقارنات بين أجناس الأرض والتصنيف العرقي والسلالات ولكن بعد ظهور علم الارجونوميكس ظهر استخدامات كثيرة للانثروبومتري منها استخدامه في تصميم المنتجات ذات الاستخدام المباشر بواسطة البشر. وكذلك في عمليات تنظيم العمل وقياس القوى الجسمية للأفراد بشكل مشترك مع علوم الميكانيكا الحيوية وغيرها. والهدف من استخدامه بالطبع هو الحصول على منتج مريح لأعضاء الجس البشري المشتركة في استخدام المنتج.

ويفترض علم الانثربومتري وجود اختلافات بين البشر ليس فحسب في قياس الجسم وإنما أيضا في نسب أجزائه المختلفة إلى بعضها مما يعقد مشكلة أولئك العاملين في تصميم المنتجات.

الجشطالت، (Gestalt)

جزءاً من مصطلحات علم النفس الفنية ا لمستخدمة عالميا. والكلمة تعني اقرب ما يكون الصيغة أو الشكل أو النموذج أو الهيئة أو النمط أو البنية أو الكل ا لمنظم كذلك الكل ا لمتسامي كما استخدمناها فيما سبق. والجشطالت كل مترابط الأجزاء باتساق أو انتظام أو نظام فيه تكون الأجزاء ا لمكونة له مترابطة ترابطاً دينامياً فيما بينها وفيما بينها وما بين الكل ذاته أو قل هو كل متكامل كل جزء فيه له مكانه ودوره ووظيفته التي تتطلبها طبيعة الكل. والجشطالت هو النقيض للمجموع إذ إن المجموع ليس أكثر من حزمة من الأجزاء أو سلسلة من القطع أو الأجزاء التي قد تكون مشبوكة أو ملصقة بعضها ببعض بطريقة عشوائية.

والنظرية الجشطالتية أكثر ا لمدارس الكلية تحديدا وأكثرها اعتمادا على البيانات التجريبية ولذلك كانت أكثرها نجاحا وأبعدها أثرا. وكان اهتمامها الأول منصبا على سيكولوجية التفكير وهو عملية غالبا ما تظهر خصائص لا يمكن تفسيرها تفسيرا مناسبا بجرد النظر في الأجزاء فحسب) وعلى مشاكل المعرفة بصورة عامة. وسرعان ما امتدت النظرية إلى مجالات حل المشكلات والإدراك والجماليات والشخصية وعلم النفس الاجتماعي. حقيقة إن النظرية الجشطالتية ليست نظرية من نظريات التعلم في الأساس ولكن هناك الكثير يمكنها تقد يمه لموضوع التعلم -كما أنها أي النظرية الجشطالتية تقدم الكثير من المقترحات الأساسية و المثيرة بالحماس لعملية التعليم التي تنطلق من معطيات التعلم الرئيسية بصورة مباشرة.

وتدعى النظرية الجشطالتية أن الارتباطات الجزئية الميكانيكية لا تعدو كونها صورا كاريكاتيرية فارغة « للتعلم الحقيقي » وهو الذي يمتاز بمحاولة الوصول إلى صلب القضية وهو تعلم أمين للطبيعة الحقيقية للمواد التي يراد تعلمها وبنيتها وهو تعلم يتميز بالتوصل إلى الفهم ا لمرضي لما كان لا معنى له قبل التعلم أو تلك التجربة التي نصل فيها إلى الاستبصار الحقيقي .وهذا ما نريد تأكيده في مقررات الارجونوميكس هو الاستبصار وربط الأجزاء بالكل ويتم التفاعل العلمي والعملي في بوتقة واحدة للوصول إلى الهدف الحقيقي للنظرية.

البنية أو التركيب، (Structure)

لكل جشطالت بنية متأصلة فيه و تميزه عن غيره. والحقيقة أن مهمة النظرية الجشطالتية تتمثل في وصف البنى الطبيعية بطريقة لا تشوه أصولها أو كنهها. ومعظم أنواع الجشطالت لها قوانينها الداخلية التي تحكمها. فبنية الجشطالت النمطي تقوم على طريقة ما بحيث يؤدي تغيير أي جزء من أجزائها إلى تغيرات حتمية في الغالب على تلك البنية.

الاستبصار، Insight

إن تحقيق الانطباع الصادق عن حالة إشكال ما أمر حقيقي من وجهة نظر الجشطالت في التعلم ويتمثل ذلك في اكتساب الاستبصار في البنية التي يكون عليها موقف مشكل وفهم ترابط أجزائه وطريقة عمله وكيفية التوصل إلى الحلول المناسبة له وهذا من أهداف التصميم الداخلي.

الفهم، (Understanding)

إن الاستبصار هو تحقيق الفهم الكامل للأشياء، ويكون التعلم قد تم حصوله إذا كان هناك استبصار أو فهم) والفهم هو الهدف من التعلم).

التنظيم، (Organization)

تنتظم بنية الجشطالت أي جشطالت بطريقة خاصة تميزه وفهم تلك البنية يعني تفهم طريقة تنظيمية. وقد تكوين مبادئ التنظيم الجشطالتية للإدراك إسهاما رئيسيا لهذه المدرسة ولما كانت معرفة الجشطالت أو استبصاره تعني أن يكون العارف له مطلعا على بنيته وعالما بكيفية تنظيمه فإن مبادئ التنظيم الجشطالتي تصبح من الأمور الأساسية لسيكولوجية التعلم.

إعادة التنظيم، (Reorganization)

إذا استطاعت الكائنات الحية إدراك وفهم كل موقف جديد بصورة مباشرة وصحيحة وبدون أية مصاعب فمعنى هذا أنه لا توجد حاجة للتعلم. ولكن الكثير من المشكلات تتم بصور يصعب عمل أي شيء إزاءها أو حلها إذا ما واجهناها لأول مرة بل وقد تبدو المشكلة لأول وهلة غير قابلة للفهم ولا معنى لها أو أنها غامضة ولا يصبح الحل واضحا لنا إلا إذا أمكن التعرف بوضوح على الملامح الرئيسية للمشكلة وظهرت بعض الدلائل التي تجعل من الحل أمرا سهلا. وهكذا فإن التعلم غالبا ما ينطوي على تغيير إدراكنا الأولي للموقف المشكل وإعادة تنظيم ذلك الإدراك حتى نحقق النجاح وبذلك نجد الطريق للتعامل مع الموقف.

وإعادة التنظيم في صورته النمطية يعني استبعاد التفاصيل التي لا جدوى من ورائها وتصبح الملامح الأساسية للمشكلة بارزة ونرى المشكلة على حقيقتها بصورة أكثر وضوحا. وذلك عند تصميم ديكور المنزل لابد من إعطاء صورة كاملة لتحقيق جماليات التصميم ثم نبدأ في تفاصيل عناصر الأثاث لتحقيق الوظيفة وهي المشكلة التي نريد حلها في ضوء معطيات الارجونوميكس.

المعنى، (Meaning)

إن التعلم الحقيقي لا يتطلب إقامة ارتباطات تحكمية بل العناصر غير المترابطة. بل إن السياق التعلمي النمطي ينطوي على الانتقال من موقف تكون الأشياء فيه لا معنى لها أو ذلك

الموقف الذي يكون فيه التحكم هو القاعدة السائدة إلى موقف له معنى تكون فيه العلاقات بين الأجزاء مفهومة وتعني شيئا فخاصية ا لمعنى أو مفهومه وليس مجرد الارتباط الأعمى هو الذي يمثل السمة ا لمميزة للتعلم الحقيقي.

الانتقال (Transfer):

إن الاختبار الحقيقي للفهم هو إمكانية انتقال الاستبصار الذي تم الحصول عليه إلى مواقف أخرى تشبه في بنيتها الموقف الأول ولكنها لا تختلف عنه إلا في التفاصيل السطحية. فالتعلم الأعمى القائم على الارتباط من غير المحتمل أن يكون قابلا للتعميم إلى ا لمواقف الأخرى ذات الصلة أو المشكلات ا لمشابهة والاستبصار الحقيقي هو الذي ينتقل إلى المجالات ا لمرتبطة والملائمة.

الدافعية الأصيلة: (Intrinsic Motivation)

إن تحقيق الاستبصار من أهم نظريات التعلم أشكال ا لمكافأة الأصيلة في جميع التجارب. وهذا يعني أن اكتساب الفهم أو الكفاءة تمثل أهم أشكال هذه ا لمكافأة ومن هنا فان استخدام ا لمكافأة الخارجية وأشكال التعزيز غير ا لمرتبطة ارتباطا مباشرا ومتداعيا بالعمل المحدد ذاته الذي نتعلم عنه شيئا أمر ينبغي عدم تشجيعه وإيقافه فالدافع الأصيل لمحاولة عمل شيء له معنى من شيء جديد كاف في حد ذاته ويؤدي إلى التعلم بو يميزه، أما الدافع الخارجي فمن المحتمل أن يؤدي إلى التشويش وإلى الاهتمام بشيء لا علاقة مباشرة بينه وبين العمل التعلمي ذاته (٤).

دور متخصص الارجونوميكس في تحقيق العوامل الإنسانية في التصميم:

- ضمان تطبيق الحلول التصميمية النهائية مع الممارسات الواقعية للمستخدم في بيئة الاستخدام.
- تحديد الأهمية النسبية للعوامل الإنسانية في التصميم، وإمكانية التبادل بينها.
- توفير المعلومات المطلوبة التي يحتاجها المستخدم وإمكانية التبادل بينها.
- تحديد نوع وطبيعة وتصميم وسائل البيان والتحكم التي يجب استخدامها، مع إمكانية التعرف عليها بسهولة وتشغيلها في نطاق الحدود المقبولة من حيث الوضع، السرعة، القوة، والإتقان.
- تهيئة الظروف الفيزيقية لبيئة الاستخدام (إضاءة، تهوية، حرارة، ضوضاء...) والمؤثرة على سلوك المستخدم، بما يكفل أداء، أفضل، في أقصر وقت، وبأقل مجهود ممكن، وبأكثر قدر من رضاء المستخدم وراحته.
- المساهمة بوجه عام في تحقيق المنتج لقيم إنسانية مرغوبة، لما يتصل بالمنتجات التي ترتبط بأنشطة الحياة والمعيشة اليومية، وأن تكون هذه القيم الإنسانية في نطاق القيود المناسبة لحضارتنا.

تصميم المنتجات نشاط يقوم على المعلومات في المقام الأول. فتحتاج المنتجات التي تصمم للاستخدام البشري إلى كم كبير من المعلومات تتعلق بالبشر الذين يصمم المنتج لهم. وهناك حاجة دائما لمعلومات عن أبعاد الجسم، وحدود حركة أجزائه عبر المفاصل وقدرته العضلية وطاقته على العمل والعديد من أنواع المعلومات الأخرى يستفيد ها المصممون في بناء منتجاتهم إن إحلال مثل هذه البيانات في تصميم منتج ما يساعد هذا المنتج على الاستجابة بشكل منطقي ومحسوس لحاجات ومتطلبات المستخدم.

إن جانبا كبيرا من أسباب الفشل المرتبط بمهنة تصميم المنتجات في معظم البلاد العربية يعزى إلى نقص المعلومات. واليوم ليس هناك جهة مسئولة يمكن الرجوع إليها للحصول على معلومات التصميم المتعلقة بقياسات الجسم البشري وقدراته في جوانب كثيرة من قطاعات المستخدمين.

إن الإخفاق في تزويد المصممين بأبعاد الجسم الملائمة أو نسب أجزاء الجسم إلى بعضها للمستخدم المتوقع لمثل هذه المنتجات الذي يختلف من أمة إلى أمة ومن سلالة إلى أخرى وحتى بين أفراد الوطن الواحد يترتب عليه فشل في الاستجابة بشكل طبيعي لحاجات المستخدم. إن مصممي الأزياء وصناعها مثلا بحاجة ماسة إلى مثل هذه المعلومات لوضع القياسات المختلفة للملابس.

وخلال واحدة من الدراسات التي أجراها مدير هذا المشروع نشرت منذ عدة سنوات، وفي مقابلة مع أحد كبار مصنعي الملابس الجاهزة علم أنهم يحصلون على قياسات الملابس التي يصنعونها من تحليل عينات من الملابس الصينية الموجودة بالسوق الوطني.

قد يعزى هذا إلى ندرة المسوح الأنثروبومترية التي أجريت على الشعب العربي. أن أحدث مسح من هذا النوع قد أجرى في عام ١٩٧٩. أي أنه مر عليه أكثر من خمسة وعشرين عاما. بينما تحدد رابطة الارجونوميكس العالمية International Ergonomics Association IEA إن مثل هذه القياسات لا يمكن أن يمر عليها أكثر من عشر سنوات على الأكثر لتفادى ما يسمى بالتغيرات القرنية وهي تغيرات تطرأ على نفس المجموعات البشرية من جيل إلى جيل.

وهناك مشكلة مماثلة في تصميم أماكن العمل في أي من مواقعنا الصناعية. إن الصناعات تواجه بشكل واضح العديد من التحديات في هذا المجال يمكن أن يكون لها تأثير بالغ على كفاءة العمل وتقلل من حجم الإنتاجية وبالتالي فإنها تنعكس على مردود هذه الصناعات وإسهامها في الدخل القومي. إن البضائع الأجنبية التي غزت قطاعا واسعا من قطاعات الاستهلاك في البلاد العربية ولبت احتياجات جانب كبير من احتياجات المستهلك تعبير عن حقيقة هامة هي أن

الغزاة القادمين إلى بلادنا لديهم فهم أفضل لحاجات وقدرات المستهلك العربي وهم مجهزون بالمعلومات والبيانات إلى تم تقديرها بشكل ذكى للغاية.

عواقب إهمال الاستفادة بعلم الارجونومية:

إهمال أو إغفال استخدام البيانات الارجونومية في تصميم المنتجات يكون باهظا. لأن إهمال المصمم الداخلي نسب الأثاث والمنتجات الوظيفية يكون إهدارا للخامات والوقت وإذا استخدم بنفس النسب الخطأ يعرض الإنسان إلى عدد من الأعراض المرضية العضل هيكلية musculoskeletal التي تنجم عن النمو المتزايد والتدريجي لكميات صغيرة من التلف الذي يحدث بصفة يومية أو كنتيجة للحركة المتكررة أو أوضاع الجسم الساكنة التي تستمر مدة طويلة أو التعامل لمدة طويلة مع منتج مصمم بشكل سئ لو استخدم وضع جسمي غير سليم لمدة طويلة. وتتضمن الأعراض المرضية آلام أسفل الظهر Low back Pain الضغط داخل التجويف البطن Intra Abdominal Pressure IAP والإصابات المرضية المتكررة Cumulative trauma disorders CTD وإصابات الإجهاد المتكرر Repetitive Strain Injury (RSI) والحركة المتكررة Repetitive Motion Injuries (RMI) التي يمكن أن تصيب أجزاء الجسم المختلفة مثل الرقبة والظهر والمرفق والرسغ والأيدي والحوض والركبتين والتي تعزى غالبا للاستخدام المتكرر أو الخاطئ لمنتجات سيئة التصميم هذا إلى جانب لو كان المنتج تصميم أثاث وخاصة الكراسي وارتفاع الطاولات (المناضد) لشركة أو بنك أو مكتب.....الخ يشعر الموظف بالتعب باستمرار مما لا يحقق جودة العمل وتقلل من حجم أدائه، وما إلى ذلك.

يعني هذا أن دراسة ارجونومية التصميم والمقاسات التي تناسب أحجام الأشخاص والفروق الفردية معطيات هامة في إيجاد منتج جيد لتحقيق جودة العمل والنجاح في أداء وظيفة المنتج ولا يمثل أي آثار جانبية تعوق الوظيفة وتضر صحة الفرد.

أمثلة لعدم القياسات الانثروبومترية في استخدام الكراسي المصنعة الجاهزة:

المشكلة التي تواجهه جميع المصانع لتصميم الأثاث وخاصة الكراسي يتبع مقاسات أجنبية أو صينية أو يقوم بتقليد المنتج بنفس النسب والشكل وبسبب اهتمام المصنع في المكسب التجاري أولا، وذلك لعدم جودة ثقافة المتخصصين بالنسب الأنثروبومترية المحلية لتحقيق بعد وظيفي جيد للمنتج وخاصة الكراسي ولا يهتم الكثير من المتخصصين بتنوع مقاسات المنتج الواحد لما يناسب الفئة المستخدمة وقد يتنوع أيضا في الفئة الواحدة مقاسات متنوعة في حجم الأشخاص أو الأطفال وعدم استخدام مقاسات الانثروبومترية نلاحظ في شكل (١) القصور في مقاسات كرسي الكمبيوتر حيث إنه لا يتناسب مع طول وحجم ومقاسات الطفلة لذلك استعوضنا في الفراغات

الموجودة في المقاسات الانثروبومترية حجم مستند أسفل القدم وكتاب تحت مقعد الطفلة حتى تحقق أداء جيداً في استخدام الكمبيوتر آمن ومريح. وشكل (٢) يوضح عدم دراسة انحناء ظهر الكرسي حتى يتناسب مع طبيعة الانحناء الطبيعي والمريح لظهر الإنسان حتى يستطيع أداء عملة بكفاءة وجودة دون أي ضرر في الجلوس فترة طويلة على الكرسي واستخدم وسادة خلف ظهر الطفل حتى يكون الجلوس صحيا دون أي ضرر في الهيكل عضلية.

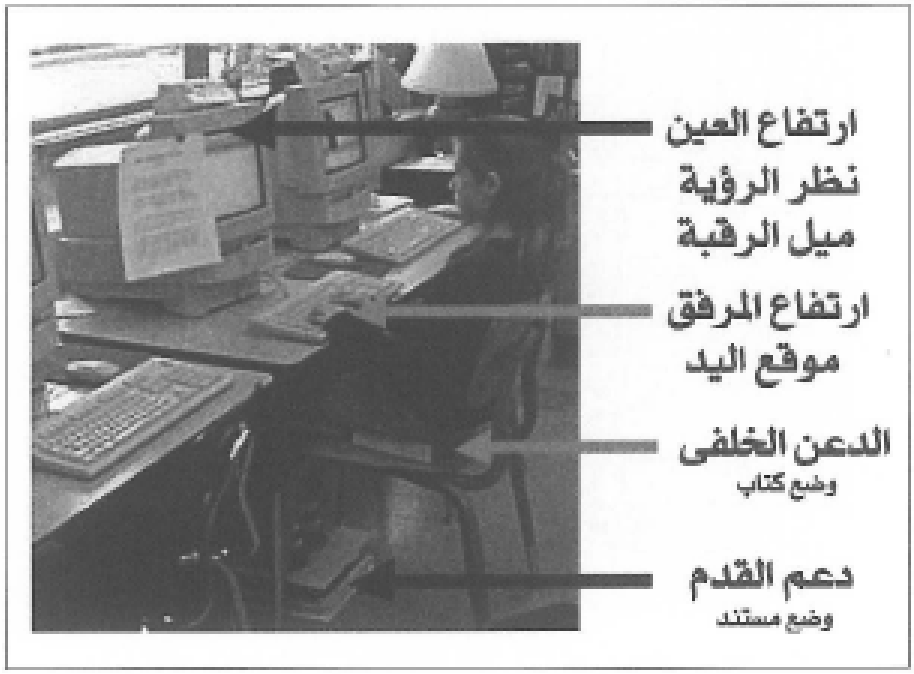

شكل (١)
يوضح أن الكرسي المصمم للجلوس ليس متبعا المقاسات الأنثروبومترية في الجلوس أمام جهاز الكمبيوتر

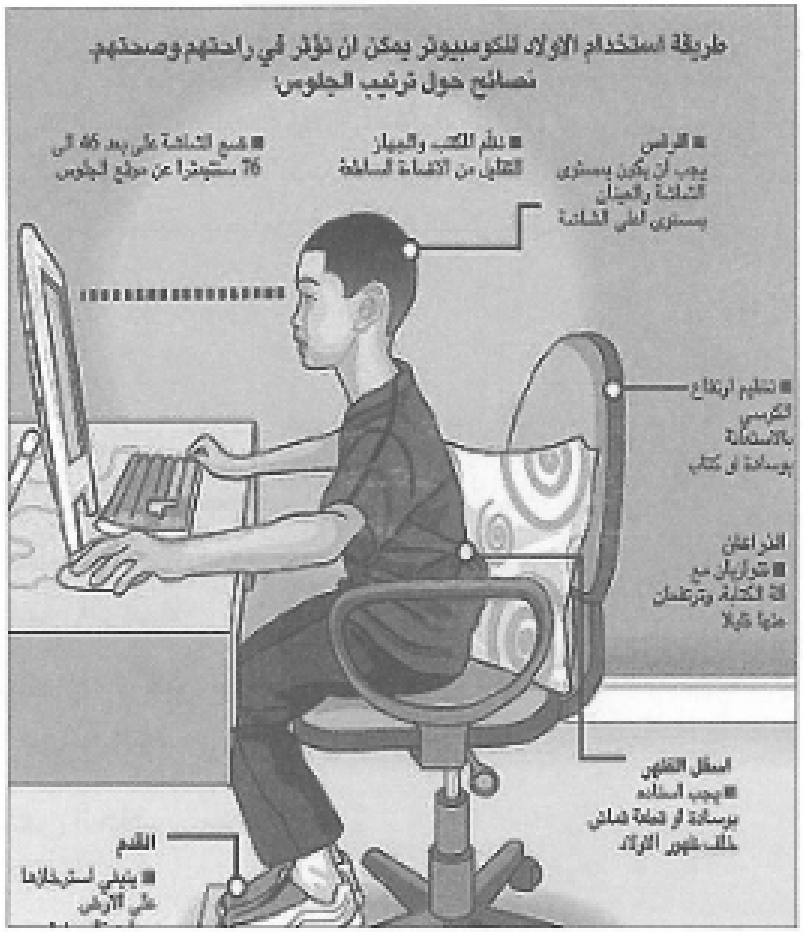

شكل (٢)

يوضح الاهتمام في تصميم الكرسي بدراسة انحناء الكرسي إلى الداخل حتى يتناسب مع الهيكل البنائي لجسم الإنسان وخاصة الأطفال

دور الارجونوميكس في تطوير مقررات التصميم الداخلي:

تصميم المنتجات نشاط يقوم على المعلومات في المقام الأول. فتحتاج المنتجات التي تصمم للاستخدام البشرى إلى كم كبير من المعلومات تتعلق بالبشر الذين يصمم المنتج لهم. وهناك حاجة دائما لمعلومات عن أبعاد الجسم، وحدود حركة أجزائه عبر المفاصل وقدرته العضلية وطاقته على العمل والعديد من أنواع المعلومات الأخرى يستفيد بها المصممون في بناء منتجاتهم.

إن إحلال مثل هذه البيانات في تصميم منتج ما يساعد هذا المنتج على الاستجابة بشكل منطقي ومحسوس لحاجات ومتطلبات المستخدم.

إن جانبا كبيرا من أسباب الفشل المرتبط بمهنة تصميم المنتجات في الوطن العربي يعزى إلى نقص المعلومات. واليوم ليس هناك جهة مسئولة يمكن الرجوع إليها للحصول على معلومات التصميم المتعلقة بقياسات الجسم البشري وقدراته في جوانب كثيرة من قطاعات المستخدمين في الوطن العربي. لذلك يجب علينا كمتخصصين دراسة قياسات جسم الإنسان لتصميم منتج يتصف بالجودة وتحقيق وظيفته وخاصة في تصميم وتنفيذ الأثاث الذي يختلف باختلاف الفئة المستخدمة له والعمر الزمني الذي يلعب دورا هاما في استخدامات المنتج وأيضا طبيعة استخدام الأثاث في مجالاته المتعددة (المنزل – العمل – المطاعم – الفنادق -....الخ).

إن العديد من الأمراض والأعراض المرضية التي انتشرت في الآونة الأخيرة مثل آلام الظهر وعدد آخر من الأمراض المرتبطة بالعمل يمكن ببساطة ربطها إلى النقص الشديد في إحلال بيانات القياسات البشرية المناسبة عند تصميم المقاعد الرفوف العالية أو المنخفضة فتحات النوافذ والأبواب ارتفاع مقابض مثل هذه المكونات المعمارية وغيرها من المنتجات التي نستعملها كل لحظة في حياتنا اليومية. إن الإخفاق في تزويد المصممين بأبعاد الجسم الملائمة أو نسب أجزاء الجسم إلى بعضها للمستخدم المتوقع لمثل هذه المنتجات الذي يختلف من أمة إلى أمة ومن سلالة إلى أخرى وحتى بين أفراد الوطن الواحد يترتب عليه فشل في الاستجابة بشكل طبيعة لحاجات المستخدم. إن مصممي التصميم الداخلي بحاجة ماسة إلى مثل هذه المعلومات لوضع القياسات المختلفة للأثاث بخاماته المتنوعة واشكالة المتعددة.

يتم تدريس الارجونوميكس في كلية الفنون التطبيقية – جامعة حلوان منذ منتصف الستينيات في عدد من أقسام الكلية مثل قسم المنتجات المعدنية والتصميم الصناعي وقسم الحديد والأثاث المعدني و قسم التصميم الداخلي والأثاث و قسم الطباعة والنشر والتغليف وغيرها. وأعطى المقرر أسماء عديدة مثل الارجونومية وقياسات جسم الإنسان وارجونومية الطباعة وهكذا. ومن جانب آخر فإن مشاريع التصميم في كل الأقسام تتطلب تحليلا ارجونوميا وموائمة تامة للجسم البشري يضاف إليها كتابة تقرير عن اعتبارات الأمان البشري في عدد محدود من الأقسام وما زال التطور مستمر في مناهج ومقررات الطلبة (٩).

لذلك يتحتم علينا تطوير مناهج التصميم الداخلي ودراسة معطيات الارجونوميكس ودراسة الانثروبومترية لقياسات جسم الإنسان وذلك من خلال الاهتمام بدراسة مادة التشريح للأعمار المتنوعة للإنسان لا من الناحية التشريحية فقط كما هو الآن ولكن من ناحية الانثروبومترية لقياسات جسم الإنسان (٨).

سيكون لها اثر بالغ في تطوير المادة العلمية المقدمة للطالب وتوفير سبل تقديمها للطالب بشكل يعمق من فهمه لها ويدعم قدرته على الاستفادة منها. كما سيجرى عمل مسح أنثروبومترى شامل يغطى اكبر قدر من عينات ممثلة المجتمع بفئاته المختلفة لقياس أبعاد الجسم وقدراته الحيوية والبيوميكانيكية. ولتقديم البيانات التي يتم جمعها بشكل احترافي سيتم إنشاء قاعدة معلومات يتم استخدامها كبنية رقمية. وهذه البنية لن تكفل فحسب قدرة أفضل على تقديم الخدمات التعليمية في مجال الارجونوميكس وإنما ستوفر دعما لخدمة أفضل للجهات الصناعية التي قد تحتاج إلى معلومات من الجسم البشرى.

لذلك يحتاج مقرر التصميم الداخلي بكلية التصاميم والاقتصاد المنزلي بصفة عامة وقسم التصميم الداخلي بصفة خاصة إضافة مقرر الارجونوميكس إلى مقرر القسم حتى يحقق الجودة في مواصفات المنتج ليتناسب مع جميع مراحل جسم الإنسان لأداء جودة في العمل والراحة الفسيولوجية في ضوء معطيات الارجونوميكس.

النتائج المتوقعة من تطوير المقررات التدريسية:

١- توفير أرصدة معلومات تخصصية تساعد على بزوغ جيل جديد من المصممين وطلاب التصميم لديهم قدرة عظمى على الاستجابة بكفاءة وفاعلية من خلال سلوك علمي لحاجات البشر.

٢- ومن المتوقع بعون الله أن يكون لدى الطلاب القدرة على توفير منتجات أكثر أمنا وأكثر ملائمة للصفات البدنية للفئة المصمم لها المنتج.

٣- ويمكن قياس هذا الإنجاز من خلال تقييم مستمر لأدائهم طوال العام (أو الفصل الدراسي) ومن خلال امتحانات واختبارات دورية بالإضافة إلى الامتحان التقليدي في نهاية البرنامج الدراسي.

٤- تحسين القدرة التنافسية للمنتجات الاستهلاكية ببناء نظام يسد النقص الواضح في معلومات المصممين ومواردهم عن انثربومترية جسم الإنسان.

٥- مساعدة تصدير المنتجات من خلال خلق الوعي بالعوامل البشرية لشعوب العالم المختلفة.

٦-توفير المعلومات الضرورية لدعم والمشاركة في حل المشاكل التي تعانى منها عدد من مشروعات الصناعية المتوسطة والصغيرة التي لا يتوفر لها آليات جمع المعلومات الارجونومية.

٧- تدريب المتخصصين من الطلاب على تصميم المنتج قائم على تطبيق المعارف والبيانات الأنثروبومترية والبيوميكانيكية.

نموذج المقرر في ضوء معطيات الارجونوميكس

أولا: مواصفات المقرر:

جامعة الطائف

كلية ——— التصاميم والاقتصاد المنزلي

البرنامج الذي يقدم من خلاله المقرر ——— الأثاثات والتصميم الداخلي

المقرر يمثل عنصراً ——— أساسياً

القسم العلمي المسئول عن البرنامج ——— التصميم الداخلي

القسم العلمي المسئول عن تدريس المقرر ——— الأثاث والتصميم الداخلي

السنة الدراسية/ المستوى ——— الفرقة الثانية / مستوى أول

تاريخ اعتماد توصيف المقرر ——— (.....) م (بدء تطبيق اللائحة الحالية)

ثانيا: البيانات الأساسية:

العنوان: قياسات جسم الإنسان (الأنثروبومترى)

الكود:.....

جملة الساعات: ٢ أسبوعيا

ثالثاً- البيانات المهنية:

١ - الأهداف العامة للمقرر:

يهدف المقرر إلى تعريف الطالب بمجال الارجونوميكس (هندسة العوامل البشرية) والأنثروبومترى (قياسات جسم الإنسان)، وأهمية كل منهما، ومدى ارتباطهما بتصميم عناصر ونظم التأثيث والتصميم الداخلي، والعوامل المؤثرة في النمو وأبعاد جسم الإنسان، وأنماطه المختلفة، والتعرف على القياسات الأنثروبومترية والحدود البعدية والقدرات العضلية اللازمة للتصميم في مجالات التخصص المختلفة، وضوابط تطبيقها، ومجالات استخدام كل منها، ومقاييس الرسم للاستخدام بمجالات التخصص.

٢ – النتائج التعليمية المستهدفة للمقرر:

أولا: المعرفة والفهم:

بانتهاء دراسة الطالب للمقرر يكون قادرا على :

١- تعريف الارجونوميكس والعلوم المكونة له.

٢- التعرف على المراحل التاريخية التي مر بها مجال الارجونوميكس، والكليات المتخصصة الذين قاموا بالدراسات الارجونومية على المستويين العالمي والمحلي.

٣- تعرف دور المصمم في التعامل مع المشكلات الارجونومية وتطويع المنتج بما يتلاءم مع قدرات حاجة الإنسان الوظيفية.

٤- دراسة أهم العوامل والاعتبارات التي يجب أن توفرها في ضبط بيئة العمل والمنتج لمناسبة الاحتياجات الأساسية للمستهلك.

٥- التعرف على ماهية علم الأنثروبومترى، وأهميته لمجالات التصميم الداخلي.

٦ - رفع كفاءة المصمم في تقييم المنتجات والبيئات وأماكن العمل لتحقيق تصميم ومنتج يتسم بالجودة وإعطاء قيم جمالية تثرى العين والراحة النفسية بجماليات تزيد البهجة بأداء العمل أو الراحة الفسيولوجية في المنزل أو اى مكان حسب طبيعة وظيفته.

٧- اكتساب مهارات القياسات الارجونومية ومعالجة بياناتها.

٨- إدراك أهمية تطبيق العامل الأنثروبومترى لتحقيق الملائمة ورفع كفاءة الأداء بين الإنسان وكافة المنتجات الخاصة بمجالات التخصص.

٩- التعرف على الشكل الخارجي لجسم الإنسان والنسب وأنماطه المختلفة.

١٠ - ذكر العوامل المؤثرة في النمو وأبعاد جسم الإنسان لمراعاة المنتج وأداء الوظيفة.

١١- تشجيع التقييم النقدي واكتساب الطلاب القدرة على العمل الجماعي أو بشكل مستقل.

١٢ -التعرف على الحدود البعدية، والقدرات العضلية للإنسان.

١٣- التعرف على مفاهيم القياسات الأنثروبومترية اللازمة للتصميم بمجالات التخصص.

١٤- فهم ضوابط التطبيق للقياسات الأنثروبومترية اللازمة للتصميم بمجالات التخصص.

١٥ - فهم مجالات الاستخدام للقياسات الأنثروبومترية اللازمة للتصميم بمجالات التخصص

١٦- فهم النسبة المئوية المفضل استخدامها للقياسات الأنثروبومترية اللازمة للتصميم بمجالات التصميم الداخلي.

١٧- التعرف على المتطلبات الأنثروبومترية اللازمة للتصميم بمجالات التخصص.

١٨- التعرف على القياسات الأنثروبومترية اللازمة للتصميم بمجالات التخصص.

ثانيا: المهارات الذهنية:

بانتهاء دراسة الطالب للمقرر يكون قادرا على:

١- تحديد الأنماط المختلفة لجسم الإنسان لأداء وظيفة المنتج.

٢- استنتاج وإيجاد الحدود البعدية والقدرات العضلية اللازمة لممارسة النشاط الإنساني في البيئات المختلفة.

٣- إيجاد القياسات الأنثروبومترية اللازمة للتصميم بمجالات التصميم الداخلي.

٤- تحديد المشكلات الأنثروبومترية المرتبطة بالتصميم بمجالات التصميم الداخلي.

٥- مناقشة الحلول الأنثروبومترية بمجالات التصميم الداخلي.

ثالثا: المهارات المهنية والعملية:

بانتهاء دراسة الطالب للمقرر يكون قادرا على:

١- استخدام التقنيات المختلفة للحصول على القياسات الأنثروبومترية اللازمة لمجالات التصميم الداخلي والتجريب المباشر بالخامات لتنمية التفكير المتشعب.

٢ - استخدام الهيكل البنائي لجسم الإنسان وأجزائه من عظام وعضلات ومفاصل، لإيجاد البيانات والقياسات الأنثروبومترية اللازمة للتخصص.

٣- وضع المواصفات الأنثروبومترية اللازمة للتصميم.

٤- إدراك أهمية تحقيق العوامل الارجونومية في رفع كفاءة وجودة التنمية البشرية بكافة مجالات التصميم الداخلي.

٥- إدراك أهمية تحقيق العوامل الارجونومية في رفع كفاءة الأداء وجودة الإنتاج بالمنشآت الإنتاجية

رابعا: المهارات العامة والمنقولة:

بانتهاء دراسة الطالب للمقرر يكون قادرا على:

١- رفع وتجهيز القياسات الأنثروبومترية اللازمة للتصميم بمجالات التخصص.

٢- تحليل وتقييم كافة العناصر والمنتجات بمجالات التخصص المختلفة من الوجهة الارجونومية.

٣- الأداء والعمل ضمن مجموعات عمل مشتركة.

٤- حل المشكلات التصميمية باستخدام كافة القياسات والبيانات الارجونومية.

خامسا: المحتويات:

	الموضوع	عدد الساعات الأسبوع	نشاط نظري / عملي	تطبيقها		متطلب
				نظري	عملي	سابق
1	ماهية الارجونوميكس، ونشأته، والعلوم المكونة له، ومراحله التاريخية، اهدافة في تحقيق منتج جيد	2	2	1	2	
2	أهمية مجال الارجونوميكس لتحقيق الملاءمة ورفع كفاءة الأداء بين الإنسان والمنتج والبيئة.	2	2	1	2	
3	الارجونوميكس والعملية التصميمية.	2	2	1	2	.....
4	ماهية علم الأنثروبومتري(دراسة قياسات الإنسان)، وأهميته، في تصميم المنتج.	2	2	1	2	
5	أهمية تطبيق الأنثروبومتري لتحقيق الملائمة ورفع كفاءة الأداء بين الإنسان والمنتج.	2	2	1	2	
6	الشكل الخارجي لجسم الإنسان وأنماطه المختلفة	2	2	1	2	.....
7	العوامل المؤثرة في النمو وأبعاد جسم الإنسان	2	2	1	2	.....
8	اختبار نظري	2	2	1	2	.....
9	التشريح الوظيفي لجسم الإنسان	2	2	1	2	.....
10	أساليب الوقاية من مشاكل العضل هيكلية للمنتج التصميمي	2	2	1	2	.....
11	المفاهيم العامة للقياسات الأنثروبومترية، وضوابط تطبيقها، ومجالات استخدامها، للقياسات اللازمة للتصميم بمجالات التخصص.	2	2	1	2	.....
12	تصميمات في ضوء مقاسات الانثروبومترية في المنزل	2	2	1	2	.....
13	تصميمات في ضوء مقاسات الانثروبومترية في العمل	2	2	1	2	.....
14	تصميمات في ضوء مقاسات الانثروبومترية للتأكيد على أداء وظيفة للمنتج.	2	2	1	2	.....

سادساً: أساليب التعليم والتعلم:

١ - شرح المادة العلمية المعدة خصيصاً للمقرر، والمناقشة في المحاضرات.

٢ - عرض النماذج والصور والأشكال للأجهزة المستخدمة في مراحل الدراسات والتجارب السابقة

٣ - عرض النماذج والصور والأشكال للتكوين البنائي والتشريحي والأنماط المختلفة لجسم الإنسان

٤ -إجراء بعض التطبيقات على كيفية رفع القياسات الأنثروبومترية اللازمة للتطبيق في أحد مجالات التخصص بالمشاركة بين مجموعات من الطلبة.

٥ -إعداد تقرير في أحد محاور الدراسة والتطبيق على أحد مجالات التخصص.

سابعاً: أساليب تقييم الطلبة:

١ - تقييم من خلال المناقشات الشفهية لبعض الطلاب أثناء المحاضرات.

(لتقييم قدرة الطالب على الفهم والانتباه والمشاركة).

٢ - تقييم من خلال إجراء اختبارين نظريين.

(لتقييم قدرة الطالب على الاستيعاب والتذكر والفهم).

٣ - تقييم من خلال إعداد تقرير وصفي وتطبيقي في أحد محاور الدراسة ومناقشته.

(لتقييم قدرة الطالب على الإطلاع والتصنيف والتحليل والتطبيق والمناقشة).

٤ - تقييم من خلال نسبة الحضور والغياب.

(لتقييم مدى التزام الطالب والمتابعة في المحاضرات والدروس).

٥- تقييم الطالب في تصميم منتج يحقق مقاسات الانثروبومترية للإنسان ويتسم بالجودة والقيم الفنية.

(تقييم التصميم في ضوء الانثروبومترية لتحقيق جودة المنتج)

٦ - تقييم من خلال إجراء الاختبار النهائي.

(لتقييم قدرة الطالب على التحصيل والاستيعاب والفهم وتحقيق الهدف العام للمقرر).

كتب ومراجع مقترحة عن الارجونوميكس والتصميم:

- Murrell J. (1995) Ergonomics. Taylor and Francis UK
- Stanley J. Ulijasze. k (2005) Anthropometry (The Individual and the Population).. C. G. Nicholas Mascie-Taylor . University of Cambridge
- Grant J., k (2005) Grant Anatomy. Macmillan Publications. UK
- Wilson J. (2004) What is User-Centred Design. Taylor and Francis. UK
- Torrens George (2004) Design Ergonomics Research Group Department of Design and Technology. Loughborough University; Loughborough. UK
- Roebuick et al (1998) Engineering Anthropometric Methods NASA. Pup USA
- Lenihan J. (1991)Human Engineering (the body examined). Weidenfeld and nicolson. London.
- Dale Huchingson (2001) New Horizons for human Factors in design. Mc Graw Hill. inc. London
- Applied Ergonomics دوريات
- Ergonomics
- Human factors

مواقع الترنت

www.ergo-eg.com
www.ergo-eg.net/forum
www.ergoboy.com
www.hfes.org

النتائج:

- تطوير مقررات التصميم الداخلي في ضوء معطيات الارجونوميكس.
- أكدت الدراسات النظرية والتحليلية أن التصميم اعتمد بصفة أساسية على تحقيق الكفاءة الوظيفية والجمالية من خلال دراسة الانثروبومترية كمقياس لنسب جسم الإنسان، يؤدي إلى إيجاد نماذج تصميمية إبداعية تحقق البعد الارجونومي في التصميم وتحقيق الراحة الارجونومية للإنسان.
- إن تصميم وتنفيذ نماذج الأثاث من خلال الاستفادة من ارجونومية جسم الإنسان يؤدي إلى إيجاد نماذج تصميمية إبداعية تحقق البعد الوظيفي والجمالي في التصميم.

التوصيات:

- إدراك أهمية دور الارجونوميكس في مجالات الفنون والكليات العملي المتخصصة.
- ضرورة اعتبار ارجونومية جسم الإنسان مدخل أساسي تقوم عليه عملية تصميم المنتج.
- ضرورة اعتبار ارجونومية جسم الإنسان مدخل أساسي تقوم عليه عملية تصميم الأثاثات
- ضرورة إجراء المزيد من الدراسات التي تتعلق بالإبداع التصميمي النابع من وظيفية المنتج وتحقيق الراحة الارجونومية للإنسان.
- ضرورة اعتبار ارجونومية جسم الإنسان مدخل أساسي تقوم عليه عملية التصميم في مختلف المجالات

المراجع العربية:

١- حسن رضوان محمد – ابتكار أسلوب لاختبارات الأداء الاستخدامي في تصميم الارجونوميكس في منتجات التصميم الصناعي- رسالة دكتوراه، كلية الفنون التطبيقية – جامعة حلوان - ٢٠٠٦

٢- طارق إسماعيل محمد، استنباط أسلوب جديد للتصميم بالكمبيوتر باستخدام المنهج الورفولوجي بحث منشور – مجلة علوم وفنون – المجلد ١٢ – العدد ١ – جامعة حلوان – يناير ٢٠٠٠

٣- عبد النبي أبو المجد، - أساليب الاختبار والتقييم للنماذج والمنتجات من الناحية الارجونوميكية- مجلة علوم وفنون — مجلد ١٨- عدد ١- القاهرة- يناير- ٢٠٠٦

٤- عبد المالك خلف التميمي، نظريات التعليم (دراسة مقارنة)، ترجمة علي حسين حجاج، دار الطباعة والنشر، عالم المعرفة، يناير ١٩٩٠.

٥- علي العماير: هندسة التصميم الداخلي والديكور، المطبعة الوطنية، الأردن، ١٩٨٥

٦- سعيد فرحات، محمد متولي — ، متطلبات المستهلك في تصميم منتجات التأثيث المعدني، بحث منشور- مؤتمر الفنون التطبيقية وتحديات القرن الواحد و العشرين ١٩٩٩

٧- ماهيتاب حسن البنا — ، الاتجاهات الحديثة للتصميم وأثرها في تطوير فكر مصمم الأثاثات المعدنية ، - ماجستير - كلية الفنون التطبيقية- جامعة حلوان، ٢٠٠٢

٨- محمد عبد الله رضوان — ، أهمية القياسات الأنثروبومترية في تصميم الأثاث لكبار حالة ٨٠ سنة، المؤتمر العلمي السنوي الرابع — كلية الفنون التطبيقية - السن من ٤٥. جامعة حلوان ديسمبر- ١٩٩٠

٩- محمد جليل محمد جليل ، الوظيفية من خلال التصميم والخامة في الأثاث المعدني ، دكتوراه - كلية الفنون التطبيقية - جامعة حلوان - ١٩٨٢

١٠- وائل محمد جليل محمد جليل:الاستفادة من ارجونومية جسم الإنسان في الإبداع التصميمي للكراسي المعدنية كأحد الاتجاهات التصميمية الحديثة، المؤتمر العلمي الثاني الرابع، فنون تطبيقية، جامعة حلوان، ١٩٩٠

١١- ياسر محمد الصادق — ، معايير تصميم الكراسي المعدنية لمستخدمي الحاسب الآلي، ماجستير - كلية الفنون التطبيقية - جامعة حلوان — ٢٠٠٢

١٢- يسر محمد حافظ- الاتجاهات المعاصرة في نظرية التصميم في ضوء التقنيات والنظم الرقمية الحديثة- رسالة ماجستير- جامعة حلوان- كلية الفنون التطبيقية- ٢٠٠٢.

المراجع الأجنبية:

13- Archer. B. (1969) Structure association . paper No. 4. LandHumphries Publishers LTD. .London

14- Coyne. R. (1990). Knowledge Based design Systems. Addison Wellesley Publishing. Sidney.

15- Diane E. Gregory. Nadine M. Dunk.and Jack P. Callaghan (2006). Stability Ball Versus Office Chair: Comparison of Muscle Activation and Lumbar Spine Posture During Prolonged Sitting Human factors . No. 1. Spring. pp. 142 - 153.

16- Graf. M., Guggenbuhl. H., Krueger. H.,(1993) . Investigations on the effects of seat shape and slope on posture. comfort. and back muscle activity. International Journal of Industrial. 12. 91-103

17 Medhat. M.Z (1999). (1999) Semiotec concept and product construction in the material furniture design. "Analysis Study" Science & Arts research studies . Helwan Uni. F.A.A.

18- Overbeeke. C.J., Djajadiningrat. J.P., Hummel>s. C.C.M. and Wensveen. S.A.G. (2000). Beauty in usability: Forget about ease of use! In: W. Green and P. Jordan (Eds.). Pleasure with Products. beyond. London. Taylor and Francis.

19- Roberta L.NU. & Kenneth F. Cherry (1999) . "Universal design" Creative solution for ADA compliance. New York

20- Schmitt. G (1989) . Computer-aided design . John Wiley and Sons LTD. Company. New York.

21-Zacharkow. D. (1988) . Posture: Sitting. Standing. Chair Design &
Exercise. Springfield. Charles C.Thomas

22-John R. Wilson & E. Nigel Corlett: Evaluation of human work -A practical ergonomics methodology - Taylor &Francis - second edition -1995

٧

اللغة العربية وآدابها

جامعة الطائف

الحمل على المعنى
في صيغ جمع التكسير

د. حجاج أنور عبد الكريم

المدرس بقسم النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

والأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الطائف

مجلة جامعة الطائف - الآداب والتربية (اللغة العربية وآدابها)

المجلد الثاني - العدد السابع - جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ - أبريل ٢٠١٢م

الملخص

يأتي هذا البحث بعنوان «الحمل على المعنى في صيغ جمع التكسير»، وهو يقوم بدراسة دور الحمل على المعنى في تفسير ما شذ أو ندر من كلمات أو صيغ جاءت مكسَّرة على خلاف ما يقتضيه الأصل ويفرضه القياس، وملاحظة أثر هذا المسلك اللغوي الدقيق في توجيه بعض مما خرج من هذه الصيغ على ما وُضِع من أصول وقواعد تحكم صياغة هذا الباب؛ وذلك للوقوف على ما للمعنى من دور في تفسير هذا الخروج أو العدول عن الأصل في صياغة هذا الجمع من جهة، ولمحاولة تقليل دائرة الشذوذ في هذا الباب وتقنينه بما يسوِّغ استعماله ويسمح به بدلاً من تركه وإهماله والحكم بعدم جوازه وذلك بوضعه أو إدراجه تحت قانون عام أو أصل من الأصول المقررة في البحث الصرفي والنحوي من جهة ثانية، وكذلك التنبيه من جهة ثالثة على شأن العرب في تمكُّنِ المعنى في أنفسهم وعلوِّه في تصورهم، وقدرتهم على التصرف في الأساليب اللغوية المختلفة في ضوء منه؛ بحيث يقدِّمونه في كثير من الأحيان على اللفظ، كما هو الحال هنا. وقد جاءت هذه الدراسة في مبحثين: الأول: الحمل على المعنى في صيغ جموع القلة، والثاني: الحمل على المعنى في صيغ جموع الكثرة. ويتعرض كل منهما لما جُمِع من كلمات على نحو يخالف ما يقتضيه القياس في كل منها سواء في القلة أو الكثرة حملاً على المعنى.

مدخل:

لعل من أهم الظواهر اللغوية في تراث العربية ظاهرةَ الحمل على المعنى؛ إذ فضلاً عن تعدد أشكال هذه الظاهرة وتنوعها، فقد شغلت مساحة كبيرة في البحث اللغوي، وتغلغلت في كثير من مسائله وقضاياه؛ حتى أضحت مسلكاً لغويًّا أصيلاً، وباتت ملمحاً بارزاً من ملامح الدرس النحوي والصرفي في العربية، وهو الأمر الذي يدل من جهة على مدى ما تتمتع به العربية من سَعَة أو اتساع في تصرّف مفرداتها، ومن غنى أو ثراء في بناء تراكيبها، ومدى ما توليه هذه اللغة من اهتمام أو مراعاة لجانب المعنى، كما يدل من جهة أخرى على قوة ملاحظة أصحاب هذه اللغة أنفسهم لهذا الجانب أو المستوى من المعنى، ومدى إدراكهم له ووعيهم به، وكذلك قدرتهم على التصرف في الأساليب اللغوية المختلفة في ضوء منه .

فالحمل على المعنى كما يقول ابن جني: «فورٌ من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثوراً ومنظوماً، كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصور معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول، أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً، وغير ذلك»[1]. وقد عدّه النحاة بعد ذلك وسيلة من وسائل التأويل، وطريقاً من طرق التفسير والتحليل سواء على مستوى المفردات أو على مستوى التراكيب يجبرون به ما خرج على القياس وخالف القاعدة أو ما اطرد من كلام العرب، كما يعتمدون عليه في ضبط مادتهم اللغوية[2].

وجمع التكسير من الأبواب الصرفية التي يقوم فيها الحمل على المعنى بدور كبير؛ إذ يمكن في ظله تفسير كثير من جموع التكسير التي خرجت على الأصل وخالفت القياس. والواقع أن جمع التكسير وإن غلب عليه السماع، وكثر فيه الشذوذ، خاصة في الثلاثي، فإن هذا لم يمنع النحاة من الاجتهاد ومحاولة وضع بعض الأسس أو الأطر أو الضوابط العامة التي تحكم طريقة صياغة هذا الجمع. ونحن نرى أن هذه الضوابط قد صحت وسَلِمَت إلى حد كبير، وأن كثيراً مما خرج عليها لم يكن إلا لعلة معينة، كالحمل على الأصل، والحمل على النقيض، والحمل على الكثير، إلى غير ذلك مما هو منصوص عليه في تفسير كثير من هذه الجموع المخالفة، ومنها الحمل على المعنى. وفي هذا الإطار يأتي موضوع هذا البحث الذي جاء بعنوان: «الحمل على المعنى في صيغ جمع التكسير»، وأعني به: بيان دور الحمل على المعنى في تفسير ما خرج على القياس وخالف القاعدة من جموع التكسير؛ إذ كثيراً ما تخرج صيغٌ من هذا الجمع عما يقتضيه قياسها فتحمل على غيرها لسبب من المعنى؛ فالشيء قد يحمل على غيره لمناسبة بينهما، إما من جهة اللفظ، وإما من جهة المعنى[3].

ويسعى هذا البحث إلى محاولة تفسير بعض ما شذ عن قواعد هذا الجمع وأقيسته وخرج

عليها في ضوء هذا المسلك اللغوي الدقيق في الحمل على المعنى؛ وذلك للوقوف على ما للمعنى من دور في توجيه هذا الخروج أو العدول عن الأصل في صيغ هذا الجمع من جهة، ولبيان إلى أيّ مدى كان ما وضعه الصرفيون من قواعد وأقيسة سليماً وصحيحاً في ضبط هذا الجمع وتقنينه، وأن ما خرج عليها لم يكن إلا لسبب أو لآخر من جهة أخرى .

ولست أدعي في هذا البحث بعد ذلك أني قد أتيت على كل هذه الجموع المخالفة للقياس من هذه الجهة، وقمت بإحصائها وحصرها، ولكن حسبي أني اجتهدت في ظل ما توافر لي من مصادر ومراجع .

وقد رأيت أن تأتي هذه الدراسة في مبحثين ، يشتمل كل مبحث منهما على عدد من المسائل، وهذان المبحثان هما:

المبحث الأول: الحمل على المعنى في صيغ جموع القلة .

المبحث الثاني: الحمل على المعنى في صيغ جموع الكثرة .

المبحث الأول: الحمل على المعنى في صيغ جموع القلة

قسم النحاة جموع التكسير إلى قسمين: جموع قلة، وجموع كثرة، ثم اختلفوا في دلالتهما، فقيل: إنهما يختلفان مبدأ وغاية، فالقلة: من ثلاثة إلى عشرة، والكثرة: من أحد عشر إلى ما لا نهاية. وقيل: إنهما يتفقان مبدأ لا غاية، فالقلة: من ثلاثة إلى عشرة، والكثرة: من ثلاثة إلى ما لا نهاية. هذا مع إقرارهم بجواز إغناء أحدهما عن الآخر إما وضعاً أو مجازاً لقرينة؛ وذلك من جهة اشتراك الجميع في كونه جمعاً، وأن اللفظ لا يدل على الكمية المخصوصة[1].

أما جموع القلة فتنحصر في صيغ أربع، لكل منها أحكامه الخاصة وضوابطه التي تحكم ما يطرد من الأسماء في الجمع عليه وينقاس؛ وهذه الصيغ الأربع هي: أَفْعُل، وأَفْعَال، وأَفْعِلة، وفِعْلَة. وفيما يلي نتناول ما جُمع على هذه الصيغ مما لا ينقاس جمعه عليها حملا على المعنى:

١- صيغة (أَفْعُل):

يقرر الصرفيون أن الجمع على صيغة (أَفْعُل) إنما يطرد في نوعين من المفردات: أحدهما: الاسم الثلاثي المجرد الصحيح العين، على وزن (فَعْل)، نحو: نَفْس وأنفس، وفَلْس وأفلُس، ووَجْه وأوجه. والثاني: الاسم الرباعي المؤنث معنويًّا الذي ثالثه مدّة، نحو: ذِراع وأذرع، ويمين وأيمن، وعَنَاق وأعنُق. وما عدا هذين النوعين فإنما يشذ جمعه على هذا الوزن عند الجمهور[2]، ومن ذلك قُفْل وأقفُل، وعَيْن وأعيُن، ونِعْمَة وأنعُم، إلى غير ذلك .

ويمكن في ضوء مبدأ الحمل على المعنى تفسير بعض من هذه المفردات التي شذ تكسيرها في القلة على هذا الوزن، ومنها ما يلي:

- زَمَن وأزْمُن:

يُكسَّر لفظ (زَمَن) في القياس على (أَزْمَان)؛ إذ الجمع على زنة (أَفْعَال) إنما ينقاس فيما سوى (فَعْل) بضوابطه السابقة من أوزان الثلاثي المجرد، على ما سيأتي. أما وروده مكسَّراً على (أَزْمُن) في بعض كلام العرب، ومنه قول ذي الرُّمَّة:

أمَنْزِلَتَيْ مَيٍّ سلامٌ عليكُما هل الأَزْمُنُ اللائي مَضَيْنَ رواجعُ[3]

وقول الآخر:

مَنَيْتَني مَلاقحاً في الأَبْطُنِ
تُنْتِجُ ما تَلْقَحُ بَعْدَ أَزْمُنِ[4]

فشاذ من جهة القياس، وللصرفيين في تفسير هذا الشذوذ أو العدول عن الأصل رأيان:

أحدهما: أن (أزْمُناً) يجوز أن يكون جمعَ (زَمَان)، مثل (أَمْكُن) في جمع (مَكَان)؛ وذلك

لحمل (فَعَال) المذكر على (فَعَال) المؤنث؛ إذ (أَفْعُل) قياس فيه، على ما تقدم، نحو: عَنَاق وأعنُق[8].

والثاني: أنه محمول على لفظ (دَهْر وأَدْهُر)؛ لأن معناهما واحد. قال ابن الأنباري: «لمّا كان (زَمَن) في معنى (دَهْر)، و(دهر) يجمع على (أَدْهُر)، فكذلك أيضاً جمعوا (زمناً) على (أزمُن)؛ لأنه في معناه»[9]. وعلى هذا ساغ استعمال هذا الجمع وشاع.

- رَسُول وأَرْسُل:

كذلك يقتضي القياس في جمع (رسول) في القلة إذا كان اسماً أن يكون على (أَرْسِلَة)، كعمود وأعْمِدَة؛ لأن صيغة (أَفْعِلَة) في القلة إنما تطرد في الاسم الرباعي المذكر الذي ثالثه مدّة، على ما سيأتي.

ولكن الملاحظ أنه قد عُدِل عن هذا القياس فكُسِّر (رسول) على (أَرْسُل) في كثير من الاستعمالات العربية الفصيحة، ومنها قول أبي كَبير الهُذَلي:

وجليلةِ الأنسابِ ليس كمِثْلِها مِمَّنْ تمنَّعُ قد أتَتْها أَرْسُلي[10]

وكذلك قول الآخر:

لو كان في قلبي كَقَدْرِ قُلامَةٍ حُبًّا لغَيْرِكِ قد أتاها أَرْسُلي[11]

وقد اتفق الصرفيون على أن سبب الخروج على القياس والعدول عنه في جمع هذه الكلمة على هذا النحو إنما هو الحمل على المعنى، بيد أنهم قد اختلفوا في طريق هذا الحمل؛ فبعضهم يرى أن جمعه على (أَرْسُل) إنما جاء حملاً على معنى (رسالة)؛ إذ تستعمل كلمة (رسول) في اللغة بهذا المعنى، وحينئذ يجوز فيها التذكير والتأنيث، وقد روعي ذلك فحُمِل (رسول) في هذا الجمع على أنه مؤنث بمعنى رسالة[12].

ويرى بعضهم الآخر ومنهم ابن جني أن تكسير (رسول)، وهو مذكر، على (أرسل)، وهو من صيغ تكسير المؤنث، إنما جاء في هذين البيتين على حد تعبير ابن جني: «لمّا كان الرسول هنا إنما يراد به المرأة؛ لأنها غالب الأمر مما يُستخدم في هذا الباب»[13]. وهذا ما أكده آخر بقوله: «وإنما سَوَّغ ذلك له إرادته بالأرسل النساء، فكسَّره على المعنى»[14].

وأيًّا ما كان طريق الحمل على المعنى فالثابت أن كلمة (رسول) في هذا الجمع قد توافر لها ما يسوِّغ جمعها على هذا النحو؛ وذلك من حيث كونها اسماً رباعيًّا ثالثه مدة، وقد قُصِد تأنيثه، سواء حملا على معنى (رسالة) أو على إرادة المرأة.

- جَنَاح وأَجْنُح:

كلمة (جَنَاح) سواء في الإنسان أو الطير أو غيرهما هي اسم مذكر، يكسَّر في القياس على

(أَجْنِحَة)؛ لأن (أَفْعِلَة) إنما تطرد في الاسم الرباعي المذكر الذي ثالثه مدة، كما تقدم. أما تكسيره على (أَجْنُح) في بعض ما ورد عن العرب، ومنه قول الشاعر:

يدرينَ هاماً وأَجْنُحَا [16]

وقول الآخر:

فَمَا بِهِ شَبَعٌ إلا من الطيرِ أَجْنُحُ [17]

فعلى غير قياسه، وذلك من قبيل أنه مذكر لا مؤنث. وقد وجّه الصرفيون هذا المسلك المخالف في جمع هذه الكلمة بالحمل على معنى المؤنث، أما في حق الإنسان كما في البيت الأول فبالحمل على لفظ (ذراع وأذرُع)؛ لأنهما بمعنى واحد، وأما في حق الطير كما في البيت الثاني فبالحمل على معنى (ريشة)؛ لأنه أراد (الريش)، وجعل كل ريشة جناحاً، واعتقد تأنيث الريشة، فكسّره على (أَفْعُل) [18].

٢. صيغة (أَفْعَال):

يطرد جمع التكسير على صيغة (أَفْعَال) فيما عدا (فَعْل) بشروطه السابقة من أوزان الاسم المجرد الثلاثي، باستثناء (فُعْل) بضم ففتح؛ نحو: بَيْت وأبيات، وسَبَب وأسباب، وقُفْل وأقفال، إلى غير ذلك من كلمات. أما (فُعَل) خاصة فقياس تكسيره (فِعْلان)، نحو: جُرَذ وجِرْذان، وصُرَد وصِرْدان. ويُعَدّ ما خالف ذلك من قبيل الشاذ المسموع عند جمهور الصرفيين [19].

على أن من هذا المسموع الشاذ أو النادر في الجمع على هذه الصيغة ما يمكن توجيهه أو تفسير مسلكه المخالف في ظل الحمل على معنى غيره، ومنه الكلمات الآتية:

- زَنْد وأَزْناد:

تقضي ضوابط الجمع أن يكسّر لفظ (زَنْد) في القلة على (أَزْنُد)؛ لأن صيغة (أَفْعُل) في التكسير تطرد كما تقدم في الاسم الثلاثي الصحيح العين والساكنها على زنة (فَعْل). أما مجيئه مكسّراً على (أَزْنَاد) في بعض النصوص اللغوية الفصيحة الواردة عن العرب، ومنها قول الأعشى:

وَجِدْتَ إذا اصْطَكُّوا خَيْرَهُمْ		وزَنْدُك أَثْقَبُ أَزْنَادِهَـــــا [20]

فليس ذلك بالباب في كلام العرب، على حد تعبير سيبويه [21]. ووجهه كما يرى كثير من الصرفيين أنه محمول على معنى كلمة (عود)؛ لأنه لمّا كان الزَّنْد عوداً، والعود يُكسّر في القلة على (أعواد)، حُمِل (زند) عليه في الجمع على (أَفْعَال)؛ لاشتراكهما في المعنى، هذا فضلاً عن اتفاقهما في سكون الوسط، وهذا هو التوجيه الراجح.

أما ما قاله بعضهم من أنه قد ساغ ذلك فيه لشبه النون بالواو من جهة الغنة، فصار كأنه معتل العين، فلا يخلو من ضعف؛ لما في ذلك من التكلف الواضح[٢١].

- فَرْخ وأفْرَاخ:

كذلك يكسّر لفظ (فَرْخ) في القلة على (أفْرُخ)، كنَفْس وأنْفُس، وهذا هو القياس. أما وروده مكسّراً على (أفراخ) في بعض النصوص اللغوية الفصيحة، ومنها قول الحطيئة:

ماذا تقولُ لأفْرَاخٍ بذِي مَرَخٍ زُغْبِ الحَوَاصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ[٢٢]

فيتخرّج على أحد وجهين عند كثير من الصرفيين:

أحدهما: أنه محمول على معنى (طَيْر)، فكما جمعوا (طيراً) على (أطْيَار)، كذلك جمعوا (فرخاً) على (أفراخ)؛ لأنه نظيره في المعنى، وإلى هذا يميل أكثرهم.

والثاني: أنه محمول على المعتل العين من جهة أن ثانيه راء، والراء تشبه حروف المد لِمَا فيها من التكرير، أو أنه محمول على (فَعَل) المفتوح العين من جهة أن الراء حرف تكرير ينزل تكريره منزلة الحركة، فصار بمنزلته، فجمع على أفعال[٢٣].. ولعله لا يخفى كذلك ما ينطوي عليه هذا الوجه الثاني من تكلف وافتعال واضحين.

- رُبْع وأرْبَاع:

تقدم أن التكسير على (أفعال) يشذ ويندر في (فُعْل) بضم ففتح من أوزان الثلاثي المجرد، وعليه فإن جَمْعَ (رُبْع) وهو الفصيل يُنْتَجُ في الربيع، وهو أول النتاج على (أرْبَاع)، كما ورد عن العرب، هو شاذ من جهة القياس، على ما تقدم. ووجهه كما يرى كثير من الصرفيين أنه محمول على معنى (جَمَل وأجْمَال)؛ لأنه وإن كان على غير وزنه فهو في المعنى جَمَلٌ وإن كان صغيراً، فجُمِع على جمعه؛ إذ كان وَلَدَه، أو على حدّ تعبير الرضي:«لأنه منه»[٢٤].

- رَبْع وأرْبَاع:

الرَّبْع بفتح فسكون لغةً: المنزل، والدار بعينها، والوطن متى كان وبأي مكان كان، وقياس تكسيره في القلة هو(أرْبُع)، كنَفْس وأنْفُس؛ لما تقدم. لكنه قد سمع مكسّراً على (أرْبَاع) أيضاً في بعض كلامهم، كما نص على ذلك أصحاب اللغة والمعاجم[٢٥]. ويمكن في رأيي أن يُفَسَّر هذا الجمع الشاذ ويتوجّه مسلكه في ضوء الحمل على ما يناظره أو يشاكله في المعنى ويتقاس في التكسير على (أفْعَال)، وهو كلمتا (وَطَن وأوطان) و(بَيْت وأبيات)؛ لأنه لمّا كان الرَّبْع إنما هو الوطن والبيت في المعنى، كما تقدم، حُمِل عليهما فجُمِع على (أفعال).

- حَمْل وأَحْمَال:

كذلك وردت كلمة (حَمْل) التي هي قرينة الإرضاع مكسَّرة على (أَحْمَال)، كما في قول الله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[٢٦]، وهي على هذا تعدّ مخالفة للأصل خارجة على القياس الذي هو (أَحْمُل) على زنة (أَفْعُل) في جمع (فَعْل) الصحيح العين بشروطه السابقة. وقد عدها الصرفيون من جملة كلمات محدودة جاءت على وزن (فَعْل) الصحيح العين، وجمعت على (أَفْعَال)[٢٧]. ويترجّح فيما يبدو لي أن هذا الجمع الشاذ من جهة القياس لا الاستعمال إنما جاء حملا على معنى كلمة (حِمْل) بالكسر وهو العِبء أو الشيء يُحمل بجامع التعب والمشقة والعَنَت في كلٍّ منهما، هذا فضلا عن الاشتراك في المادة اللغوية ذاتها.

٣- صيغة (أَفْعِلَة):

يطرد تكسير القلة على (أَفْعِلَة) في الاسم الرباعي المذكر الذي ثالثه مدّة، نحو: طعام وأطعمة، وعمود وأعمدة، ورغيف وأرغفة، إلى غير ذلك. ويعد ما خالف ذلك من قبيل الشاذ عند الجمهور، سواء في الأسماء أو الصفات، فممّا شذ من الأسماء، نحو: عُقَاب (مؤنث) وأَعْقِبَة، وقفا وأقفية، ومن الصفات نحو: شحيح وأشحّة، وعزيز وأعزّة، وذليل وأذلّة[٢٨]. ومن الكلمات التي شذت أو ندرت في التكسير على هذه الصيغة في ظل الحمل على المعنى ما يلي:

- سَمَاء وأَسْمِيَة:

كلمة (سماء) في الحقيقة هي اسم لما يُظل الأرض، ثم تُوسِّع فيه فأطلق على كل عالٍ مُظِلّ، كسقف البيت، والسحاب، والمطر، إلى غير ذلك. وقد كان حقه في التكسير لأدنى العدد أن يكون (أَسْمِياً) على زنة (أَفْعُل)، كعَنَاق وأعنُق، وذِراع وأذرُع؛ وذلك من جهة أنه اسم رباعي مؤنث تأنيثاً معنويًّا قبل آخره مدة، وهو ما يقاس تكسيره في القلة على (أَفْعُل)، لكنه ورد مكسرا على (أَفْعِلَة) فيما حُكِي من قولهم: ثلاث أَسْمِيَة[٢٩]، وكذلك قول الطِّرِمَّاح بن حكيم:

ومَحَاهُ تَهْطَالُ أَسْمِيَة كلُّ يومٍ وليلة تَرِدُهْ[٣٠]

وهذا من تكسير المذكر، نحو: غِطاء وأغطية، ودواء وأدوية. ولا يعدو أن يكون هذا المسلك الشاذ في تكسير (سماء) على (أسمية) كما يرى كثير من الصرفيين من باب الحمل على السماء بمعنى المطر؛ إذ هو مذكر على هذا المعنى، فجُمِعَتْ جمعَ المذكر قصداً إياه وإرادة له[٣١].

- نَدَى وأَنْدِيَة:

يطلق (النَّدَى) في اللغة ويراد به عدة معانٍ، منها: المطر والبَلَل، وبُعْد الصوت، والجود، والغاية مثل (المَدَى)، إلى غير ذلك[٣٢]. وقياس تكسيره في القلة هو (أنداء)، كصَدَى وأصداء،

وعليه جاء قول الشَّماخ وهو بمعنى المطر والبلل:

إذا سَقَطَ الأَنْدَاءُ صِيفَتْ وأُشْعِرَتْ حَبِيراً ولم تُدْرَجْ عليها المَعَاوِزُ [٣٢]

فأما وروده مكسَّراً على (أَنْدِيَة) في بعض الاستعمالات اللغوية الفصيحة، ومنها قول مُرَّة بن محكان:

فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ لَا يُبْصِرُ الكَلْبُ مِن ظَلْمَائِهَا الطُّنُبَا [٣٣]

ففي توجيهه عدة أقوال: أشهرها ثلاثة [٣٤]: الأول: أنه كسَّر (نَدَى) على (نِدَاء)، كجَمَل وجِمَال، ثم جَمَع (نِدَاء) على (أندية)، فهو على هذا من باب جمع الجمع. والثاني: أنه جَمْعُ (نَدِيّ)، وهو المجلس، ويكون المعنى حينئذ: في ليلة من جمادى ذات مجالس يجتمع فيها الأشراف والأغنياء لإطعام الفقراء. والثالث: أنه محمول في هذا الجمع الشاذ على معنى (هواء وأهوية)، و(شتاء وأشتية)، ونحو ذلك مما يشبه معنى (النَّدَى) أو يقاربه ويجمع على (أَفْعِلَة)، وقيل أيضاً: «وأقرب من ذلك أنه في معنى الرذاذ، والرشاش، وهما يجمعان على أفعِلَة»[٣٥].

والقول بالحمل على المعنى في توجيه هذا الجمع الشاذ في رأيي هو أقوى هذه الآراء وأقربها إلى الصواب؛ وذلك لضعف القولين: الأول والثاني، أما الأول فمن جهة أن (فِعَال) من أبنية جمع الكثرة، والأصل في الجمع الكثير ألا يُجمع، وإنما يقتصر فيما ورد منه على السماع عند الجمهور[٣٦]، هذا فضلاً عما يحصل من التناقض في القول بجمع (فِعَال) على (أَفْعِلة)؛ إذ الأول للكثرة والثاني للقلة. وأما ضعف القول الثاني فمن قِبَل عدم مناسبته لمعنى البيت ومقصوده.

وبعد، فلا يبقى من صيغ جموع القلة سوى (فِعْلَة)، وهو وزن سماعي لم يطرد في شيء من الأوزان، وإنما يحفظ ما ورد منه ولا يقاس عليه، ومن ثم فلا مجال فيه لمثل هذه الدراسة.

المبحث الثاني: الحمل على المعنى في صيغ جموع الكثرة

إذا كانت صيغ القلة في التكسير تنحصر في أربعة أوزان فقط، فإن صيغ الكثرة تتعدد حتى إنها لتصل عند الجمهور إلى ثلاثة وعشرين وزناً، لكل وزن منها أحكامه الخاصة وضوابطه المعينة، التي قام الصرفيون باستخلاصها واستنباطها من الواقع اللغوي الموروث إحكاماً لها وتقنيناً لما يطرد من الأسماء في الجمع عليها، وعَدّ ما خالفها أو خرج عليها من قبيل النادر أو الشاذ الذي لا يقاس عليه. ونحاول هنا التعرض لبعض مما شذ جمعه على هذه الصيغ أو خالف القياس حملا على المعنى في كل صيغة على حدة، وذلك على النحو الآتي:

١. صيغة (فُعْل):

يطرد جمع الكثرة على صيغة (فُعْل) عند الجمهور في الوصف (أَفْعَل) ومؤنثه (فَعْلاء)، نحو: (حُمْر) في جمع (أحمر وحمراء)، وما عدا ذلك كما يرى الصرفيون يحفظ ولا يقاس عليه[٣٨]. ومن الكلمات التي شذ جمعها على هذه الصيغة كلمة (النَّمِر) بفتح فكسر أو بكسر فسكون في لغة، وهو ضرب من السباع أخبث من الأسد، سُمِّي بذلك لنُمَرٍ[٣٩] فيه؛ إذ يقاس تكسيره في الكثرة على (نُمُور) و(نِمَار) كوَعِل ووُعُول، وذِئْب وذِئَاب تبعاً للفتين السابقتين على الترتيب. لكنه ورد مكسراً على (نُمْر) أيضاً وهو أكثر كلام العرب كما ذكر اللغويون وأصحاب المعاجم[٤٠] على خلاف القياس. وقد وُجِّه ذلك بأن هذا الجمع محمول في المعنى على الوصف (أَنْمَر) ومؤنثه (نَمْرَاء)؛ إذ الأَنْمَرُ هو أحد الأوصاف الدالة على الألوان، والمراد به: كل ما فيه بقعة بيضاء وأخرى سوداء، فلمّا كان هذا النوع من السِّباع على هذا اللون سُمِّي به من جهة، وجُمِع مكسَّرا على (فُعْل) حملا له على معنى هذا الوصف (أَنْمَر) الذي يقاس تكسيره على هذه الصيغة من جهة أخرى، قال أبوعلي القيسي: «قالوا: نَمِر ونُمْر، فكسَّروا (فَعِلا) على (فُعْل)، لمّا كان في معناه؛ لأن (نَمِرا) في معنى (أَنْمَر)»[٤١].

٢. صيغة (فُعُل):

ينقاس الجمع المكسّر على صيغة (فُعُل) في الوصف الصحيح اللام على زنة (فاعِل) أو (فاعِلة)، نحو: خاشع وخُشُع، وراكع ورُكَّع، وساجد وسُجُّد. ويندر أو يشذ ما خالف ذلك عند الجمهور(٤٢)، ومن هذا الشاذ في القياس تكسيرهم (أَعْزَل) على (عُزُل)؛ إذ الأعزل وهو ما لا سلاح معه أو رمح وصفٌ على زنة (أَفْعَل) ينقاس تكسيره في الكثرة على (عُزْل) بضم فسكون، على نحو ما تقدم، أما وروده مكسّراً على (عُزُل) في كثير من الاستعمالات، ومنها قول الأعشى:

غَيْرُ مِيلٍ ولا عَوَارِيرَ فِي الهَيْـ ـجَا ولا عُزَّلٍ ولا أكْفَالِ [12]

وكذلك قول أبي كبير الهذلي:

سُجَرَاءَ نَفْسِي غَيْرَ جَمْعِ أشَابَةٍ حُشُداً ولا هُلُكِ المَفَارِشِ عُزَّلِ [13]

فعلى خلاف ما يقتضيه القياس. وقد تخرَّج هذا الجمع الشاذ لدى الصرفيين على أكثر من وجه: منها أنه محمول على ضده، وهو الرامح؛ لأنه لمَّا وقع (الأعزل) في مقابلة (الرامح)، وهو مما يُجمع على (فُعَّل)، حملوه عليه، والعرب قد تحمل الشيء على ضده كما تحمله على نظيره. ومنها أن (عُزَّل) قد أجري مجرى (حُسَّر) جمع (حاسر)؛ لتقاربهما في المعنى. ومنها أيضاً أنه محمول على معنى (عازل) اسم الفاعل غير المسموع أو غير المستعمل عند الكثيرين[14].

٣. صيغة (فُعَّال):

كذلك يطرد جمع التكسير على صيغة (فُعَّال) كسابقه في الوصف الصحيح اللام على زنة (فاعِل) المذكر، دون (فاعِلة) المؤنث، ويندر أو يشذ فيما عدا ذلك [15]. ومن هذا النادر الشاذ ما جاء في الحديث الشريف فيما روي عن السيدة فاطمة رضي الله عنها: «أنها جاءت إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم فَوَجَدَتْ عِنْدَه حُدَّاثاً فاستَحْيَتْ فَرَجَعَتْ»[16]، أي: جماعة يتحدثون. فلفظ (حُدَّاثاً) الوارد في هذا الحديث جمع تكسّر على غير قياس، ووجْهُهُ كما يرى بعضهم أنه محمول على نظيره في المعنى، وهو لفظ (سامِر وسُمَّار)؛ إذ السُّمَّارُ هم المحدِّثون[17].

٤. صيغة (فِعَال):

تتعدد أنماط الكلمات التي تكسَّر قياساً على صيغة (فِعَال) حتى تصل عند الجمهور إلى ثلاثة عشر نوعاً، يشذ ما عداها في الجمع على هذا الوزن[18]. ومن جملة هذه الجموع الشاذة الواردة على هذا الوزن ما يلي:

- أعْجَف وعِجَاف:

الوصف (أعْجَف) ومؤنثه (عَجْفَاء) من العَجَف وهو الهُزَال ينقاس تكسيره في الكثرة على (عُجْف)، مثل (أحْمَق وحُمْق)؛ لأن أفْعَلَ وفَعْلاء يطردان في الجمع المكسَّر على (فُعْل)، على نحو ما تقدم. لكنه ورد مكسَّراً على (عِجَاف) على غير ما يقتضيه هذا القياس، كما في قوله تعالى: «وقال الملكُ إنِّي أرى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يأكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ»[19].

وقد تأول الصرفيون هذا الجمع الشاذ من جهة القياس لا الاستعمال على أحد وجهين؛ أحدهما: أن (عِجَاف) محمول على ضده، وهو لفظ (سِمَان) المقيس في التكسير على (فِعَال)؛ إذ العرب قد تبني الشيء على ضده، كما قالوا (عَدُوَّة) حملاً على ضده (صديقة) في دخول

التاء عليه. والثاني: أنه محمول على نظيره (ضِعَاف) المقيس أيضاً في الجمع على (فِعَال)، وذلك بجامع الاشتراك في المعنى، وهذا ما رجحه بعضهم بقوله: «ولو قيل: يَنُوء على بِنْيه، أي: مثله، لكان أقرب، وهو (ضِعَاف)، كما مال إليه بعضهم»[٣١].

- (سَقِيم وسِقَام) و(ضَعِيف وضِعَاف):

من جملة ما ينقاس فيه جمع الكثرة على (فِعَال) الوصف على زنة (فَعِيل) إذا كان بمعنى (فاعل)، نحو (كريم وكِرَام)، أما (فَعِيل) بمعنى (مفعول) مما دل على آفة فقياس تكسيره (فَعْلَى) على ما سيأتي. وعلى هذا كان ينبغي أن يُتَقصر في تكسير (ضعيف) على (ضَعْفَى)، وأن يكسّر (سَقِيم) على (سَقْمَى)؛ إذ هما بمعنى مفعول لا فاعل، من أضعفه المرض وأسقمه الداء. لكنهما قد وردا في الاستعمال العربي مكسرَيْن على (ضِعَاف) و(سِقَام). وقد عُلِّل ذلك بأنهما لمّا دلا على آفة، ولوحظ فيهما معنى (فاعل) كُسِّرا تكسيره[٣٢]. قال صاحب المصباح المنير: «وشذ من ذلك (سَقِيم) فجُمِع على (سِقَام) بالكسر لا على (سَقْمَى) ذهاباً به إلى أن المعنى معنى (فاعل)، ولوحظ في (ضعيف) معنى (فاعل) فجُمِع على (ضِعَاف)»[٣٣].

٥- صيغة (فَعْلَى):

ينقاس الجمع المكسَّر على زنة (فَعْلَى) في الأصل فيما دل على آفة أو مرض أو داء أو مصيبة من (فعيل) الوصف الذي بمعنى (مفعول) خاصة، نحو: قَتِيل وقَتْلَى، وجَرِيح وجَرْحَى، وصَرِيع وصَرْعَى، وأسير وأَسْرَى، إلى غير ذلك. ويكاد يُجْمِع الصرفيون على أن ثمة ما يُحْمَل من الكلمات أو الأوزان الأخرى على هذا الوصف المقيس في الجمع على (فَعْلَى)؛ وذلك بجامع الاشتراك في الدلالة على الآفة أو المرض.

وقد حصروا أنماط هذه الكلمات المحمولة في الجمع على هذا المعنى في ستة أوزان؛ وهي: الأول: فَعِيل بمعنى فاعل، نحو: مريض ومرضَى، وحَسِير وحَسْرَى، ومَلِيح ومَلْحَى. والثاني: فَعِل، نحو: زَمِن وزَمْنَى، ووَجِع ووَجْعَى، وهَرِم وهَرْمَى. والثالث: فاعِل، نحو: هالك وهَلْكَى، وفاسد وفَسْدَى، وساقط وسَقْطَى. والرابع: أَفْعَل، نحو: أحمَق وحَمْقَى، وأجرَب وجَرْبَى، وأنوك ونَوْكَى[٣٤]. والخامس: فَيْعِل، نحو: ميِّت ومَيْتَى. والسادس: فَعْلان، نحو: سَكْرَان وسَكْرَى، وكَسْلان وكَسْلَى[٣٥].

فمن المقرر لدى الصرفيين أن أيًّا من هذه الصيغ أو الأوزان لا ينقاس في التكسير على (فَعْلَى)، وإنما حملت فيه على (فَعِيل) الذي بمعنى المفعول؛ لمّا شاركته في المعنى، وهو الدلالة على الآفات والأوجاع والمكاره. قال سيبويه: «وقال الخليل: إنما قالوا: مرضَى وموتَى، وهلكَى، وجَرْبَى، وأشباه ذلك؛ لأن ذلك أمر يُبتلون به، وأُدخلوا فيه وهم له كارهون، وأصيبوا به، فلما

كان المعنى معنى المفعول كسّروه على هذا المعنى»[٩]. ثم قال معقّباً: «فالحمل على المعنى في هذه الأشياء ليس بالأصل»[١٠].

٦ـ صيغة (فَعَالَى):

تشترك صيغتا التكسير (فَعَالَى) بفتح اللام و(فَعَالِي) بكسر اللام في عدد من الأشياء، ثم تنفرد كل منهما في أشياء أخرى، فممّا تنفرد به صيغة (فَعَالَى) بفتح اللام وتكثر فيه الوصف (فَعْلان) ومؤنثه (فَعْلَى)[١١]، نحو: عَطْشَان وعَطْشَى وعَطَاشَى، وغَضْبَان وغَضْبَى وغَضَابَى، وسَكْرَان وسَكْرَى وسَكَارَى.

ولكنه لمّا كان (فَعْلان) وهو من الصفات المشبهة بابه (فَعِل يَفْعَل) مما يدل على حرارة البطن والامتلاء، فقد حُمِل عليه في الجمع على (فَعَالَى) ما شابهه في هذا المعنى أو قاربه من الكلمات أو الأوزان الأخرى، ومنها: (وَجِعٌ وهو المريض ووَجَاعَى) و(وَخِمٌ وهو المنتفخ البطن من كثرة أكل الكلأ وخَبَاطَى) و(حَذِرٌ وحَذَارَى)، فكل من هذه الكلمات قد جُمِع على (فَعَالَى) حملاً على (فَعْلان)؛ وذلك من جهة أنها أوصاف على زنة (فَعِل) الذي بابه (فَعِل يَفْعَل) مما يدل على الهيجانات والعيوب الباطنة، «فلما تقارب معناهما أي فَعِلٌ وفَعْلان واتّحد مبناهما أي: في باب فَعِل يفعَل تشاركا في كثير من المواضع»[١٢].

ومن هذه الكلمات أيضاً: أيّم وأيَامَى، ويَتِيم ويَتَامَى، وأسِير وأُسَارَى (بفتح الهمزة)؛ حيث جمعت على (فَعَالَى) إلحاقاً لها بباب (فَعِل) المحمول بدوره على (فَعْلان) مما يدل على الآفات والأوجاع؛ لأنه لمّا شارك (أيّم) و(يَتِيم) وكذا (أسير) باب (فَعِل) من حيث المعنى، وذلك من جهة الدلالة على الذل والانكسار المُؤلم؛ إذ الأيْمَة واليُتْم لا يخلوان من الحزن والوجع، ولمّا قارباه كذلك من حيث اللفظ من جهة أن منشأهما، وهو الفعل، بابه في الجميع واحد، جُمِعَا على (أيَامَى) و(يَتَامَى) حملاً على (فَعِل) المحمول على (فَعْلان)، قال سيبويه: «قالوا: يَتَامى، وأيَامَى، شبهوه بوَجَاعَى، وخَبَاطَى؛ لأنها مصائب قد ابتلوا بها، فشُبِّهت بالأوجاع حين جاءت على فَعْلَى»[١٣].

٧ـ صيغة (فَعَائل):

يطرد جمع التكسير على صيغة (فعائل) في عدد من الأشياء، يندرج أكثرها عند الجمهور تحت الرباعي المؤنث الذي ثالثه مدة، سواء أكان وصفاً أم اسماً، وسواء أكان تأنيثه في اللفظ أم في المعنى، نحو: صحيفة وصحائف، ورسالة ورسائل، وحَمُولة وحمائل، وعجوز وعجائز، إلى غير ذلك[١٤]. وقد خَرّج على هذا القياس في الجمع على (فعائل) عدد من الكلمات، نحاول فيما يلي تفسير بعضها في ضوء الحمل على المعنى:

- حُرَّة وحَرَائِر:

كلمة (حُرَّة) وهي ضد الأَمَة وتعني الكريمة من النساء على زنة (فُعْلَة)، وباب (فُعْلَة) اسماً يطرد تكسيره على (فُعَل)، نحو: غُرْفَة وغُرَف، وسُنَّة وسُنَن، وقُرْبَة وقُرَب، إلى غير ذلك[٣٢]. وعليه كان القياس يقتضي أن تكسَّر (حُرَّة) على (حُرَر)، لكنها قد وردت مكسرة على (حَرَائِر) باطراد في الكلام العربي الفصيح على خلاف هذا القياس، وقد وجَّه الصرفيون هذا المسلك الشاذ في جمع هذه الكلمة بالحمل على نظيره في المعنى أو مرادفه الذي هو كلمتا (كَرِيمة وكَرَائِم) و(عَقِيلة وعَقَائِل) المقيستان في الجمع على (فعائل). قال السُّهيلي فيما نقل عنه: «وإنما جمعت (حُرَّة) على (حَرَائِر)؛ لأنها بمعنى (كريمة) و(عقيلة)، فجمعت كجمعهما»[٣٣].

- مُرَّة ومَرَائِر:

كذلك كلمة (مُرَّة) وهي ضد الحلاوة على زنة (فُعْلَة)، وعليه كان ينبغي أن تكسر في القياس مثل (حُرَّة) على (مُرَر)، لكنها قد وردت مكسَّرة على (فعائل) على خلاف هذا القياس؛ إذ يقال: شجرة مرة، وشَجَر مَرَائِر، ولا يعدو أيضا أن تكون في هذا الجمع الشاذ محمولة على كلمة (خَبِيثَة وخَبَائِث) المقيسة في الجمع على (فعائل)؛ وذلك بجامع الاشتراك في المعنى، قيل: «وجمعت (مُرَّة) على (مَرَائِر)؛ لأنها بمعنى خبيثة الطعم، فجمعت كجمعها»[٣٤].

- نِيَّة ونَوَايَا:

وردت كلمة (نِيَّة) كذلك في كثير من الاستعمالات العربية المعاصرة مكسَّرة على (نوايا) على خلاف ما يقتضيه القياس؛ إذ هي على زنة (فِعْلَة)، و(فِعْلَة) تكسَّر في القياس على (فِعَل)، وعليه كان يقتضي القياس بأن تكسَّر (نية) على (نِوَى) وهو ما لم يستعمل لا في القديم ولا في الحديث[٣٥] نحو: عِلَّة وعِلَل، وبِدْعَة وبِدَع، وقِطْعَة وقِطَع، إلى غير ذلك.

وقد تعرض مجمع اللغة العربية بالقاهرة لهذا الجمع الشاذ في محاولة منه لتفسير خروج هذه الكلمة على القياس من جهة، ولإيجاد مسوِّغ لهذا الاستعمال الشائع الذي لا يكاد يُسمع جمعٌ سواه في الاستعمال المعاصر من جهة أخرى، فكان أن قرَّر ما نصُّه: «يرى المجمع قبول كلمة (النوايا) في معنى (النِّيَّات) حملا لها على نظيرتها التي بمعناها، وهي (الطَّوَايا) جمع (طَوِيَّة) أو باعتبارها جمعاً لـ(نِيَّة) حملا على نظائر من الكلمات جُمِعَت فيها (فِعْلَة) على (فَعَائل)»[٣٦].

٨- صيغة (فُعَلاء):

صيغة (فُعَلاء) من أمثلة جمع الكثرة التي تطرد في الأصل فيما كان على زنة (فَعِيل) بمعنى (فاعل) صفة لمذكر عاقل غير مضعَّف ولا معتل اللام، نحو: ظريف وظرفاء، وشريف وشرفاء،

وما عدا ذلك يشذ فيه هذا الجمع وإن كَثُر عند جمهور الصرفيين [٣٧]، ومن ذلك ما يلي:

- خَلِيفَة وخُلَفاء:

لفظ (خَلِيفة) وصف أصله (خَلِيف) بغير هاء؛ لأنه بمعنى (فاعل)، ثم دخلت عليه الهاء للمبالغة، نحو: علامة، ونسّابة. وعليه فقواعد التكسير القياسي تقضي بأن يكسّر (خليفة) على (خَلائف)، نحو: صَبِيحَة وصَبَائح، وقبيلة وقبائل؛ لأن (فعائل) إنما تطرد كما تقدم في الرباعي المؤنث الذي ثالثه مدة، سواء كان وصفاً أو اسماً، مؤنثاً في اللفظ أو المعنى، وعلى هذا جاء قوله تعالى: «وهو الذي جَعَلَكُم خلائفَ الأَرْضِ ورَفَعَ بعضَكم فوقَ بعضٍ»[٣٨]. لكنه قد ورد مكسراً أيضاً على (خُلَفاء) على غير ما يقتضيه هذا القياس، كما في نحو قوله تعالى: «أَمَّن يُجِيبُ المُضْطَرَّ إذا دَعَاهُ ويَكْشِفُ السُّوءَ ويَجْعَلُكُم خُلَفَاءَ الأَرْضِ»[٣٩].

وقد تخرّج هذا الجمع غير المقيس عند الصرفيين على أحد وجهين؛ أحدهما: أنه جَمْعٌ (خَلِيف) الأصل غير المستعمل أو النادر الاستعمال، قال ابن يعيش: «ويحتمل أن يكون (خُلفاء) جمع (خليف)، فإنه يقال: خَلِيف وخَلِيفَة»[٤٠]. والثاني: أن (خليفة) محمول في هذا الجمع على المعنى؛ لأنه لما اقْتُصر في هذا الوصف على الرجل خاصة دون المرأة، وكان مذكراً من حيث المعنى، جُمع على (فُعَلاء)، نحو: شريف وشرفاء، وعظيم وعظماء؛ مراعاة للمعنى، وهذا ما عليه الجمهور، وهو الراجح. قال سيبويه: «وقالوا: خليفةٌ وخلائف، فجاءوا بها على الأصل، وقالوا: خُلَفاء، من أجل أنة لا يقع إلا على مذكر، فحملوه على المعنى، وصاروا كأنهم جمعوا (خليفٌ)؛ حيث علموا أنّ الهاء لا تثبت في التكسير»[٤١]. وقال الرضي فيما نقله عن أبي حاتم: «ولم يحفظ سيبويه ولا أبو عمرو (خَلِيفاً)، بل جَعَلا (خُلَفاء) تكسير (خليفة) من أجل أنه لا يقع إلا على مذكر، فحمل على المعنى»[٤٢].

- ما دلّ على سجيّة حَمْد أو ذَمّ من (فاعل) و(فُعَال) و(فَعْل):

يقرر الصرفيون أن ما ورد مجموعاً على (فُعَلاء) مما دلّ على سجية حَمْدٍ أو ذمّ من باب (فاعل) أو (فُعَال) أو (فَعْل) إنما هو من غير المقيس في هذا الجمع رغم كثرة ذلك وشيوعه في الاستعمال، نحو: شاعر وشُعَرَاء، وعالم وعُلَمَاء، وصَالِح وصُلَحَاء، وشُجَاع وشُجَعاء، وسَمْح وسُمَحاء، وخَصْم وخُصَماء، إلى غير ذلك [٤٣].

وفي محاولة منهم لتفسير هذه الجموع المخالفة للقياس الخارجة على الأصل فقد وجه الصرفيون كثيرا منها بالحمل على معنى (فَعِيل) الوصف المقيس في هذا الجمع؛ وذلك من جهة أن الأصل في اسم الفاعل من هذا الباب أن يَرِد على زنة (فَعِيل)، وقد عُدِل عنه إلى هذه الصيغ، ثم رُوعِي ذلك في الجمع، قصدا لهذا المعنى ومراعاة له.

وعلى هذا شرع الصرفيون يحللون ويفسرون كل ما يقابلهم من هذه الجموع على هذا النحو أو المنحى من المعنى، يقول المبرد في تفسير مسلك (شاعر وشعراء): «فأما قولهم: شاعر وشعراء، فإنما جاء على المعنى؛ لأنه بمنزلة (فعيل) الذي هو في معنى (فاعل)، نحو: كريم وكرماء، وظريف وظرفاء، وإنما يقال ذلك لمن قد استكمل الظَّرْفَ وعُرِفَ به، ... فلما كان (شاعر) لا يقع إلا لمن هذه صناعته، وكان من ذوات الأربعة بالزيادة، وأصله الثلاثة، كان بمنزلة (فعيل)»[٢٦]؛ لأن الأصل في اسم الفاعل منه أن يكون على (فعيل)، غير أنه كما يقول ابن جني قد «اسْتُغْنِي بفاعل عن فعيل، وهو في أنفسهم، وعلى بالٍ من تصورهم، يدل على ذلك تكسيرهم لشاعر (شعراء)؛ لمّا كان (فاعل) هنا واقعاً موقع (فعيل)، وكُسِّرَ تكْسِيرَه؛ ليكون ذلك أمارة ودليلاً على إرادته، وأنه مغنٍ عنه وبدلٌ منه»[٢٧].

كذلك يقول ابن جني في (عالم وعُلَمَاء): «لمّا كان العلم إنما يكون الوصف به بعد المزاولة له وطول الملابسة، صار كأنه غريزة، ولم يكن على أول دخوله فيه، ولو كان كذلك لكان متعلِّماً لا عالماً، فلما خرج بالغريزة إلى باب (فَعِل)، صار (عالم) في المعنى كـ(عَلِيم)، فكُسِّر تكسيره، ثم حملوا عليه ضده، فقالوا: جُهَلاء، كـ(علماء)، وصار (علماء) كـ(حُلَمَاء)؛ لأن العلم مَحْلَمَة لصاحبه»[٢٨].

وهذا ما قرره ابن منظور أيضاً في كل من (سَمْح وسُمَحَاء) و(خَصْم وخُصَمَاء)، حين صرَّح بأنه قد: «جُمِعَ (فَعْل) على (فُعَلاء) في نحو: سَمْح وسُمَحَاء؛ لأن اسم الفاعل من (سَمْح) قياسه (سَمِيح)، و(سَمِيح) تجمع على (سُمَحَاء)، كظريف وظرفاء، ومثله (خصم وخصماء)؛ لأنه في معنى (خَصِيم)»[٢٩].

ونظراً لشيوع هذا الجمع وكثرته فيما دل على سجية مدح أو ذم من الأوصاف المختلفة فقد قاسه بعضهم في هذا الباب مطلقاً، وهذا هو ظاهر كلام ابن مالك في ألفيته؛ حيث قال:

وَلِكَرِيمٍ وَبَخِيلٍ فُعَلا كَذَا بِمَا ضَاهَاهُمَا قد جُعِلا [٣٠]

في حين قصره بعضهم الآخر على ما دل على سجية مدح أو ذم وهو على زنة (فاعل) أو (فُعَال) فقط، فقد ذكر الأشموني أن كلام ابن مالك في الألفية «يوهم أن كل وصف دل على سجية مدح أو ذمٍّ يجمع على فُعَلاء، وأن ذلك مطرد فيه، وليس كذلك فيهما، أما الأول فواضح البطلان، وأما الثاني فإن المصنف ذكر في التسهيل أنه لا يقاس منه إلا ما كان على (فاعل) أو (فُعَال)»[٣١].

وبعد، فهذا آخر ما وقف عليه الباحث من صيغ جاءت مكسرة على خلاف ما يقتضيه قياسها حملاً على غيرها لسبب من المعنى، وذلك في ضوء ما تيسر له من مصادر وأُتيح له من مراجع.

والله تعالى أعلى وأعلم..

خاتمة بأهم النتائج

جاء هذا البحث بعنوان «الحمل على المعنى في صيغ جمع التكسير»، وهو لا يعدو أن يكون محاولة متواضعة لتفسير بعض ما خرج على ما وضعه النحاة من أصول وقواعد تحكم صياغة جمع التكسير بنوعيه، وذلك في ضوء مبدأ الحمل على المعنى، وقد خلصت هذه المحاولة إلى عدد من النتائج، أهمها ما يلي:

١- أن كثيراً من صيغ جمع التكسير الشاذة أو المخالفة للقياس قد سلكت هذا المسلك حملاً على غيرها لسبب من المعنى، وهذا ما يؤكد شأن العرب في تَمَكُّن المعنى في أنفسهم، وعلوِّه في تصورهم، وتقدُّمِه على اللفظ لديهم؛ مراعاة له وقوةً في العناية به.

٢- أن الحمل على المعنى في معظم هذه الجموع الشاذة كثيراً ما يضيف وجهاً آخر على الوجه القياسي المستعمل فيها، على نحو ما تقدم؛ وهو الأمر الذي يدل على أن المعنى إنما يعدُّ رافداً مهما من روافد الثراء اللغوي بصفة عامة، وطريقاً من طرق الاتساع في استعمال الصيغ الصرفية بصفة خاصة، بما يتيح للشاعر أو الناثر على السواء فرص اختيار ما يحقق غرضه ويلبي حاجته.

٣- أنه يلاحظ أن هذا المسلك في الحمل على المعنى في صيغ جمع التكسير إنما يكثر ويغلب في الثلاثي عنه في الرباعي وما زاد عليه. ولعل في هذا ما يؤكد بصورة كبيرة صحة ما ذهب إليه جمهور النحاة والصرفيين من أن التكسير سماعيٌّ في الثلاثي قياسيٌّ فيما عداه.

٤- أن الحمل على المعنى يقوم بدور كبير وبارز في تفسير ما شذ أو ندر من صيغ جموع التكسير؛ حتى إن بعض النحاة قد ادَّعَى أن كل ما خالف القياس وخرج على الأصل في هذا الباب إنما هو من باب الحمل على المعنى، قال أبو الحسن بن الوراق بعد أن قدم عدداً من صيغ جمع التكسير المحمولة فيه على المعنى: «وجميع ما يأتي من الجمع مختلفاً خارجاً عن بابه فهو محمول على مثل ما ذكرنا، إلا أنَّا لم نذكر منه إلا القدر الذي ذكرنا لك، على استقصار ذلك في كتاب سيبويه»[٨٠].

٥- أن ثمة ما يدعو بعد الذي تقدم إلى أن نوصي بدراسة أكبر لهذا الموضوع وعلى نحوٍ أوسع وأشمل، تقوم بتتبُّع ظواهره وتقصِّي مسائله وجمع مفرداته؛ حتى تتم الفائدة وتكتمل الغاية بتفسير أكبر قدر ممكن من هذه الجموع الشاذة، وتوجيه خروجها أو عدولها عن الأصل في ضوء المعنى.

هوامش البحث

(١) الخصائص لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ٢/٤١١، بتصرف يسير.

(٢) لغة الشعر، دراسة في الضرورة الشعرية، لأستاذنا الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق القاهرة، ط١ ١٩٩٦هـ، ص٧٥، ٧٩ .

(٣) انظر: شرح المفصل، لموفق الدين بن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية مصر، ٨/١ .

(٤) فمن الإغناء بالوضع قولهم في (رِجْل): أَرْجُل، ولم يجمعوه على مثال كثرة، وقولهم في (رَجُل): رِجَال، ولم يجمعوه على مثال قلة. ومن الإغناء بالاستعمال لقرينة مجازاً قوله تعالى:«ثلاثة قروء»(البقرة:٢٢٨) . انظر: همع الهوامع، للسيوطي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية مصر، ٣/٣١٨، وحاشية الصبان على شرح الأشموني على الألفية، ت: مله عبد الرؤف سعد، المكتبة التوفيقية مصر، ٤/١٧٠ .

(٥) انظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق: د .عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، ط١ ١٩٨٢م، ٤/١٨٧٥ ١٨١٢، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت، ١٩٩٥م، ٤/٣٢٧ ت ٣٧٨، وهمع الهوامع ٣/٣٤٨ ٣٤٩، وشرح الأشموني ٤/١٧٢ ١٧٣.

(٦) انظر: ديوان ذي الرمة، ت: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت، ط١ ٢٠٠٦م، ص١٥٦، ولسان العرب: مادة (نزل).

(٧) البيتان بلا نسبة في لسان العرب: مادة (لقح)، وتاج العروس: مادة (لقح).

(٨) انظر: شرح شافية ابن الحاجب، للرضي، ت: محمد نور الحسن وآخرَيْن، دار الكتب العلمية بيروت، ٢/٩٥ .

(٩) أسرار العربية لابن الأنباري، ت: فخر صالح قدارة، دار الجيل بيروت، ط١ ١٩٩٥م، ص ٢٠٦، وانظر: علل النحو، لأبي الحسن الوراق، ت: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد الرياض، ص٥٢٢، واللباب في علل البناء والإعراب، للعكبري، ت: عبد الإله النبهان، دار الفكر دمشق، ط١ ١٩٩٥م، ٢/١٨٣ .

(١٠) انظر: ديوان الهُذَليين، دار الكتب المصرية القاهرة، ط٢ ١٩٩٥م، ٢/٩٩ .

(١١) البيت نسب للهذلي في اللسان: مادة (رسل)، وهو غير موجود في ديوان الهذليين.

(١٢) انظر: كتاب العين، للخليل ابن أحمد، ت: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، مادة (رسل). وانظر أيضاً: تهذيب اللغة، وتاج العروس، ولسان العرب، مادة: (رسل).

(١٣) الخصائص ٢/٤١٦ ٤١٧، وانظر: إيضاح شواهد الإيضاح، لأبي علي الحسن بن عبد الله القيسي، ت: د. محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط١ ١٩٨٧، ص٤٤٨.

(١٤) إيضاح شواهد الإيضاح ص٢٢٣ .

(١٥) البيت لعمر بن لجأ في إيضاح شواهد الإيضاح ص٢٢٣، وليس في ديوانه .

(١٦) البيت غير منسوب لقائل في المخصص، لابن سيده، كتاب الطير ٢/٣٢٥ .

(١٧) انظر: الخصائص ٢/٤١٧، وإيضاح شواهد الإيضاح ص٢٢٣ ٢٢٤، وص٤٤٨، والمخصص لابن سيده، كتاب الطير ٢/٣٢٥، ولسان العرب: مادة (جشع) .

(١٨) انظر: شرح الكافية الشافية ٤/١٨١٧ وما بعدها، وأوضح المسالك ٤/٢٧٨، والهمع ٣/٣٤٩ ٣٥٠، وشرح الأشموني ١/١٧٤ ١٧٥ .

(١٩) انظر: ديوان الأعشى، ت: د. محمد حسين، مكتبة الآداب مصر، ١٩٥٠، ص٧٣ .

(٢٠) انظر: الكتاب، لسيبويه، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، ط١ ، ٣/٥٦٨، والمقتضب، للمبرد، ت: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب بيروت، ٢/١٩٦ .

(٣١) انظر: أسرار العربية ص٣٠٥، وعلل النحو ص٥٢١، واللباب في علل البناء والإعراب ٢/ ١٨٠ .

(٣٢) انظر: ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، ت: د. نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي القاهرة، ط١ ١٩٨٧م، ص١٩١، والخصائص ٣/ ٥٩، وأوضح المسالك ٤/ ٢٧٨ .

(٣٣) انظر: أسرار العربية ص٣٠٤، واللباب في علل البناء والإعراب ٢/ ١٨٠ .

(٣٤) شرح شافية ابن الحاجب للرضي ٢/ ٩٩، وانظر: علل النحو ص٥٢٢، واللباب في علل البناء والإعراب ٢/ ١٨٢، ولسان العرب: مادة (ربع).

(٣٥) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي، المكتبة العلمية بيروت، ١/ ٢١٦، ولسان العرب: مادة (ربع) .

(٣٦) سورة الطلاق / آية (٤) .

(٣٧) انظر: أوضح المسالك ٤/ ٢٧٨، وتاج العروس: مادة (زند) .

(٣٨) انظر: شرح الكافية الشافية ٤/ ١٨٢٤ ١٨٢٥، وأوضح المسالك ٤/ ٢٨٠، والهمع ٣/ ٣٥٠، وشرح الأشموني ٤/ ١٧٧ ١٧٨ .

(٣٩) انظر: الأصول في النحو، لابن السراج، ت: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٢ ١٩٨٨م، ٢/ ٢٣٣، والمخصص لابن سيده: باب ما يذكر ويؤنث ٥/ ١٤٦ .

(٤٠) انظر: ديوان الطرماح، ت: د. عزة حسن، دار الشرق العربي بيروت، ط٢ ١٩٩٤م، ص١٣٨، ولسان العرب: مادة (سما) .

(٤١) انظر: المخصص لابن سيده: كتاب الأنواء ٢/ ٣٦٢، ولسان العرب: مادة (سما) .

(٤٢) انظر: الصحاح في اللغة للجوهري: مادة (ندا)، ولسان العرب: مادة (ندا) .

(٤٣) انظر: ديوان الشماخ بن ضرار، ت: أحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة السعادة مصر، ١٣٢٧هـ، ص٥٠، وشرح الشافية للرضي ٤/ ٢٧٨ .

(٤٤) انظر: شعر مرة بن محكان، ت: د. عدنان محمود عبيدات، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد (٩٦)، ص١٢٢ .

(٤٥) انظر: المقتضب ٣/ ٨١، وسر صناعة الإعراب، لابن جني، ت: د. حسن هنداوي، دار القلم بيروت، ١٩٨٥م، ٢/ ٦١٩ ٦٢١، والخصائص ٣/ ٥٢، ٥٣، وشرح الشافية للرضي ٤/ ٢٧٧ ٢٧٨، والمخصص لابن سيده: كتاب المقصور والممدود، ٤/ ٤٢٥، ولسان العرب: مادة (ندى)، وتاج العروس: مادة (ندى).

(٤٦) شرح شافية ابن الحاجب للرضي ٤/ ٢٧٨ .

(٤٧) انظر: الكتاب ٣/ ٦١٩، وشرح المفصل ٥/ ٧٤ .

(٤٨) انظر: أوضح المسالك ٤/ ٢٨٠، والهمع ٢/ ٢٥١، وشرح الأشموني ٤/ ١٧٩.

(٤٩) النُّمْر: جمع (نُمْرَة)، وهي النكتة من أيّ لون كان. انظر: اللسان: مادة (نمر) .

(٥٠) انظر: لسان العرب: مادة (نمر)، والمحكم لابن سيده (نمر)، وتاج العروس (نمر) .

(٥١) إيضاح شواهد الإيضاح ص٢٢٤، والمخصص لابن سيده: باب الذئاب ٢/ ٢٨٣.

(٥٢) انظر: أوضح المسالك ٤/ ٢٨٢، والهمع ٢/ ٢٥٨، وشرح الأشموني ٤/ ١٨٧ ١٨٨ .

(٥٣) انظر: ديوانه ص ١١ .

(٥٤) انظر: ديوان الهذليين ٢/ ٩٠، ولسان العرب: مادة (حشد) و(عزل).

(٥٥) انظر: لسان العرب: مادة (عزل) و(عشر)، وتاج العروس: مادة (عزل) .

(٥٦) انظر: أوضح المسالك ٤/ ٢٨٢، والهمع ٢/ ٢٥٨، وشرح الأشموني ٤/ ١٨٨.

(٤٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات بن الجزري، ت: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية بيروت، ١٩٧٩م، باب الحاء مع الدال: مادة (حدث) .

(٤٨) انظر: لسان العرب: مادة (حدث)، وتاج العروس: مادة (حدث).

(٤٩) انظر: أوضح المسالك ٤/٢٨٢،٢٨٤، والهمع ٣/٢٥٦،٢٥٧، وشرح الأشموني ٤/١٨٨ ،١٩٠ .

(٥٠) سورة يوسف: آية (٤٧) .

(٥١) تاج العروس: مادة (عجف)، وانظر: لسان العرب: مادة (عجف)، والمصباح المنير: كتاب العين (عجف) ٢/٣٩٤.

(٥٢) انظر: الكتاب ٣/٦٤٩، والأصول في النحو ٣/٢٧ .

(٥٣) المصباح المنير: كتاب الضاد (ضعف) ٢/٣٦٢، وانظر: لسان العرب: مادة (سقم)، وتاج العروس: مادة (سقم)

(٥٤) الأَنُوك: الأحمق، أو العاجز الجاهل، أو العيّ في كلامه، انظر: اللسان: مادة (نوك) .

(٥٥) انظر: المفصل للزمخشري، ت: د.علي بوملحم، مكتبة الهلال بيروت، ط١ ١٩٩٣م، ص ٢٤٤، وشرح شافية ابن الحاجب للرضي ٢/١٤٤،١٤٥، وأوضح المسالك ٤/٢٨١، والهمع ٣/٢٥٩، وشرح الأشموني ٤/١٨٦ ،١٨٧ .

(٥٦) الكتاب ٣/٦٤٨، وانظر: المقتضب ٢/٢١٩، والأصول في النحو ٣/٢٨،٣٧، وشرح ابن يعيش ٥/٨١، وشرح شافية ابن الحاجب للرضي ٢/١٢٠، ١٤٤ .

(٥٧) الكتاب ٣/٦٥٠ .

(٥٨) وإن كان الراجح فيهما (فُعَالَى) بضم الفاء وفتح اللام نحو: سُكَارَى. وبهذا تكون أبنية الكثرة أربعة وعشرين وزناً. انظر: أوضح المسالك ٤/٢٩٠، والهمع ٣/٢٦٢ ٢٦٣، وشرح الأشموني ٤/٢٠١ ،٢٠٢.

(٥٩) شرح الشافية للرضي ٢/١٤٤،١٤٥، بتصرف يسير، وانظر: الكتاب ٣/٦٤٩ ،٦٥٠ .

(٦٠) الكتاب ٣/٦٥٠، وانظر: شرح الشافية للرضي ٢/١٤٦، والمفصل للزمخشري ص٢٤٤.

(٦١) انظر: أوضح المسالك ٤/٢٨٩، والهمع ٣/٢٦٤، وشرح الأشموني ٤/١٩٨ ،١٩٩ .

(٦٢) انظر: أوضح المسالك ٤/٢٨١، والهمع ٣/٢٥٤ .

(٦٣) المصباح المنير: كتاب الحاء (حرر) ١/١٢٩، وانظر: لسان العرب: مادة (حرر)، وتاج العروس: مادة (حرر) .

(٦٤) المصباح المنير: كتاب الحاء ١/١٢٩. وانظر: تاج العروس: مادة (حرر).

(٦٥) وقد أورد ابن منظور جمعا مكسّراً لها وهو (نِيّ)، ثم ذكر أنه نادر. انظر: اللسان: مادة (نوى).

(٦٦) كتاب الأضداد والأساليب (الجزء الثاني)، إعداد: محمد شوقي أمين، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المطابع الأميرية ١٩٨٥م، ١/٢ .

(٦٧) انظر: شرح الكافية الشافية ٤/١٨٦١، وأوضح المسالك ٤/٢٨٨، والهمع ٣/٣٦٠، وشرح الأشموني ٤/١٩٥.

(٦٨) سورة الأنعام / آية (١٦٥) .

(٦٩) سورة النمل / آية (٦٢) .

(٧٠) شرح المفصل ٥/٥٢، وانظر: شرح الشافية للرضي ٢/١٥٠.

(٧١) الكتاب ٣/٦٣٦، وانظر: شرح المفصل ٥/٥٢ .

(٧٢) شرح الشافية للرضي ٤/١٣٩، وانظر أيضاً: شرح الشافية للرضي ٢/١٥٠، والمصباح المنير: كتاب الخاء (خلف) ١/١٧٨، واللباب في علل البناء والإعراب ٢/١٤١، ولسان العرب: مادة (خلف)، والهمع ٢/٢٦٠ .

(٧٣) انظر: الكتاب ٣/٦٦٢، والمقتضب للمبرد ٢/٢٢٠، وأصول النحو ٣/١٦ .

(٧٤) المقتضب ٢/٢٢٠، وانظر: شرح ابن يعيش ٥ / ٥٤ ،٥٥ .

(٧٥) الخصائص ١/٢٨١.

(٧٦) السابق ١/٢٨٢، وانظر: لسان العرب، مادة (علم).

(٧٧) لسان العرب: مادة (شيأ) بتصرف بسيط، وانظر: شرح الشافية للرضي ٢/١٨٨ .

(٧٨) انظر: شرح الأشموني ١/١٩٥ .

(٧٩) السابق ١/١٩٦، وانظر: شرح الكافية الشافية ٤/١٨٦١.

(٨٠) علل النحو ص٥٢٢ .

قائمة بأهم المصادر والمراجع

١- أسرار العربية لابن الأنباري، ت: د. فخر صالح قدارة، دار الجيل بيروت، ط١ ١٩٩٥م

٢. الأصول في النحو لابن السراج، ت: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٢ ١٩٨٨م.

٣- أوضح المسالك، لابن هشام، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت لبنان.

٤- إيضاح شواهد الإيضاح، لأبي علي الحسن بن عبد الله القيسي، ت: د. محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط١ ١٩٨٧.

٥- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية مصر، دون تاريخ أو طبعة.

٦- حاشية الصبان على شرح الأشموني، ت: طه عبد الرؤف سعد، المكتبة التوفيقية مصر .

٧ الخصائص لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت .

٨- ديوان الأعشى، ت: د. محمد حسين، مكتبة الآداب مصر، ١٩٥٠ م .

٩- ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، ت: د. نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي القاهرة، ط١ ١٩٩٤ .

١٠- ديوان ذي الرمة، ت: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

١١- ديوان الشماخ بن ضرار، ت: أحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة السعادة مصر، ١٣٢٧هـ .

١٢- ديوان الطرماح بن حكيم، ت: د. عزة حسن، دار الشرق العربي بيروت، ط٢ ١٩٨٧م .

١٣- ديوان الهذليين، بعناية: أحمد الزين، وأحمد زكي العدوي، دار الكتب المصرية القاهرة، ط٢ ١٩٩٤م .

١٤- سر صناعة الإعراب، لابن جني، ت: د حسن هنداوي، دار القلم دمشق، ط١ ١٩٨٥م.

١٥- شعر مرة بن محكان، ت: د. عدنان محمود عبيدات، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد (٩٦) .

١٦- شرح الأشموني على الألفية، ت: طه عبد الرؤف سعد، المكتبة التوفيقية مصر .

١٧- شرح شافية ابن الحاجب، للرضي، ت: محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

١٨- شرح الكافية الشافية، لابن مالك، ت: د. عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، جامعة أم القرى، ط١ ١٩٨٢ .

١٩- شرح المفصل، لموفق الدين بن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية مصر .

٢٠- علل النحو، لأبي الحسن محمد بن عبد الله الوراق، ت: محمود جاسم الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ١٩٩٩م.

٢١- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال مصر .

٢٢- الكتاب، لسيبويه، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى .

٢٣- كتاب الألفاظ والأساليب (الجزء الثاني)، إعداد الأستاذ: محمد شوقي أمين، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المطابع الأميرية ١٩٨٥م.
٢٤- اللباب في علل البناء والإعراب، للعكبري، ت: د عبد الإله النبهان، دار الفكر دمشق، ط١ ١٩٩٥م.
٢٥- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.
٢٦- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٠م.
٢٧- المخصص لابن سيده، ت: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط١ ١٩٩٦م.
٢٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي، المكتبة العلمية بيروت.
٢٩- المفصل للزمخشري، ت: د.علي بوملحم، مكتبة الهلال بيروت، ط١ ١٩٩٣م.
٣٠- المقتضب، للمبرد، ت: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب بيروت، بدون تاريخ. ٣١. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات بن الجزري، ت: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية بيروت، ١٩٧٩م.
٣٢- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي، ت: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، بدون تاريخ.

جامعة الطائف

النيابة في صيغ الأسماء

د. نجلاء محمد نور عبد الغفور عطار
أستاذ مساعد بكليّة اللغة العربيّة
قسم اللغة والنّحو والصّرف - جامعة أم القرى

مجلة جامعة الطائف - الآداب والتربية (اللغة العربية وآدابها)
المجلد الثاني - العدد السابع - جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ - أبريل ٢٠١٢م

الملخص

أول دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

أما بعد:

فموضوع البحث هو دَرْسُ (النيابة في صيغ الأسماء): دَرْسٌ حكم هذه النيابة في العربية، وقبلها حصر الصيغ المنوب عنها، واستقصاء الصيغ النائبة من خلال النظر في كتب اللغة والنحو والتفسير.

واقتضى ذلك أن يأتي البحث في أربعة مباحث، استهلت بتمهيد في معنى نيابة الصيغ، وفي الصيغ المنوب عنها، وذُيِّلت بخاتمة ضمّت نتائج البحث. والمباحث هي:

المبحث الأول: النيابة عن اسم الفاعل.

المبحث الثاني: النيابة عن اسم المفعول.

المبحث الثالث: النيابة عن الصفة المشبهة.

المبحث الرابع: النيابة عن المصدر.

هذا ومما انتهى إليه البحث من نتائج ما يلي:

١- أن اللغة كالحياة، فكما يتناوب في الحياة الأشخاص في أداء الوظائف والمهام، نجد في اللغة تناوب في الجملة الصيغ في أداء المعاني الصرفية.

٢- تفاوت التناوب بين الصيغ كثرةً وقلّة، فمنها ما كثر ومنها ما قلّ. ومما كثر: نيابة المصدر عن اسم الفاعل والمفعول، ومما قلّ: نيابة اسم الفاعل عن المصدر.

٣- كثرة نيابة الصيغ عن اسم الفاعل، ثمّ يليه اسم المفعول، وقلّة النيابة عن المصدر والصفة المشبهة.

والحمد لله رب العالمين.

المقدمة:

حمدًا لله وشكرًا على نعمائه، وصلاةً وسلامًا على سيدنا محمدٍ خاتم أنبيائه، وعلى صحبه وجميع آله، أما بعد:

فأول ما لاح لي موضوع بحثي هذا (النيابة في صيغ الأسماء) قد كان أثناء جمع المادة العلمية لموضوع رسالتي في الماجستير (العدول عن المطابقة بين أجزاء الجملة)، فقد ضَمَّ جرابُ ما جمعتُ من شواهد للعدول شواهدَ قد لوحظ فيها العدولُ عن استعمالِ صيغة إلى أخرى، وكانت النيَّةُ أن يُفْرَدَ لها بابٌ في البحث، ولكن استقرَّ الرأيُ - بعد الجمع والتبويب وتضييق موضوع (العدول) على ما كان بين أجزاء الجملة - على إقصائه؛ لعدم اندراجه تحت العنوان.

ولكن ظلّت تلك المادة اليسيرة المُنْدسَّة بين أوراقي تشغلُ البالَ وتنتظر فرصة مثولها بين يديّ، وتقليبي النظرَ فيها والكتابةَ عنها. والحق أن موضوع (النيابة في صيغ الأسماء) جديرٌ بالدرس النحويّ، فالناظر في كتب النحو واللغة والتفسير كثيرًا ما تقف عيناه عند حديثٍ أو إشارة إلى نيابة صيغة عن أخرى، يُعبَّر عنها تارة بالنيابة، وأخرى بالعدول، وثالثة بالتعويض وغير ذلك، مع سردٍ لشواهدَ تكثر حينًا في موضعٍ، وتقلُّ في أُخر.

ومع ذلك لم يفرد - حسب علمي - هذا الموضوع ببحث يلمّ مُتَفَرِّقَ شواهده، وشتات أحكامه، ويجمعُ صيغه النائبة والمنوب عنها، وهذا ما كان وراء اصطفائه ليكون محطَّ النظر ومجال البحث والدرس، ساعيةً من خلال ذلك إلى تحقيق أهداف ثلاثة:

أولها: الكشف عن مدى وقوع ذلك في العربية كثرةً وقلّة.

وثانيها: حصر الصيغ المنوب عنها، واستقصاء الصيغ النائبة عنها من خلال النظر في شواهد ذلك، والرجوع إلى كتب اللغة والنحو والتفسير.

وثالثها: تبيان حكم تلك النيابة في العربية، وذلك بعرض آراء النحاة فيها على طاولة البحث والمناقشة والمفاضلة بينها والترجيح، والاجتهاد بالرأي فيما لم يُحفظ لنا رأيٌ فيه.

هذا وقد اقتضى موضوع البحث أن يأتي في أربعة مباحث، مُستهلا بتمهيد تضمَّن في معنى (النيابة في الصيغ) وتحديد الصيغ المنوب عنها ومُذيلا بخاتمة ضمَّت نتائج البحث، والمباحث هي:

الأول: النيابة عن اسم الفاعل.

الثاني: النيابة عن اسم المفعول.

الثالث: النيابة عن الصفة المشبهة.

الرابع: النيابة عن المصدر.

وما أجمل لو تبع بحثي هذا درسٌ بلاغيٌّ يبحثُ أسرار النيابة فيما ورد من شواهد بمراجعة كتب التفسير وأقوال البلاغيين.

تمهيد

- مَعْنى النِّيابة في الصيغ:

النيابة في اللغة: من نابَ عنه، يَنُوبُ نَوْبًا و مَنَابًا، بمعنى: قامَ مقامه. تقولُ: نابَ عني فلان يَنُوبُ نَوْبًا ومَنَابًا، أي: قامَ مقامي[1]. وقد تسلّل مصطلحُ (النيابة) إلى كتب النحو بمدلوله اللغوي فلم يخرج في دلالته الاصطلاحية عن ذلك، فقد عرّفه الدكتور محمد سمير نجيب اللبدي بأنه: " إقامةُ شيءٍ مقامَ شيءٍ آخر[2] " وضربَ أمثلةً لذلك منها: إنابةُ المفعولِ والظرفِ والجارِ والمجرور عن الفاعل، وإنابة (كل) و (بعض) عن المفعول المطلق. فجميعُ هذه الأنواع النحوية - كما ترى - إنما حلّتْ محل غيرها، وقامتْ مقامها في الموقع النحوي والحكم الإعرابي.

أما الصيغُ في اللُّغة فهي: جمعُ صِيغَة، من صاغَ الشيء يَصُوغُه صَوغًا وصياغةً وصِيَغَةً وصَيْغُوغَةً بمعنى: سَبَكَهُ [3] أما في اصطلاحِ الصرفيين فالصيغة هي: هيئةُ الكلمةِ الملحوظة من حركةٍ وسكونٍ وعدد حروفٍ وترتيب[4].

ومرادي بـ (نيابة الصيغ): (أن تنوبَ صيغةٌ صرفية عن صيغة أخرى في أداءِ معناها مع زيادةٍ في المعنى أو عدم ذلك). كما هو الحال في نيابة (فَعُّول) و (مِفْعَال) و (فَعَّال) عن فَاعِل مثلا، نحو: صَبُّور، ومِعْطَار وشَرَّاب، فهذه الأمثلة نائبة عن (فَاعِل) ودالة على معناه مع دلالتها على كثرةِ وقوعِ الفعل، بخلافِ نيابةِ (فَاعِل) عن (مُفْعِل) كـ(عَاشِب) فقد ناب اسم الفاعل من الفعل الثلاثي عن صيغة اسم الفاعل من غير الثلاثي ودلّ على معناه - فيما أرى - دونَ زيادة.

وممن استعملَ مصطلحُ (النيابة) في التعبيرِ أحيانًا عن نيابةِ صيغةٍ عن أخرى: المبرِّدُ وابنُ مالك وابنُ الناظم وأبو حيانَ وابنُ هشام والزركشي والصبان [5].

وقد يقولُ قائلٌ: ولمَ كانَ اصطفاءُ مصطلحِ (النيابة) مع أنّ الناظرَ في كتبِ النحوِ واللغةِ كثيرًا ما يقعُ بصرُهُ فيها على مصطلحِ (العدل) حالاً محلَّ النيابة [6]، أو على مصطلحِ (التعويض) عندَ بعضهم [7]؟

أقول: الحقُّ بأنَّ مع إمكانِ استعمالِ الاثنين موضعَ النيابة فقد ضربْتُ صفحًا عنهما، فأما الأولُ: فلئلا يُظن اقتطاعُ هذا البحث من رسالتي للماجستير (العدول عن المطابقة بين أجزاء الجملة). وأما الثاني: فلاقتضائه افتراضَ وجودِ صيغةٍ أصلية في الكلام ثمّ حذفُها والتعويضِ عنها بأخرى، وهو مالا دليلَ عليه.

- صيغ الأسماء المنوب عنها:

للكلمةِ في العربية أنواعٌ ثلاثة لا تتعداها: الاسمُ والفعلُ والحرفُ. والاسمُ - كما يُعرِّفُهُ النحويون -: ما دلّ على معنى في نفسه غيرُ مقترنٍ بزمانٍ، وينقسمُ من جهةِ الاشتقاقِ وعدمِه

إلى قسمين: مشتقٌ وجامدٌ، مشتق: وهو ما أخذ من غيره، كـ(كاتب)، و(مكتوب). وجامدٌ وهو: ما كان بخلاف ذلك كـ(جبل) و (فرس).

ويتضوي تحت جناح المشتقّ: اسمُ الفاعل واسمُ المفعول والصفةُ المشبهة، واسمُ التفضيل واسمُ الزمان والمكان واسمُ الآلة. ومما يندرج تحت الجامد: المصدر. ولكلّ اسم مشتق أو مصدر صيغتُه التي تتفردُ بمعنًى لا تنازعُه فيه صيغةٌ أخرى. فالمصدر: ما دلّ على الحدث المجرد من الزمان.

واسمُ الفاعل: ما دلّ على منْ وقع منه الفعل، واسمُ المفعول: ما دلّ على منْ وقع عليه المعنى، والصفةُ المشبهة: ما دلّ على وصف ثابت لصاحبه، واسم التفضيل: ما دل على اشتراكُ شيئين في صفة وزيادة أحدهما على الآخر فيها.

ومقتضى هذا التباين المعنوي بين الصيغ التزامُ كل صيغة بمعناها، فلا تحل صيغةٌ موضعَ الأخرى، فإذا اقتضى المعنى اجتلاب اسم الفاعل لم يصلحْ أن يوضعَ موضعَهُ اسم المفعول، وإذا استلزمَ الإتيانُ بالصفة المشبهة لم يصحّ إحلالُ المصدرِ مكانَه، فأنت تقولُ مثلا: أنا ضَاربٌ زيدًا غدًا - إن أردتَ الإعلام بإرادتك إيقاعُ الفعل على المفعول (زيدًا) - ولا تقول: مَضْرُوب، فإن قصدتَ الإعلام بوقوع الضرب عليه أُجلِبَ اسمُ المفعول، فيقال: زيدٌ مَضْرُوبٌ. ولا يقال: أنا ضَارِبٌ، وهكذا.

ومع أن هذا هو الأصل - أعني أن يكونَ لكل صيغة معناها الذي تؤديه ولا تنازعُها فيه صيغةٌ أخرى - فإننا نجدُ من الصيغ ما قدْ حلّ محلّ غيره، وقد جاءَ ذلك في بعض المواضع نادرًا وفي بعضها قليلا، وفي أخرى كثيرًا. ومقتضى اختلاف ذلك كثرةً وقلّةً اختلافُ حكم النّيابة في العربية وهو مجالُ بحثنا.

المبحث الأول

النيابة عن اسم الفاعل

أولا: نيابة المصدر عنه:

الأصلُ في الخبر والحال والنعت أن تكونَ مشتقةً لا جامدة؛ لأنها وصفٌ في المعنى لصاحبها، هذا هو الأصل، ولكنّ اللّغة لا تخضعُ لمقتضيات العقل أو القاعدة النحوية في كلّ حال، ولذا نجدُ العدولَ عن ذلك ماثلا في بعض صور الخبر والحال والنعت، ومنها وقوعُ المصدر موقعها مع جموده، كقولك مثلا: النقيُّ عَدْلٌ مع صديقه وعدوّه، وعَرفْتُ النقيَّ عَدْلا، وهذا رجُلٌ عَدْلٌ.

ومع اعتراف النحويين بكثرة وقوع النعت والحال مصدرًا نجد جمهورَهم يُصرُّون على منع قياس ذلك [٨]، وهذا خلافًا للمبرد في الحال، فقد اختلفَ النقلُ عنه، فقيل بتمامه إلى قياس ذلك

مطلقًا، كما قيل بقياس ذلك فيما هو نوعٌ من عامله، نحو: جاءَ زيدٌ مشيًا [9] وهو الظاهر من قوله في (المقتضب): «ومن المصادر ما يقعُ في موقع الحال فيسدُّ مسدَّه فيكونُ حالا: لأنَّه نابَ عن اسم الفاعل وأغنى غناءَه، وذلك قولهم: قتلتُه صبرًا.. وكذلك: جئته مشيًا؛ لأن المعنى: جئتُه ماشيًا، فالتقدير: أمشي مشيًا؛ لأنَّ المجيء على حالات. والمصدر قد دلَّ على فعله من تلك الحال[10]».

ونسبَ السيوطي إلى نحاة المدرستين قياسَ وقوع الحال مصدرًا في ثلاثة مواضعَ، وهي: إذا وقعَ المصدرُ بعد (أما)، نحو: أمّا نَيلا فقليلٌ، وبعد خبر شُبِّه به مبتدؤه نحو: زيدٌ حاتمٌ كرمًا، وبعد خبر مقترن بـ(أل) الدالة على الكمال، نحو: أنتَ الرجلُ علمًا [11].

وظاهرُ قولِ بعضِ النحاةِ في (الخبر) ومنهم: سيبويه والمبرد من المتقدمين، والرضي من المتأخرين صحة وقوع المصدرِ خبرًا [12].

هذا ما يتعلق برأيهم في حكم وقوع المصدر نعتًا وخبرًا وحالا، وما يعنينا الوقوفُ على القائلين بتقديرِ المصدرِ في هذه المواضع نائبًا عن اسمِ الفاعل. وبعبارة أخرى مؤولاً باسمِ الفاعل، وحكم هذه النيابة.

بدايةً نقولُ: بأنَّ القولَ بنيابةِ المصدرِ عن اسمِ الفاعلِ فيما تقدمَ هو مذهبُ جمهورِ النحاةِ باتفاقٍ في المصدرِ المضافِ[13] سواء في ذلك أوَقعَ خبرًا أم نعتًا أم حالاً ، تقول: زيدٌ حسبُكَ من رجلٍ، ومررتُ برجلٍ حسبِك من رجلٍ، ومررتُ بزيدٍ حسبِك من رجلٍ. والتقديرِ في جميعها: كافيكَ من رجلٍ، أما القولُ بإنابةِ المصدرِ غيرِ المضافِ عن اسمِ الفاعلِ فإن الناظرَ في كلامِهم يلحظُ اختلافَهُم في تأويلِ المصدرِ، وإليك بيان ذلك:

أولاً: في الخبر:

أولُ من يبادرُنا بالقولِ بتأويلِ المصدرِ الواقعِ خبرًا بالمشتقِ - أعني القول بنيابة المصدر عنه- نحاةُ الكوفة، وقد نسبَه إليهم أبو حيان [14]. فقولُك مثلا: زيدٌ عدلٌ، وزورٌ عندهم في تقدير: عادل وزائر.

ولم أقفْ على رأي الكوفيين هذا في (معاني القرآن) للفراء، أما سيبويه - رحمه الله - فقد عُزِيَ إليه تأويله ذلك على إرادة المبالغة في الوصف [15]، في حين عُزِيَ إلى المبرِّد تأويلُه على تقديرِ مضاف محذوف [16]، فـ(زيدٌ عدلٌ) مثلا عندَه في تأويل: ذو عدلٍ أي: صاحبُ عدلٍ.

ويؤيدُ صحةَ المعزو إلى سيبويه رحمهُ الله - فيما أرى - قولَه في (الكتاب): «وإن شئتَ رفعتَ هذا كلَّه - يقصدُ المصدر - فجعلت الآخرَ هو الأولَ، فجازَ على سعةِ الكلامِ. وذلك قولُ الخنساء[17]:

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتى إذا ادَّكَرَتْ فَإنمـا هـي إقْبَـــالٌ وإدْبَـار

فجعلها الإقبالَ والإدبار، فجازَ على سعة الكلام كقولك: نهارُك صائمٌ وليلُك قائمٌ [١٤]".

وما يظهرُ لي أنَّ سيبويه كالكوفيين في تقدير إنابة المصدر عن اسم الفاعل، ويفترقُ عنهم في تعليله ذلك. فالمصدرُ (إقبالٌ) و(إدبارٌ) في قول الخنساء عندَه كالكوفيين نائبٌ عن اسم الفاعل (مُقْبِلَة) و (مُدْبِرَة)، كما نابَ اسمُ الفاعلِ عن المصدر في: نهارُك صائمٌ وليلُك قائمٌ.

وعلَّةُ تلك النِّيابة قصدُ المبالغة في الوصف التي يومئ إليها قولُه: «فجعلها الإقبالَ والإدبار»، بينما ظاهرُ ما نُقل عن الكوفيين دلالةُ المصدرِ على معنى اسم الفاعل دونَ زيادة.

هذا أمَّا المبرِّد فعلى ما نُسب إليه فلا صيغةَ تنوبُ عن أخرى عندَه، والحقُّ أنَّ ما وقفتُ عليه في (المقتضب) يظهرُ منه إجازتُه ما ذهبَ إليه سيبويه والكوفيون إلى جانب المنسوب إليه حيثُ قال: «وقال جلَّ وعزَّ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ (الملك: ٣٠)، فالمعنى - واللهُ أعلم - غائرًا، فوضعَ المصدرَ موضعَ الاسم، وقالتِ الخنساء [١٥]:

فإنما هي إقبالٌ وإدبار

فالمصدر في كلِّ هذا في موضع الاسم - يعني المشتق -»[١٦]، وقالَ في موضع آخر في تأويل «زيدٌ سيرٌ»: «فهذا يجوزُ على وجهين: أحدهما: أنْ يكونَ " زيدٌ صاحبُ سيرٍ» فأقمتَ المضاف إليه مقامَ المضاف لما يدلُّ عليه كما قالَ الشاعرُ:

فإنما هي إقْبالٌ وإدْبارُ

أي: ذاتُ إقبالٍ وإدبارٍ، و(ثانيهما: أن)[١٧] يكونَ على أنَّه جعلَها الإقبالَ والإدبارَ لكثرةِ ذلك منها [١٨].

ثانيًا، في النعت:

مذهبُ الكوفيين تأويلُ المصدرِ الواقعِ نعتًا بالمشتقِّ كقولهم عندَ وقوعه خبرًا، وقد نقلَهُ عنهُم بعضُ النحاة منهم: ابنُ عصفور وأبو حيان وابنُ هشام وابنُ عقيل [١٩]، وردَّهُ ابنُ عصفور بأنَّ في ذلكَ إخراجًا للمصدرِ عنْ أصله، وكلَّما أمكنَ إبقاؤُه على أصله فهو أولى [٢٠].

ولا وجهَ - فيما أرى - لردِّ ابن عصفور؛ إذ القولُ ابتداءً بوقوعِ المصدرِ نعتًا هو إخراجٌ للمصدرِ عن أصله لأنَّ الأصلَ ألا يقعَ كذلك؛ لدلالته على مجرَّدِ الحدث، أمَّا القولُ بتأويله بمشتقٍّ أو إنابتُه عنه فما هو إلا حلٌّ لإشكال مجيئه بخلاف الأصل.

ومذهبُ الكوفيين هو مذهبُ سيبويه - فيما يبدو لي - من قوله: «ويقعُ على الفاعل، وذلك قولُك: يومٌ غمٌّ، ورجلٌ نومٌ، إنما تريد: النائم والغامّ [٢١]»، ويعني أن (غمٌّ) و (نوم) بمعنى غامٌّ ونائمٌ حالان محله. وهو ظاهرُ قول المبرِّد أيضًا في تأويلِ المصدرِ الواقعِ نعتًا في قراءة بعضهم: ﴿فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ (فصلت: ١٠) - بجر (سواء)[٢٢] وقول الشاعر [٢٣]:

شَتَّانَ هذا والعِنَاقُ والنَّوْمَ والمَشْرَبُ البارِدُ والظِّلُّ الدَّوْمَ.

حيث قال: «وقرأ بعضهم: ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً ﴾ (فصلت: ١٠) على معنى (مستويات). وقال جل وعز: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ (الملك: ٣٠) فالمعنى - والله أعلم - غائرًا. فوضعَ المصدر موضعَ الاسم. وقالت الخنساء [٢٨]:

فإنَّما هي إقبالٌ وإدبارُ

فالمصدرُ في كلِّ هذا في موضع الاسم. وقال لقيط بن زرارة:

شَتَّانَ هذا والعِنَاقُ والنَّوْمَ والمَشْرَبُ البارِدُ والظِّلُّ الدَّوْمَ

يريد: الدائم» [٢٩]

ومعَ ذلكَ فإنَّه لا يبعدُ عندي إجازتُه ذلكَ إلى جانبِ ما ذُكر في الخبرِ من تأويلٍ بإرادةِ المبالغةِ أو تقديرِ مضاف. وهو ما يمكنُ أنْ يُستشفَّ من ذكرِه الشاهدينِ مع شاهديّ الإخبارِ بالمصدر.

والقريبُ أنَّ ما نقله ابنُ عقيل عنْ جمهورِ البصرةِ - تقديرُهم المصدرَ المنعوتَ به على حذف مضاف [٣٠]، وهو رأي ابنِ السراج - في الحقيقة - الذي نصَّ عليه صراحةً في (الأصول) فقالَ: «واعلمْ أنهم ربما وصفوا بالمصدرِ، نحو قولِك: رجلٌ عَدْلٌ.. والمعنى: إنما هو ذو عدل [٣١]».

ولكنْ - كما رأينا - من خلالِ نصِّ سيبويه والمبرِّد أنَّ ذلك ليسَ رأيَ جميعهم.

هذا أمَّا إذا وجَّهنا النظرَ شطرَ متأخري النحاةِ فإنَّنا سنجدُهم قد انقسموا إلى فرقٍ أربعٍ، فأمَّا الفريقُ الأولُ فقد جمع بين الرأيين، وأما الثاني فقد رأى رأيَ الكوفةِ وغيره، والثالثُ فتبنَّى مذهبَ البصرةِ وغيره، والرابعُ فإنَّه قد ارتضَى مذهبَ البصريين.

ومن الفريقِ الأولِ القائلِ بوقوعِ المصدرِ موقعَ اسمِ الفاعلِ كالكوفيين، وجوازُ تقديرِ مضافٍ كالبصريين: ابنُ الحاجبِ والرضي [٣٢]. والثاني عند ابنِ الحاجبِ ضعيفٌ؛ لما يقتضيه من تقديرِ حذفِ مضافٍ، واقتضائه صحةَ الوصفِ بجميعِ المصادر [٣٣].

وفي التقديرِ الأولِ عند الرضي مبالغةٌ ليستْ في الثاني [٣٤]، وهذا يعني مخالفةَ الرضي للكوفيين في دلالةِ المصدرِ النائبِ عن اسمِ الفاعلِ، فعند الرضي المصدرُ نائبٌ عن اسمِ الفاعلِ لفظًا ومعنى مع مبالغةٍ في المعنى، أما عندَ الكوفة فهو نائبٌ عنه لفظًا ومعنى دون زيادةٍ في المعنى أو نقص.

فـ(عَدْل) عندَهم في تقدير: عَادِل، أي موصوف بالعدلِ، أما عندَه فبمعنى الكثيرُ العدلِ كأنَّه لكثرةِ عدلِه تجسَّم فيه العدلُ، حيثُ يقولُ: «ويستعملُ المصدرُ بمعنى اسمِ الفاعلِ، نحو: ماءٌ غورٌ، أي: غائر، وبمعنى اسمِ المفعول... ويجوزُ أنْ يكونا محذوفَ المضاف.. وفي التقديرِ الأولِ مبالغة، كأنَّ ذا الحدثِ تجسَّم من الحدث، لكمالِ اتصافِه به» [٣٥].

هذا ومنَ الفريقِ الثاني: ابنُ يعيش فقد أجازَ الوصفَ بالمصدرِ على تقديرِ وضعِه موضعَ اسمِ الفاعلِ اتساعًا كالكوفيين، أو للمبالغة [٣٦].

ومن الثالث: ابنُ عصفور والمرادي وأبو حيان، فالرأي عندهم اختلافُ تأويلِ المصدرِ تبعًا لإرادة المتكلم. فإنْ لم ترِدْ المبالغة جُعل الكلام على تقديرِ مضاف كما قالَ البصريون، وإنْ أُريدتْ جُعل الموصوفُ هو المصدرُ مجازًا: لكثرةِ وقوعِ الفعلِ منهُ [٣٧].

ومن الرابع: ابنُ مالك حيثُ قال: " ومن النعتِ بما حقُّه في الأصلِ ألا يُنعتَ به: النعتُ بالمصدرِ كقولِهم: (رجلٌ رِضًى) (وامرأة رِضًى).. فالتزموا فيه لفظَ الإفرادِ والتذكيرِ، كأنهم قصدوا بذلكَ التنبيه على أنَّ أصلَه: ذو رِضًى، وذاتُ رِضًى.. "[٣٨].

ثالثًا: الحال:

المنقولُ عن جمهورِ البصرةِ تأويلُ المصدرِ الواقعِ حالا بالمشتقِّ، فقولُ العربِ مثلا: جاءَ فلانٌ ركضًا، وجاءَ الأميرُ بغتةً وفجاءةً، في تأويل: جاءَ راكضًا، ومُبَاغتًا ومُفَاجئًا عندهم[٣٩]. ويُؤكِّد صدقَ هذا المنقولِ ما نصَّ عليه سيبويه في (الكتاب)، والمبرِّد في (المقتضب).

يقولُ سيبويه – رحمهُ الله – في (هذا بابُ ما ينتصبُ من المصادر؛ لأنَّه حالٌ وقعَ فيه الأمرُ فانتصبَ؛ لأنَّه موقوعٌ فيه الأمر): «وذلكَ قولُك: قتلتُه صبرًا، ولقيتُه فُجَاءَةً ومُفَاجَأةً، وكفاحًا ومُكافحةً، ولقيتُه عِيَانًا.. وليسَ كلُّ مصدرٍ وإنْ كانَ في القياسِ مثلَ ما مَضى من هذا البابِ يوضعُ هذا الموضع؛ لأنَّ المصدرَ ههنا في موضعِ (فاعِل) إذا كانَ حالا»[٤٠].

ويقولُ المبرِّدُ: «ومنَ المصادرِ ما يقعُ في موضعِ الحالِ فيسدُّ مسدَّهُ، فيكونُ حالا، لأنَّه قدْ نابَ عن اسمِ الفاعلِ، وأغنى غناءَهُ، وذلكَ قولُهم: قتلتُهُ صبرًا، إنما تأويله: صابرًا أو مُصْبَرًا، وكذلكَ جئتُه مشْيًا: لأنَّ المعنى جئتُه ماشيًا. فالتقدير: أمشي مشيًا»[٤١].

ويقولُ في (هذا بابُ ما يكونُ من المصادرِ حالا لموافقته الحال): «وذلكَ قولُكَ: جاءَ زيدٌ مشيًا، إنما معناهُ: ماشيًا؛ لأن تقديرَهُ: جاءَ زيدٌ يمشي مشيًا..»[٤٢].

ومعَ صريحِ عبارةِ المبرِّد في النصِّين على تقديرِ إنابةِ المصدرِ الواقعِ موقعَ الحالِ عن اسمِ الفاعلِ نجد المتأخرين يعزون إليه تقديرَهُ المصدر مفعولا مطلقًا منتصبًا بفعلٍ محذوفٍ منْ لفظِه[٤٣]. ومردُّ ذلكَ العزوِ في ظني – تقديرُ – المبرِّدِ المصدرَ بعدَ نصِّه على أنَّه بمعنى اسمِ الفاعلِ بـ(أمشي مشيًا) في النصِّ الأول، و (يمشي مشيًا) في الثاني. وذلكَ التقدير – فيما أرى – ما هو إلا تفسيرٌ للمعنى لا للإعراب، فـ(مشيًا) عندهُ كما صرَّحَ بمعنى (ماشيًا) لكنَّ إقامةَ المصدرِ في موضعِه لإفادةِ معنى زائد، وهو تأكيدُ معنى الحدثِ إلى جانبِ الدلالةِ على الحدثِ وصاحبِه، فكأنَّه قيلَ: ماشيًا مشيًا، والله أعلم.

هذا وما نُسب إلى المبرد نُسِبَ إلى الأخفش أيضًا [١٤]، ولم أقف عليه في معانيه. أمّا الكوفيون فقد عُزي إليهم المعزو للمبرِّد والأخفش من تقدير المصدر مفعولا مطلقًا، إلا أنّ العامل فيه عندهم - كما نُقل - هو الفعل المذكور على تأويله بفعلٍ من لفظ المصدر. فـ(جاءَ زيدٌ ركضًا) في تأويل: ركضَ زيدٌ ركضًا عندهم [١٥].

وعنْ بعض النحاة نُقِلَ تقديرُ المصدر حالا على حذف مضاف، فـ«أتى زيدٌ ركضاً» مثلاً في تقدير إذا ركض عندهم [١٦]، ونُقل عن آخرين تقديره مفعولاً مطلقاً على حذف مضاف، فالتقديرُ في المثال عندهم: أتى زيدٌ إتيانَ ركضٍ.

وبعدَ هذا العرض لآراء النحويين في حكم وقوع المصدر نعتًا وخبرًا وحالاً، وتأويلهم ذلك، يأتي دور السؤال عن حكم نيابة المصدر عن اسم الفاعل في تلك المواضع وهو ما يعنينا.

ما يلاحظُ منْ خلالِ ما تقدّم ما يلي:

أولًا، اتفاقُ جمهور نحاة البصرة على منع وقوع المصدر نعتًا أو حالاً مع كثرة السّماع خلافًا للمبرِّد في الحال إذا كانَ نوعًا منْ عامله، ولابن مالك ونسبهُ السيوطي لنحاة المدرستين في الحال في ثلاثة مواضع لم يقلْ أحدٌ بتأويل المصدر فيها باسم الفاعل. وظاهرُ المنقول عن الكوفيين في الخبر جوازُ وقوعه مصدرًا عندَهُم، وهوَ ظاهرُ قولِ سيبويه والمبرِّد.

ثانيًا، أنّ القولَ بتأويل المصدر باسم الفاعل موضعَ خلاف، بلْ ما يُستغربُ له اختلافُ التأويل عندَ نحاة المدرسة الواحدة باختلاف مواقع الإعراب، فنجدُ المنسوبَ إلى البصريين تأويلَ المصدر الواقع حالاً باسم الفاعل، وتأويلَ الواقع نعتًا على حذف مضاف. وكذا نحاةُ الكوفة فالمنسوبُ إليهم تقديرُ المصدر باسم الفاعل إنْ وقعَ نعتًا أو خبرًا، وتقديرُه مفعولا مطلقًا إنْ وقعَ حالاً.

ثالثًا، ظاهرُ إجازة المبرِّد وقوعُ المصدر حالاً إنْ كانَ نوعًا منْ عامله وتقديره المصدر بالمشتق - قياسُه إنابةُ المصدر عنِ المشتقِّ في هذه الحالة - فعلى رأيه لنا أنْ نقولَ: ضحكَ زيدٌ ابتسامًا، وسعى عمرٌو هرولةً، وقرأ عليٌّ السورةَ حَدْرًا، على تقدير: مُبتسمًا، ومُهرولا، وحَادرًا.

ولكن أيجوزُ لنا أنْ نقولَ بالجوازِ فيما عدا ذلك؟

الحقُّ أن مقتضى منعِ جمهور النحاة قيامُ وقوع المصدر نعتًا وحالاً معَ كثرته على اختلاف تأويلاتهم لما جاء - ومنها: تأويلُ المصدر باسم الفاعل وغيرُهُ منَ المشتقات - قصرُ جواز إنابة المصدر عنِ اسم الفاعل عندَ منْ قالَ به فيما جاءَ من شواهد وقوعه نعتًا وحالاً، ومنعُ القياس على ما جاءَ. فلا يحقُّ لنا أنْ نقولَ: هذا رجلٌ كفاحٌ، وهذا فتى صَبْرٌ على تقدير: مكافحٌ وصابرٌ، ولا أنْ نقولَ: عرفتُ زيدًا صَبْرًا على الشدائد، وشُكْرًا للهِ في السرّاء والضرّاء، على تقدير: صَابرًا، وشَاكرًا.

ومقتضى من استظهرَ من قوله منَ النحاة جوازُ وقوع المصدر خبرًا عنده وتأويله المصدرَ باسم الفاعل إجازتُهُ إنابةُ المصدر عنِ اسم الفاعل الواقع خبرًا. فعلى ظاهر رأيهم يصحُّ أنْ

يُقالُ: زيدٌ صَبِرٌ على الشَّدائد، شُكَرٌ للمولى في كلِّ حالٍ، على تقديرِ إنابةِ (صَبِرٌ) و (شُكَرٌ) عن (صَابِرٍ) و (شَاكِرٍ).

هذا ومنْ شواهدِ وقوعِ المصدرِ خبرًا نائبًا عنِ اسمِ الفاعلِ قولُهُ تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴾ (الملك: ٣٠). وقوله: ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا ﴾ (الكهف: ٤١). وقولُ الخنساء [١٧]:

تَرْتَعُ ما رتَعَتْ حتى إذا ادَّكَرَتْ ... فإنَّما هِيَ إقبالٌ وإدبارُ

ومنْ شواهدِ وقوعِهِ نعتًا قراءةُ يعقوب قوله تعالى: ﴿ فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ (فصلت: ١٠). بجرِّ سواء[١٨].

وقولُ لقيطِ بن زرارة [١٩]:

شَتَّانَ هذا والعِناقُ والنَّوْمُ ... والمَشْرَبُ البارِدُ والظِّلُّ الدَّوْمُ

أي: الدائم.

ومن شواهدِ وقوعِه حالاً قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (الكهف: ٦). وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ﴾ (النساء: ٩٢). وقوله جلَّ وعز: ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (الأعراف: ٥٦). وقوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا ﴾ (الأنفال: ١٥). وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ (البقرة: ٢٦٠). وقوله: ﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ﴾ (طه: ٦٤).

ثانيًا: نيابة صيغ المبالغة:

صيغُ المبالغةِ عندَ النحاةِ صيغٌ مُحوَّلة عنِ اسمِ الفاعلِ؛ للدلالةِ على كثرةِ وقوعِ الفعلِ، وانفردَ ابنُ عصفورٍ بالقولِ بنيابةِ هذه الصِّيَغِ عنِ اسمِ الفاعلِ، فهي عندَهُ نائبةٌ عنْ (مُفَعِّل)؛ لأنَّ الفعلَ الدالَّ على التكثيرِ هي صيغةُ (فَعَّل) [٢٠].

ومعَ موافقتي ابنَ عصفور - رحمهُ الله - في القولِ بنيابةِ صيغِ المبالغةِ عنِ اسمِ الفاعلِ لكنَّني لا أرى نيابتَها عن صيغةِ (مُفَعِّل) كما قالَ، فهي تنوبُ عندي عنْ صيغةِ (فَاعِل) في الدلالةِ على معناهُ معَ مبالغةٍ في الوصفِ وليسَ عنْ (مُفَعِّل)؛ إذْ مُقتضى قوله ذاكَ أنْ يُقالُ بأنَّ (صَبُورًا) مثلاً في قولِنا: (المؤمنُ صَبُورٌ على الشدائد) نائبٌ عنْ (مُصَبِّر) لا عنْ (صَابِر)، ومَا أرى اختلافَ معناهُما المُقتضي امتناعُ وقوعِ أحدِهما موقعَ الآخرِ، فأنتَ تقولُ: المؤمنُ صَابِرٌ وصَبُور، ولا تقولُ: مُصَبِّر، وتقول: المؤمنُ مُصَبِّرٌ أخاه على الشدائد، ولا تقول: صَبُورٌ أو صابر. فـ(صبورٌ) و (صابرٌ) منْ (صَبَرَ) اللازم. ولذا فلا عجبَ في صحةِ إنابةِ الأولِ عنِ الثاني، بخلافِ (مُصَبِّر) الذي هوَ منْ (صَبَّرَ) المتعدي.

هذا وإنّ سألنا عن حكم قياس هذه الصيغ الثلاثة – أعني فَعُول وفِعَّال، ومِفْعَال وفَعِيل، وفَعِل – من مصدر الفعل لازمًا كانَ أو متعديًا فإننا سنجدُ خلافًا وقعَ بينَ النحاة حصيلتُهُ ثلاثةُ آراء:

أولها: قياسُ اشتقاقها جميعًا منْ مصدر الفعل بشرط أنْ يكونَ الفعلُ ثلاثيًا متعديًا كـ(ضَرَب) فيصحُّ أنْ يُقالَ: ضَرُوب، وضَرَّاب، وضَرِيب، ومِضْرَاب، وضَرِب. ونُسب لجمهور البصريين [٢١]. ومُقتضى ما نُسبَ لهم امتناعُ صياغة أبنية المبالغة من مصدر اللازم عندَهُم، فلا يُقالُ: قَوَّام، ومشَّاء، وطَوَّاف مثلا؛ للزوم أفعالها.

وظاهرُ تمثيلُ سيبويه بـ(قَدِير)[٢٢] ضمنَ أمثلته للمبالغة عدمُ اشتراطه في الفعل أنْ يكونَ متعديًا. فـ(قَدِير) من (قَدَر) بمعنى: قَوِيَ لازمٌ لا متعد كما جاءَ في (لسان العرب) يقولُ ابنُ منظور: " والقَدْرُ والقُدْرة والمقدار: القوةُ، وقَدَر عليه يَقْدِر ويَقْدُرُ وقَدِرَ بالكسر " [٢٣].

واستظهرَ ابنُ أبي الربيع منْ كلام الزجاجي في (الجُمل) قياسها عنده، ولم يذكرْ له قيدًا في ذلكَ حيثُ قالَ: " ويظهرُ منْ قول أبي القاسم أنّه قياسٌ في الجميع، لأنّه قالَ: ضَرُوب، وضَرَّاب، ومِضْراب، وضَرِيب، وضَرِب " [٢٤].

وَمَا عليه أكثرُ متأخري النحاة – ممنْ صرّح برأيه– قياسُها منْ الثُّلاثي المجرَّد. ومنْ هؤلاء: ابنُ مالك، والرضي، وابنُ القواس وأبو حيان [٢٥]. وظاهرُ عدم اشتراطهم أنْ يكونَ متعديًا صحةُ وقوعه منَ اللازم والمتعدي.

والثاني: قياسُ (فَعُول) و(فَعَّال) دون البقية [٢٦]، ولعلَّ مُستندَ منْ قالَ به كثرةُ شواهدها في القرآن الكريم والعربية. فأكثرُ الصِّيغ وقوعًا في القرآن – كما نصّ الشَّيخُ عُضيمة رحمهُ الله – صيغة (فَعَّال)، وعددُ شواهدها واحدٌ وأربعون شاهدًا، ويليها في الكثرة (فَعُول) وشواهده ستةٌ وعشرون شاهدًا [٢٧].

والثالث: قصرُ جوازِ ذلكَ على ما سُمع " فلا يُقالُ: أكَّال، ولا مِئْكَال، وإنَّما يُقالُ: أكُول؛ لأنه المسموعُ عنَ العرب، وتقولُ: قتَّال؛ لأنه سُمع أيضًا، ولا تقولُ: مِقْتَال؛ لأنه لم يُسمعْ.. " [٢٨] وورود (أكَّال) في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ (المائدة: ٤٢) يردُ على من منعه. وقدْ نُسبَ هذا الرأيَ ابنُ أبي الربيع إلى أكثرِ النُّحاة، وهوَ الصَّحيحُ عندَهُ [٢٩].

والمذهبُ – عندي – ما عليه أكثرُ المتأخرين؛ لمؤازرة استقراء الشواهد في القرآن الكريم له، فقدْ كثُرَ في التنزيل ورودُ شواهد لأمثلة المبالغة منْ مصدر اللازم والمتعدي معًا، ومنْ شواهد بنائه منَ اللازم قولُهُ تعالى: ﴿ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ (النساء: ١٣٥). وقولُهُ تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ (النساء: ٣٤). وقولُهُ: ﴿ مَا كَانَ أَبُوهَا ٱمْرَأً سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ (مريم: ٢٨). وقولُهُ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء:٨١). وقولُهُ سبحانه:

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (الرحمن: ٦٦). وقولُه: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ (القلم: ١٠).

ومنْ شواهدِ بنائه من المتعدي:

قولُه تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ (المسد: ٤). وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (هود: ١٠٧). وقولُه: ﴿ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ (المائدة: ٤٢). وقولُه: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ (غافر: ١٥).

ومِمَّا جاءَ منْ شواهده في كلامهم قولُ العرب: " أما العسلُ فأنا شرَّاب [٥٠] " و " إنَّه لِنَحَّارُ بَوائكها " [٥١].

وقولُ الشاعر [٥٢]:

ذَكَرْتُ أخـا الأواء يَحْـمَدُ يَوْمَـه ... كَـريمُ رُؤوس الـدارعين ضَـرُوبُ

وقول القُلاخ [٥٣]:

أخَا الحربِ لبَّاسًا إليها جِلالَهـا ... وليسَ بِوَلاجِ الخَـوالِفِ أعْقَـلا

وقول أبي طالب [٥٤]:

ضَرُوبٌ بِنَصْلِ السَّيْفِ سُوقَ سِمَانِهَا ... إذا عَـدِمُـوا زَاداً فَإنَّك عَـاقِرُ

وقول زيد الخيل [٥٥]:

أتَـاني أنَّهُـمْ مَزِقُـون عِرْضِـي ... جِحَـاشُ الكِـرْمليْنِ لهـا فَدِيـدُ

ثالثًا - نيابة (فَعِيل) عن (مُفَاعِل):

حقُّ اسمِ الفاعلِ ممَّا كانَ منْ فِعْلٍ بِزِنَة (فَاعَلَ) أنْ يُصاغَ بِزِنَة (مُفَاعِل)؛ لِما هوَ معلومٌ منْ كَيْفِيَّة صياغة اسم الفاعلِ ممَّا زادَ منَ الفعلِ عنْ ثلاثة أحرف. تقولُ: العاقلُ مُجَالِسُ الأخيارَ، واللهُ مُنَاصِرُ أولياءَهُ المتقين. منَ الفعلِ (جَالَسَ) و (نَاصَرَ). ولكنْ كَثُرَ في العربية - كما سرَّحَ ابنُ مالك - نيابةُ (فَعِيل) عنه [٥٦]. ومنهُ قولُهم: جَلِيس، وسَمِير، وقَعِيد، وخَلِيط نيابةً عنْ: مُجَالِس، ومُسَامِر، ومُقَاعِد ومُخَالِط.

ولا نَدري أتلكَ الكثرةُ مُؤْذِنة إباحةَ قياسِ ذلكَ عندهُ أم لا؟ فنقولُ قياسًا مثلا: يعجبُني صَحِيبُ الأتقياء، ونَصِيحُ الضَّالين، نيابةً عنْ (مُصَاحِب) و (مُنَاصِح) ؟

هذا ما لمْ يُصرح به ابنُ مالك، ولا أستبعدُ القولَ بجوازِه. ومِمَّا جاءَ منْ شواهده في القرآنِ الكريم - وعددها واحدٌ وعشرونَ شاهدًا [٥٧] - قولُهُ تعالى: ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام: ١٦٣).

ومما يحتملُه قولُه: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (النساء: ٦). وقولُه عزَّ وجل: ﴿ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ (الفرقان: ٥٥). وقولُه: ﴿ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ (هود: ٥٩). وقولُه: ﴿ وَمَن يَكُنِ

الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ (النساء: ٣٨). و: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ (ق: ١٧). و: ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ (يوسف: ٨٠). وقوله سبحانه: ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴾ (طه: ٢٩ - ٣٠).

رابعًا - نيابة (أَفْعَل) التفضيل:

ما قيل في حكم نيابة (أَفْعَل) عن الصفة المشبهة يقال في حكم نيابته عن اسم الفاعل، فليُراجع ما قيل من تفصيل هناك [٢٨].

ومما جاء من شواهد ذلك [٢٩]:

قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ (النجم: ٣٢). وقوله: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ﴾ (الإسراء: ٤٧). وقوله عزّ وجل: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ (طه: ١٠٤). ومنه قول العرب: "الناقصُ والأشجُّ أعدلا بني مروان [٣٠]"، على تقدير نيابة (أعدلا) عن (عادلاهم).

ومما يحتمل أن يكون منه قوله تعالى: ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ (هود: ٧٨). على تقدير نيابة (أطهر) عن طاهرات [٣١].

خامسًا: نيابة مُفْعِل ومِفْعَل ومَفْعُول وفَعِيل وغيرها:

لا يقفُ حدُّ النيابة عنْ (فَاعِل) على المصدرِ وصيغُ المبالغة و (أَفْعَل) التفضيل، وفَعِيل النائب عن (مُفَاعِل) بلْ نجدُهُ قدْ امتدَّ إلى صيغٍ أخرى، ومقتضى قلّة الواردِ منْ شواهدِها في العربية والقرآن اقتصارُ جوازِها على السَّماعِ ومنع القياس.

وما سُمع من الصيغ النائبة عن اسم الفاعل عدا ما تقدَّم ما يلي:

١- مُفْعِل و مِفْعَل.

٢- فَاعِل نائبًا عن مُفْعِل.

٣- مَفْعُول، ومُفْعَل.

٤- فَعُول عن مُفْعِل.

١- نيابة مُفْعِل ومِفْعَل عن فَاعِل.

كما قدْ ينوبُ عنِ اسمِ الفاعلِ صيغةٌ أخرى لا تدلّ في أصلِ وضعِها على معناهُ، فإنه قد ينوب عنه ما هو بمعناه، وهو ما نلمسه في نيابة اسمِ الفاعلِ منْ غيرِ الثلاثي عنِ اسمِ الفاعلِ منَ الثلاثي والعكس.

ومما جاءَ منَ الأولِ قولهُم: عَمَّ الرجلُ بمعروفه فهو مُعِمّ، ولمَّ متاعَ القوم فهو مُلِمّ بزنة (مُفْعِل)، وهما ناشئانِ منْ: عَامّ ولامّ بزنة (فَاعِل)، ونقلَ ابنُ عقيل عنِ ابنِ سيده قولهُ بانعدامِ

التنظير لهما [٣٢]. ويَرِدُ هذا القولَ نقلُ ابنُ عقيل بنفسه في موضع آخر قولهم: حَبُّه فهو مُحَبٌّ حيث جاء (مُحَبٌّ) نائبًا عن (حَابٌّ)، وكما ناب (مُفْعِل) عن فَاعِل فقد ناب عنه (مِفْعَل) أيضًا، ومنه قولهم في (مُمِمّ) و (مُلِمّ): مِمَمٌ ومِلَمٌ [٣٣]. قال رؤبة [٣٤]:

فَابْسُطْ علينا كَفَّي مِلَمْ

٢ - نيابة فَاعِل عن مُفْعِل،

مما وردَ عكسُ الأول - أعني وقوع اسم الفاعل من الثلاثي المجرد نائبًا عن اسم الفاعل من غيره- قولهم: (يَافِعٌ) من أَيْفَعَ الغلامُ و (وَارِق) من أَوْرَقَ الشَّجرُ نائبين عنْ (مُوْفِع) و (مُوْرِق) [٣٥]. وقولهم: (وَارِس) من: أَوْرَسَ الرَّمْث، و (بَاقِل) من: أَبْقَل المكانُ، و (لاقِح) من ألقَحَتْ الرِّياحُ السَّحابَ نائبين عن (مُوْرِس)، و (مُبْقِل)، و (مُلْقِح) بزنة (مُفْعِل) [٣٦].

ومما جاءَ محتملا أنْ يكونَ شاهدًا لهذا قولُه تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ (الحجر: ٢٢) فـ(لواقح) محتملٌ أنْ يكونَ نائبًا عنْ (مَلاقِح)؛ «لأنَّ الريحَ تُلقحُ السحابَ فَتُدِرُّه» [٣٧]. ولا تُلْقِح هي، ويجوزُ تخريج الشاهد على عدم النيابة فيه على أنَّ الريحَ (لَقِحَتْ هي، فإذا لقحتْ هَزَّتْ ألقحتْ السَّحاب)، فيكونُ هذا مما أُكتفي فيه بالسبب منَ المسبَّب [٣٨].

ومما جاء من ذلك على القياس وبخلافه: أَمْحَلَ البلدُ فهو مَاحِل ومُمْحِل، وأَعْشَبَ فهو عَاشِب ومُعْشِب، وأَغْضَى الليلُ فهو غَاضٍ ومُغْضٍ [٣٩]. ومنه قول رؤبة [٤٠]:

يَخْرُجْنَ من أَجْوَازِ ليلٍ غَاضِ

٣- نيابة (مَفْعُول) و (مُفْعَل)،

أ - نيابة مَفْعُول عن فَاعِل،

قدْ وقعَ في العربية والقرآن الكريم نيابةُ اسم المفعول عن اسم الفاعل مع مَا بَيْنَهما منْ تخالف في المعنى يبعدُ تبادلهما المواقعَ في الجملة العربية. وذلك قدْ جرى فيمَا كانَ ثلاثي الفعل وغيرَ ثلاثي فقدْ جاءَ مَفْعُول نائبًا عن فَاعِل، كمَا جاءَ مُفْعَل نائبًا عن مُفْعِل.

ومن الأول قولهم: عيْشٌ مَغْبُون [٤١] على تقدير (مَغْبون) نائبًا عن (غَابِن)، ومنه قولهم: قطٌّ السِّعر فهو مَقْطُوط [٤٢] على أن (مَقْطُوط) نائب عن (قَاطّ)، وكذا قولك: "إنك مَشْؤُوم علينا" و "مَيْمُون" [٤٣]. على تقديرهما نائبين عن (شَائم) و (يَامن).

ومما يحتمل أن يكون منه في رأي بعضهم قولُه تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ (الإسراء: ٤). وقوله عزّ وجل: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ (مريم: ٦١).

وممَّن رأى احتمالَه في الشاهد الأوَّل: الأخفش، والزجاجُ وابنُ فارس والثعالبي والزركشي.

قالَ الأخفش: "وقالَ: (حِجَاباً مَسْتُوراً)؛ لأن الفاعل قدْ يكونُ في لفظ المفعول، كما تقول: إنَّك مشؤوم علينا وميمون"[٨١]. وقيلَ: هوَ على بابه (اسم المفعول) بمعنى مستورٍ عن العيون ولا يُحسُّ به أحدٌ، أو مستور به الرسول من رؤيتهم، أو أنَّه مستورٌ في نفسه بحجاب آخرَ فيكونُ إيذانًا بشدة الحُجُب، أي حِجَابًا على حِجَاب.

وإليه ذهبَ المبرِّد، والجوهري والسهيلي، وأبو حيان[٨٢]. وهو الأقربُ بل الأبلغُ من جهة المعنى. وممنْ ذهبَ إلى احتماله في الثاني: الفراء وابن قتيبة، والثعالبي[٨٣]. ونُسب إلى الكسائي القولُ بأنَّه اسمُ مفعولٍ على بابِه، إذْ المعنى: يُؤتى إليه ويُصار[٨٤]. وهو اختيارُ الزمخشري حيثُ قالَ: "والوجه: أنَّ الوعدَ هو الجنة وهم يأتونها، أو هو من قولك: أتى إليه إحسانًا أي: كانَ وعدُهُ مفعولاً مُنْجَزًا"[٨٥]. وبمقالة الزمخشري نطقَ الرضي، حيثُ قالَ: "والأولى أنه منْ أتيتُ الأمرَ، أي: فعلتُهُ، فالمعنى: إنَّهُ كانَ وعدُهُ مفعُولا"[٨٦].

وهو ما تميلُ النفسُ إليه، إذْ به يزيدُ المعنى تأكيدًا على تأكيد، فتأكيدُ إنجازِ اللهِ وعدَهُ للتائبين قدْ كانَ بدايةً بـ(إنَّ) الناسخة المفيدةُ للتوكيد، ثمَّ بـ(كانَ) التي آذنتْ بتحقق وقوعِ الموعود، ويزيد بتفسير (مأتيًا) بمعنى (مَفْعُولا) فيكون الموعود في حكم الواقع، وإنْ لم يقعْ حقيقةً.

ب - نيابة مُفْعَل عن مُفْعِل:

هذا أمَّا إنابةُ (مُفْعَل) اسمِ المفعولِ من (أفْعَل) غيرَ الثلاثي عنِ اسمِ الفاعلِ، فمما جاءَ منه: أسْهَبَ الرجلُ

فهو مُسْهِبٌ، وألفَجَ فهو مُلْفِج[٨٧]. ومنه قوله ﷺ: «ارحموا مُلْفَجَكم»[٨٨]. وأحْصَنَ فهو مُحْصِنٌ، والقياس: مُسْهَبٌ، ومُلْفَج، ومُحْصَن[٨٩].

وممَّا جاءَ منْ شواهد نيابة (مُحْصَن) عنْ (مُحْصِن)، قولُهُ تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ (النساء: ٢٤). ولم أقفْ على شاهد لـ(مُسْهَب).

وما يظهرُ لي منْ خلال النظر في (مُلْفَج) و (مُحْصَن) إمكانُ حملِهما على ظاهرِهَا دونَ حاجة إلى ادعاء نيابة صيغة (مُفْعَل) فيهما عنْ (مُفْعِل) فـ(المُلْفَج) - كما فُسِّر - هوَ منْ ذهبَ مالُهُ، و(المُحْصَن) منْ تزوجَ، وكلا الأمْرين بمشيئة منَ الخالقِ سبحانه فالمؤتى هوَ الفاعلُ في المعنى، والمُلْفَجُ والمحصنُ مفعولان في المعنى، فالملفجُ منْ أذهبَ اللهُ مالَهُ، والمحصنُ منْ يسرَ اللهُ لَهُ الإحصانَ بالزواج، واللهُ أعلم.

٤ - نيابة (فَعُول) لغير المبالغة عن (مُفْعِل):

مقتضى قياس اسم الفاعل من (أفْعَل) - كما أشرنا من قبل - أن يكون على (مُفْعِل)، ولكن

- كما رأينا - قد خرج على هذا القياس بعض أمثلة وردت عن العرب قد ناب فيها اسم المفعول (مُفْعَل) عن اسم الفاعل (مُفْعِل) كـ(مُحْصَن) و (مُسْهَب). كما نجد أمثلة قليلة أيضًا وردت قد ناب فيها (فَعُول) عنه، ومنها قولهم: أَعَقَّتْ الفرسُ فهي عَقُوق، وأَنْتَجَت فهي نَتُوج [٣٢]، نيابة عن (مُعِقّ) و (مُنْتِج).

المبحث الثاني

النيابة عن صيغة (مَفْعُول)

١- نيابة المصدر عنه:

لم يصرّح متقدمو النحاة بحكم إنابة المصدر عن اسم المفعول، وإنما يُستشفُّ رأيهم من خلال كلامهم. فظاهرُ قولِ سيبويه في (الكتاب) قلّةُ وقوعِ ذلك حيثُ يقولُ: " وقد يجيءُ المصدرُ على المفعولِ، وذلك قولك: لَبَنٌ حَلَبٌ، إنما تريدُ مَحْلُوب، وكقولهم: الخَلْق إنما يريدُ: المَخْلُوق، ويقولونَ: الدِّرْهَمُ ضَرْبُ الأمير، إنما يريدونَ: مَضْرُوبَ الأمير " [٣٣].

ومقتضى قلّة ذلك منعُ سيبويه قياسه على ما هو مأثورٌ من مذهب مدرسته.

أما المبرِّد فما يظهرُ من قوله في باب: (الحال) في حديثه عن إعراب المصدرِ الواقع بعد النكرة المخبر بها، جوازُ ذلك عنده لا منعه، إذ لا يُلمح في كلامه عند تمثيله إشارةً إلى قلّة ذلك أو منعه. حيث يقول: " وكذلك إن كان الذي قبله - أي المصدر - نكرة قلت: هذا درهمٌ وزنَ سبعة، وهذا ثوبٌ نَسْجَ اليمن، وهذا دِرْهَمٌ ضَرْبَ الأمير. وإن شئت رفعت فقلتَ: هذا درهمٌ وزنُ سبعة، وهذا درهمٌ ضربُ الأمير. فنعتهُ بالمصدر؛ لأن المصدر مفعُول، فكأنك قلت: هذا درهمٌ مضروبٌ للأمير، وهذا ثوبٌ منسوجٌ باليمن "[٣٤]. وما يُلمحُ في أمثلة المبرّد وقوع المصدر فيها ثلاثيًا مضافًا.

هذا حالُ من تقدّم من النحاة. أما من تأخّر فلم يُعْنَ منهم - ممن نظرتُ في كتبه - بالتنبيه إلى حكم نيابة المصدر عن اسم المفعُول سوى أبي حيان الذي انفرد بتفصيل القول في ذلك، فذهب إلى جواز ذلك إذا كان المصدر ثلاثيًا مضافًا لفاعله، نحو: هذا ثوبٌ نسجُ صَانِع، ودرهمٌ ضَرْبُ مَلِك، ومنه قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ (لقمان: ١١) والتقدير: مَنْسُوجُ صَانِع ومَضروبُ ملك، ومَخْلُوقُ الله [٣٥]. " ولا يكونُ كثيراً - كما قالَ - في غير الثلاثي بل يقالُ منه ما سُمع [٣٦]. وكذا الحال - فيما يبدو عنده - إنْ كانَ غيرَ مضاف كمثالِ سيبويه: " لَبَنٌ حَلَبٌ ".

وما يلاحظُ اتفاقُ أمثلة أبي حيان مع أمثلة المبرّد، وأحد مثاليْ سيبويه في وقوع المصدرِ النائب فيها مضافاً، مع احتمالِ إضافة المصدرِ في أحدهما لفاعله، وهو " هذا دِرْهَمُ ضَرْبُ الأمير " وظاهرُ تفسيرِ المبرّد لمعناهُ يخالفُ هذا الاحتمال.

وعلى رأي أبي حيان فلنا أنْ نقولَ قياساً على الكثير: هذا كتابٌ عَمَلُ أديب، وهذه لوحةٌ رَسْمُ فنانٍ، وطعامٌ طَبْخُ ماهرٍ. على تقدير: مَعْمُولُ أديبٍ، ومَرْسُومُ فنانٍ، ومَطْبُوخُ ماهرٍ. ولا يصحُّ أنْ نقولَ: هذا كتابٌ عَمَلٌ، ولا طعامٌ طَبْخٌ. نريد: مَعْمُول ومَطْبُوخ؛ لعدم الإضافة.

ويُضعفُ مذهبَ أبي حيان - في رأيي - كثرةُ شواهدِ وقوعِ المصدر بمعنى اسم المفعول غير مضاف في القرآن الكريم، منها ما يحتمل تقديره على غير ذلك[٧٨].

ومن شواهد وقوع المصدر غير مضاف:

قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ (البقرة: ٢٥). وقوله: ﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ (البقرة: ١٩٦). وقوله عزّ وجل: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة: ٢١٦). وقوله: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة: ٢٢٣). وقوله: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ (يوسف ٢٠). وقوله سبحانه: ﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴾ (الأنعام: ٩٦). وقوله سبحانه: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

ومن شواهد وقوعه مضافاً لغير فاعله:

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة: ٢٣٣). وقوله: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (آل عمران: ١٩١). وقوله: ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ (الرحمن: ٥٤). وقوله: ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (البقرة: ٦٢).

ومن شواهد وقوعه مضافاً لفاعله:

قوله تعالى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (التوبة: ١١٠). وقوله جلّ وعلا: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴾ (الكهف: ٩٨). وقوله: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ (طه: ٣٦). وقوله: ﴿ صُنْعَ اللَّهِ ﴾ (النمل: ٨٨)[٧٩]. وقوله: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾ (الكهف: ٩٨). وقوله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

٢- نيابة فَعِيل عن مفْعُول ومُفْعَل:

كثُر في لسانِ العربِ إنابةُ (فَعِيل) عن اسم المفعول من الفعل الثلاثي، نحو: جَرِيح وقَتِيل، وأَجِير وصَرِيع وطَحِين ودَقِيق[٨٠]. وقلّ في كلامهم نيابته عن اسم المفعول من غير الثلاثي مما كان بزنة (أفْعَل)، نحو: أعلّه المرضُ فهو عَلِيل، وأعقدتُ العملَ فهو عَقِيد[٨١]. وأحكم الأمر فهو حَكِيم[٨٢]. فقد ناب في الأول مثلاً: (جَرِيح) و (قَتِيل) عن (مَجْرُوح)، و (مَقْتُول) بزنة مَفْعُول. وناب في الثاني: (عَلِيل) و (عَقِيد) عن مُعَلّ، ومُعْقَد بزنة (مُفْعَل).

ومع كثرة الوارد من شواهد إنابة (فَعِيل) عن (مَفْعُول) لا نجد إجماعاً ينْعقدُ على جَواز قياسه بل نجد الخلاف قد نشب بينهم على ذلك، ففريقٌ ذهبَ إلى منع ذلك وقصره على السَّماع وهو مذهبُ أكثرهم ومنهم: ابن مالك، وأبو حيان وابن هشام [١٠٢]. ونقل ابن الناظم إجماع النحويين عليه مُستظهرًا إياه - كما قال - من قول أبيه في الألفية:

ونَابَ نَقْلا عَنه ذُو فَعِيل نحو: فتاة أو فتًى كَحِيل[١٠٣]

ولا أرى في البيت ما يشير إلى ما ذكر، بل ظاهرُ قولِ ابن مالك في الألفية تقريرُ اقتصارِ إنابة فَعِيل عن مَفْعُول على السَّماع دون أن ينقلَ إجماعًا على ذلك، والظاهر أن المنع رأيهُ لا رأي جميع النحاة، خاصة وأنه قد أثبت في (التسهيل) وقوع الخلاف بينهم في ذلك قائلا: "وينوب في الدلالة لا العمل عن (مَفْعُول) بِقِلَّة (فَعْل).. وبكثرة (فَعِيل) وليس مقيسًا خلافًا لبعضهم"[١٠٤].

وقد أشار ابن عقيل إلى نصِّه ذاك واعتذر عن ابن الناظم " بأنه ادعى الإجماع على أن فَعِيلا لا يَنُوب عن مَفْعُول يعني نيابة مطلقة أي: من كلِّ فعل " [١٠٥] وإنما من الفعل الذي ليس له فَعِيل بمعنى فاعل.

ولا موجب - في رأيي - للاعتذار عن ابن الناظم فهو قد كان قاصدًا ما قال، ولعلَّ ما جرَّه لذلك الفهم ليس بيتَ الألفية المتقدِّم وإنما تعقيبُ أبيه في حديثه في (شرح الكافية الشافية) عن نوَّاب اسم المفعول ومنها (فَعِيل) بقوله: "وكلُّ ذلك محفوظٌ لا يقاسُ عليه بإجماع". حيثُ قال قبله: " ويجيءُ كثيرًا على (فَعِيل) ولا يقاس عليه نحو: (قَتَلْتُهُ فهو قَتِيل، وكَحَل عينَه فهو كَحِيل، وقد يجيء على(فَعْل) كـ(طِرْح).. وقد يجيء أيضًا على (فَعَل) كـ(قَبَض).. " [١٠٦]

وظاهر النص أن ذلك الحُكم المُجْمَع عليه إنما هو في إنابة فَعْل وفَعَل لا (فَعِيل) الذي صرَّح ابتداء بأنه لا يقاسُ عليه دون أن يردفه بما يدلُّ على إجماع النحاة عليه.

هذا أما الفريق الثاني من النحاة فقد ذهب إلى جواز قياسه مشترطًا ألا يكون له (فَعِيل) بمعنى فَاعِل، نحو: عَلِيم وقَدِير وحَلِيم [١٠٧]. فلا يُقال مثلاً: العالمُ عَلِيمٌ قدرُه، بمعنى: مَعْلُوم؛ لورود (عَلِيم) بمعنى (عَالِم) في كلامهم. ولم أقف على من قال بهذا الرأي من النُّحاة، وظاهر قول ابن عقيل في (المساعد) ذهابُه إليه مع اشتراطه شرطًا آخر وهو أن يكون فِعْله ثلاثيًا مُجردًا مُتَصرفًا تامًا مُسْتَنِدًا في ذلك إلى المسموع[١٠٨]. فيصحُّ على رأيه - فيما يبدو - أن يُقال: هُدِمَت الدارُ فهي هَدِيم، وكُسِر البابُ فهو كَسِير، وقُطِفَتْ الوردةُ فهي قَطِيف، على أنها: بمعنى: مَهْدُومَة، ومَكْسُور، ومَقْطُوفة؛ لتوفُّر الشروط، ويؤيِّد مذهبه فيما اشترطَ في الفعل اطرادُ ذلك في القرآن الكريم فقد أثبت الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة - رحمه الله - وقوع (فَعِيل) بمعنى مَفْعُول متعيِّنًا فيه ذلك في أمثلة ثمانية وهي: أَسِير، وجَدِيد، وحَبِيب وجمعه: (أحبَّاء)، وحَصِيد، وكَثِيب،

ونضيد و (وَكِيل) و (وَلِيد)، ووقع محتملا ذلك في أربعة عشر مثالاً وهي: أمين - جَنِيًّا - حَثِيثًا - خَصِير - حَمِيد - خَنِيذ - الرَّحِيم - رَضِيا - سَعِيرًا - لشَدِيد - كالصَّرِيم - عَصِيب - العَقِيم - النَّسِيء[١١٠].

وبلغ مجموع شواهد الأول أربعين شاهدًا، والثاني سبعة وخمسين شاهدًا، وأربعون شاهدًا لما تعيَّن فيه ذلك قَدْرٌ - في ظني - يَسُوغ معه القول بالقياس، ولاسيما أن النحاة لم يذكروا لنا حدًّا عدديًا لما هو كثير في رأيهم.

ومما جاء في القرآن من شواهد إنابة (فَعِيل) عن (مَفْعُول) وقد تعيَّن فيه ذلك:

قوله عزّ وجل: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (الإنسان ٨). وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ (المائدة: ١٨). وقوله: ﴿ أَنَّهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا ﴾ (يونس: ٢٤). وقوله: ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾ (ق: ١٠). وقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (آل عمران: ١٧٣).

ومما جاء محتملا ذلك: قوله عزّ وجل: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ (الأعراف: ٥٤). وقوله: ﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران ٣٦).

ومما ورد في كلام العرب من شواهد ذلك قولهم: «سمنُهم في أبيهم»[١١١]، ومعناه: مَأْدُومهم. وقول الشاعر[١١٢]:

فَلا وَيَمِينُ اللهِ ما عَنْ جنايةٍ هُجِرْتُ ولكنَّ الظَّنِينَ ظنينُ

وقول الآخر[١١٣]:

لكالصَّقْرِ جَلَّى بعدَ ما صادَ قُنْبَةً قَدِيرًا ومَشْوِيًا عَبِيطًا خَزَادِلُهْ

فـ(قدير) بمعنى مَقْدُور، وهو ما يُطبَخ في القِدْر، وقول الشاعر[١١٤]:

يا ربَّهـا إن سَلِمَتْ يمينـي وسَلِمَ السَّاقي الذي يَلِيني

ولم تَخُنِّي عُقَدُ المَتِين

فقد جاءت (مَتِين) في موضع (ممتُون)، وقول الشاعر[١١٥]:

رُبما ضَرْبةٍ بسيفٍ صَقِيلٍ بين بُصْرَى وطعنةٍ نجلاءِ

حيثُ جاءت (صَقِيل) في موضع (مَصْقُول).

٣ - نيابة فَعُول:

لم يُدْرِج مَنْ تحدَّث من النحاة عن نوَّاب صيغة اسم المفعول صيغةَ (فَعُول) ضمنَ تلك الصيغ، ولكن حديثُ النحاة عنها قد جاء عَرَضًا أثناء حديثهم عن الصيغ التي لا تلحقها التاء مع المؤنث، فأشاروا إلى شمولها (فَعُول) بمعنى (فَاعِل)، بخلاف التي بمعنى (مَفْعُول) فتلحقها

التاء كثيرًا ويقلّ الحذف، فيقالُ: امرأةٌ صَبُورٌ وشَكُورٌ بدون تاء؛ لأنها بمعنى فاعل، ويقال: ناقةٌ حَلُوبَةٌ وركُوبَةٌ، وشاة رَغُوثَة، بالتاء؛ لأنها بمعنى (مَفْعُول[١١٦])، وقد يقال: حَلُوبٌ وركُوبٌ ورَغُوثٌ.

ولا نلمح في أقوالهم إشارة إلى حكم وقوع (فَعُول) نائبة عن (مَفْعُول) ما عدا أبا حيان الذي صرّح في (البحر المحيط) بعدم قياسه، حيث قال - في قوله تعالى -: ﴿فَبِمَا رَكُوبُهُمْ﴾ (يس: ٧٢): " قرأ الجمهور (رَكُوبُهُمْ)، وهو (فَعُول) بمعنى مَفْعُول، كالحصُور والحلُوب والقَدُوع، وهو مما لا ينقاس "[١١٧].

ولعل ذلك لعدم اطراده في كلامهم، وهو ما أكده في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ (النساء: ١٦٣). حيث قال: " وهو (فَعُول) بمعنى (مَفْعُول)، كالحَلُوب والرَّكُوب ولا يطّرد[١١٨] ".

ومما جاء في القرآن الكريم - إلى جانب ما تقدّم - قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ (الأنبياء: ٨٠).

ومما يحتمل أن يكون شاهدًا له قراءة عبد الله بن عمر قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥) بفتح الغين[١١٩]. وكذا قوله عزّ وجل: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ (آل عمران:٣٩).

ومما جاء من شواهد ذلك في كلامهم قول الشاعر[١٢٠]:

فيها اثنتان وأربعون حَلُوبةً ... سُوداً كخافيةِ الغُرابِ الأسْحَمِ

ولا يُستبعدُ عندي مع قلّة الوارد القول بالجواز؛ للمبالغة كـ(فَعُول) بمعنى (فَاعِل)، بشرط أمْن اللبس بأن يكون فعل الوصف مما لا يتصور وقوعه من صاحبه، نحو قولك مثلاً: صِيَامُك قَبُول، وحجُّك بَرُور، وسَعْيك شَكُور، ومَأْوَاك شَرُوب، وطَعَامك أَكُول. فاللبس في معنى الصيغة في جميعها مأمون؛ إذ لا يتصور وقوع القبول مثلاً من الصيام، أو البر من الحج، والله أعلم.

٤- نيابة اسم المفعول من الثلاثي عن غير الثلاثي (مَفْعُول عن مُفْعَل)،

الشأن في اسم المفعول من الفعل الذي على (أَفْعَل) كـ(أَحْسَنَ) و(أَكْرَمَ) أن يُبنى - كما هو معلوم - على وزن مُضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة وفتحُ ما قبل الآخر، فيقال في اسم المفعول من (أَحْسَن) و (أَكْرَم) مثلا: مُحْسَن ومُكْرَم بزنة (مُفْعَل).

ولكن نَدَّ عن هذا القياس أمثلة قد جاء فيها اسم المفعول من (أَفْعَل) على صيغة اسم المفعول من الثلاثي بزنة (مَفْعُول) ومن ذلك قولهم: " أحببْتُه فهو مَحْبُوب، وأَجَنَّه الله فهو مَجْنُون، وأَزْكَمَهُ فهو مَزْكُوم، وأكْزَه فهو مَكْزُوز، وأقَرَّه فهو مَقْرُور، وأرضه الله فهو مَأْرُوض، وأملاه الله فهو مَمْلُوّ، وأشَاذَه الله فهو مَشْئُود، وأحمّه الله - من الحمى - فهو مَحْمُوم، وأهمّه - من الهمّ - فهو مَهْمُوم، وأزعقته فهو مَزْعُوق أي مَذْعُور[١٢١]. ومنه أوْدَعْتُه فهو مَوْدُوع أي مَتْروك، قال

الشاعر يصف فرسًا[١٣٢]:

إذا ما استحمَّتْ أرضُه مِنْ سَمَائِه جَرَى وهو مَوْدُوعٌ وواعدٌ مَصْدَقِ

و انفرد (أحبَّ) من هذه الأمثلة بورود اسم المفعول منه على القياس أيضًا بزنة (مُفْعَل)، فقالوا: مُحَبّ.

ومن شواهده قول عنترة[١٣٣]:

ولقدْ نزلْتِ فلا تظنّي غيره منّي بمنزلة المُحَبِّ المُكْرَمِ

وقول الآخر[١٣٤]:

ومِـن ينـادِ آل يربوع يُجَـبْ يأتيك منهم خيرُ فتيانِ العربْ
المُنْتَخَبُ الأيمنُ والرِّدْفُ المُحَبْ

وقول هند بنت أبي سفيان[١٣٥]:

لأنكحَـنَّ بَيّنَهْ جـارِيةً خِدَبّـنَهْ
مُكْرَمَةً مُحَـبَّنَهْ تَحُبُّ أهْلَ الكَعْبَـنَهْ

وقد أرْجَعَ بعضهم ذلك الخروج على القياس - فيما تقدَّم من أمثلة - إلى بناء اسم المفعول فيها من (فُعِلَ) لا من (أفْعَل) أي من مجرَّد تلك الأفعال لا من مزيدها، ثم استثنى به - فيما يظهر - عن اسم المفعول من (أفْعَل).

يقول ابن جني: " قالوا: وعلَّة ما جاء من أفْعَلْتُه فهو مَفْعُول، نحو: أجَنَّهُ اللهُ فهو مَجْنُون، وأسَلَّه الله فهو مَسْلُول، وبابه - أنهم إنما جاءوا به على (فُعِل)، نحو جُنَّه فهو مَجْنُون، وزُكِم فهو مَزْكُوم، وسُلَّ فهو مَسْلُول[١٣٦] ".

ولعلَّ قائلا قد يقول: بأنَّ مُقْتَضَى هذا التعليل أن يُقال: بأن لا إنابة لـ(مَفْعُول) من (مُفْعَل) في هذا الباب، فـ(مَفْعُول) فيه من (فُعِل) لا من (أفْعَل).

ويمكن أن يُرَدَّ على هذا بما ذهبَ إليه ابن جني من أن (فُعِلَ) في هذا الباب هو بناء (أفْعَل) للمجهول، وهو من تدريج اللغة عند العرب؛ فهم في بنائهم الأفعال للمجهول - كما ذُكِر - قد تدرَّجوا في التَّغيير من تغيير الصِّيغة والعدَّة واحدة، نحو: ضَرَبَ وضُرِبَ، إلى تغيير الصِّيغة، مع نقصان العدَّة، كما هو الحال في نحو: أزْكَمَ وزُكِمَ[١٣٧].

فـ(أزْكَمَ) - فيما يُفهم من كلامه - قد تدرَّج عند بنائه للمجهول فحُذِفَتْ همزته وضُمَّ أوَّله فصَار: زُكِمَ بزنة (فُعِلَ).

وما أرى أن اسم المفعول في هذا الباب هو اسم مفعول من (فُعِل) على القياس، ولكن لعَدَم سَماعِ اسم مفعول من (أفْعَل) في تلك الأمثلة فقد أُنيبَ (مَفْعُول) عن (مُفْعَل) فيها. والله أعلم.

هذا وإن تَسَاءلنا عن حُكم هذه الإنابة - التي لم يشر إلى حكمها أحد - فإنَّ ما يَبْدو من عَدَم اطِّرَادِها كما يَظْهر من قول ابن مالك: " وربما استغني... عن مُفْعَل بمَفْعُول " امتناع قياسها في العربية، فلا يصحُّ لنا أنْ نَقُول مَثَلاً: أمْرَضه الله فَهُو مَمْرُوض، أو أعَلَّه الله فَهُوَ مَعْلُول، أو أذَلَّه الله فَهُو مَذْلُول قياسًا على ما سُمِع..

٥- نيابة (فَاعِل) عن (مَفْعُول):

ظاهر قول ابن مالك في (التسهيل): " وربما خلف فاعل مفعولا "[١٢٨]، علَّة إنابة (فَاعِل) عن (مَفْعُول) في العربية دون تفريق في علَّة وقوع ذلك وكَثْرَته بين العرب، وما يَظْهر من قول الفراء في معانيه أنَّ وقوع ذلك في الوصف مع إرادة المدح أو الذم في كلام أهل الحجاز أكثرُ من غيرهم.

يقول الفراء في قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴾ (الطارق: ٦): «وأهل الحجاز أفْعَلُ لهذا من غَيْرهم، أن يجعلوا المفعول فاعلا إذا كان في مذهب نعت... وأعان على ذلك أنها توافق رؤوس الآيات التي هن مَعَهن [١٢٩] " ويقول في قوله تعالى: ﴿ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴾ (الحاقة: ٢١): " فيها الرضاء، والعرب تقول: هذا لَيْلٌ نائم، وسِرٌّ كَاتِم، ومَاءٌ دافق، فيجعلونه فاعلاً، وهو مَفْعُول في الأصل، وذلك أنهم يريدون وجه المدح أو الذَّم، فيقولون ذلك لا على بناء الفعل، ولو كان فِعْلا مُصرحًا لم يقل ذلك فيه [١٣٠] ".

ومقتضى نص ابن مالك منعُ البصريين ذلك وقصره على السماع على ما هو معلوم من مذهبهم، فلا يقال قياسًا على ما سُمِع للمدح مثلا: "هذا عَمَلٌ حَامِدٌ، ومَاءٌ سَاكِبٌ، وسيفٌ سَالٌ، وشاةٌ حَالِبٌ، وناقة رَاكِبٌ. على تقدير الإنابة عن: مَحْمُود، ومَسْكُوب، ومَسْلُول، ومَحْلُوبة، ومَرْكُوبة.

إلا أن النظر في كلام الفراء الذي يُلْمِح إلى عَدم علَّته في كلام أهل الحجاز يجعل النفس تميل إلى القول بجوازه في الوصف مع تقييده بأمن اللبس، ولاسيما أن فيه من البلاغة في المدح والذم ما لا نجده فيما لو وضعتَ الصِّيَغَ في مواضعها المألوسة. والله أعلم.

ومما جاء من شواهد ذلك في كلامهم، قولهم: سِرٌّ كَاتِمٌ، وليلٌ نَائِم، وهمٌّ نَاصِبٌ [١٣١]، ومكانٌ عَامِرٌ [١٣٢].

ومنه قول الشاعر[١٣٣]:

إنَّ البَغِيضَ لَمَنْ يُمَلُّ حَـدِيثُه فانقعْ فُؤَادَك من حديث الوامِقِ

أي: المَوْمُوق وهو المحبوب، ويقول الآخر[١٣٤]:

لقد عِيلَ الأيتامَ طعنةُ ناشِرَهْ أنَاشِـرَ لازالَتْ يمينُكَ آشِرَه

أي: مأشورة، وهي المقطوعة بالمنشار. وقول الشاعر[١٣٥]:

بَطِيءُ القِيَامِ رَخِيمُ الكلا م أمسَى فُؤادي به فَاتِنا

أي: مفتونًا، وقول الحملية[١٢٥]:

دعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا واقْعُدْ فَإِنَّكَ أنتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

ومما جاء في القرآن الكريم محتملا إياه قوله تعالى: ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ (هود: ٤٣)، وقوله تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ (الحاقة: ٢١)، وقوله: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ (الطارق: ٦)، وقوله: ﴿ جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ (العنكبوت: ٦٧).

أي: مأمونًا فيه[١٢٧]. ويُقوي الاحتمال في آية الطارق قراءة زيد بن علي: " من مَاءٍ مَدْفُوقٍ[١٢٨]".

وقيل باحتمال (عَاصِم) و (رَاضِية) و (دَافِق) أمرين آخرين: الأول: أن يكون مرادًا بهنّ النسب كـ(لابن) و(تامر)، والتقدير: لا ذي عِصْمَة، وذاتُ رضا، وذي دفق[١٢٩]. وهو الأولى عند الرضي[١٣٠]. والثاني: أن تكون الصيغة مرادًا بها معناها، ولا إنابة فيها عن (مَفْعُول)[١٣١]، والمعنى في الآية الأولى: نفي كل عاصم من أمر الله في ذلك الوقت، وأن (مَنْ رَحِم) يقع فيه (مَنْ) على المعصوم والضمير الفاعل يعود على الله تعالى، وضمير الموصول محذوف، والاستثناء منقطع والتقدير: لكن مَنْ رحمه الله معصوم، وجوّزوا أن يكون من الله تعالى، أي: لا عاصم إلا الراحم[١٣٢].

والمعنى في الثانية أعني - في قوله: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ (الطارق: ٦) -: أن الماءَ يدفع بعضُه بعضًا، فمنه دافقٌ ومنه مدفوق[١٣٣]، وقيل: (دافق) بمعنى نَازِل؛ لأن اندفق الماء بمعنى نزل[١٣٤]. أما الثالثة فالمعنى - كما قالوا - على المجاز، حيث جُعلت العيشة راضية لمحلها وحصولها في مستحقيها، وأنها لا حال أكمل من حالها[١٣٥].

ويصدق - في ظني - ما قيل من احتمال في الآيات الثلاثة على الآية الرابعة ﴿ جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ (العنكبوت: ٦٧) وإن لم أجد أحدًا - فيما أطلعتُ عليه من كتب - يشير إلى ذلك. فـ(آمنا) يصلح أن يحمل على معنى النسب والتقدير: حرمًا ذا أمن، وأن تكون الصيغة على حقيقتها ولا إنابة، والمعنى - والله أعلم - آمنًا بعناية ربه وحفظه.

٦- نيابة فَعْل و فَعَل وفُعْل و فَعَل:

ممّا ينوبُ عنْ اسم المفعول (فَعِل) و (فَعَل) و (فُعْل)، ومن الأول: قولهم: ذَبْحٌ وطِحْنٌ نيابة عن مَذْبُوح ومَطْحُونٌ، ومن الثاني: لَفَظ ونَقَص نيابة عن مَلْفُوظ و مَنْقُوص، ومن الثالث: غُرْفَة، ولُقْمَة نيابة عن مَغْرُوف ومَلْقُوم. وجميعُ ذلك لا ينقاسُ عندَ النحاة مع نصّهم على كثرة وقوعه[١٣٦]. وقدْ خصّ أبو حيان في (البحر المحيط) (فَعِل) بمعنى مَفْعُول بالإشارة إلى كثرة وقوعه في العربية، ولم يُشر إلى الصيغ الأخرى[١٣٧]. واكتفى في (الارتشاف) بالتنبيه إلى عدم قياسيّ

الجميع دون إشارة إلى قلّة أو كثرة [١٢٨].

ولم يُبَحْ لنا النحويون بنوع هذه الصيغ، أهي مصادرٌ أو أسماءٌ لها، أم هي صفاتٌ مشبهة؟ والناظرُ في كتاب (دراسات لأسلوب القرآن) يجدُ الشيخ محمد عيدَ الخالق عُضيمة - رحمهُ الله - يُدرِجُ (ذِبْح) في قوله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (الصافات: ١٠٧) ضمنَ شواهد الصفة المشبهة [١٢٩]، و (غُرفة) في قوله جلّ وعزّ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٤٩) في المصدرِ الذي بمعنى اسم المفعول [١٣٠]، ولم يذكرْ أيًا منهُما في حديثه عمّا جاءَ بمعنى اسم المفعول من الصيغ. وما ذكرَهُ منْ شواهد ذلك مما جاءَ على (فِعْل) فما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ ﴾ (الأنعام: ١٣٨). وقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ (الفرقان: ٢٢) و (الحِجْر) - كما قال أبو حيان - بمعنى المَحْجُور كالذِّبْح والطِّحْن [١٣١]. ومنه قراءة غير حمزة وحفص (نَسْي) في: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾(مريم: ٢٣) بكسر النون [١٣٢].

ومنه قوله عزّ وجل: ﴿ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾ (مريم: ٧٤). وقراءةُ عبيدُ بنُ عمير قولَهُ تعالى: ﴿ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ (المائدة: ٤٢): ﴿ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ﴾ (المائدة: ٦٢ - ٦٣) بكسرِ السينِ وإسكانِ الحاء [١٣٣]. وقراءةُ منْ قرأ (شُرْب) في قوله تعالى: ﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ (الواقعة: ٥٥) بكسر الشين [١٣٤]. وقراءة قوله: ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (الصافات: ١٥٢)، بكسرِ الواو وسكونِ اللام [١٣٥] في (ولد).

أمّا مَا ذكرَهُ منْ شواهدِ ذلكَ ممّا جاءَ على (فَعْل) فقراءةُ (نُصُب) في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ (المعارج: ٤٣) بفتحِ النونِ وإسكانِ الصاد [١٣٦].

وقراءة ابن السُّمَيْفع (حَصَب) في قوله عزّ وجل: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ (الأنبياء: ٩٨)، بإسكانِ الصاد [١٣٧]. وقراءةُ الحسن (النَّصْب) في قولِ المولى: ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ (المائدة: ٣) بفتحِ النونِ وإسكانِ الصاد [١٣٨]. وقولُهُ تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (البقرة: ٢٤٥).

ومَا أوردَ منْ شواهد (فُعْل) فما يأتي:

قوله تعالى: ﴿ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ (المائدة: ٤٢). وقراءة شيبان النحوي (لُشُوبا) في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ (الصافات: ٦٧) بضمِّ الشين [١٣٩]. وقراءةُ قتادة (نُصُب) في قولِهِ عزّ وجل: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ (المعارج: ٤٣)، بضمِّ النونِ وإسكانِ الصاد [١٤٠].

وقراءةُ طلحة بن مصرف (النُّصُب) في قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ (المائدة: ٣) بضمِّ النونِ وإسكانِ الصاد[١٢٥].

وقد زادَ الشيخُ عضيمة إلى ما تقدَّم من صيغٍ نائبة عن اسم المفعول صيغةَ (فَعَل) بفتح الفاء والعين، ومما تلا منْ شواهدِ ذلك: قولُه تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ اللَّهُ﴾ (الصافات: ١٥١- ١٥٢). وقولُه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ (الأنبياء: ٣٠) بفتح التاء في (رَتْقا) في قراءة بعضهم[١٢٦]. وقولُه: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (الإخلاص: ٢). وقولُه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (الفلق: ١). وقولُه تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾(يوسف: ٣). وقولُه: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ (المائدة: ٣) بفتح النونِ والصادِ في قراءة عيسى بن عمر[١٢٧].

ومنْ هذه الشواهدِ مَا أشارَ في حديثِه عنْ المصادرِ إلى احتمالِ أنْ تكونَ مصدرًا وأنْ تكونَ اسمًا بمعنى اسم المفعول وهي: (رتقًا - الصمد - الفلق)[١٢٨]. وقد نبَّه إلى هذا الاحتمال في (القصص) في حديثِه عنِ اسمِ المفعول[١٢٩].

المبحث الثالث

النيابة عن الصفة المشبهة

نيابة صيغة (أَفْعَل) التفضيل:

الحق أن التَّباين الجليّ بين مدلول (أَفْعَل) التفضيل الذي يقتضي مشاركة اثنين في وصف مع زيادة أحدهما فيه على الآخر، ومدلول الصفة المشبهة الذي يدل على وصف ثابت لصاحبه في كلّ الأزمنة يُقصي احتمالَ إنابة (أفعل) عن الصفة المشبهة.

ولكنّ هذا الاحتمال الذي يقصيه منطق العقل قريبٌ عند بعض النحويين، فقد تناقلت كتب النحو خلافًا في حكم ذلك، فمنهم من منع، ومنهم من أجاز. وممن أجاز: أبو عبيدة، والمبرِّد. يقول أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧): "فجاز مجازه: وذلك هيِّنٌ عليه؛ لأن (أَفْعَل) يوضع في موضع الفاعل"[١٣٠].

وقال المبرِّد في المقتضب: "واعلم أن (أَفْعَل) إذا أردتَ أن تَضعه موضع الفاعل مُطَّرد، ومن ذلك قوله[١٣١]:

قُبِّحْتُم يا آلَ زيدٍ نفرًا ألأمُ هوم أصغرًا وأكبرا

يريد: صغيرًا وكبيرًا[١٣٢]. وقوله في الأذان: الله أكبر فتأويله: كبير؛ كما قال عزّ وجل: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧)، فإنما تأويله: وهو عليه هيِّن[١٣٣].

وقد أشار ابن مالك إلى مذهب المبرِّد هذا في (الكافية الشافية) قائلا [١٧٠]:

ونحو أمونٌ منيدٌ (هَيِّنًا) فَيْسًا عليه ابنُ يزيد استحسنا

وظاهرُ قولِ ابن مالك في (شرح التسهيل) والرَّضي وابن هشام[١٧١] الجَوازُ إلا أن الأَوْلى عند ابن مالك والأَصَحّ عند الرضي قَصْرُ ذلك على السَّماع. يقول ابن مالك: " والأَوْلى أن يُمْنَع فيه القياس ويَقْتَصِر منه على ما سُمع[١٧٢] ".

ويقول الرَّضي: " واعلم أنه يجوز استعمال (أَفْعل) عاريًا عن اللام والإضافة و (مِنْ) مجردًا عن معنى التفضيل مؤولاً باسم الفاعل أو الصفة المشبهة قياسًا عند المبرِّد سماعًا عند غيره وهو الأصح "[١٧٣].

وقد عُلِّل ما ذهب إليه ابن مالك، بقلَّة الوارد من شواهد ذلك[١٧٤]، وفيه - كما يقولُ ابن عقيل - نَظَرٌ ظاهر[١٧٥] ولم يوضِّحه، وهذا النَّظر - في ظني - لكثرة الوارد من ذلك في القرآن الكريم وكلام العرب، ففي القرآن وحده نجد الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة يحصي لنا ما يزيد عن خمسين شاهدًا فضلاً عن كثرة ما ورد في كلام العرب وأثبته أهل اللغة والنحو وسيأتي ذكرها.

ومن شواهد القرآن ما تعيَّن فيه ذلك - كما صرَّح الشيخ عُضيمة - ومنها ما احتمل[١٧٦]، وكذا الحالُ إن نظرنا إلى شواهد ذلك من كلام العرب التي ستأتي.

ويرى ابنُ عقيل بأن ذلك الاحتمال الذي داهَمَ كلَّ الوارد لا بعضَه قد يكونُ وراء ما ذهب إليه ابن مالك حيثُ قال: " ولعلَّ وجهه أنَّ الوارد قابل للتأويل، إلا أن في بعض التأويل تكلُّفًا، وموضع التكلُّف قليل، ومنه: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾(هود: ٧٨) (أي: طاهرات)، ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴾ (الليل: ٥١) (أي: الشقي) "[١٧٧] وظاهر قوله أنه قد أحصى وتبيَّن، لكنه - كما ترى - لم يذكر لنا عددًا، وما أثبته يقبل التأويل شاهدان فحسب. أما من منع ذلك من النحاة فقد نقل ابن عقيل في (المساعد) حكاية ابن الأنباري منع النحويين ذلك عدا أبي عبيدة[١٧٨]. ولم أقف - فيما نظرت فيه من كتب - على أحد صرَّح بذلك سوى أبي حيان ولم ينطق بذلك في (الارتشاف) وإنما في تفسيره (البحر المحيط) معلِّلا منعه ذلك بقلَّة الوارد من كلامهم، وهو ما سبق أن علَّل به ابن عقيل - كما رأينا من قبل - مذهب ابن مالك، لعلَّه قد نقله عن أستاذه، يقول أبو حيان في ثنايا ردِّه لمذهب مكي بن أبي طالب لتقدير (أعلم) بمعنى (عالم) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠): " ولو سلَّمنا سماع ذلك من العرب فلا نسلم اقتياسه؛ لأن المواضع التي أوردت دليلا على ذلك في غاية من القلة مع أنها قد تُؤُوِّلت ".

ومع منع أبي حيان الصريح قياس ذلك في (سورة البقرة) نجده لا يجد غضاضة في تأويل (أهون) بـ(هَيِّن) في (سورة الروم)؛ لأنه لا تفاوت عند الله - كما قال - في النشأتين الإبداء

والإعادة [١٣٩] "، مشيرًا إلى تأويل ابن عباس - رضي الله عنه - إياها بذلك، وكذا الربيع بن خيثمة، مقويًا ذلك بورودها في مصحف عبد الله [١٤٠].

هذا مع إشارته إلى القول الآخر القائل بأنها للتفضيل لكنه لم يرجحه أو يعتمده رأيًا له. ولا ندري أيمكن أن نُعدّ هذا تراجعًا من أبي حيان عن رأيه في أول (البحر المحيط)، أو أنه عنده من القليل الذي لا يصلح أن يقاس عليه ؟

ومما جاء من شواهد ذلك في القرآن الكريم [١٤١]:

قوله تعالى: ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ (البقرة: ٢٢٨). وقوله: ﴿ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾ (البقرة: ٥٤). وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ (يوسف: ٣٣). وقوله: ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (فصلت: ٤٠). وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (الروم: ٢٧). وقوله عزّ وجل: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ (هود: ٧٨). وقوله: ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (الكهف: ٤٦). وقوله: ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان: ٣٤). وقوله: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ (الأحقاف: ١٦). وقوله: ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ ﴾ (يونس ٣٥).

ومما جاء من شواهد ذلك في كلام العرب: قولهم: (جرى له طائرٌ أشأم) [١٤٢].

وقول الفرزدق [١٤٣]:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لَنَا ... بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

أي: عزيزة وطويلة، وقول الشاعر [١٤٤]:

لَعَمْرُكَ لا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ ... عَلَى أَيْنَا تَغْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

أي: لَوَجِلٌ، وقول الآخر [١٤٥]:

أَصْبَحْتُ أَمْنَحُكَ الصُّدُودَ وَإِنَّنِي ... قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُودِ لَأَمْيَلُ

وقول الشاعر [١٤٦]:

إِذَا غَابَ أَسْوَدُ الْعَيْنِ كُنْتُمْ ... كِرَامًا وَأَنْتُمْ مَا أَقَامَ الْأَثِيمُ

أي: لئام، وقول الشاعر [١٤٧]:

فَبُحْتُمْ يَا آلَ زَيْدٍ نَقِيرًا ... أَلَمْ قَوْمٍ أَصْغَرًا وَأَكْبَرَا

وقول جميل [١٤٨]:

بُثَيْنَةُ مِنْ آلِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا ... تُكَنُّ لِأَدْنَى لَا وِصَالَ لِغَائِبِ

وقول بشر بن أبي خازم [١٤٩]

هي الهمُّ لو أنَّ النوى أَصْقَبَتْ بها ولـكنَّ كرًا فـي زَكُونَةَ أَعْسَـرُ

وقول الآخر[١٩٠]:

وإلا فمن آلِ المرارِ فإنهـم مُلُوكٌ عِظَامٌ من مُلُوكٍ أَعَاظِمُ

أي: عِظَام.

المبحث الرابع

النيابة عن المصدر

ما تبيَّن من خلال البحث نيابة صيغتين عن المصدر، وهما اسم الفاعل، واسم المفعول، وإليك البيان:

١- نيابة اسم الفاعل:

لم تقعْ نيابةُ اسم الفاعل عن المصدرِ إلا في شواهدٍ قليلة من كلامهم؛ لم يأتِ فيها اسمُ الفاعل إلا من فعلٍ ثلاثي فحسب، ومنها قول الشاعر[١٩١]:

قمْ قائمًا قمْ قائمًا لقيتَ عبدًا نائمًا

يريدُ: قمْ قيامًا. وقول الآخر[١٩٢]:

على حَلْفَةٍ لا أشتُمُ الدهرَ مُسْلِمًا ولا خَارِجًا مِنْ فِيَّ زورُ كلامِ

يريد: ولا يخرجُ خروجًا. وقول الآخر[١٩٣]:

كفى بالنأي مِنْ أسماءَ كافِ

يريدُ: كفايةً.

وممن نبه إلى وقوع ذلك وقلّته من النحاة: المبرّد من المتقدّمين، والزمخشري، وابنُ يعيش وابنُ الحاجب وابنُ مالك وابنُ عقيل من المتأخرين[١٩٤]. ولعلّ تلك القلّة قد كانت مَدْعاة تصريح ابن الحاجب بمنع قياس ذلك[١٩٥].

وعلى رأيه فليس لنا أن نقول مثلا: سرتُ سَائرًا، ولا نمتُ نَائمًا، على تقدير إنابة (سائرًا) عن (سيرًا)، و (نائمًا) عن (نومًا)؛ لقلّة ما ورد.

ومع كثرة الوارد من الشواهد المحتملة ذلك في القرآن الكريم لكنها لا تصلح أن تكون حجة للقول بالقياس؛ لما تحتمله من أوجه أخرى يسْقُط بها الاستدلال، وقد جاوز عدد هذه الشواهد خمسينَ شاهدًا[١٩٦]. منها: قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ (الحاقة: ٨). وقوله: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ (غافر: ١٩). وقوله: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾ (الحاقة: ٥). وقوله: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ (القمر: ١٦). وقوله: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (الزخرف: ٢٥). وقوله

عزّ وجل: ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ (الواقعة: ٢). وقوله: ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ (النجم: ٥٨). وقوله: ﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ (الغاشية: ١١). وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ (المزمل: ٦). وقوله: ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ ﴾ (الحشر: ١٧). وقوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ (الأنبياء: ٧٢).

٢- نيابة اسم المفعول:

ينوبُ اسم المفعول عن الثلاثي المجرد قليلا، وينوبُ عن غيره والرباعي كثيرًا [١٩٧] ومن الأول: المَيْسُور والمَعْسُور والمَجْلُود والمَعْقُول، يريدون: اليُسْر والعُسر والجَلَد والعَقل، ومن الثاني: مُقَاتَل ومُتَحامَل، يريدون: مُقَاتلة وتَحَاملا.

وقد اختلف النقل عن سيبويه في الأول، فنقل بعضهم إنكاره ذلك [١٩٨] وممن قال به: الزمخشري وابن يعيش وابن عقيل والسلسيلي [١٩٩] ونقل ابن منظور في (اللسان) إثباته ذلك حيثُ قال: " قال سيبويه: المَرْفُوع والمَوْضُوع من المصادر التي جاءت على (مَفْعُول) [٢٠٠] ".

وظاهر قول سيبويه - رحمه الله - في (الكتاب) يؤيد النقل الأول، يقول: " وأما قوله: دعه إلى مَيْسُوره وَدَعْ مُعْسُوره، فإنما يجيء هذا على المَفْعُول، كأنه قال: دَعْه إلى أمرٍ يُوسَرُ فيه أو يُعْسَر فيه.

وكذلك: المَرْفُوع والمَوْضُوع، كأنه يقول: له ما يرفعه وله ما يضعه، وكذلك: المَعْقُول، كأنه قال: عُقِل له شيء، أي حُبِس له لُبّه وشُدّد [٢٠١] ". فما يظهرُ من قولِ سيبويه المتقدّم حَمْلُه اسم المفعول في الأمثلة على ظاهرها [٢٠٢]، لا على أنه اسم مفعول قد وضعَ موضعَ المصدر.

وبخلاف سيبويه نجد الأخفش من البصرة والفراء من الكوفيين فالمنقول عنهما إثباتُ وقوع ذلك [٢٠٣]. ومِصْداقُ المنقول عن الفراء مقالتُه في قوله تعالى: ﴿ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ (القلم: ٦). فقد ذهب في الآية الكريمة إلى إجازة تقدير (المفتون) مصدرًا، أو حمله على ظاهره، يقول: " المفتون ها هنا بمعنى الجنون، وهو في مذهب (الفتون)، كما قالوا: ليس له معقول رأي، وإن شئت جعلته (بِأَيِّيكُمُ): في أيكم، أي: في أيّ الفريقين المجنون، فهو حينئذ اسمٌ ليس بمصدرٍ [٢٠٤] ".

أما الأخفش فالناظرُ في قوله في نفس الآية يلحظُ حملَه اسم المفعول على ظاهره كسيبويه في (المرفوع) و (الموضوع) حيث قال: " قال: ﴿ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ يريد: " أيكم المفتون [٢٠٥] ". والباء حينئذٍ على قوله هذا زائدة. وما عزاه إليه أبو حيان في (البحر المحيط) إجازته التقديرين في الآية، أن تكون الباء ليست بزائدة و (المفتون) بمعنى الفتنة، وأن يكون (المفتون) اسم مفعول على ظاهره، مع تقدير مضاف محذوف. والتقدير: بأيكم فَتْنُ المفتون، ثم حذفَ المضاف وأقيمَ المضافُ إليه مقامَه. وهذا التقدير المنسوب إلى الأخفش - كما ترى - يخالفُ ماصرّح به في

معانيه، وهذا - فيما أرى - لا يخلو من تكلُّف في التأويل لا داعٍ له.

هذا فيما كانَ من اسم المفعول من الثلاثي المجرد، أما من المزيد والرباعي فلاشكَّ في إجازتهم إياه، فهو ما يعرفُ عندهم بالمصدرِ الميمي المصوغُ على طريقة اسم المفعول من الزائد والرباعي [٢٠٥]، نحو قولنا: رُتِّلَ القارئُ القرآنَ مُرَتَّلاً جميلاً، وتأمَّلْ في آياتِ الله مُتَأَمَّلاً طويلاً. ومثلُهم في حكم هذا متأخرو النحاة. أما في حكم إنابة اسم المفعول من الثلاثي المجرد عن المصدرِ فإننا نجدهم يسكتونَ عن بيانِ حكمِه مع إثباتهم إياه عدا ابن الحاجب الذي جهرَ برأيه في (الإيضاح) فذهبَ إلى منعِ قياسه ولعلَّ ذلك لقلَّته في كلامهم حيثُ قال: " أما اسمُ المفعولِ فجاءَ من الثلاثي قليلا يحفظُ ولا يقاسُ عليه [٢٠٦].

ومما جاء من شواهدِ إنابة اسم المفعولِ من الثلاثي المجرد عن المصدرِ قولُ العرب: مالُه مَعْقُولٌ، وحلفَ مَحْلُوفَه بالله، وجَهَدَ مَجْهُودَه [٢٠٧] "، وقولهم: مالُه مَعْقُولٌ ولا مَجْلُود [٢٠٨] " يريدون: العَقْل والجَلَد.

وقول الشاعر [٢١٠]:

مَنَ اللواتي إذا لانَتْ عَرِيكتُها ... يَبْقَى لَها بَعْدَها آلٌ ومَجْلُودُ

وقول الآخر [٢١١]:

إنَّ أخا المجلودِ مَنْ صَبَرا

وقول الشاعر في رواية [٢١٢]:

وقد وعدْتُك موعدًا لو وفَتْ به ... كمَوْعُودِ عُرْقوبٍ أخاهُ بيثربَ

على أن (موعود) نائب عن المصدر.

ومما يحتمل أن يكون منه - وقد تقدَّم - قوله تعالى: ﴿ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾ (القلم: ٦). وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ (هود: ٦٥) عند أبي حيان [٢١٣]، ومنه عند الأخفش قراءة عبد الله: ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ (البقرة: ٢٨٠) (إلى ميسورة [٢١٤]).

ومن شواهد إنابة اسم المفعول من الثلاثي المزيد:

قوله تعالى: ﴿ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ (سبأ: ١٩). و﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾ (القيامة: ١٢).

وقول العرب - وقد ذكره سيبويه -: " ما فيه مُتَحَامَل "، أي: ما فيه تحامُل، وقولهم: " مُقَاتَلَتنا بمعنى المقاتلة [٢١٥] ".

ومما يحتملُ أن يكون منه قول كعب بن مالك [٢١٦]:

أُقَاتِلُ حتى لا أرى لي مُقَاتَلا ... وأنجو إذا غُمَّ الجبانُ من الكَرْبِ

وقول زيد الخيل [٢١٩]:

أُقَـاتِلُ حتـــى لا أرى لي مُقَاتَلا وأنجـــو إذا لم ينجُ إلا المكيَّسُ

وقول رؤبة[٢١٨]: إنَّ المَوْقَى مِثلُ ما وقَّيْتُ

يريد: التوقية. وقول رجل من بني مازن[٢١٩]:

وقـد ذقتمونـــا مرةً بعدَ مـــرة وعلمُ بيانِ المرءِ عند المُجَـرَّبِ

وقول علقمة بن عبدة الفحل[٢٢٠]:

تُرَادى على دِمَنِ الحِياضِ فإن تَعَفْ فإنَّ المُنْدَى رِحْلَةٌ فَرُكوبُ

وقول الحارث بن خالد المخزومي[٢٢١]:

أَظَـلُـومُ إن مُصَابكـم رَجُـلا لَهْـدَى الســلامَ تحيَّـةً ظَلِمُ

الخاتـــمة

حمدًا لله وشكرًا على نعمائه أن أتمَّ المِنَن فوفَّق إلى ختم بحث موضوع تفرَّق درسه في أزمنة عديدة وأحوالٍ متباينة، قد ظُنَّ حينًا بأن سَدْل الستار عليه حلمٌ غير كائن. ولكن ها هو قد كان بفضلٍ من المولى ومَنٍّ، فله الحمدُ من قبلُ ومن بعدُ.

هذا وقد جاء البحث في أربعة مباحث وهي:

١- النيابة عن اسم الفاعل.

٢- النيابة عن اسم المفعول.

٣- النيابة عن الصفة المشبهة.

٤- النيابة عن المصدر.

ومما انتهى إليه مايلي:

١- أن اللغة كالحياة، فكما يتناوب في الحياة الأشخاص في آداء الأدوار والمهام، في الجملة العناصر النحوية في آداء الوظائف، والصيغ في آداء المعاني الصرفية.

٢- العلة في التناوب في الحياة غالبًا ما يكون غياب المنوب عنه، أو اشتغاله بما يصرف عن القيام بالأمر. أما في اللغة فكل الصيغ مِلْكُ يَمِين المتكلم يُصَرِّفها كيف يشاء وفقًا لهواه ومقتضى المعنى الذي يريد.

٣- كثرة نيابة الصيغ عن اسم الفاعل، ثم يليه اسم المفعول، وقلّة النيابة عن المصدر والصفة المشبهة.

٤- تفاوت التناوب بين الصيغ كثرةً وقلّة، فمنها ما كثُر ومنها ما قَلّ. ومما كثُر: نيابة المصدر عن اسم الفاعل والمفعول، ونيابة صيغ المبالغة عن اسم الفاعل، وفَعِيل عن مُفَاعِل كَجَلِيس وسَمِير، وعن (مَفْعُول) كـ(جَرِيح) و (قَتِيل)، ومما قَلّ: نيابة اسم الفاعل عن المصدر كـ(قَمْ قَائمًا)، ونيابة اسم المفعول عنه كـ(ليسَ له مَعْقُول)، وكذا نيابة (فَاعِل) عن مُفْعِل كـ(غَاشِب) و (بَاقِل)، وعن (مَفْعُول) كـ(سِرٌّ كَاتِم) و (ماءٌ دَافِق).

٥- منع قياس النحويين نيابة بعض الصيغ عن بعض مع تصريحهم بكثرة وقوعه - كما هو الحال في نيابة المصدر عن اسم الفاعل - وهو مما يُسْتَغْرَب؛ لمجافاته ما عُرِف عن جمهور البصرة من قياس على الكثير المسموع من كلام العرب.

٦- لا أزعم الحصر لجميع الصيغ النائبة عن اسم الفاعل واسم المفعول، والمصدر والصفة المشبهة، فما فعلت استقراء لذلك من خلال كتب النحو واللغة والقرآن الكريم، والحصر يعوزه تتبع شواهد ذلك في كلام العرب شعرًا ونثرًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

(١) انظر الصحاح مادة (نوب) ١/ ٢٢٨، والقاموس المحيط ١/ ١٣٥، واللسان ٦/ ٤٥٦٩.

(٢) معجم المصطلحات النحوية و الصرفية ٢٣٢.

(٣) انظر الصحاح مادة (سوغ) ٤/ ١٣٣٤، واللسان ٤/ ٢٥٢٧.

(٤) شذا العرف في فن الصرف ٢٢.

(٥) انظر المقتضب ٣/ ٣٣٤، وشرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٨٨، وشرح الألفية لابن الناظم ٤٤٢، والارتشاف ٥/ ٢٢٨٨، وأوضح المسالك ٣/ ٢٢١، والبرهان للزركشي ٢/ ٥٠٢، وحاشية الصبان ٢/ ٢٢٢.

(٦) انظر الخصائص ٢/ ٢٦٧، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٣٤٥ – ٣٤٧، والبسيط لابن أبي الربيع ٢/ ١٠٥٣ – ١٠٥٤، وشرح المفصل لابن يعيش ٩/ ١٠٢.

(٧) انظر الصاحبي ٣٩٤ – ٣٩٥.

(٨) انظر منع القياس في (النمت) في شرح التسهيل لابن مالك ٣ /٣١٥، وشرح الكافية للرضي ١ / ٢٠٦، وشرح الأشموني للألفية ٢ / ٦٨، وانظر منع القياس في (العال) الارتشاف ٣ / ١٥٧٠، وأوضح المسالك ٢ / ٢٠٨، وشرح الأشموني للألفية ١/ ٤١٥.

(٩) انظر شرح الكافية الشافية ٢ / ٧٣٦، والارتشاف ٣ / ١٥٧٠، والهمع ١/ ٢٢٨.

(١٠) المقتضب ٣ / ٢٤٣ وانظر ٤ / ٢١٢.

(١١) انظر همع الهوامع ١ / ٢٢٨ – ٢٢٩.

(١٢) انظر الكتاب ١ / ٣٣٦– ٣٣٧، والمقتضب ٣ / ٢٣٠– ٢٣١، وشرح الكافية للرضي ١ / ٢١٦.

(١٣) انظر الارتشاف ٤ / ١٩١٩.

(١٤) انظر المصدر السابق ٣ / ١١٢٥.

(١٥) انظر الارتشاف ٣ / ١١٢٥.

(١٦) المصدر السابق ٣ / ١١٢٥.

(١٧) انظر الديوان صـ ٣٨٢، والكتاب ١/ ٣٣٧، والمقتضب ٤/ ٢٠٥، و٣/ ٢٣٠، والخزانة ١/ ٢٠٧– ٢١١.

(١٨) الكتاب ١ / ٣٣٦ – ٣٣٧.

(١٩) سبق تخريجه في هامش رقم (١٧).

(٢٠) المقتضب ٤ / ٢٠٤ – ٢٠٥.

(٢١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢٢) المقتضب ٣ / ٢٢٠ – ٢٢١.

(٢٣) انظر شرح الجمل لابن عصفور ١ / ١٩٨، والارتشاف ٤ / ١٩١٩، وأوضح المسالك ٣ / ٢٧٩، والمساعد ٢/ ٤١١.

(٢٤) انظر شرح الجمل لابن عصفور ١ / ١٩٨.

(٢٥) الكتاب ٤ / ٤٢.

(٢٦) إعراب القراءات الشواذ للعكبري ٢ / ٤٩٦ وإتحاف فضلاء البشر ٢٨٠ وبها قرأ يعقوب.

(٢٧) نسب البيت للقيط في: المقتضب ٣/ ٢٢٠، ٤/ ٢٠٥، وجاء بلا نسب في شرح المفصل لابن يعيش ٤/ ٢٧، ٦٨.

(٢٨) سبق تخريجه في هامش رقم (١٧).

(٢٩) سبق تخريجه في هامش رقم (٢٧).

(٣٠) انظر المساعد ٢ / ٤١١.

(٣١) الأصول ٢ / ٣١.

(٣٢) انظر الإيضاح في شرح المفصل ١ / ٤٤٣، وشرح الكافية للرضي ٣ / ٤١٢.

(٣٣) الإيضاح في شرح المفصل ١ / ٤٤٣.

(٣٤) شرح الكافية ٣ / ٤١٢ وانظر ٢ / ٣٩٥.

(٣٥) شرح الكافية للرضي ٣ / ٤١٢.

(٣٦) شرح المفصل لابن يعيش ٣ / ٥٠.

(٣٧) انظر شرح الجمل لابن عصفور ١ / ١٩٨، وتوضيح المقاصد والمسالك ٣ / ١٤٥، والارتشاف ٤ / ١٩١٩.

(٣٨) شرح الكافية الشافية ٣ / ١١٦٠.

(٣٩) انظر الارتشاف ٣ / ١٥٧١، والهمع ١ / ٢٣٨، وشرح الأشموني للألفية ١ / ٤١٤.

(٤٠) الكتاب ١/ ٣٧٠.

(٤١) المقتضب ٢/ ٢٣٤.

(٤٢) المصدر السابق ٤ / ٢١٢.

(٤٣) انظر شرح التسهيل ٢ / ٣٢٨، والارتشاف ٣ / ١٥٧١.

(٤٤) انظر شرح الكافية للرضي ١ / ٢١٠، والارتشاف ٣/ ١٥٧١، وشرح الألفية للأشموني ٤١٥/١.

(٤٥) انظر الارتشاف ٣/ ١٥٧١ وشرح الألفية للأشموني ١ / ٤١٥.

(٤٦) انظر الارتشاف ٣/ ١٥٧١ وشرح الألفية للأشموني ١ / ٤١٥.

(٤٧) سبق تخريجه في هامش رقم [١٧].

(٤٨) سبق تخريجها في هامش رقم [٣٢].

(٤٩) سبق تخريجه في هامش رقم [٢٧].

(٥٠) انظر شرح الجمل ١ / ٥٦٠.

(٥١) انظر حاشية الشيخ ياسين ٢/ ٦٧.

(٥٢) انظر الكتاب ١/ ١١٠.

(٥٣) لسان العرب مادة (قدر) مج ٥ / ٣٥٤٦.

(٥٤) البسيط لابن أبي الربيع ٢ / ١٠٥٤.

(٥٥) انظر شرح الكافية الشافية ١٠٢٤/٢، وشرح الكافية للرضي ٣/ ٤٢١، وشرح ألفية ابن معط لابن القواس، والارتشاف ٢/ ٨٩٣.

(٥٦) البسيط لابن أبي الربيع ٢ / ١٠٥٤.

(٥٧) انظر دراسات لأسلوب القرآن مج ٧ جـ ٤ ق الثاني ص ٢.

(٥٨) انظر البسيط ٢ / ١٠٥٤ - ١٠٥٥.

(٥٩) المصدر السابق.

(٦٠) انظر الكتاب ١/ ١١١ وشرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٧٩، والمساعد ٢/ ١٩٢.

(٦١) انظر الكتاب ١/ ١١٢ شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٧٩، وشرح الكافية للرضي ٤٢١/٣، والمساعد ٢/ ١٩٣. والبوائك: جمع بائكة وهي السِّمان من الإبل.

(٦٢) البيت لأبي طالب انظر: الكتاب ١١١/١، وشرح المفصّل لابن يعيش ٧١/٦، واللأواء: الشدة، والدارع: لابس الدرع.

(٦٣) البيت للفَلاخ بن حزن في: الكتاب ١/ ١١١، والتبصرة للصيمري ١/ ٢٢٥، وبلا نسبة في شرح المفصل لابن يعيش ١/ ٧٠، وشرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٧٩، والجلال: جمع جُل وهي الدروع، والخوالف: جمع خالفة وهي عماد البيت.

(٦٤) البيت لأبي طالب بن عبد المطلب انظر: الكتاب ١/ ١١١، وشرح المفصل لابن يعيش ٦/ ٢٠، وأوضح المسالك ٢/ ١٩٨، وجمع الهوامع ٢/ ٩٢.

(٦٥) البيت في ديوانه ص ١٧٦ وانظر شرح المفصل لابن يعيش ٦/ ٧٣، وشرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٨١، وشرح الكافية الشافية ٢/ ١٠٤٠ والجحاش: جمع جحش وهو ولد الأتان، والكِرْمِلَيْن: اسم ماء في جبل طيء، والقديد: الصوت.

(٦٦) انظر المساعد ٢ / ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٦٧) انظر دراسات لأسلوب القرآن مج ٧ ق ٢ ج ٤ ص ٩٦ - ٩٨.

(٦٨) انظر مبحث نيابة (أَفْعَل) عن الصفة المشبهة ص: ٢٩.

(٦٩) انظر شرح التسهيل لابن مالك ٣ / ٦٠ - ٦١.

(٧٠) انظر أوضح المسالك ٣ / ٢٦٥، وحاشية الصبان مج ٢ ج ٣ / ٢٧- والناقص: يزيد ابن الوليد، والأشج: عمر بن عبد العزيز.

(٧١) انظر المساعد ٢ / ١٧٩.

(٧٢) انظر المساعد ٢/ ١٩٠.

(٧٣) انظر المساعد ٢/ ١٩٠، وشفاء العليل للسلسيلي ٢/ ٦٢٢ واللسان (لمم) ٥/ ٤٠٧٧ ورجل مِلَمّ بمعنى: يلم القوم أي: يجمعهم، ورجل مِلَمّ مِمَمّ: إذا كان يصلح أمور الناس ويمم الناس بمعروفه.

(٧٤) ورد الرجز منسوبًا لرؤبة في اللسان مادة (لمم) ٥/ ٤٠٧٢.

(٧٥) انظر الخصائص ٢ / ٢٢٠، والمساعد ٢/ ١٩٠، وشفاء العليل ٢/ ٦٢٢.

(٧٦) انظر الخصائص ٢/ ٢٢٠، وأورس الرِمْث، أي: اسفرّ ورقه. والرمثُ: شجر من الحمض.

(٧٧) انظر المصدر السابق.

(٧٨) انظر المصدر السابق.

(٧٩) انظر أدب الكاتب ٦١٢، وأغْضَى الليلُ: عَمَّ ظلامه كلَّ شيء.

(٨٠) البيت في ديوانه ص ٨٢، والمقتضب ٤/ ١٧٩، وأدب الكاتب ٦١٢.

(٨١) الصاحبي ٣٦٧.

(٨٢) قطّ السِّعر يَقِطُّ بمعنى غلا.

(٨٣) انظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٢.

(٨٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٢، وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٢٤٢، والصاحبي ٣٩٦، ٣٦٧، وفقه اللغة ٢١٥، والبرهان للزركشي ٢/ ٢٨٥.

(٨٥) انظر الصحاح مادة (ستر) ٢/ ٧٧١، والبرهان ٢/ ٢٨٦، والبحر المحيط ٦ / ٣٩.

(٨٦) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١٧٠، وفقه اللغة، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٧٤.

(٨٧) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٢.

(٨٨) الكشاف ٢/ ٤١٥.

(٨٩) شرح الكافية للرضي ٢/ ٤١٥.

(٩٠) من أَفْلَح الرجل بمعنى أفلس.

(٩١) لم أعثر على مادة (لفح) أو (أفلح) في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، وقد ذكر هذا الحديث ابن عقيل في

المساعد ٢/ ١٩٠.

(٩٢) انظر شرح الكافية للرضي ٣/٤١٥، والمساعد لابن عقيل ٢/ ١٩٠.

(٩٣) أدب الكاتب ٦١٢.

(٩٤) انظر المساعد ٢ / ١٧٩.

(٩٥) كتاب سيبويه ٤ / ٤٣.

(٩٦) ينظر الارتشاف ٤ / ١٩١٩.

(٩٧) المصدر السابق ٤ / ١٩١٩.

(٩٨) انظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم مج ٦ ق ٢ ج ٣ – من: ١٧١ – ١٧٥.

(٩٩) × ذكر هذه الشواهد الزركشي في برهانه، ٢/٢٨٧. ولم يذكر من الشيخ عضيمة.

(١٠٠) انظر شرح التسهيل ٣ / ٨٨ / ٢، والارتشاف ٥ / ٨٨ ٢٢، والمساعد ٢ / ٢٠٩.

(١٠١) انظر المصدر السابق.

(١٠٢) انظر الصاحبي ٣٩٦، وشرح الكافية للرضي ٣ / ٣٣٣.

(١٠٣) انظر شرح التسهيل ٣/ ٨٨، وشرح الكافية الشافية ٤/ ٢٢٢٩، والارتشاف ٥ /٨٨ ٢٢، وأوضح المسالك ٣/ ٢٢١.

(١٠٤) انظر شرح الألفية لابن الناظم ٤٤٢.

(١٠٥) هكذا ورد النص في المساعد ٢/ ٢٠٩، وشفاء العليل للسلسيلي ٢/ ٦٣٢.

(١٠٦) شرح ابن عقيل ٢ / ١٣١.

(١٠٧) شرح الكافية الشافية لابن مالك ٤ / ٢٢٢٩.

(١٠٨) انظر شرح التسهيل ٣ / ٨٧، وأوضح المسالك ٣ / ٢٢١، والمساعد ٢ / ٢٠٩ وشرحه للألفية ٢ / ١٣٠.

(١٠٩) انظر المساعد ٢ / ٢٠٥.

(١١٠) انظر دراسات لأسلوب القرآن ج ٦، ق ٢، ج ٢ / ٤٣٩.

(١١١) انظر مجمع الأمثال للميداني ١ / ٢٣٢.

(١١٢) البيت لعبد الرحمن بن حسان، ونسبه ابن بري لنهار بن توسعة، انظر الكامل للمبرد ١ / ٢٢، واللسان مادة (ظنن) ٤/ ٢٧٦٣ وظنين بمعنى مُتهم.

(١١٣) البيت لعبيد بن أيوب كما جاء في حاشية الكامل ١/ ٤٤٠، والعبيط: الطري من اللحم، والخرادل: القطع.

(١١٤) البيت بلا نسبة في الكامل ٣ / ١١٥١، والجنين: الحيل الضعيف.

(١١٥) البيت لعدي بن الرعلاء في الأزهية ص ٨٢، ٩٤، وشرح التصريح ٢/ ٢١، وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ٣ / ٥٩، وهمع الهوامع ٢ / ٣٨، وشرح الأشموني ٢ / ٤٨٠.

(١١٦) انظر شرح الكافية الشافية لابن مالك ٤ / ١٧٣٩ ١٧٤٠، وشرح الكافية للرضي ٣ / ٣٢، والمساعد ٢ / ٣٠١، والهمع ٢ / ١٧٠، ورغوثة بمعنى مرضوعة.

(١١٧) البحر المحيط ٢ / ٤٥١.

(١١٨) البحر المحيط ٢ / ٤٦٢.

(١١٩) البحر المحيط ٢ / ١٤٠، ولم أقف عليه في (النشر) لابن الجزري وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي.

(١٢٠) البيت لعنترة، انظر ديوانه ص ١٩٣ و انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٠٦، وشرح المفصّل لابن يعيش ٣/ ٥٥، ٦/ ٢٤، والمقاصد النحوية للعيني ٤/ ٤٨٧.

(١٢١) الخصائص ٢/ ٢١٦ وانظر أدب الكاتب ٦١٢. وأكزّه الله: أصابه بالكزاز وهو تشنّج يصيب الإنسان من شدة البرد، وأرضه وأضأده: أصابه بالزكام.

(١٣٢) البيت لخفاف بن ندبة انظر ديوانه ص ٣٣ و المحتسب ٢ / ٢٤٢، والخصائص ٢ / ٢١٦، وهمع الهوامع ٢ / ٨١.

(١٣٣) انظر ديوانه ص ١٩١ و الخصائص ٢ / ٢١٦، وأدب الكاتب ٢١٦، وتوضيح المقاصد ٢٨٩، والمساعد ٢ / ١٨٩.

(١٣٤) البيت بلا نسبة في الخصائص ٢ / ٢١٧، والأشباه والنظائر ٢ / ٤٠٥.

(١٣٥) البيت لهند بنت أبي سفيان في وشرح المفصل لابن يعيش ١/ ٣٢، وهو بلا نسبة في الخصائص ٢/ ٢١٧، والأشباه والنظائر ٢/ ٤٠٥. وخِدَبَّاء: ضخمة

(١٣٦) الخصائص ٢/ ٢١٧، وانظر أدب الكاتب ٦١٣.

(١٣٧) انظر الخصائص ٢/ ٢١٨.

(١٣٨) شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٢٠.

(١٣٩) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٥.

(١٤٠) انظر المصدر السابق.

(١٤١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٥.

(١٤٢) فقه اللغة للثعالبي ٢١٥.

(١٤٣) البيت بلا نسبة في الصاحبي ٢٦١، ونسب لجابر في اللسان مادة (ومق) ولجرير في فقه اللغة وسر العربية ٢١٥. والوَامِق: اسم فاعل من وَمِقه يَمِقُه وَمْقًا ومِقَةً أي: أحبه.

(١٤٤) البيت غير منسوب في الصاحبي ٣٦٧وإصلاح المنطق ص ٤١ والمساعد ٢/ ١٩٠، ونسبه ابن بري لتائمة همّام بن مرّة بن ذُهل بن شيبان انظر اللسان مادة (أشر) ١/ ٨٥، وأَشَرتُ الخشبة أَشْرًا ووشرتها إذا شققتها مثل نشرتها وتاشرة: اسم رجل.

(١٤٥) البيت بلا نسبة في البحر المحيط ٥/ ٢٢٧، واللسان مادة (فتق) ٥/ ٣٣٤٥، وروح المعاني مج ٦ جـ ٢٢/ ٦٠.

(١٤٦) البيت للحطيئة، انظر: ديوانه ص ٥٤، وشرح الشافية ٤/ ١٢٠، وشرح المفصل لابن يعيش ٦/ ١٥، والبحر المحيط ٥/ ٢٢٧، وروح المعاني مج ٦ ج ٢٢ / ٦٠.

(١٤٧) الصاحبي ٣٦٦.

(١٤٨) انظر البحر المحيط ٨/ ٤٤٩.

(١٤٩) انظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٧٧، والتبيان للعكبري ٢ / ٧٠، ١٢٨١، ١٢٣٧، وشرح الكافية للرضي ٢/ ٤١٥، والبحر المحيط ٥/ ٢٢٧، ٨، ٣١٩، ٤٤٩، والدر المصون ١٠ / ٤٣١، ٤٥٢.

(١٥٠) انظر شرح الكافية للرضي ٢/ ٤١٥.

(١٥١) انظر التبيان للعكبري ٢/ ١٢٨١، ١٢٣٧، والبحر المحيط ٥/ ٢٢٧، ٨/ ٤٤٩، والدر المصون ١٠/ ٤٢٤.

(١٥٢) انظر البحر المحيط ٥/ ٢٢٧.

(١٥٣) انظر البحر المحيط ٨/ ٤٤٩.

(١٥٤) انظر التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٢٨١.

(١٥٥) انظر الدر المصون ١٠/ ٤٢٤.

(١٥٦) انظر شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٨٨، والمساعد ٣/ ٢٠٨ - ٢٠٩، وشفاء العليل ٢/ ٦٢٢.

(١٥٧) انظر البحر المحيط ١/ ٣٢٦.

(١٥٨) انظر الارتشاف ٥/ ٢٢٨٧.

(١٥٩) انظر دراسات لأسلوب القرآن مج ٧ ق ٢ ج ٤ ص: ٥٧.

(١٦٠) المصدر السابق مج ٦ ق ٢ ج ٣ ص ١٧٤.

(١٦١) انظر البحر المحيط ٤/ ٢٣٣.

(١٥٢) انظر الإتحاف ٢٦٨.

(١٥٣) انظر البحر المحيط ٢ / ٥٠١.

(١٥٤) المصدر السابق ٨ / ٢٠٩ وقد قرأ بها مجاهد وأبو عثمان النهدي.

(١٥٥) أورد الشيخ عضيمة الآية الكريمة ضمن شواهده لما جاء على فَعْل بمعنى مَفْعُول، ولم أقف مع بحثي على من قرأ بها.

(١٥٦) انظر البحر المحيط ٨ / ٣٣٠، والإتحاف ٤٢٤.

(١٥٧) انظر البحر ٦ / ٣١٥ والإتحاف ٣١٢.

(١٥٨) انظر البحر ٣ / ٤٣٩، والإتحاف ١٩٨.

(١٥٩) انظر إعراب القراءات الشواذ للعكبري ٢/ ٣٨٠، والبحر ٧ / ٢٤٨.

(١٦٠) انظر البحر المحيط ٨ / ٣٣٠.

(١٦١) المصدر السابق ٣ / ٤٣٩.

(١٦٢) المصدر السابق ٦ / ٢٨٧ وقد قرأ بها الحسن وزيد بن علي وأبو حيوة وعيسى.

(١٦٣) المصدر السابق ٣/ ٤٣٩.

(١٦٤) انظر دراسات لأسلوب القرآن مج ٦ ق ٢ ج٢ ص ١٧٢– ١٧٤.

(١٦٥) المرجع السابق مج ٦ ق ٢ ج٢ ص ٤٧١، ١٧٣.

(١٦٦) المجاز لأبي عبيدة ٢ / ١٢١.

(١٦٧) البيت بلا نسبة في المقتضب ٢٤٧/٣، والكامل ٨٧٧/٢، وشرح الكافية للرضي ٤٥٩/٣، وفي خزانة الأدب ٣/ ٥٠٠.

(١٦٨) المقتضب ٣ / ٢٤٧.

(١٦٩) المقتضب ٢٤٥/٣

(١٧٠) شرح الكافية الشافية لابن مالك ٢ / ١١٤٢.

(١٧١) انظر أوضح المسالك ٢ / ٢٦٥.

(١٧٢) شرح التسهيل ٢ / ٦٠.

(١٧٣) شرح الكافية للرَّضي ٣ / ٤٥٩.

(١٧٤) شرح الكافية للرَّضي ٣ / ٤٥٩.

(١٧٥) المساعد ٢ / ١٧٩.

(١٧٦) دراسات لأسلوب القرآن مج ٧ ق، جـ ٤ ص ١٢٢.

(١٧٧) انظر المساعد ١٧٩/٢.

(١٧٨) انظر المصدر السابق.

(١٧٩) البحر المحيط ٧ / ١٦٥.

(١٨٠) انظر المصدر السابق.

(١٨١) انظر شواهد ذلك كاملة في دراسات لأسلوب القرآن مج ٧ ق٢ ج ٤ ص ١٥٣ – ١٦٤.

(١٨٢) انظر الصاحبي ٤٢٤.

(١٨٣) انظر ديوان الفرزدق ١٥٥/٢ ، و الصاحبي ٤٢٤، وفقه اللغة ٢٨٤، وشرح المفصل لابن يعيش ٦ / ٩٧.

(١٨٤) البيت لعمر بن أبي ربيعة، انظر ديوانه صـ ٣٩، و المجاز ٢ / ١٢١، والكامل ٢ / ٨٧٦، والمقتضب ٣ / ٢٦٤.

(١٨٥) البيت للأحوص، انظر ديوانه صـ ١٦٦، والكتاب ١/ ٣٨٠، والمقتضب ٢٦٧/٣، ٢٢٣، و المجاز ٢/ ١٢١.

(١٨٦) البيت للفرزدق في شرح التصريح ١٠٢/٢ ،والمقاصد النحوية ٥٧/٤ ، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في شرح التسهيل لابن مالك ٦١/٣، والارتشاف ٥/ ٢٢٢٦، والمساعد ٢/ ١٧٩.

(١٨٧) سبق تخريجه في هامش رقم (١٦٧).

(١٨٨) البيت لجميل في (البحر المحيط) ٢٦٢/٢، كذا قال السيد أحمد صقر في (الصاحبي) ٤٢٤، ولم أجده في ديوانه.

(١٨٩) البيت بلا نسبة في الصاحبي ٤٢٤، وهو لبشر بن أبي خازم في ديوانه ٨١،ومعجم ما استعجم للبكري ٦٧٠/٢، انظر الصاحبي هامش (١) ص ٤٢٤. وأصفيت بها، قربها وأدنتها. وركوبه: شيَّة معروفة سمية المركب.

(١٩٠) البيت بلا نسبة في شرح الكافية للرضي ٤٥٩/٣، وذكر المحقق بأنه في مدح عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب.

(١٩١) البيت لامرأة من العرب في المقاصد النحوية بهامش الخزانة ١٨٤/٢، و الخصائص ٢ / ١٠٣، والصاحبي ٣٩٤، والأمالي لابن الشجري ٢ / ١٠٥.

(١٩٢) البيت للفرزدق في ديوانه ٢١٢/٢، وانظر المقتضب ٤ / ٣١٣، والكامل ١ / ١٥٥، وشرح ألفية ابن معط ٢ / ١٢٩٨، وشرح المفصّل لابن يعيش ٦ / ٥٠.

(١٩٣) البيت لبشر بن أبي خازم، وهو في ديوانه ص ١٤٢، و انظر شرح ألفية ابن معط ٢ / ١٢٩٨، وشرح المفصّل لابن يعيش ٦ / ٥١، والمساعد ٢ / ٦٢١.

(١٩٤) انظر الكامل ١ / ١٥٦، وشرح المفصّل لابن يعيش ٦ / ٥٠، والإيضاح ١ / ٦٢٩، والمساعد ٢ / ٦٢١.

(١٩٥) الإيضاح ١/٦٢٩.

(١٩٦) انظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم مج ٦ ق١، ج ٢ ص ١٥١– ١٥٥.

(١٩٧) انظر الإيضاح لابن الحاجب ١ / ٦٢٩، والمساعد ٢ / ٦٣٠، وشفاء العليل للسلسيلي ٢ / ٨٦٤.

(١٩٨) انظر المساعد ٢ / ٦٣٠، وشفاء العليل ٢/ ٨٦٤.

(١٩٩) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٦ / ٥٠، والمساعد ٢ / ٦٣٠، وشفاء العليل ٢ / ٨٦٤.

(٢٠٠) لسان العرب مادة (رفع) ٢ / ٦٩١.

(٢٠١) الكتاب ٤ / ٩٧.

(٢٠٢) انظر شرح المفصّل لابن يعيش ٦ / ٥٢.

(٢٠٣) انظر المساعد ٢ / ٦٢٠.

(٢٠٤) معاني القرآن ٢ / ١٧٣.

(٢٠٥) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٧١٢.

(٢٠٦) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٦ / ٥٢، وشرح الكافية الشافية ٤ / ٢٢٤٧، والمساعد ٢ / ٦٣٠، والهمع للسيوطي ٢ / ١٦٨.

(٢٠٧) الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ١ / ٦٢٩.

(٢٠٨) الصاحبي ٣٩٥.

(٢٠٩) المصدر السابق.

(٢١٠) نسب البيت للشماخ في الصاحبي ٣٩٥، وللأخطل في اللسان مادة (عرك) ٢٩١٢/٤، وهو كما ذكر السيد أحمد صقر في ديوانه ص ١٤٨. والعريكة: النفس.

(٢١١) البيت بلا نسبة في الصاحبي ٣٩٥، واللسان مادة (جلد) ٦٥٤/١.

(٢١٢) البيت نسبه ابن مالك لعلقمة في شرح التسهيل ١٠٧/٣، وذكر محققا الشرح بأنه نسب للشماخ، كما نسب لامرئ القيس لأنه في ديوانه وإنما هو – كما قالا – لعلقمة بن عبدة التميمي.

(٢١٣) انظر البحر المحيط ٥ / ٢٤٠.

(٢١٤) انظر البحر المحيط ٢ / ٢٥٥. وقد قرأ بها عبد الله بن مسعود.

(٢١٥) الكتاب ٤ / ٩٥.

(٢١٦) البيت لكعب بن مالك في ديوانه صـ ١٨٤، ولوالده مالك بن أبي بن كعب في الكتاب ٤ / ٩٦، وشرح المفصل لابن يعيش ٦ / ٥٥، وبلا نسبة في الخصائص ١ /٣٦٧، والإيضاح لابن الحاجب ١ / ٦٣٠.

(٢١٧) البيت في ديوانه صـ١٢٢، و انظر الكتاب ٤ / ٩٦، والخصائص ١ / ٣٦٧، وشرح المفصّل لابن يعيش ٦ /٥٥.

(٢١٨) البيت في ديوانه صـ ٢٥، و الكتاب ٤ / ٩٧، وشرح المفصل لابن يعيش ٦ / ٥٤.

(٢١٩) البيت بلا نسبة في شرح المفصل لابن يعيش ٦ / ٥٣، وشرح الأشموني على الألفية ٢ / ٥٧١.

(٢٢٠) بيت علقمة في ديوانه صـ٤٢، و الخصائص ١ /٣٦٨، وشرح المفصل لابن يعيش ٦ / ٥٤، والإيضاح لابن الحاجب ١ / ٦٣٠، وتراد: تراود، والدمن: جمع دمنة وهو البعر والتراب والقذى، والمذى: رعي الإبل قليلا حول الماء ثم ورودها ثانية للشرب.

(٢٢١) بيت الحارث في ديوانه صـ ٩١، و شرح التسهيل لابن مالك ٣ / ١٢٤، وشرح الكافية الشافية ٤ / ٢٢١٨، والمساعد ٢ / ٣٣٩.

المصادر والمراجع

١- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر لأحمد بن محمد الدمياطي البناء، تصحيح: على محمد الضباع، بيروت: دار الندوة الجديدة – دون تاريخ.

٢- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي ـــ ت: د. رجب عثمان محمد – ط١ – القاهرة: مكتبة الخانجي – ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م.

٣- أدب الكاتب لابن قتيبة – ت: محمد الدالي – ط٢ – بيروت: مؤسسة الرسالة – ١٤٠٥ هـ.

٤- الأشباه والنظائر في النحو – لجلال الدين السيوطي – ت: د. عبد العال سالم مكرم – ط١ – بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م.

٥- إعراب القراءات الشواذ للعكبري، ت: محمد السيد عزوز – ط١ – بيروت: عالم الكتب – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦ م.

٦- إعراب القرآن – لأبي جعفر النحاس ت: د. زهير غازي زاهد – ط٢ – بيروت:عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية – ١٤٠٥ هـ.

٧- أمالي ابن الشجري – لهبة الله بن الشجري – ت: د. محمود الطناحي – القاهرة: مكتبة الخانجي– دون تاريخ.

٨- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري – ت: الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، صيدا، بيروت: المكتبة العربية – ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م.

٩- الإيضاح في شرح المفصل لموفق الدين بن يعيش – مصور – بيروت: عالم الكتب.

١٠- البرهان في علوم القرآن – لبدر الدين الزركشي – ت: محمد أبو الفضل إبراهيم – بيروت: دار المعرفة – دون تاريخ.

١١- البسيط في شرح جمل الزجاجي لابن أبي الربيع – ت: د. عيّاد الثبيتي – ط١ – بيروت، دار الغرب الإسلامي – ١٤٠٧ هـ.

١٢- التبصرة والتذكرة لابن اسحاق الصيمري – ت: د. فتحي أحمد علي الدين – ط١ – دمشق دار الفكر – ١٤٠٢ هـ.

١٣- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري – ت: علي البجاوي – القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – دون تاريخ.

١٤- تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي – ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض وغيرهما – ط١، بيروت: دار الكتب العلمية – ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.

١٥- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة – ت: السيد أحمد صقر – بيروت، دار الكتب العلمية – ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.

١٦- توضيح المقاصد والمسالك للمرادي - ت: د. عبد الرحمن سليمان - ط٢ - القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية - دون تاريخ.
١٧- حاشية الشيخ ياسين - مصورة، دار الفكر - دون تاريخ.
١٨- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك لمحمد علي الصّبان - تصحيح: مصطفى حسن أحمد - بيروت: دار الفكر - دون تاريخ.
١٩- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي - ط١ - مصورة - بيروت: دار صادر - دون تاريخ.
٢٠- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني - ت: محمد علي النجار - ط٢ - مصورة - بيروت: عالم الكتب - ١٤٠٣ هـ.
٢١- دراسات لأسلوب القرآن للشيخ محمد عضيمة - القاهرة: دار الحديث - بدون تاريخ.
٢٢- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي - ت: د. أحمد الخراط - ط١ - دمشق: دار القلم - ١٤٠٧ هـ.
٢٣- روح المعاني لمحمود الألوسي البغدادي - دار الفكر - ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.
٢٤- شذا العرف في فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوي - تعليق: علاء الدين عطية - ط٥ - دار البيروتي - ١٤٢٣ هـ.
٢٥- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - ت: الشيخ محمد محي الدين - طبعة جديدة - صيدا - بيروت: المكتبة العصرية - ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
٢٦- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك - القاهرة: دار إحياء الكتب العربية - دون تاريخ.
٢٧- شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم - ت: د. عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد - بيروت: دار الجيل - دون تاريخ.
٢٨- شرح ألفية ابن معط لابن القواس - ت: د. علي موسى الشوملي - ط١ - الرياض: مكتبة الخريجي - ١٤٠٥ هـ.
٢٩- شرح التسهيل لابن مالك - ت: د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون - ط١ - القاهرة: هجر - ١٤١٠ هـ.
٣٠- شرح الجمل لابن عصفور الإشبيلي - ت: د. صاحب أبو جناح - مصورة - مكة: مكتبة الفيصلية - دون تاريخ.
٣١- شرح الشواهد للعيني - القاهرة: دار إحياء الكتب العربية - دون تاريخ.
٣٢- شرح الكافية لرضي الدين الاستراباذي - تصحيح: يوسف حسن عمر - طبعة جديدة مصححة - منشورات جامعة بن غازي - دون تاريخ.
٣٣- شرح الكافية الشافية لابن مالك - ت: د. عبد المنعم هريدي - ط١ - دار المأمون للتراث - ١٤٠٢ هـ.
٣٤- شفاء العليل في إيضاح التسهيل لابن عبد الله السلسيلي - ت: د. عبد الله الحسيني - ط١ - مكة: الفيصلية - دون تاريخ.
٣٥- الصاحبي لأبي الحسين بن فارس - ت: السيد أحمد صقر - القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي - ١٩٧٧ م.
٣٦- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار - ط٢ - بيروت - ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، دار العلم للملايين.
٣٧- فقه اللغة وأسرار العربية لأبي منصور الثعالبي - بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة - دون تاريخ.
٣٨- القاموس المحيط للفيروز آبادي - القاهرة: دار الحديث - دون تاريخ.
٣٩- الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد - ت: د. محمد أحمد الدالي - ط٢ - بيروت: مؤسسة الرسالة - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.
٤٠- الكتاب لسيبويه - ت: الشيخ عبد السلام هارون - بيروت: عالم الكتب - ط٥ - ١٤٠٥ هـ.
٤١- الكشاف لأبي القاسم جار الله الزمخشري - مصور - بيروت: دار المعرفة - دون تاريخ.
٤٢- لسان العرب لابن منظور - ت: عبد الله الكبير، محمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي - القاهرة: دار المعارف - دون تاريخ.

٤٣- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى - تعليق: محمد فؤاد سزكين - ط١ - بيروت: مؤسسة الرسالة - ١٤٠١ هـ.
٤٤- مجمع الأمثال لأحمد بن محمد الميداني - ت: محمد أبو الفضل إبراهيم- ط٢ - بيروت: دار الجيل - ١٤٠٧ هـ.
٤٥- المحتسب لأبي الفتح عثمان بن جني - ت: د. عبد الفتاح شلبي و علي النجدي ناصف - القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - دون تاريخ.
٤٦- المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل - ت: د. محمد كامل بركات - دمشق - دار الفكر - ١٩٨٠ م.
٤٧- معاني القرآن للأخفش - ت: د. عبد الأمير الورد - ط١ - بيروت: عالم الكتب - ١٤٠٥ هـ.
٤٨- معاني القرآن للفراء - ت: محمد علي النجار وآخرين - مصور - بيروت: دار السرور - دون تاريخ.
٤٩- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج - ت: د. عبد الجليل شلبي - ط١ - بيروت: عالم الكتب - ١٤٠٨ هـ.
٥٠- معجم المصطلحات النحوية والصرفية - د. محمد سمير اللبدي - ط١ - بيروت: مؤسسة الرسالة، عمان: دار الفرقان - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٥١- المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية - د/ إميل بديع يعقوب - ط١- بيروت: دار الكتب العلمية - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م.
٥٢- المقتضب لأبي العباس المبرد - ت: الشيخ عبد الخالق عضيمة - القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - دون تاريخ.
٥٣- النشر في القراءات العشر لابن الجزري - مصورة - بيروت: دار الكتب العلمية - دون تاريخ.
٥٤- همع الهوامع لجلال الدين السيوطي - تصحيح: السيد محمد بدر الدين النعساني - ط١ - مصور - القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية - ١٣٢٧ هـ.

جامعة الطائف

التناص في شعر البهاء زهير

د. راضي جلال عبدالحفيظ
كلية الآداب - جامعة الطائف

مجلة جامعة الطائف - الآداب والتربية (اللغة العربية وآدابها)
المجلد الثاني - العدد السابع - جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ - أبريل ٢٠١٢م

الملخص

يتناول هذا البحث التناص في شعر البهاء زهير وتعرضت فيه إلى ماهية التناص وهو تداخل النصوص مع بعضها البعض لإكساب النص الحديث خلفية ثقافية ويفتح وعي الشاعر على مجالات إبداعية (شعرية – نثرية – دينية) تساعده في توصيل رسالة إلى المتلقي ويصدر التناص عن إبداع وثقافة للشاعر ولا يعتبر سرقة ولا سطواً لما قبله من الإبداع بقدر ما هو مقياس قوي لثقافة المبدع من ناحية وتنمية فكرية لذاكرة المتلقي الذي يشعر بالتواصل مع أجيال المبدعين على مر العصور، وقد تعامل البهاء مع حقول عديدة من التناص، مثل القرآن الكريم ، والحديث الشريف، والشعر العربي، والأمثال بنوعيها الفصيح والشعبي.

التناص في شعر البهاء زهير

يمثل التناص محورا مهما من محاور تفسير النص الأدبي؛ لأنه يمثل البعد التراثي للنص، ويكسبه عمقا في التاريخ، وينم عن ثقافة واسعة للأديب في أثناء تعامله مع التراث ،وهذا الاستلهام يتيح للشاعر والمتلقي الاتكاء على ما تفجره الشخصية التراثية أو الموقف التاريخي من مشاعر، ودلالات تحفظ القصيدة نفسها من التسرب في سردية باهتة»[1].

و تأتي أهمية التناص للشاعر في إمداده بمعين لا ينضب من الصور، و الأحداث، كما تأتي أهميته للقارئ / المتلقي في إشعاره بنسيم التراث وحكمة الأجداد، و الوقوف على أحداثهم، فضلا على أنه يعمّق القصيدة في التاريخ ويمد التراث عند الشاعر الخلفية الثقافية له «فالتراث في كل العصور يمثل للشاعر الينبوع الدائم المتفجر بأصل القيم و أنصعها، و أبعادها، والأرض الصلبة التي يقف عليها ليبني فوقها حاضره الشعري الجديد على أرسخ القواعد وأوطدها، والحصن المنيع الذي يلجأ إليه كلما عصفت به العواصف فيمنحه الأمن والسكينة»[2].

وعلى ذلك فالتناص يمثل الطريق الأمثل لإظهار التراث و تجليه في العمل الأدبي.وهو كما يراه د محمد مفتاح «فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت منه بتقنيات مختلفة ممتص لها يجعلها من عندياته بتصييرها منسجمة مع فضاء بنياته و مع مقاصده، محول لها بتمطيطها أو تكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالاتها أو بهدف تعضيدها، ويعني هذا أن التناص هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة»[3].

وقد استخدم الشاعر التراث في خطابه الشعري عبر قنوات التناص، ليعبر بها عن تجارب كامنة في لاوعيه، اكتسبها أثناء عراكه مع تجربته الحياتية حتى ينقل لنا أحاسيسه و آراءه تجاه الحياة و الناس، والتناص لا يعني تكرار النص الأول، وإنما يعني «هضم التراث وتحويله إلى لبنة داخل، بحيث لا يمكن تفرقتها عن النص، والتناصية بهذا المفهوم تعني أن الأخير لا يكرر الأول؛ وإلا أصبح نسخة مشابهة تقل في الأهمية عن النسخة الأولى؛ فالنسخة الأولى أصلية و مبتكرة قد أضافت في حينها إلى عصرها، أما الأخيرة فهي مقلدة، صورة ممسوخة لشخص وقع تحت سيطرة الأجداد»[4].

إذن لابد من وجود إضافة إلى النص أثناء قيام المبدع بعملية التناص، وإلا أصبح التناص في هذه الحالة مجرد تكرار للنصوص، وبهذا يفقد مضمونه و مزيته.وهو «ليس استرجاعا للمخزون التراثي فحسب، أو استعادة للذاكرة الثقافية، أو تداخلا للنصوص في العمل الأدبي دون فلسفة أو هدف، وإنما هو عملية مقصودة لأهداف فنية، فلا اختراع مطلق في العمل الأدبي، ولا حياة لنص بمعزل عن النصوص الأخرى، بل هناك تفاعل متبادل بينهم، بحيث لا ينغلق النص المؤثر على

نفسه، ولا ينعزل النص المتأثر عن سياق عصره، أو عن سياق النص الذي استدعاه في زمن مختلف، وعليه يعيش الماضي في الحاضر و يتواصل معه قدر تواصل الحاضر مع الماضي، ويغدو التناص مجلي للثقافة الأدبية الواسعة يقدر بها الأديب على المزج بين التقاليد والإبداع الفردي»[6].

وبهذا المفهوم ينطلق الإبداع من قلب التأثر بالتراث السابق، والتأثير المتبادل بين الشعراء لا يعني أن احتذاء شاعر لشاعر يمثل بالضرورة تقليدا لا جدة فيه، وإنما يعني عمق التفاعل بين الشعراء، وعكسا للثقافة الرفيعة لدى الشاعر الذي يستطيع توظيف ثقافته الأدبية في تعميق وإبراز رؤاه الشعرية، بالإضافة إلى إثراء خياله الفني وذلك بالاستعانة بما سبقه و بمن سبقه، ويبرز التواصل بين الحاضر والماضي، ويفسر القضايا التي تعتو له في حاضره بمرتكزات إيضاحية تعكس تصرف الأجداد تجاه القضايا المتماثلة والتي تمثل في الحاضر قناعا لما سبق من أحداث ولعل في طبيعة ارتباط الشاعر العربي بتراثه، وفي نظرته إليه ما يفسر سر شيوع هذه الفكرة، فقد كان الشاعر يعي تراثه وعيا تاما، بل كان كثيرا ما يحفظه ويتمثله تمثيلا كاملا، حتى أصبح جزءا من ذاته، ومصدرا من مصادر فنه، ولا عجب أن تظهر آثار هذا في شعره، وأن يبدو هذا المخزون في نتاجه، ويكون رافدا له في إبراز تجربته من ناحية، ومن ناحية أخرى تعضيد البناء المعماري لقصيدته، بحيث يغدو التناص لما سبق بنيات صغيرة تساعد على هيكلة قصيدة المبدع، مع عدم وجود نبو أو تصدع يزري بالشكل الفني.

إذن يشترط في المبدع اختيار مادة التناص بحذر وعناية، وأن يراعي تماشيها مع الجو العام للتجربة، وألا يحشد نصوصا لا تتناسب مع حالته الشعورية، فذلك يحدث تشوها في مسار التجربة ويوحي بعدم حسن اختيار المبدع لتلك النصوص التي يعتقد أنها سوف تتماشى مع نصه المبدع، وفي ضوء هذا الفهم يتضح أن «كل نص هو تناص و النصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوته، وبأشكال ليست عصية على الفهم بطريقة أو بأخرى.إذ تتعرف نصوص الثقافة السابقة و الحالية، فكل نص ليس إلا نسيجا جديدا من استشهادات سابقة»[7].

وعلى هذا يجب أن ينتبه المبدع إلى دقة اختيار النص المستخدم ليتساوق مع مضمون تجربته كي ينجح في توظيفه فنيا لما يجابه المبدع من تحديات من الواجب عليه أن يقاومها ولا يتخطاها تكاسلا. وفي الصفحات التاليه نتناول التناص عند البهاء زهير، مع ملاحظة أن شكل التناص المستخدم هو من قبيل الرمز الجزئي «وهو لا يستغرق القصيدة كلها، ولكنه يسهم في البناء الفني للقصيدة، ولا يعني أن تنوب كلمة مكان أخرى، وأن تكون بديلة عنها، ولكنه أسلوب فني يكتسب فيه الكلمة المفردة قيمة رمزية من خلال تفاعلها مع ما ترمز إلى إيحائها واستثارتها لكثير من المعاني الدفينة، وخلقها لموقف رمزي يتضافر مع بقية عناصر القصيدة لبنائها بناء مكتملا»[8].

فالشاعر حين يستدعي رمزا تراثياً جزئيا في قصيدته فإنه يقصد به تنوير الفكر المتلقي ويجعله يتذكر الموقف السابق (التراثي)لكي يفك به أزمة النص الجديد (المبدع)، ويدرك مدى التعالق بين النصين دلالياً «فالإشارة التراثية تتميز بالتركيز و الكثافة و الاكتناز، على حين لا يفقدها هذا التركيز طاقة البوح و الإشارة شأن الشعاعة الضوء قد تكون سريعة خاطفة، ولكنها تفجر بألقها أبعاد المكان، وربما كان هذا هوا لسر في كثرة دورانها بين تضاعيف القصيدة الحديثة»[٩].

فاستخدام البهاء للتناص استخدم جزئي ليس على الإطار الأشمل على مستوى توظيف الشخصيات و الأحداث وإنما هو توظيف جاء في إطار الاستخدام الجزئي عاكسا بذلك الطبيعة الشعرية السائدة في ذلك الوقت تحت ما يسمى بالتضمين أو الاقتباس.

أنواع التناص عند البهاء زهير

١-التناص الديني:

يعد القرآن الكريم مصدرا ثريا لكل آخذ، ومنبعا لا ينضب لكل بليغ، وحينما يسترفد الشاعر لصوره و لشعره هذا المصدر فإنما يحاول إكساب قصيدته شرعية البقاء، ولألفاظه فصاحة التوصيل، كما إنه «يشكل مجالا فسيحا في تجربة الشعر، حيث عمد كثير من الشعراء إلى استعادة النصوص و الرموز الدينية في سياقاتهم الشعرية المتنوعة، من أجل خدمة أغراض فنية و دلالية تزيد النص الشعري عمقا وجمالية؛ لأن الأديان السماوية الثلاثة حفلت بمواقف ورموز مثلت النموذج المقترح من السماء ليقتدي به البشر فوق الأرض»[١٠].

كما يشير التناص الديني إلى عمق ثقافة الشاعر و تأثره بالأديان «فالعقائد تعد رافدا عريقا في حياة الشعر العربي، وفي تكوين عقل ووجدان الشعراء العرب الذين تكتظ قصائدهم بشواهد قاطعة الدلالة على معرفتهم بالأديان و العقائد و النحل»[١١].

وفي هذا المصدر تتجلي عبقرية المبدع في تناوله واقتباسه في محاولة إسباغ الجو النفسي لتجربته مع تناسق هذا الجو مع مناسبة الآية التي يقتبسها الشاعر.

ومن أمثلة تناص البهاء زهير مع القران الكريم:

ولكم كتمت صبابتي والله علاّم الغيوب
ورجوت حسن العفو منه فهو للعبد المنيب[١٢]

الشاعر في حالة وجد وصبوة، وتكاثر الكاشحين عليه، وهو مرمى لسهام الحاسدين في حبه الأمر الذي ألجأه إلى كتم حبه، ولم يستطع البوح به، بل المداراة و التستر، لا يعلم ذلك إلا الله، ويقف البهاء في محراب العشق ضارعا يطلب العفو و المغفرة من محبوبته التي يرفعها إلى مكانة سامقة تؤهلها -في نظره- إلى المغفرة و الصفح عمّا بدر منه لها، وهو في حالته تلك كالمذنب الذي

يريد العودة إلى جناب الله، ويتضرع راجيا قبول أوبته، ونلمح التشابه بين حالة العبد المتشوق إلى التوبة، وحالة الشاعر الذي يريد الوصال مع محبوبته، فكما أن العبد المذنب يتوب إلى الله كذلك العاشق /الشاعر يطلب العفو من محبوبته، والجامع بينهما طلب الغفران والصفح، ونرى البهاء يتناص مع الآية الكريمة «سبحانك أنت علام الغيوب»[١٣]. وأيضا مع الآية «وأنيبوا إلى ربكم»[١٤]. فنجد أن التناص قد عمّق الإحساس بمدي ما يعانيه الشاعر /العاشق حينما وظّفه في كشف عاطفته الجيّاشة نحو المرأة والاستغراق في حبها كما يفعل الصوفي عندما وظّفها للتعبير عن حبه لله.

وتواصلا مع دور إدراك مقدار عشقه وحبه نراه يقول:

وأذعتم عن فؤادي سلوةً إن هـذا لحديث يفترى[١٥]

يقرر الشاعر أن العاذلين قد أذاعوا كذبا وزورا أن عاطفته نحو محبوبته قد خبت نارها، وأصبح في سلوى عنها ويرد مفندا تلك المزاعم عن حبه، وأن عاطفته لاتزال مشبوبة لا يتطفئ أوارها، وما ذاعوه عن سلوه إياها هو حديث كاذب ومحض افتراء، ويدل هذا على مدى انزعاج الشاعر /العاشق مما قالوه عن برود أحاسيسه تجاه المحبوبة، ويتناص مع الآية القرآنية «ما كان حديثا يفترى»[١٦].

فالشاعر يشبه حالة من يرميه بالسلو عن محبوبته بمن يفترى على الله الكذب وكأنه ارتكب جرما شنيعا، ويعكس بشاعة موقف المنكرين عاطفة الشاعر.

وفي موقف آخر يصف حالته مع محبوبته، ويبين مدي احترامه لها فيقول:

ونمشي حفاة في ثراها تأدبا نرى أننا نمشي بوادٍ مقدس[١٧]

يصف البهاء فرط محبته، وحسن معاملته لمحبوبته انطلاقا من تلك المنزلة السامقة التي تنزل في نفسه منزلة كبيرة، وتشغل مساحة واسعة في فؤاده، ومن أمارات ذلك أنه لو أراد زيارتها مشي متأدبا؛ احتراما لمكانتها، وفعله هذا يشبه فعل الذي يسير في الوادي المقدس لابد أن يسير خاشعا متأدبا تغشيه حالة التقديس و الاستعداد للفناء في من يحبه ويقدم الطاعة والسمع والإخلاص التام اعترافا بعلوها، وهذا البيت يتناص مع الآية الكريمة «فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى»[١٨].

فقد شبه الشاعر موقفه مع محبوبته عند السير إليها ومقابلتها بحالة سيدنا موسى عليه السلام حينما كلمه ربه في طور سيناء، والجامع بينهما الخشوع والاستكانة تأدبا مع الله عند سيدنا موسى والمحبوبة عند البهاء.

وفي سياق آخر يصف الشاعر شدة تعلقه بمحبوبته، وهيامه بها فيقول:

وإني فيما يزعمون لشاعر فتى كل واد في هواك أهيم[١٩]

يخاطب البهاء الناس مقرا باعترافهم له بالشاعرية التي يتمتع بها على حد زعمهم، ولكن هذا الشعر يتجه بالكلية إلى محبوبته، ويوظف أغراضه لهواها، واصفا إياه، وما برّح به، ويؤكد إقباله عليها وهيامه بها في كل مكان، إنه محب هائم يطرق كل الوسائل التي تؤدي به إلى الالتقاء بها، وتمكنه من وجدها وحبها، الأمر الذي جعله يهيم بلا لب في أي مكان، ومثله في ذلك مثل الشعراء الذين يجوبون الأماكن طلبا للنوال من الممدوحين، وقد تناص الشاعر مع الآية الكريمة «والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون»[19].

فالجامع بينه وبين الشعراء هو الذهاب في كل مذهب، وكل مكان، ولكن مع اختلاف المقاصد، فمقصد الشعراء المدح والنوال، ومقصد الشاعر طلب محبوبته، والتغني بحبها في كل مكان، وتمني لقائها.

وعندما أثر كلام الكاشحين على العلاقة بينهما، وأثبت ما كان موصولا، الأمر الذي جعله وحيدا متفردا يكابد ألم الفراق فيصف حاله قائلا:

كأني موسى حين ألقته أمه وقد حرمت قدما عليه المراضع[20]

يلح البهاء على مقدار تعلقه بالمحبوبة، وعلى مدى ميله الشديد لها، وأنه بالنسبة لها طفل يقبل كل ما تمليه عليه، وهو لا يملك معها أية حيلة، ولا يستطيع الفكاك منها، ومع كل هذه التضحية منه تجاهها قابلته بكل معاني الهجر والترك، وأوصدت أبواب الأمل دون الوصول إلى حبها ثانية، فأصبح منفردا، فشبه حالته تلك بحالة سيدنا موسى حين أرضعته أمه، وألقته في اليم، وهذا يتناص مع قوله تعالى «وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه»[21].

وأيضا قوله تعالى «وحرمنا عليه المراضع من قبل»[22].

فنرى الشاعر قد أحدث تشابها بين موقفه وموقف أم موسى حين ألقته أمه، ولكن الأمر بالإلقاء على أم موسى كان أمرا إلهيا، مع الخوف عليه، أما أمر الإلقاء من جانب محبوبة الشاعر فكان إلقاء هجر وترك مع عدم الحرص عليه، وهذا يدل على الجفاء و القسوة، وندرك مدى المعاناة التي عاناها من جراء حبه، ونرى موقفها المعاند وقد منعته كل ألوان المراضع /الحنان والأمل في التواصل، وأصبح كالذي فقد مصدر الود والقرب والحنان /محبوبته /أمه يقاسي ألوان اليتم و الضياع.

وفي معرض آخر يصف بخل امرأة أرمينية قائلا:

سأدعو على الجرد الجياد لأنها سرت فأتت بي واديا غير ذي زرع[23]

نزل الشاعر أثناء رحلاته ضيفا عند امرأة أرمينيه، فلم تقره شيئا من الطعام وفق عادة العرب، وحتى حديثها لم يفهمه لعجميتها، فبات ليلة لايحس بأي راحة، فندب حظه العاثر الذي

أوقعه فريسة عندها، ودعا على الخيول التي حملته إلى هذه المرأة /المكان القفر من كرم أهليه، ويتشابه هذا الموقف مع موقف الخليل إبراهيم عليه السلام عندما أنزل السيدة هاجر وابنها إسماعيل في مكة لايحس بهم أحد، ولا يجدون ما يطعمونه، كما جاء في الآية الكريمة «رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم»[٢٤].

وعندما حدثت جفوة بينه وبين الأمير يقدم لنا ما يشبه الاعتذار بأنه لم يكن من عصاته حتى يغضب عليه ويصف هجر الأمير له قائلا:

هل كنت من قوم موسى في محبته حتى أطال عذابي منه بالتيه؟[٢٥]

يؤكد الشاعر على مدى تجاهل الممدوح له، وأنه كان يوعده فيخلفه، ويمنيه فيماطله، حتى ساءت حالته، وانطوى على نفسه معاتبا لها عمّا يكون قد بدر منه شيئا أغضب الأمير حتى يصبح الوصال منبتا، والود مقطوعا، ونرى العتاب النفسي في توظيف أداة الاستفهام (هل) التي تفيد النفي بأنه لم يكن من قوم موسى الذين عصوه، فكان جزاؤهم البعد، وتحريم دخول الأرض المقدسة، إلى جانب التيه الذي فقدوا معه الاستقرار فهاموا على وجوههم، كذلك كان جزاء الشاعر من الأمير الذي لم يعد يقربه إليه، فأقصاه عنه؛ فأصبح في حيرة من أمره، وأصيب بما يشبه التيه لايدري إلى من يذهب ويلتجأ، وفي هذا الموقف يتناص مع الآية القرآنية «قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين»[٢٦].

والجامع بينهما هو التيه وعدم الاهتداء والحيرة القاسية التي أصابتهم بالدوار، وذلك عند بني إسرائيل حينما عصوا أوامر سيدنا موسى عليه السلام، والشاعر عندما تركه الممدوح.

وفي سياق آخر يصف لنا الشاعر لوعته وشكواه فيقول:

فما فاض ماء النيل إلا بمدمعي لقد مرج البحرين يلتقيان[٢٧]

يبوح البهاء بما حدث له من جراء عشقه، وهيامه بالمحبوبة، وما جر عليه من نكبات أدت إلى تركه وتجاهله من قبلها، فجرت دموعه الغزيرة التي تشبه ماء النيل في غزارتها، واختلطت هذه الدموع بمائه العذب فأصبحت مثل بحرين يمتزجان في الملوحة والعذوبة، وإن كنا نلمح المبالغة في البكاء والتي تنم عن مقدار ما يكنه من العشق والهيام بمحبوبته، وهو يتناص مع قوله تعالى «مرج البحرين يلتقيان»[٢٨].

وهكذا كان النص القرآني بقصصه ومعانيه ولغته أكثر المصادر التراثية ترددا، وأوسعها تأثيرا في النفوس والمضامين الشعرية،ولعل وراء هذا الاهتمام الكبير في توظيف النص القراني ما يمتلكه القرآن العظيم من خصوبة وعطاء متجددين للفكر والشعور، فضلا عن تعلق الشعراء به تأثرا وفهما واقتباسا، إلى جانب اشتراك رموزه بينهم وبين المتلقين.وحينما حاول الشعراء

شحذ ملكاتهم، وتحميل كلماتهم بأقصى ما تمنح اللغة من إيحاءات وظلال متجددة؛ ليبرزوا قضاياهم لم يجدوا أمامهم أسمى من القرآن رافدا ثرا بجوانبه الخصبة، التي تفيض بالدلالات و الإيحاءات؛ للخروج من جدب التكرار إلى ظل القرآن العظيم؛ فاستطاعوا أن يبدعوا رموزا جديدة من خلال تعانق الحاضر بالماضي، وتمازجه ليميطوا اللثام عن خفايا نفوسهم، وبواطن أسرارهم، وما يعتمل فيها من سرور وهموم»[٢٩].

وكثيرة هي الشواهد القرآنية التي وظّفها البهاء في خطابه الشعري كاشفا به عن مكنونات نفسه، ومعبرا عن تجربته؛ فاكتفي بما أوردت، وأنتقل إلى رافد آخر من روافد التراث وهو الحديث الشريف.

التناص مع الحديث الشريف:

يعد الحديث الشريف المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، ومفسرا لما أجمل في القرآن الكريم من الفرائض وغيرها، والشاعر إذ يعتمد الحديث مصدراً ثانياً بعد القرآن، فإنه يرسي أصول ثقافته الدينيه ويكملها علاوة على ما يمتاز به الأسلوب النبوي من إشراقة اللفظ، وقرب المعنى، ومتانة التركيب، فلا غرو أن يتخذه الأدباء و الشعراء إماما لهم، والشاعر – تكملة لثقافته الدينية – يوظف الحديث الشريف؛ لكي يعبر /يسقط ما يعتمل داخله من تجارب وأحاسيس، فيربط بين ما جاء من معان تدور في نفس الموضوع خلال الأحاديث، ومثال ذلك يقول البهاء:

فيا من يحب العفو إني مذنب ولا عفــو إلا أن تكـــون ذنوب[٣٠]

يقر الشاعر بما بدر منه من تقصير وذنوب في حق من يعترف له بالفضل عليه، فيحاول استرجاع ما فاته من طريق قبول الآخر والعفو عنه، وهو في سبيل هذه الأوبة لا ينكر الاعتراف بذنوبه، وهذا الاعتراف يدل على التوبة النصوح التي من شروطها: الإقلاع عن الذنب، والتيقن في العفو، فالشاعر قد أقر به كما في قوله (إني مذنب)، ثم الوثوق في عفو الله، وهذا البيت يتناص مع الحديث الشريف«عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»[٣١].

فالشاعر يلفت نظر الممدوح إلى أن الله يقبل توبة العبد، فمن باب أولى أن يقبل الممدوح عذر الشاعر وقربه إليه ويقبل أوبته، ويصفح عنه.

وفي سياق الاعتراف بالخطيئة أيضا يقول:

نعم لـي ذنـب جئتكم منه تائبا كما تاب عن فعل الخطيئة ماعز[٣٢].

يقف الشاعر أمام المخاطب مقرا بما صدر منه من آثام وهفوات، معترفا كل الاعتراف بها، ويقدم توبته، وهذا الفعل منه يدل على التسليم والإقبال على الغفران، وهذا الموقف يتناص مع

موقف ماعز الذي ارتكب جريمة الزنا، ثم اعترف أمام الرسول ﷺ وأقر بذنبه،عن بريدة رضى الله أن ماعز بن مالك الأسلمي أتي الرسول ﷺ فقال:يا رسول الله إني ظلمت نفسي وزنيت، وإني أريد أن تطهرني فرده. فلما كان من الغد أتاه، فقال:يا رسول الله إني قد زنيت فرده الثانية. فأرسل رسول الله إلى قومه، فقال: أتعلمون بعقله بأسا؟ أتنكرون منه شيئا؟ قالوا: ما نعلمه إلا وفي العقل، من صالحينا في ما نرى، فأتاه الثالثة، فأرسل إليهم أيضا، فسأل عنه فأخبره أنه لا بأس به ولا بعقله، فلما كان الرابع حفر له حفرة، ثم أمر به فرجم»[٢٣]، ووجه الشبه بين الشاعر وماعز هو الإقرار بما ارتكب كل منهما.

وفي موضع آخر نرى البهاء يلوم الآثم الذي يهدر أمواله في المعصية فيقول:

يعصـــي بقـــوت نهـــاره ويروح كالطير الخماص[٢٤].

ينحي الشاعر باللائمة على الرجل الذي يسعى لكسب قوته، ويتحمل في ذلك الصعاب؛ ليسد خلته، ثم يتجه بهذا المال إلى المعصية، ويرجع خاوي الوفاض، لا يملك شيئا لأولاده، وهو في هذا الموقف يتناص مع حديث الرسول -ﷺ-، فعن عمر بن الخطاب، عن النبي ﷺ قال «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا»[٢٥].

ولكن الشاعر في هجائه لهذا الرجل يخالف مضمون الحديث؛ لأن الحديث يدعو إلى التوكل على الله مع الأخذ بأسباب المعيشة، كما تخرج الطيور من أعشاشها متوكلة على الله، فتخرج خماصا جائعة، وترجع بطانا ممتلئة أما الرجل المهجو فإنه يخرج بقوت أولاده، ويرجع إليهم فارغا يعبث بها في غيّه ولهوه.

وفي سياق آخر يبين لنا جفوة محبوبته وعدم حدبها عليه فيقول:

جارك قلبي وقد أحرقته والله أوصى الجار بالجار[٢٦]

يصف البهاء مدي القرب الذي بينه وبين محبوبته، وأن قلوبهما متجاورة، ولابد من جعل الوصال ممدودا وموصولا، ولكن الأمر اختلف، فأصبح الجار /قلبها لا يحافظ على جاره/ قلبه، وزاد عليه في الأمور التي جعلت حبل الوصل منبتا، وبعدت بينهما المسافات، ويتعجب الشاعر من هذا الترك والهجر، فيحاول استمالتها عن طريق تذكيرها بحسن معاملة الجار/قلبه، وفي هذا السياق يتناص مع الآية الكريمة «والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل»[٢٧]، ومع الحديث الشريف القائل،عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[٢٨].

وهكذا رأينا كيف وظّف البهاء ثقافته من الحديث الشريف توظيفا أسبغ على أسلوبه الوضوح، وعلى أفكاره العمق، وعلى ألفاظه السلاسة والبيان، واستطاع التعبير عن أحاسيسه

بأبلغ التعبيرات وأنقاها.

وكثيرة هي الأمثلة على التناص مع الحديث، فأكتفي بما أوردت، وأتعرض إلى مجال آخر وهو **التناص الشعري:**

لايمكن للأديب أن ينفصل في تكوينه المعرفي عن غيره، بل هو عبارة عن تراكمية معرفية تنمو بفعل تعاقب الثقافات و تلاقحها، ولذلك أصبح الأديب ومن بعده النص الأدبي بناء متعدد القيم والأصوات تتواري خلف كل نص ذوات أخرى غير ذات المبدع، ومن ثمّ فالنص الجديد هو إعادة نصوص سابقة، «حمل الشعر العربي تراثه قبل الإسلام وبعده، كما حمل النص الشعري موروثاته فيما بين الشعراء من الأجيال المختلفة بين المتعاصرين، حتى أصبح النص السابق بمثابة التراث للنص اللاحق، وقد تبدي ذلك في شكل القصيدة وصياغتها وأساليبها التي تتشابه وتتكرر فيما بين القصائد في العصر الواحد وفي العصور المتلاحقة»[٩].

فالتناص الشعري يعني عكس ثقافة الشاعر التراثية بما يناسب تجربته، ووجوه التفسي مع النص المستدعي، مثال ذلك يقول البهاء:

استخدم الريح في حمل السلام لكم كأنـما أنا في عصري سليمـــان [١٠]

يعاني الشاعر من شدة الشوق والهوى، ويريد أن يراسل محبوبته، فتتولى الريح نقل هذا السلام إليها، ونقل ما يحس به من تباريح وجوى، جعلته يتوسل بالطبيعة /الريح في التواصل بينهما، وهو إذ يستخدم الريح يشبه سيدنا سليمان في تسخيره للريح، فهو يتناص مع الآية «وسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب»[١١].

كما ويتناص مع قول ا لشاعر العباس بن الأحنف حين يقول:

وإني لأستهدي الرياح سلامكم إذا أقبلت من نحوكم بهبوب

وأسألها حمل السـلام إليكـم فإن هي بلغـــت فأجيبي [١٢].

فالعباس يستخدم الريح لتوصيل السلام إلى محبوبته، ويطلب منها الرد على ما تحمله إليها من أشواق حارة، وعذابات دفينة، ووصل غير مرجو، والبهاء في هذا السياق يشبه العباس في شدة الشوق إلى محبوبته، وضرورة تلمس السبل إلى الاتصال بها.

وفي سياق آخر يقول:

أحتال في النوم كي ألقي خيالكم إن المحب لمحتـــاج إلى الحيل[١٣].

يعرض الشاعر لحالة العشق التي امتلكته، وهو لا يستطيع أن يتواصل معها، ولكن الآفاق تضيق عليه، فيصعب عليه التواصل في الواقع، فيلجأ إلى عالم اللاوعي الباطني لمقابلتها ومناجاتها في الأحلام، وهو نوع من الشوق والاستشراف لمحبوبته، ويقرر أيضا أن الشاعر في سبيل الوصول إلى

محبوبته بركب جميع الصعاب، وهو يتناص مع قول مجنون ليلي:

وإني لأستغشي وما بي من نعسة لعل خيالا منـــك يلق خيالها[11]

نري أن قيسا يئس من لقاء ليلي في عالم الحس والشعور، وذلك لكثرة العراقيل و الصعوبات التي تحول دون اللقاء بينهما، وقد برح به الشوق، فيلجا إلى عالم اللاوعي، فيحاول النوم عن عمد؛ حتي يحلم بها، ويلتق خياله بخيالها، وهذا الأسلوب في التحايل على رؤيتها يدل على مدى الشوق الذي يسكن قلبيهما، وهو الجامع بينهما وتواصلاً مع السياق الشعوري يقول في موضع آخر:

فاصبحت فيكم مثل مجنون عامر فلا تنكروا أني أخط على الرمل[12]

يدرك البهاء مدي استحكام العشق في قلبه، حتي تشابهت حالته مع حالة المجنون، بما عرفنا عنه من هيام وشوق، وتملك العشق عليه، ومع ترك محبوبته له، أصبح يخط في الرمل ندما وحسرة على ما آلت إليه حالته من التيه والاستسلام للأحزان، وهو في حالته تلك يستدعي قول الشاعر ذي الرمة:

عشية مالي حيلـــة غير انتـــي بلقط الحصى والخط في الترب مولع

أخـط وأمحو الخط ثـــم أعيده بكفـــي والغـــربان في الـــدار وقـع[13].

يصف البيتان السابقان حالة الشاعر في الذهول والحزن اللذين حدثا له حين صدمه منظر الدار الموحشة «فجلس في ساحتها حزينا، شاردا يلقط الحصى في ذهول، وينكت بيده خطوطا في التراب، ثم يعود فيمحو ما خطه ليعود فيخطه من جديد، والغربان تسقط حوله في الساحة الموحشة تضاعف من الإحساس بالأسى واللوعة والذهول، والعلاقة بين الشاعرين تمتاز بالتوحد في الشعور بالحزن والأسى لفقدان عزيز لديهما، وتأتي صورهما الشعرية لتعكس ذلك الإحساس المفعم بالندم والفقد»[14].

وفي سياق آخر يقول:

أحببت كل سمي في الأنام له وكل من فيه معني من معانيه[15]

يعبر البهاء عن شدة تعلقه بالمحبوبه، ويصف كلفه بها حتى من فرط حبه لها، يحب كل من تحمل اسما يشابه اسمها أوحتى مرادفا له في معانيه، لأن الاسم يثير لدي الشاعر أحاسيس كامنة، ومحبة لاتخبو نارها، وهو يتناص مع قول المجنون:

أحب من الأسماء ما وافق اسمها أو أشبهـــه أو كان منه مدانيا[16]

فهو من شدة شوقه يحب كل اسم يدنو من اسم محبوبته، وينم هذا عن شدة الوجد، وشبوب العاطفة لدي الشاعرين، فقد استدعي البهاء في نصه صورة قيس بما تحمل من العواطف والأحاسيس، التي رسخت في الوجدان بتضحيته و تفانيه في حبها.

وفي مكان آخر يقول:

ويا نسيم الصبا أنت الرسول لها والله يعلـــــم أني منك غيران [٥٠]

يدرك الشاعر مدي الفرقة بينه وبين محبوبته، وأن المكان قد باعد بينهما، وانقطعت الرسائل بينهما فضلا عن منع المقابلة الأمر الذي جعل الشاعر في حيرة من امره، فالوصال منقطع، واللقاء صعب غير متوقع، فلا مفر للشاعر أن يرسل رسائله إليها مستخدما النسيم الرقيق، وهي وسيلة مطروقة بين المحبين، لتدل على رقة العلاقة وخفتها، ولكي تترجم عن شعور جارف نحو محبوبته، وهو يتناص مع قول ابن زيدون:

ويا نسيم الصبا بلغ تحيتـنا من لو على البعد حيا كان يحيينا[٥١]

نري ابن زيدون قد استخدم النسيم رسولاً بينه وبين محبوبته، ليتم التواصل بينهما، بعد أن اشتد البعد، واشتط في الفرقة بين المحبين، وإرسال الرسالة مع النسيم تشي بمدي حبه الشديد لها، فالشاعران يعانيان من شدة الشوق والهجر، ومن ثمّ يحاولان إرسال الرسائل عبر النسيم؛ حتى يشعرا بالتواصل.

والأمثلة التي توضح تأثر البهاء بالموروث الشعري متعددة، ومن ثمّ أنتقل إلى مجال آخر من التناص وهو:

التناص مع الأمثال:

تمثل الأمثال صوت الشعب، وهي خلاصة لمواقف حدثت، واستخدمت بعد ذلك لتكون ترجمة لمواقف مشابهة، ويتكون المثل من مضرب ومورد: فالمورد هو أصل المثل والقصة التي ينتج عنها، والمضرب هو الموقف المناسب لتطبيقه، ويصح أن يترجم المثل عن هذا الموقف المشابه لحادثة هذا المثل، إذن لابد أن تكون هناك مناسبة حتي تتحقق بلاغة المثل في التواصل بين النص القديم /المثل، وبين النص الحديث /المناسبة /الموقف والأمثال التي وظّفها البهاء نوعان:الأمثال الفصيحة و الأمثال العامية.

أولا :الأمثال الفصيحة :

هي الأمثال التي وقعت أحداثها في العصر الجاهلي، «وتصور جانبا من حياة العرب وقدراتهم على الارتجال وأشهر من عني بجمع الأمثال وشرحها: الميداني في كتابه مجمع الأمثال، وأبو هلال العسكري في كتابه جمهرة الأمثال»[٥٢].

وكون الشاعر متأثرا بهذا التراث يدل على سعة اطلاعه، ويعكس أيضا رغبته في التواصل مع التراث الذي يعمق من أفكاره، ومن أمثلة تناص الأمثال قول البهاء:

فاسأل ضميرك من وداد ي إنـــه فيـه جُهينـــــه [٥٣]

يخاطب الشاعر محبوبته واصفاً ما يكنه نحوها، وما يبذله من أشواق قلّ أن ترى مثلها، ويطلب منها أن تسأل ضميرها الذي يكون دافعا لها إلى قول الصدق عن مقدار حبه وإخلاصه لها، وتسأل مشاعرها: فإنها ستخبرها بأنه يحبها، ونلمح أيضا تأكده من هذه العواطف، عندما أخبر أن عواطفها لن تكذب، وهو متأكد منها وهنا يستدعي شخصية تراثية من جهينة اشتهر بصدقه عمّا أخبر وهذا المثل يقال لكل عليم ببواطن الأمور، تشبيها لمعرفته بمعرفة الحصين»[٣١].

فاستخدم البهاء هذا المثل لكي يسقط على محبوبته تلك الشخصية التراثية، وما يثور حولها من صدق الإخبار وكأنها تدرك جيدا ما يعانيه هو من تباريح الجوى.

وفي موضع آخر يقول:

خذ يا رسولُ حشاشتي أنا فـــي الهوى كعبُ بن مامه [٣٢].

يصف البهاء ما حدث له من شقاء مضن، وقهر ممض، وما أصاب فؤاده من حرقة الوجد، وفي وسط هذا الجو المشبوب، يأتي رسول منها ليتم التواصل بينهما، ويطفئ غلته وشوقه نحو محبوبته، وتقديرا من البهاء للرسول يعرض عليه حشاشته (وهي بقية الروح)، مما يبرز مدى إخلاص الشاعر في هواه وحبه، الذي جعله يبذل الروح من أجل الوصال، وهو على استعداد تام لبذلها، كما فعل كعب بن مامه حين قدم روحه كرما لأصحابه، فضرب به المثل في الكرم فقيل «أجود من كعب بن مامه» ولكنه أصبح بإيثاره مضرب الأمثال[٣٣].

وفي موضع آخر يقول:

خدعوك بالقول المحا ل فصح أنك أم عامر [٣٤]

يصف البهاء مشاعره تجاه امرأة يتناولها بالسب قائلا:إن الناس قد خدعوك بقولهم في جمالك وعفتك، وهذا محال، وإنما أخلاقك وأفعالك تسيء إلى الناس، ولا يرون منك إلا كل سوء، وتبادلين معروفهم بالجحود والنكران، وأن ما تفعلينه يشبه فعل أم عامر[٣٥]. التي توصف بالخيانة والمخاتلة، وتتنكر لفاعلي الخير معها، ويضرب هذا المثل للذي لا يعترف لمعروف الناس له، بل وينقلب عليهم، وهذا ما عاناه البهاء عندما هجا المرأة ومن الأمثال التي ساقها أيضا قوله:

على مثلها يبكي المحب صبابة فيا مقلتي لا عطر بعد عروس [٣٦]

يوضح الشاعر ما آلت إليه نفسه، وعواطفه بعد فقد محبوبته، التي تمتلك من مظاهر الفتنة، والعشق والصدق فيه ما يجعل أي إنسان يتمسك بها، فهي وفية بالعهد، محبة له، وقد لمس الشاعر فيها هذا كله، الأمر الذي جعله يتفطر حزنا على رحيلها، ويدرك أن مثل هذه المحبوبة ليس لها ثان، ومهما حاول العشق التسلي بغيرها فلن يجد مثلها، ولا يستطيع ملء فراغها في قلبه، وهو يتناص مع المثل العربي (لا عطر بعد عروس) يضرب لمن فقد عزيزا لا يستطيع أن يجد بديلا

عنه، فالبهاء لا يعوض فقد محبوبته[٢١].

وهكذا نري تفاعل النص البهائي مع النصوص التراثية في سبيل إنتاج الدلاله التي يريد الشاعر إيصالها إلى المتلقي، كاشفا عمّا بداخله إليه، متوسلا في سبيل الوصول إلى غايته بمزج نصوصه بالنصوص السابقة «فالنص الشعري ميدان للصراع والاقتتال، تتغير فيه هوية العناصر من خلال شبكة العلاقات التي تبرز أكثر النسق حيوية في البناء، ويقدر ذوبان الحدود، وتفاعل العناصر تتجلى الشعرية التي ينفتح النص على أبعاده الانهائية من خلالها»[٢٢].

وكما استخدم الشاعر الأمثال الفصيحة في إبراز رؤاه نحو ما حوله، وما يجيش بخاطره، وظّف أيضا نوعا آخر وهو:

الأمثال الشعبية:

وهي «القول الجاري على ألسنة الشعب الذي يتميز بطابع تعليمي وشكل أدبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المألوفة»[٢٣].

فالأمثال الشعبية تنبع من وسط الشعب، وتكون نتيجة مشاعر /تجارب تمر بها الناس في أثناء تفاعلهم مع أمور الحياة، وتتكون من خلال خبراتهم بها، كما أنها تصبح حكمة لمن يأتي بعدهم، فتصبح هذه الأمثال ذات طابع تعليمي، وهي «نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه، ولا تكاد تخلو أمة منها، وميزة الأمثال الشعبية أنها تنبع من كل طبقات الشعب، وهي في ذلك ليست كالشعر والنثر الفني فإنهما لا ينبعان إلا من الطبقة الأرستقراطية في الأدب»[٢٤].

إذن هي تمثل صدى لصوت وأحاسيس الجماعة، ولا يرتبط المثل الشعبي بقائله ولا نعثر عليه وحين يوظف الشاعر هذه الأمثال فإنما يعبر عن حالة نفسية معينة إلى جانب إعلانه عن روح الجماعة التي ينتمي إليها لذلك تعتبر «التعابير الجارية على ألسنة الناس من ظواهر الأسلوب في الشعر المصري، ونراها واضحة عند البهاء زهير، ومن سار على نهجه من أصحاب مدرسة الرقة»[٢٥].

ومن أمثلة ذلك يقول البهاء:

وكم قلت ولكن أين من يسمع أو يدري [٢٦].

يتحدث الشاعر عن إنسان تناوله بالنصح والإرشاد، وكيف أنه أراد توجيهه نحو الصواب؛ ولكن الرجل لم يسمع لنصحه وكلامه، وذهبت نصائحه أدراج الرياح، وعبثا حاول الشاعر إقناعه بها، فكان المنصوح في حالة جامدة لا يكاد يتقبل نصحه، أو يسمع إلى أحد، وهو يتناص مع قول المثل «نصحتك ولكن من يسمع أو يدري» وهذا المثل كناية عن عدم الإصغاء للنصح جهلا وتكبرا.

وفي موضع آخر يقول:

إياك يدري حديثا بيننا أحد فهم يقولون للحيطان آذان [٢٦].

يوجه الشاعر حديثه إلى مخاطبه محذرا إياه بألا يتكلم لأحد بما حدث بينه وبين الشاعر، حتي لا يصير هذا الكلام سائرا يتلي بين الناس، وتلوكه الألسنة باعتبار أن هذا الخطاب من الأهمية بمكان، بدليل استخدام كلمة إياك التي تفيد التحذير الشديد، وهو يتناص مع المثل الشعبي «الحيطان لها ودان» فقد بالغ في شدة التكتم والحرص، حتى جعل الحيطان لها آذان فيجب الاحتراس مما حوله، حتى لا يذاع أمره بين الناس، ولا يتدخل الواشون لإفساد العلاقات بينهما.

وكما نري أن «البهاء» يخاطبنا بصيغ قريبة من صيغ الحياة اليومية لعصره، إن لم تكن هي نفس هذه الصيغ التي لا تزال تعيش في عاميتنا، وفي ذلك دليل واضح على تمثل الشعر العربي للروح المصرية تمثلا دقيقا، وأنه سعي جاهدا ليلتصق بألسنة المصريين، وليصبح الترجمان الطبيعي لكل ما يخالجهم من عواطف، ومشاعر، وأهواء متباينة[٢٧].

وفي سياق آخر يقول:

من لي بنوم أشكو السهاد له فهم يقولون إن النوم سلطان [٢٨].

يشكو الشاعر حالة السهاد واليقظة وعدم النوم من جراء ما حدث له من عشق وهيام أسلمه إلى القلق والسهد المتواصل، ويتمني أن يجد النوم ليخفف من نفسه تباريح العشق، ويشكو إليه ما وجده من السهاد، وهنا نراه يستخدم كلمة سلطان للنوم؛ حتى يرفع إليه شكواه، وهو يتناص مع المثل«النوم سلطان»أي أنه يحكم على الإنسان بالاستكانة إلى الدعة و الراحة.

وفي مكان آخر يصف تفانيه في خدمة الممدوح فيقول:

لأجلك سعيي واجتهادي وخدمتي ويا ليت هذا كله فيك يثمر [٢٩].

يؤكد الشاعر في هذا السياق على مدي تفانيه وإخلاصه في خدمة الممدوح، فقد بذل له سعيه وأعطاه من كسبه، واجتهد في سبيل إرضائه، والقيام على خدمته والسهر عليها، وكان من المتوقع بعد هذا كله أن يري ردا لهذا المعروف، ولكن ذلك لم يكن، فيتمني أن يدرك المخاطب /الممدوح ما فعله له الشاعر، وهذا يتناص مع قول المثل«يا ريت كله يتمر فيك»وفيه حث على رد الجميل فضلا عن الاعتراف به، وأن توجد نتيجة أو فائدة منه.

وفي سياق آخر يعترف بفضل الممدوح قائلا:

حق علي وواجب لك أنني أمشي على عيني إليك وراسي [٣٠].

لا ينكر الشاعر قدر الممدوح، ويرفعه إلى درجة الاحترام، ويعترف أن له حقا واجبا عليه، وهو / البهاء على أتم الاستعداد أن يؤدي هذا الواجب، ويمشي إليه على عينه ورأسه وفي هذا دلالة قوية على مدي حرصه على أداء الواجب للممدوح،وهو يتناص مع المثل القائل «أمشيلك على عيني ورأسي».

مما سبق نتبين أن البهاء قد استخدم المعاني التي سبقته ليظهر من خلالها أحاسيسه ومشاعره وذلك في أسلوب حسن أبرز البهاء من خلاله مقدرته الفائقة في توظيفها «وإذا تناول الشاعر المعاني التي قد سبق إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يُعب بل وجب له فضل لطفه وإحسانه فيه... ويحتاج من سلك هذه السبيل إلى إلطاف الحيلة، وتدقيق النظر في تناول المعاني واستعارتها وتلبيسها»[٢١].

وكثيرة هي الأمثلة التي ساقها البهاء في خطابه الشعري، والتي تدل على سعة اطلاعه، وتأثره القوي بالبيئة وألفاظها، كما أنه نفض الغبار عن الألفاظ العاميه/ الأمثال الشعبية فغدت براقة «فالابتكار الأدبي أن يتناول الأديب الفكرة التي قد تكون مألوفة للناس، فيسكب فيها من خياله وعاطفته وفنه ما يجعلها تنقلب خلقا جديدا يبهر العين، ويدهش العقل، أو أن يعالج الموضوع الذي كاد يبلى بين أصابع السابقين من طول تداول استعماله فإذا هو يضئ بين يديه بروح من عنده»[٢٢].

نتائج البحث

تعرضت في هذا البحث لدراسة التناص عند البهاء زهير، ولم أدخل في مرادف المفاهيم عند التعرض لمفهوم التناص لكثرتها وتشابك المصطلحات، ثم عرضت لأشكال التناص عند البهاء وهي: التناص الديني والتناص الشعري، والتناص مع الأمثال الفصيحة والشعبية، ورأينا كيف استفاد من تراث السابقين، ومهارته في أخذ ما يتناسب وحالاته النفسية، وما يناسب تجربته، وجاءت النتائج كالآتي:

١- يعد التناص مدخلا مهما لفهم الخطاب الشعري لدي الشاعر، حيث يعكس أبعاد ثقافته، ومدى قدرته على الانتفاع بها.

٢- تناص الشاعر مع المصادر الدينية يؤكد عمق وأصالة تجربته الشعرية.

٣- تناص الشاعر مع التراث الشعري يعكس مدي كثرة الاطلاع الواسع، وتلوين تجاربه بما يتناسب مع أشعارهم.

٤- توظيف الأمثال بنوعيها يؤكد اختلاط البهاء بالوجدان الجمعي، وعدم انفصاله عن الجماعة المحيطة به، وتأثره بلغتهم.

هوامش البحث

×- البهاء زهير هو:أبو الفضل محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن منصور بن هاشم المهلبي العتكي الملقب بهاء الدين الكاتب، من فضلاء عصره، اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، وانتقل معه حيث رحل، ولد بمكة المكرمة في الخامس من ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وتوفي يوم الأحد في الرابع من ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة، ودفن بالقرافة الصغرى بالقرب من قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه -مقدمة الديوان ص ٢ دار صادر بيروت.

١ - د/ رجاء عيد، لغة الشعر دراسة نقدية ص ١٣٧ ط منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٧٩م

٢ - د/ علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ص٧ ط دار الفكر العربي القاهرة ١٩٩٧م

٣ - د/محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ط المركز الثقافي العربي ط٣، ١٩٩٢م

٤ - د/ عبد الحميد إبراهيم، نقاد الحداثة وموت القارئ ص٩٨، نادي القصيم الأدبي، بريدة، السعودية ١٤١٥هـ.

٥ - د/عوض القباري، مقدمة ديوان ابن سناء الملك، تحقيق د/محمد إبراهيم نصر، مراجعة د/حسين نصار ص ق، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر ع ٩١ سنة ٢٠٠٢.

٦ - رولان بارت، أطلق التناسبية، المفهوم والمنظور ص١٤ ترجمة وتقديم محمد خير البقاعي، ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٨م

٧ - د/عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري ص١٤٨، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع و الإعلان ليبيا ط١ ١٩٨٠م

٨ - د/محمد فتوح أحمد، واقع القصيدة العربية ص١٥٠، ط ١ دار المعارف القاهرة ١٩٨٤م

٩ - د/عبد السلام المساوي، الموت من منظور الذات، مجلة عالم الفكر ص ١١٦ مجلد ٣٥ ع ١أبريل ويونيو ط المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ٢٠٠٧م

١٠ - د/ربيع عبد العزيز، ثقافة الشاعر دراسة في تراثنا النقدي ص٨٢، ط دار الفتح للنشر والتوزيع، الفيوم ط١ د.ت

١١ - ديوان البهاء زهير، ص١٧، ط دار صادر، بيروت ١٩٨٢م

١٢ - المائدة، ١١٦

١٣ - الزمر، ٥٤

١٤ - ديوان البهاء زهير ص١٣٩

١٥ - يوسف، ١١١

١٦ - الديوان ص ١٢٧

١٧ - طه، ١٢

١٨ - الديوان، ٢١٨

١٩ - الشعراء، ٢٢٤/٢٢٥

٢٠ - الديوان، ١٩٩

٢١ - القصص، ٧

٢٢ - القصص /١٢

٢٣ - الديوان ص١٩٤

٢٤ - إبراهيم /٣٧

٢٥ - الديوان ص٢٧٢

٢٦ – المائدة /٣٦

٢٧ – الديوان ص ٢٣٤

٢٨ – الرحمن /١٩

٢٩ – د/ عزه جدوع، البديع دراسة في البنية والدلالة ص١٤٢، مكتبة الرشد ناشرون ط١ ٢٠٠٨م

٣٠ – الديوان ص ٢٢

٣١ – سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، كتاب الزهد، باب التوكل على الله ٤/٥٧٣ حديث رقم ٢٣٤٤، تحقيق أحمد شاكر وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ

٣٢ – الديوان ص ١٦٩

٣٣ – صحيح مسلم، للإمام مسلم، كتاب الحدود ٥/١٨٨ حديث رقم ٤٤٢٤، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث، بيروت

٣٤ – الديوان ص١٨٩

٣٥ – صحيح البخاري، للبخاري، المطبوع مع فتح الباري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت

٣٦ – د/مدحت الجيار، الشاعر والتراث ص١٥٣ ط الهيئة العامة المصرية للكتاب ٢٠٠٦م

٣٧ – الديوان ص ٢٤٨

٣٨ – ديوان العباس بن الأحنف ص ٦ تحقيق د/عاتكة الخزرجي ط دار الكتب المصرية ١٩٥٤

٣٩ – الديوان ٢٧٠

٤٠ – ديوان مجنون ليلى ص٢٢٨ تحقيق عبد الستار أحمد فرج ط نهضة مصر د.ت

٤١ – الديوان ص٢٨٥

٤٢ – ديوان ذي الرمه ص١٥٩ تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥م

٤٣ – د/علي عشري زايد، بناء القصيدة العربية الحديثة ص٩٩ مكتبة النصر ط٣، ١٩٩٣ م

٤٤ – الديوان ص٢٥١

٤٥ – ديوان جميل بن معمر ص١٩٥، جمع وتحقيق ودراسة د/حسين نصار، دار نهضة مصر للطباعة د.ت

٤٦ – الديوان ص ٣٧١

٤٧ – ديوان مجنون ليلى ص ٢٢٩

٤٨ – الديوان ص ٢٧٢

٤٩ – ديوان جميل بن معمر ص ١٠١

٥٠ – الديوان ص ٢٤٨

٥١ – ديوان ابن زيدون ص٦ تحقيق كامل الكيلاني، عبد الرحمن خليفة ط مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٢

٥٢ – د/محمد صالح الشنطي، في الأدب العربي القديم ص ٢٤١ ط دار الأندلس للنشر و التوزيع ط٤، ٢٠٠٥

٥٣ – الديوان ص ٢٦٩

٥٤ – د/عبد السلام العشري، المنتخب من أدب العرب، مثل، قصة، ومضرب ص١٣٢ط نهضة مصر د.ت وقصة المثل هي:خرج فاتك من بني كلاب يسمي حصين بن عمرو، فالتقي بفاتك آخر من بني جهينة يسمي الأخنس، وتعاهدا على العمل معا، وألا يلقيا أحد إلا سلبا ما معه، وكان كل منهما يحذر صاحبه، وبينما هما سائران يترقبان الفريسة، لقيا رجلا فسلبا ما معه، فقال لهما:هل أدلكما على مغنم وتردان ما أخذتما فقالا:نعم فقال إن رجلا من لخم قد قدم من عند بعض الملوك بمغنم كثير، وهو خلفي في موضع كذا فردا عليه بعض ماله، وطلبا اللحمي، فوجداه نازلا في ظل شجرة، وأمامه طعام وشراب، فحييا وحياهما، ونزلا فأكلا وشربا معه، وذهب الأخنس لبعض شأنه ثم عاد

فوجد حصينا قد قتل اللخمي، ورأى في وجهه الغدر، فقال له: ويحك أقتلت رجلا أكلنا طعامه وشربنا له؟ فقال له حصين: اقعد يا أخا جهينة فما خرجنا إلا لهذا وأمثاله، ثم أخذا يتحدثان ساعة، فانتهز الجهني فرصة من حصين فقتله، وأخذ متاعه ومتاع اللخمي، وانصرف عائدا إلى قومه. وبينما ذلك الجهني يسير مر ببطن من قيس يقال لهم مراح وأنمار، فوجد امرأة تبحث عن الحصين فقال: من أنت؟ قالت: أنا صخرة امرأة الحصين قال: أنا قتلته، قالت: كذبت ما مثلك يقتل مثله، فانصرف قائلا:

كصخرة إذ تسائل في مراح وأنمار وعندهما طعـــون
تسائل عن حصين كل ركب وعند جهينة الخبر اليقـــين

٥٥ – الديوان ص٢١٦

٥٦ – مجمع الأمثال، للميداني ص ١٦٧ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار الكتب المصرية د٠ت وقصة المثل: يروي أن كعب بن مامه خرج في ركب فيهم رجل من النمر بن قاسط، فضلوا الطريق، فتصافقوا ما معهم وهو أن يطرح في القعب حصاة، ثم يصب فيه الماء بقدر ما يغمر الحصاة، وتلك الحصاة في الثلة فيشرب كل إنسان بقدر واحد، فتعمدوا الشراب فلما دار القعب وانتهى إلى كعب أبصر النمري يحد النظر إليه، فأثره بمائه، وقال: للساقي اسق أخاك النمري، وكرر هذا العمل في اليوم الثاني، فعجز عن النهوض بسبب شدة الإعياء، وكانوا قد قاربوا الماء، فلم يستطع السير، فلما يئسوا منه جعلوا عليه ثوبا يمنعه من الذئاب، وتركوه مكانه فمات، فقال أبوه يرثيه:

ما كان من سوءة أسقي على ظمأ خمرا بماء إذا ناجودها بردا
من ابن مامه كعب حين عيّ به ذو التيـــة إلا حســـرة وقـــدا
أوفى على الماء كعـــب ثم قيـل له رد كعب إنك وارد فمـا وردا

٥٧ – الديوان ص ١١٤

٥٨ – د/عبد السلام العشري المنتخب من أشعار العرب ص ١٨٣/ ١٨٤ وقصة المثل: قالوا: خرج جماعة من العرب إلى الصيد في يوم شديد الحر، فعرضت لهم ضبع فطاردوها، واستمروا يطاردونها حتى بلغت خباء إعرابي فاقتحمته، فخرج الإعرابي فرآها مجهدة في ذلك الحر الشديد وراي انها قد التجأت إليه مستجيرة، فصاح بالقوم ما شأنكم؟ قالوا: صيدنا وطريدتنا، فقال: إنها قد أصبحت في جواري، ولن تصلوا إليها ما ثبت قائم سيفي في يدي، فلما رأي القوم عزمه على حمايتها تركوه وعادوا، ورأي الإعرابي أن الضبع جائعة فاتجه إلى شاته فحلبها، وقدم للضبع اللبن والماء، فشربت حتي ارتدت إليها عافيتها واستراحت، وأقبل الليل فنام الإعرابي مطمئنا إلى ما صنع مع الضبع، لكن لم عامر نظرت إليه فوجدته قد نام فوثبت عليه، وبقرت بطنه، وشربت دمه، وتركته وسارت، وفي الصباح أقبل ابن عم له يطلبه فوجده قتيلا، فبحث عن الضبع فلم يجدها، فأخذ فرسه وكمانته وتبعها، ولم يزل حتي أدركها فقتلها ثم قال:

ومن يصنع المعروف في غير أهله يلاقي الذي لاقاه مجير أم عامر

٥٩ – الديوان ص ١٨٣

٦٠– د/ عبد السلام العشري ص١٧٥ وقصة المثل: قالوا: كانت امراة من بني عذرة يقال لها أسماء بنت عبد الله، وكان لها زوج من بني عمها يقال له عروس فماتت زوجها، فتزوجها رجل من غير قومها يقال له نوفل، وكان دميما، ولما أراد أن يرحل بها إلى قومه، استأذنته أن تقف على قبر ابن عمها وترثيه، فأذن لها فجعلت ترثيه وتبكيه معرضة بزوجها الجديد وذمامته، فتعجب الرجل وارتحل بها، وقد عرف ما تكنه له، ولاحظ الزوج عدم اهتمامها بنفسها كبقية النساء، ونظر فوجد عطرها مثاليا لاتهتم به، فصاح بها خذي عطرك، فقالت في أسف لاعطر بعد عروس.

٦١ – د/مصطفي السعدني، في الشاعر الشعري ص١١٦ ط منشأة المعارف الإسكندرية د٠ت

٦٢ – د/نبيله إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ص١٢٥ ط دار غريب د٠ت

٦٣ – د/أحمد سيد محمد، الشخصية المصرية في الأدبين الفاطمي والأيوبي ص٢٩٩ط ٢ دار المعارف ٩٢

٦٤ – د/أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد و التعابير المصرية ص ٦١ط٣ القاهرة ١٩٥٣م

٦٥ – د/شوقي ضيف، الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ص ١٧٣ ط دار المعارف د.ت

٦٦ – الديوان ص ١٤٣

٦٧ – الديوان ص ٢٤٧

٦٨ – الديوان ص ٢٤٧

٦٩ – الديوان ص ١٤٦

٧٠ – الديوان ص ١٢٧

٧١ – ابن طبا طبا العلوي، عيار الشعر تحقيق زغلول سلام ص٩١/٩٢ط نشأة المعارف الإسكندرية ١٩٨٠

٧٢ – د/ عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي ص ١٢٤ط دار النهضة العربية ط٢ ١٩٧٢م

المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

١ – ديوان البهاء زهير = دار صادر –بيروت

ثانيا: المراجع:

١ – القرآن الكريم

٢ – البخاري –صحيح البخاري –ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي –دار الفكر العربي د.ت

٣ – ابن زيدون –ديوان ابن زيدون –تحقيق كامل الكيلاني، عبد الرحمن خليفة ط عيسى البابي ١٩٣٢م

٤ – ابن طبا طبا العلوي – عيار الشعر –تحقيق محمد زغلول سلام – منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٨٠م

٥ – الترمذي – سنن الترمذي –تحقيق أحمد شاكر وأخرين –دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨

٦ – أحمد أمين –قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية –ط القاهرة ١٩٥٣م

٧ – د/ أحمد سيد أحمد –الشخصية المصرية في الأدبين الفاطمي والأيوبي ط دار المعارف ١٩٩٢م

٨ – د/ربيع عبد العزيز – ثقافة الشاعر دراسة في تراثنا النقدي ط دار الفتح للنشر و التوزيع –الفيوم د.ت

٩ – د/ رجاء عيد – لغة الشعر دراسة نقدية –ط منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٧٩م

١٠ – رولان بارت –أطلق التناصية –المفهوم والمنصور –ترجمة محمد خيري البقاعي الهيئة العامة للكتاب

١١ – د/شوقي ضيف –الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور –دار المعارف ط٢ د.ت

١٢ – العباس بن الأحنف –ديوان العباس بن الأحنف تحقيق د/عاتكه الخزرجي ط دار الكتب المصرية ١٩٥٤

١٣ – د/عبد الحميد إبراهيم –نقاد الحداثة وموت القارئ –ط نادي القصيم الأدبي –بريده –السعودية ١٤١٥

١٤ – د/عبد السلام العشري –المنتخب من أمثال العرب – مثل وقصة ومضرب ط نهضة مصر د.ت

١٥ – د/عدنان حسين قاسم – التصوير الشعري –ط المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان ليبيا ١٩٨٠

١٦ – د/ عزه جدوع –البديع دراسة في البلية والدلالة ط مكتبة الرشد ناشرون ط١ ٢٠٠٨

١٧ – د/ علي عشري زايد – استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي الحديث –دار الفكر العربي ٩٧

١٨ – د/ عوض الغباري – مقدمة ديوان ابن سناء الملك تحقيق د/محمد نصر إبراهيم –سلسة الذخائر ع ٩١ ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٣م

١٩ – د/ محمد فتوح أحمد –واقع القصيدة العربية ط دار المعارف ١٩٨٤م

٢٠ – د/ محمد مفتاح – تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص ط المركز الثقافي العربي ١٩٩٢م
٢١ – مجنون ليلى – ديوان مجنون ليلى – تحقيق عبد الستار فراج ط نهضة مصر د.ت
٢٢ – د/ مدحت الجيار – الشاعر والتراث ط الهيئة العامة المصرية للكتاب ٢٠٠٦م
٢٣ – د/ مصطفى السعدني – في التناص الشعري – ط منشأة المعارف الإسكندرية د.ت
٢٤ – الميداني – مجمع الأمثال تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار الكتب المصرية د.ت
٢٥ – د/ نبيلة إبراهيم – أشكال التعبير في الأدب الشعبي ط دار غريب د.ت

furthermore, one aspect of the preeminence of the GT, i.e., its text is unsophisticated for the unworldly reader and rather enigmatic for the sophisticated investigator. To accomplish a better interpretation of the GT, the paper demonstrates that its text has to be approached holistically, i.e., by disentangling and reclassifying vital ingredients of pragmatics, discourse, and text, three different but complementary dimensions of linguistic description.

6. Conclusion

This paper argues for the polysemy of *sa'ala* "ask" in terms of substantiating nine pragmatic functions some of which are proven central, i.e., *talab* "request or R ASK," *'istifsār* "enquiry or Q ASK" and *muḥāsaba* "interrogation or I ASK;" while others are peripheral, i.e., *'istifzāz* "aggravation," *'ijmi'nān* "concern about well-being," *tawbīkh* "reproach," *tabkīt* "rebuke," *taqrīr* "attestation," and *dhi'ā'* "prayer." Other syntactic evidence is pursued to strengthen the argument for the triliteral division of the cognitive functions of "ASK" to parallel its three central, pragmatic functions. Such evidence incorporates the lexicosyntactic frames associated with each pragmatic function, its prepositional phrases, its modes of reference, the distribution of "passive ASK" in the GT, and all the nominal derivatives of *sa'ala* "ask."

This argument leads to the conclusion that *sa'ala* "ask" has a wide spectrum of interpretations, i.e., it ranges over a variety of cognitive interpretations, including questions, each conforming to a common-knowledge base in its particular way. All of the "ASK" senses present a question where *presew* simply means 'utter or formulate,' and 'question' entails not only any interrogative form but also any construction incorporating an 'unknown quantity' (Lyons 1977:757).[50] My basic premises stem from cognitive grammar, viz, that a semantic structure parallels an established conceptual structure; and that the interpretation of a contextualized expression can be defined in relation to some 'knowledge system' (Langacker 1984:173).[51] This knowledge system relevant to the GT derives from examining a speaker's intention, a hearer's expectation and the context of situation. It has been crucial, therefore, to present not only the conceptual complexes associated with each variant of Qur'ānic *sa'ala* "ask" but also the schematic network that combines them all as well as other related verbs in a single cognitive entity. The paper presents new linguistic evidence that the GT is indeed a stimulating corpus of investigation for the contemporary linguist and that it is an inexhaustible treasury that contributes to our understanding of human language. It displays,

[50] Lyons, J. Semantics (Vol. 2). Cambridge: Cambridge University Press, 1977.
[51] Langacker, R. "Active zones." In Proceedings of the Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society, 10:172-188, 1984.

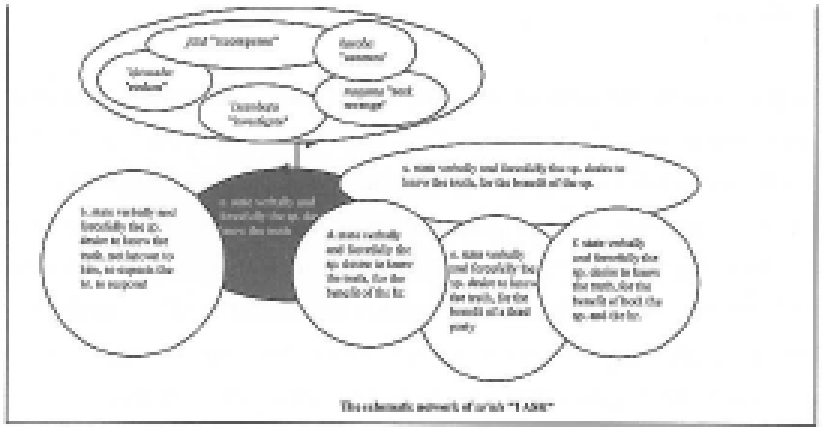

Diagram 4: Schematic network of Qur'ānic *sa'ala* "ASK"

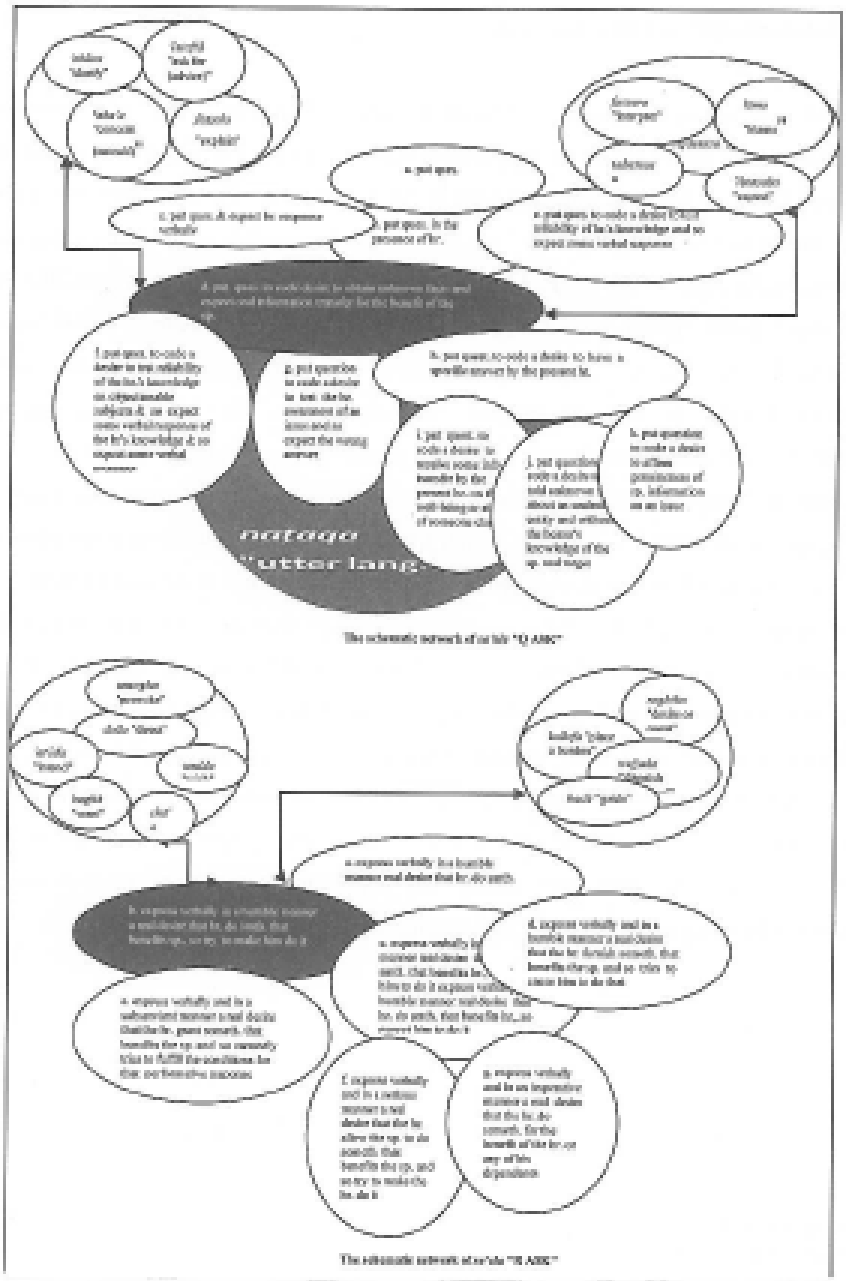

The schematic network of se'ala "Q ASK"

The schematic network of se'ala "H ASK"

5.4 Schematic network of *sa'ala* "ask"

Now that the conceptual structures of the three versions of Qur'ānic *sa'ala* "ASK" have been formulated, one has to provide the neighboring verbs of each version, i.e., other domains into which "ASK," by means of linguistic abstraction, extends. For "Q ASK," they are *'istafā* "ask for advice," *tafassasa* "enquire," *tajassasa* "spy," *fassara* "interpret," *faṣṣala* "explain," *'abāna* "make clear," *lāma* "blame," *'iftaraba* "expect" and *ʿaba'a* "concern (oneself)." For "R ASK," *'arāda* "intend," *shā'a* "will," *waddda* "wish," *nazagha* "provoke," *baghā* "want," *raghiba* "desire or quest," *dalla* "direct," *wajjaha* "dispatch (someone)" or *hadā* "guide." And for "I ASK," *'istanbaṭa* "investigate," *'iḥtasaba* "reckon," *jāzā* "recompense," *naqama* "seek revenge," and *kataba* "account." Before presenting the schematic network of "ASK" variants and their neighboring domains, here is a theoretical clarification. According to Langacker (1987:371),[88] a schema is 'an integrated structure that embodies the commonality of its members which are conceptions of greater specificity and detail that elaborate the schema in contrasting ways.' The schematic network representation reflects the hierarchical organization of its members (Langacker 1987:378ff & 1988).[89] While the illustrations always incorporate the content of their schema, they may also include concepts to which the schema makes no reference whatsoever. In other words, a schema may generalize only over a part of the content of its instances. Finally, adopting a schema as such, one has to expect that in some cases of "ASK" the distinction between "R ASK," and "Q ASK," or those between "Q ASK" and "I ASK," have been neutralized—a particularly significant observation that explains why subcategory discreteness is impossible.

[88] Langacker (1987:371.
[89] *Ibid* 378ff & 1988.

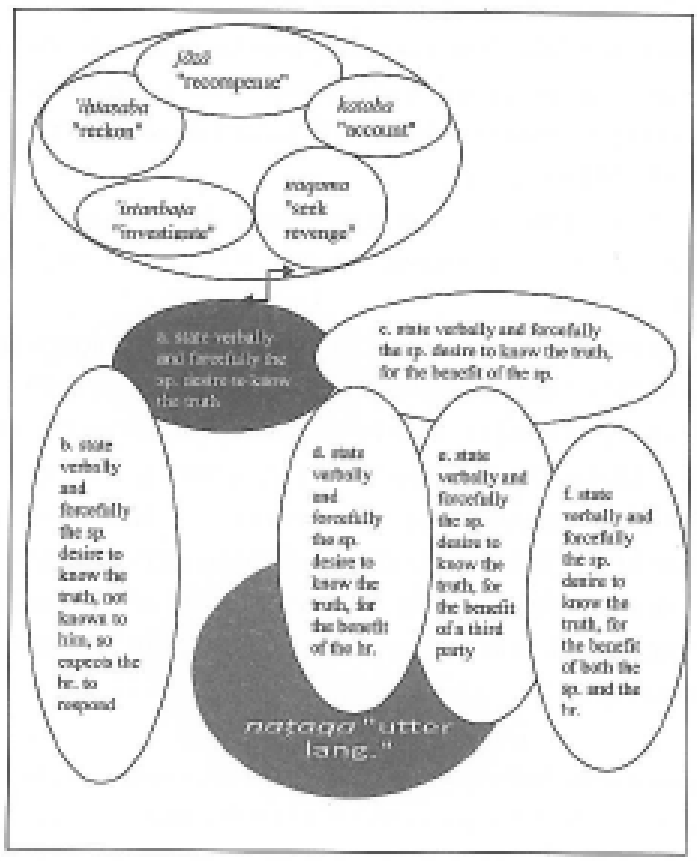

Diagram 3: A schematic network of *sa'ala* "I ASK"

5.3 *muḥāsaba* "interrogation (I ASK)"

The various contexts where *sa'ala* "I ASK" comes about substantiate that the distinctive feature of this subcategory is indivisibility and that its core meaning is meticulous and comprehensive investigation through intensive questioning. Consequently, the following are conceptual structures associated with the subcategory "I ASK," as demonstrated here.

a. STATE VERBALLY AND FORCEFULLY THE SPEAKER'S DESIRE TO KNOW THE TRUTH (e.g., 15:92)

b. STATE VERBALLY AND FORCEFULLY THE SPEAKER'S DESIRE TO KNOW THE TRUTH, NOT KNOWN TO HIM, SO EXPECTS THE HEARER TO RESPOND (e.g., 102:8)

c. STATE VERBALLY AND FORCEFULLY THE SPEAKER'S DESIRE TO KNOW THE TRUTH, FOR THE BENEFIT OF THE SPEAKER (e.g., 29:13)

d. STATE VERBALLY AND FORCEFULLY THE SPEAKER'S DESIRE TO KNOW THE TRUTH, FOR THE BENEFIT OF THE HEARER (e.g., 16:93)

e. STATE VERBALLY AND FORCEFULLY THE SPEAKER'S DESIRE TO KNOW THE TRUTH, FOR THE BENEFIT OF A THIRD PARTY (e.g., 33:8)

f. STATE VERBALLY AND FORCEFULLY THE SPEAKER'S DESIRE TO KNOW THE TRUTH, FOR THE BENEFIT OF BOTH THE SPEAKER AND THE HEARER (e.g., 43:44)

An examination of the data as well as conventional Qur'ānic interpretations (*al-Zamakhshari* 1987,[83] *al-Alūsi* 1978,[84] & *al-Mahalli & al-Siyuti* 1280H)[85]) and concordances (*Abdul-Baqi* 1986[86] & Kassis 1983[87]) points to the prototypicality of structure a. to represent "I ASK." Here is a schematic network of *sa'ala* "I ASK."

[83] *al-Zamakhshari.*
[84] *al-Alūsi.*
[85] *al-Mahalli & al-Siyuti.*
[86] *Abdul-Baqi.*
[87] Kassis.

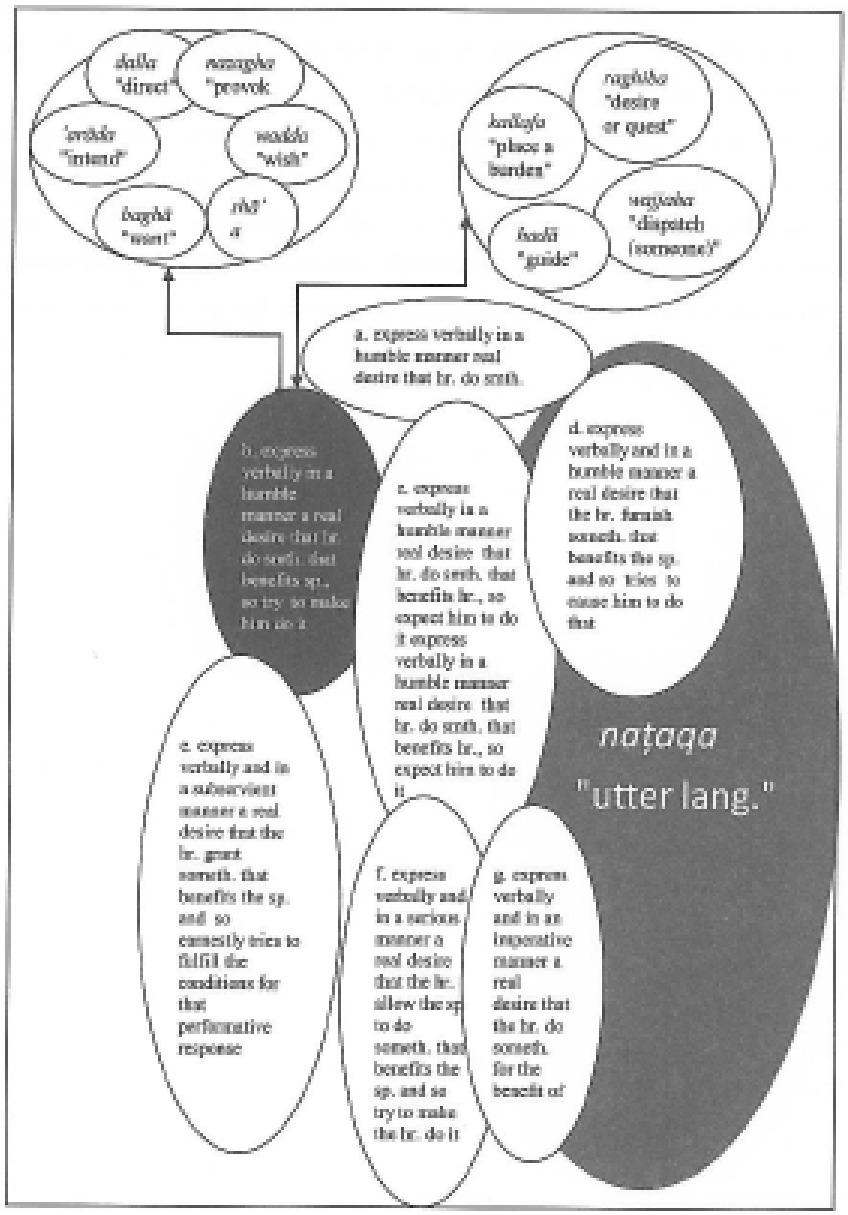

Diagram 2: A schematic network of *sa'ala* "R ASK"

G. EXPRESS VERBALLY AND IN AN IMPERATIVE MANNER A REAL DESIRE THAT THE HEARER DO SOMETHING FOR THE BENEFIT OF THE HEARER OR ANY OF HIS DEPENDENTS (e.g., 7:6)

These conceptual complexes manifest various structures of the same conceptual network, the central link of which is b. They all reveal an inferred desire or wish, a feature that makes "R ASK" and its variants the more preferred to verbs like Qur'ānic equivalents "intend," "desire," etc. (see below). Because of their implicit courteousness, they presume some sort of compliance on the part of the hearer. Diagram 2 presents a schematic network of *sa'ala* "R ASK."

5.2 *ṭalab* "request (R ASK)"

The basic ingredient of *ṭalab* "request (R ASK)" is the speaker's utterance of a desire that someone do something, which reveals that other peripheral pragmatic functions possess the same component, i.e., *ʾistiʿjāz* "aggravation (R)," *tawbīkh* "reproach (R)," *tabkīt* "rebuke (R)" and *duʿāʾ* "prayer (R)." Each variation reflects a speaker's desire to have the hearer reveal irritation as in *ʾistiʿjāz* "aggravation," feel disfavored *tawbīkh* "reproach," feel boycotted *tabkīt* "rebuke," and extend help *duʿāʾ* "prayer." Here are some proposed conceptual structures that seem associated with the subcategory "R ASK" as revealed in the data of investigation.

A. EXPRESS VERBALLY AND IN A HUMBLE MANNER A REAL DESIRE THAT THE HEARER DO SOMETHING (e.g., 2:273)

B. EXPRESS VERBALLY AND IN A HUMBLE MANNER A REAL DESIRE THAT THE HEARER DO SOMETHING THAT BENEFITS THE SPEAKER AND SO TRY TO MAKE HIM DO IT (e.g., 33:53)

C. EXPRESS VERBALLY AND IN A HUMBLE MANNER A REAL DESIRE THAT THE HEARER DO SOMETHING THAT BENEFITS THE HEARER AND SO EXPECT HIM TO DO IT (e.g., 4:153)

D. EXPRESS VERBALLY AND IN A HUMBLE MANNER A REAL DESIRE THAT THE HEARER FURNISH SOMETHING THAT BENEFITS THE SPEAKER AND SO TRIES TO CAUSE HIM TO DO THAT (e.g., 20:132)

E. EXPRESS VERBALLY AND IN A SUBSERVIENT MANNER A REAL DESIRE THAT THE HEARER GRANT SOMETHING THAT BENEFITS THE SPEAKER AND SO EARNESTLY TRIES TO FULFILL THE CONDITIONS FOR THAT PERFORMATIVE RESPONSE (e.g., 4:32)

F. EXPRESS VERBALLY AND IN A SERIOUS MANNER A REAL DESIRE THAT THE HEARER ALLOW THE SPEAKER TO DO SOMETHING THAT BENEFITS THE SPEAKER AND SO TRY TO MAKE THE HEARER DO IT (e.g., 21:7)

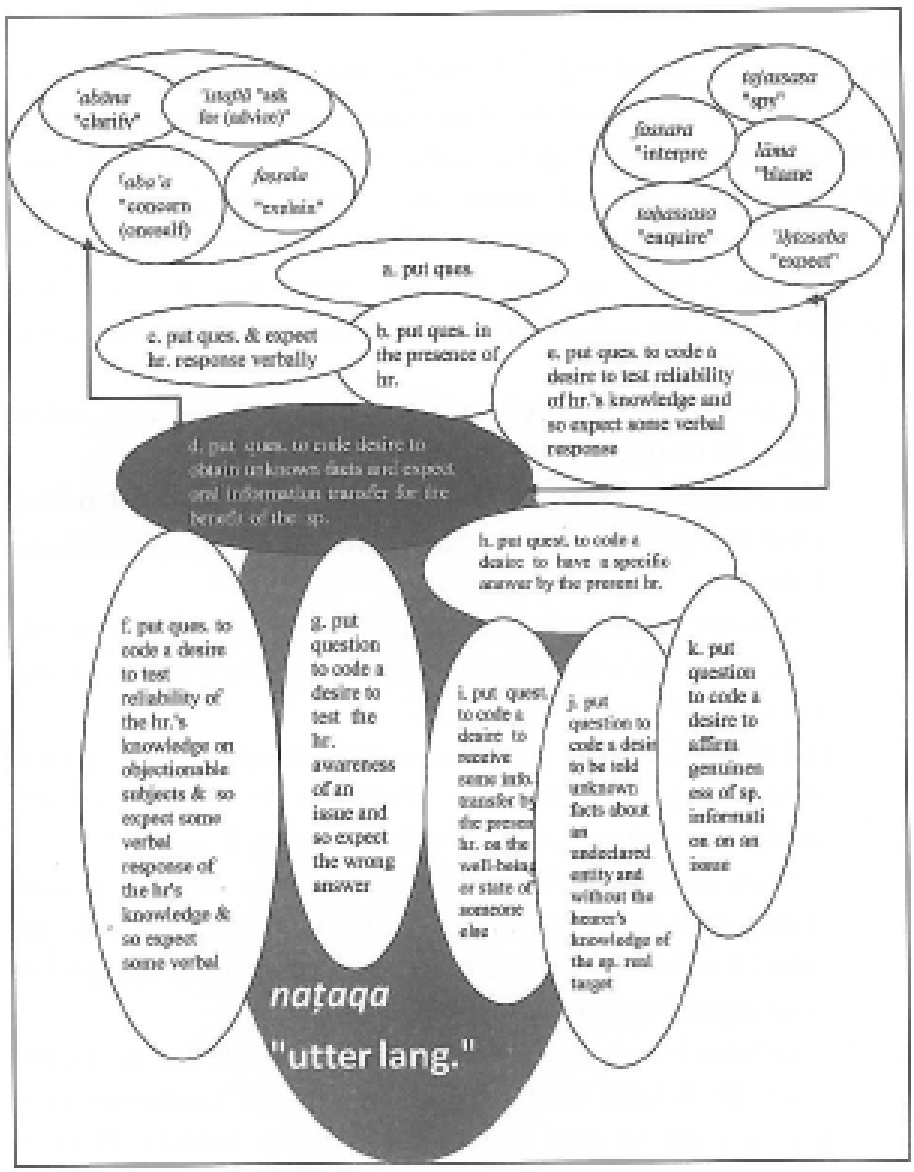

Diagram 1: A schematic network of *sa'ala* "Q ASK"

H. PUT QUESTION TO CODE A DESIRE TO HAVE A SPECIFIC ANSWER BY THE PRESENT HEARER (e.g., 29:63)

I. PUT QUESTION TO CODE A DESIRE TO RECEIVE SOME INFORMATION TRANSFER BY THE PRESENT HEARER ON THE WELL-BEING OR STATE OF SOMEONE ELSE (e.g., 52:25)

J. PUT QUESTION TO CODE A DESIRE TO BE TOLD UNKNOWN FACTS ABOUT AN UNDECLARED ENTITY AND WITHOUT THE HEARER'S KNOWLEDGE OF THE SPEAKER'S REAL TARGET (e.g., 33:20)

K. PUT QUESTION TO CODE A DESIRE TO AFFIRM GENUINENESS OF SPEAKER'S INFORMATION ON AN ISSUE (e.g., 12:50)

It is manifest that the decontextualized nature of the d. structure (in bold face) makes it the central meaning of *sa'ala* "Q ASK," i.e., the optimal structure for the (sub)category's "identification in being neither too general nor too specific" (Rudzka-Ostyn 1989:653).[83] Some structures are also more elaborate than others. For instance, the speaker wants to secure a specific answer in h., or a personal piece of information in i. which the hearer has to provide. They all seem, however, to represent conceptual entities that link up with one another. Diagram 1 presents a schematic network in which all the "Q ASK" variations are combined.

[83] Rudzka-Ostyn 653.

5.1 The conceptual structures of *'istifsār* "enquiry (Q ASK)"

The present assessment of the central pragmatic function *'istifsār* "information-seeking" reveals that other peripheral ones are various manifestations that code the speaker's desire to get information in a certain direction: *'ihtimā'nān* "concern about well-being" on state , e.g., (23:101) and (28:66); *taqrīr* "attestation" prejudiced information, (7:6) and (10:94); *istiʿāqāb* "consternation" justifying mysterious aspects, (74:40); *tasāwun* "accountability," arguing about the culpability of a predicament, (37:27); and, *tasādhdhuth* "ecstasy" to demonstrate the delight of chatting, (37:50) and (52:25). Consequently, all these versions of "Q ASK," whether central or tangential, have a common conceptual denominator; i.e., they all mean 'put question.' With these proliferations, here is a systematic representation of their conceptual structures.[11]

A. PUT QUESTION (e.g., 5:102)

B. PUT QUESTION IN THE PRESENCE OF THE HEARER (e.g., 18:76)

C. PUT QUESTION AND EXPECT THE HEARER TO RESPOND VERBALLY (e.g., 2:186)

D. PUT QUESTION TO CODE A DESIRE TO OBTAIN UNKNOWN FACTS AND EXPECT ORAL INFORMATION TRANSFER FOR THE BENEFIT OF THE SPEAKER (e.g., 2:219)

E. PUT QUESTION TO CODE A DESIRE TO TEST RELIABILITY OF THE HEARER'S KNOWLEDGE AND SO EXPECT SOME VERBAL RESPONSE (e.g., 18:83)

F. PUT QUESTION TO CODE A DESIRE TO TEST RELIABILITY OF THE HEARER'S KNOWLEDGE ON OBJECTIONABLE SUBJECTS AND SO EXPECT SOME VERBAL RESPONSE (e.g., 17:85)

G. PUT QUESTION TO CODE A DESIRE TO TEST THE HEARER'S AWARENESS OF AN ISSUE AND SO EXPECT THE WRONG ANSWER (e.g., 7:187)

[11] Bold face indicates the prototypical structure of the category.

or beggar," occurs four times in the singular (51:19), and (70:25), (93:10)[76] all referring to "the beggar," and (70:1), to the question originator. It is also cited thrice in the plural form (2:177) "beggars," (12:7) and (41:10) "those who seek either knowledge" (about the creation of the earth or the story of Joseph, respectively) in which case there is a "Q ASK," or crave the sustenance of the earth (*al-Zamakhshari* 1987, 4:188)[77] thus mark "R ASK." Fourth, *mas'ūl* "interrogatee or the person in charge of something (for which he could be questioned)," has four instances in the singular. (17:34) has both defensible interpretations: "I ASK," which means `Surely, for the covenant (you) will be interrogated;' or "R ASK" which reads `Surely, the covenant is required to be attained (by you)' (*al-Alūsī* 1978, 15:71).[78] (17:36) carries the interpretation "I ASK," (25:16) motivates the "R ASK" 'that has to be supplicated from God,' and (33:15) the "R ASK." There is also its plural form, *mas'ūlūn* "interrogatees" (37:24) whose contextual "for all their deeds and convictions" (*al-Alūsī* 1978, 23:80)[79] motivates the "I ASK." Accordingly, when the covenant is made by man, *mas'ūl* "interrogatee" has the implication of either "R ASK" or "I ASK;" and when it is made by God, the implication is "R ASK." Since the four nominal derivatives, evidently, display the triliteral division of "ASK" ("Q," "R" & "I"), each has to be treated as a discrete variant of "ASK."

5. The conceptual structures of Qur'ānic *sa'ala* "ask"

The argument that the Qur'ānic occurrences of *sa'ala* "ask" reveal three discrete cognitive functions parallel to "Q ASK," "R," and "I" suggests that "ASK" forms a complex category of senses some of which are more cognitively prominent than others. It is compelling now to organize the conceptual structures[80] associated with each version of "ASK," and to provide one schematic network of all of its versions.

[76] There is a strong tendency to interpret *'al-sā'il* "the beggar" in 93:10 as any "student seeking knowledge" (*al-Zamakhshari* 1987, 4:769).
[77] *al-Zamakhshari* 4:188.
[78] *al-Alūsī* 15:71.
[79] *Ibid* 23:80.
[80] I am following Rudzka-Ostyn's (1989:626) representation of these conceptual structures via whole phrases strung together.

Moreover, a survey of the distribution of the passive forms of "ASK" (*Abdul-Baqi* 1986[31] & Kassis 1983[32]) reveals that they reflect just the triliteral distribution of the cognitive functions of "ASK." A thorough investigation of the interpretation and context of situation of each verse that incorporates a "passive ASK" reveals some interesting facts. Of the nineteen Qur'ānic "passive ASK" forms, fourteen, (2:119, 134 & 141), (16:56 & 93), (21:13, 23 & 23), (29:13), (34:25 & 25), (43:19 & 44), and (102:8), have but one central understanding, viz "I ASK" the interpretation which creates compatibility among the speaker's intention, the hearer's expectation and the context of situation. In the four occurrences (2:108), (28:78), (55:39) and (81:8), the prominent implication is "Q ASK," without any expectation of a verbal response by the hearer. Finally, because (33:14) has one cognitive function, the "R ASK," "passive ASK" forms lend confirmation to the triliteral screening of the cognitive functions of "ASK."

Finally, the GT has four (*Abdul-Baqi* 1986[33] & Kassis 1983[34]) nominal derivatives of "ASK" that reflect semantic roles associated with grammatical functions in a sentence. These are appropriated over fourteen contexts distributed in such a manner that corresponds to the three-part division of the cognitive functions of "ASK." First, *su'l* "the object requested or petitioned" occurs only once in the singular form:

20:36 *'ūtī-ta su'la-ka yā mūsā*
pass give petition-your Oh Moses
"Moses! Thou art granted thy petition."

Moses' petition (20:29), i.e., "Āron's partnership in Moses' prophethood as a familiar' (*al-Alūssī* 1978, 16:186), motivates the "R ASK" interpretation. Second, *su'āl* "question, request or interrogation" occurs once in the singular form (38:24) where the "request" is meant to be the actual 'appendage of thy ewe to his sheep' (*al-Zamakhshari* 1987, 4:86),[35] therein producing the "R ASK" explanation. Third, *sā'il* "question, request or interrogation maker,

[31] *Abdul-Baqi, M. 'al-mu'jam 'al-mufahras li-'alfāzi 'al-qur'āni 'al-karīm* "an alphabetical dictionary of the lexical items of the Holy Qur'ān." Riyadh: *al-Fikr* Publishing House, 1986.
[32] Kassis, H. A Concordance of the Qur'ān. Los Angeles: University of California Press, 1983.
[33] *Abdul-Baqi.*
[34] Kassis.
[35] *al-Zamakhshari* 4:86.

(18:19), where the reflexive form CACáCACA (see above) is used. Finally, *bi* "with," a marker of *majāwaza* "transition" (*Udayma* 1972, 2:17),[66] is cited following an "R ASK" (4:1), a "Q ASK" (25:29) and an "I ASK" (70:1).

Modes of reference, i.e., ways the reporter uses "to relate his report to the primary speaker's utterance" (Rudzka-Ostyn 1989:616),[67] constitute another piece of support for the triliteral nature of the cognitive functions of "ASK." The three established modes of reference, i.e., direct, semi-direct and indirect (Rudzka-Ostyn 1989),[68] have been found to parallel the three central senses of "ASK" in the GT, "Q," "R" and "I," respectively. Because the selection "of a particular mode of reference is not unconstrained" (Rudzka-Ostyn 1989:616-17),[69] it is undeniably clear that the direct mode is the most dominant feature of many of the "Q" clauses mainly because it carries a particularly significant message, profound enough to reflect the reporter's close affinity to the speech situation. For instance, in (2:215 & 219), (5:4), (12:50), etc., "Q ASK" + direct question do manifest not only the speaker's candid request for information but also his anticipation of some kind of verbal response. The semi-direct mode, however, is mostly favored in "R ASK" clauses specifically because its clause undergoes a type of content reduction such that the entire proposition is actually condensed in one argument, most likely the direct or prepositional object. Thus, e.g., (2:61), (25:57), (52:40) and (68:46), because their focus is largely on the object requested rather than the informational element, the speaker's expectation is steered toward the hearer's performative response. Finally, the indirect mode seems to be most applicable in "I ASK" because it "captures the propositional content of a given utterance" (Rudzka-Ostyn 1989:616).[70] The illustrations of "I ASK" report on incontrovertible accomplishments, good and bad, e.g., "bliss" (102:8), 'evils' (2:134), "committed forgery," and (16:56) "erroneous testimony" (43:19). The speaker's interest is not in coding desire for information, as is "Q ASK;" nor is it in abbreviating his request in one word, as in "R ASK," but is in realizing the underlying motivation of any such deeds.

---

[66] *Udayma* 2:17.
[67] Rudzka-Ostyn 616.
[68] *Ibid.*
[69] *Ibid* 616-17.
[70] *Ibid* 616.

means of the preposition *ʿan* "for." It is contextually unexceptional for the former frame, with only four occurrences, to represent the common ground feature "I ASK" shares with the other meanings of "ASK," and for the latter with twelve occurrences to exemplify the individual feature that makes it a semantic entity of its own. This particular finding adds another piece of evidence to support a triliteral division of the central cognitive interconnections which endorse viable acts triggered by "ASK."

The distribution of prepositions in the data (Table 3), furthermore, strengthens the argument for the triliteral functioning of the "ASK" with three cognitive functions.

Prep	Syntactic Frame	Occurrences	Percentage
ʿan "about"	(1- V + NP + PP)	20	40 %
	(4- V + PP)	15	30 %
min "from"	(1- V + NP + PP)	11	22 %
bayna "among"	(1- V + NP + PP)	1	2 %
bi "with"	(1- V + NP + PP)	3	6 %
Total		**50**	**100 %**

DISTRIBUTION OF PREPOSITIONS WITH "ASK"

TABLE 3

Of all the prepositions after *saʾala* "ask," *ʿan* "about," a semantic marker of *mujāwaza* "transition" (*al-Zarkashi* (d. 794 H) 4:286)[60] which has the highest frequency, is associated mostly with "Q ASK" and, in a few instances, of "I ASK," e.g., (33:8) and (102:8) where no other interpretation is conceivable. Then, though *min* "from"[61] has a small number of instances, it is restricted in use to "R ASK." *Bayna* "among" occurs once with "I ASK"

[60] *al-Zarkashi*, *B.* (d. 794 H) *'al-burhān fi ʿulūm 'al-qur'ān* "Evidence on Qur'ānic [aspects of] knowledge" (4 Vols.), (Ed. *M. Ibrahim*). Cairo: *Ihya al-Kutub al-Arabiya* Publishing House, 19574, 4:286.

[61] *Min* "from" after "ask" in a "negative-ask" clause semantically 'emphasizes the generic meaning' (*al-Zarkashi*, 4:422-23) of its head noun.

taqrīr "attestation"	
Syntacti Structure	**Occurrences**
1- V + NP + PP	2
2- V + NP (IO)	3
5- V + NP + WH	1
subtotal =	6

du'a' "prayer"	
Syntactic Structure	**Occurrences**
1- V + NP + PP	2
2 V + NP (IO)	1
subtotal =	3

TABLE 2

"ASK" LEXICOSYNTACTIC FRAMES

This distribution reveals that, cross-categorically, clausal objects do not seem to have a place in any of the "ASK" frames. Nominal objects are favored by the "Q," "R" and "I," plus the six peripheral, versions of "ASK." The only joint frame among all the functions is 2 [V + NP]. Any "ASK," in its decontextualized function, can lexically combine with an indirect nominal object, which reflects a common ground the variants of "ASK" have to possess, namely 'put a question.' Intercategorically, for every pragmatic function, frame 1 has the highest frequency of occurrences, with its twelve illustrations, and is the most common with "Q;" frame 3, with sixteen occurrences, has the highest frequency with "R;" and frame 4, with twelve instances, appears mostly with "I." Moreover, for each pragmatic function, the syntactic frames are not the same: frames 1,2,4 and 5 are calculated with "Q;" 1, 2, 3 and 6 with "R;" and 2 and 4 with "I." "Q ASK" is the only function where a direct question is used, which correlates with its information-seeking constituent. Associated with "I ASK" are two frames: [V + NP], where the systematic interrogation attached with Doom's Day is implicated; and [V + PP], where unequivocal rudiments of investigation are revealed by

'iʃtiʃʕaːʕ "aggravation"	
Syntactic Structure	**Occurrences**
1- V + NP + PP	4
2- V + NP (IO)	4
3- V + NP + NP	1
subtotal =	**9**

'iʃmiʔmaːm "concern"	
Syntactic Structure	**Occurrences**
1- V + NP + PP	2
2- V + NP (IO)	6
subtotal =	**8**

tawbiːkh "berating"	
Syntactic Structure	**Occurrences**
1- V + P + PP	1
2- V + NP (IO)	2
3- V + NP + NP	
V + NP + WH	2
subtotal =	**6**

tabkiːt "rebuke"	
Syntactic Structure	**Occurrences**
2- V + NP (IO)	4
- V + NP + WH	1
subtotal =	**5**

talab "request" "R ASK"	
Syntactic Structure	**Occurrence**
1 + NP + PP	12
2- V + NP (IO)	3
3- V + NP + NP	16
6- V + NP (DO)	3
subtotal =	**34**

istifsār "enquiry" "Q ASK"	
Syntactic Structure	**Occurrences**
1- V + NP + PP	12
2- V + NP IO)	4
4- V + PP	5
5- V + NP WH	9
subtotal =	**30**

mufāsaba "interrgation" "I ASK"	
Syntactic Structure	**Occurrences**
2- V + NP (IO)	4
4- V + PP	10
subtotal =	**14**

Qur'ānic "ASK" frames not just "two central types of speech acts," i.e., cognitive interpretations, as is the case in English (Rudzka-Ostyn 1989:617),[61] but three: "Q ASK" concerns situations where the speaker's intention of questioning is associated with the hearer's verbal response; "R ASK" pertains to some circumstance where the speaker's intention is to request someone to perform/give something; and "I ASK" relates to settings where the speaker's intention is to get the addressee to confess a concealed fact to build a judicious statement. Accordingly, the three variants must be treated as distinct variants of "ASK." Because of the divine nature of the GT and the impossibility of making up utterances, this finding cannot undergo the only test proposed by Green (1969),[62] i.e., the applicability of the syntactic conjunction-reduction test to the Qur'ānic structure. It has been proven that any attempt to conjoin the objects or prepositional phrases of "Q ASK" and "R ASK" leads to ungrammatical sentences, e.g., "She asked me how my sister was and to sit down. This trilateral division is motivated by additional syntactic evidence from the distribution of the lexicosyntactic frames of each pragmatic function, the prepositional phrases associated with each pragmatic function of "ASK," the modes of reference underlying the choice of a particular sense, the passive distribution of "ASK" in the GT, and all of its nominal derivatives. To explicate the functioning of the lexicosyntactic frame[63] in the trilateral division of "ASK," here is a chart of their distribution in the GT.

[61] Rudzka-Ostyn 617.
[62] Green, G. "On the notion 'related lexical entry." Chicago Linguistic Society 5:76-88, 1969.
[63] There are six lexicosyntactic frames that dominate the occurrences of *sa'ala* "ask." The number on the left has no significance other than serialization.

1- V + NP + PP	2- V + NP (IO)
3- V + NP + NP	4- V + PP
5- V + NP + WH	6- V + NP (DO)

and/or *tawbīkh* "berating" for (*al-Mahalli & al-Siyūti* 1280H 522)[54] "their forgery."[55] In (33:8), "ASKING" may be for the sake of *taqrīr* "attesting" the "Envoys' acknowledged accomplishment," *tawbīkh* "berating" the detrimental response of their subjects (*al-Alūssi* 1978, 21:155),[56] and/or *muḥāsaba* "interrogation" for the "envoys" in order to credit the believers and chastise the disbelievers. In (33:63), semantic ambiguity is ascribed to the various interpretations of the "ASK" subject "the people:" 'hypocrites' or 'polytheists' whose motivation is *'istifzāz* "aggravating" the Prophet by raising the cause of the Hour; and/or Jews whose intention is *'imtiḥān* "putting to test" by *'istifsār* "seeking information" on a question the answer of which is, as 'already in the Torah' (*al-Alūssi* 1978, 22:92),[57] clandestine. In (43:45), "ASK" is vicariously forwarded to the Arab tribe Quraysh as a performative verb, i.e., to *yaṭlub* "request" that they investigate the quintessence of their beliefs; or, as an assertive one, to *taqarrir* "attest" that 'no apostle or divine book has ever [recognized] but devotion to God' (*al-Mahalli & al-Siyūti* 1280H 651).[58] In (68:40) *tawbīkh* "berating" (p. 755) for their ignorance to perceive the truth, and/or *tabkīt* "rebuke" by referring to them in the third person (*al-Alūssi* 1978, 29:42)[59] are revealed. And in (70:1), 'a disbeliever's dismal supplication for his people to be tortured' can be interpreted as *muḥāsaba* "interrogation" for the committed wrong-doing; or, *ṭalab* "request" that highlights his motivated drive to have someone "bring down torture" (*al-Zamakhshari* 1987, 4:608).[60]

4. The internal structure of Qur'ānic *sa'ala* "ask"

The main argument is that *sa'ala* "ASK," a metalinguistic verb in the GT, has several pragmatic functions to be defined with regard to the cognitive concepts associated with the speech originator's intention, his expectation and the context of situation. It suggests that

[54] *al-Mahalli & al-Siyūti* 522.
[55] There is no conflict between this and (28:78) because 'not' interrogation could be related to two different positions or periods (*al-Alūssi* 20:121).
[56] *al-Alūssi* 21:155.
[57] *Ibid* 22:92.
[58] *al-Mahalli & al-Siyūti* 651.
[59] *al-Alūssi* 29:42.
[60] *al-Zamakhshari* 4:608.

1978, 4:184-185);[45] and all creatures devote It to improve their lot in life and be protected by His infinite mercy (55:29). Although illustrations of this function are few, they constitute reliable evidence for an independent pragmatic (sub)category *of du'ā'* "prayer" which, similar to the previous peripheral ones, has to be incorporated in the larger "R ASK."

Subcategory discreteness, therefore, should not be understood as always clearly marked. Many occurrences of Qur'ānic *sa'ala* "ASK" allow more than one pragmatic interpretation. A comprehensive elaboration of such cases will not only clarify the conceptual structures of this verb but also remove any seemingly ambivalent readings of some of its contexts. In (2:211), two interpretations of the imperative "ask" can be encountered: *tawbīkh* "berating" (*al-Zamakhshari* 1987, 1:259[46] & *al-Alūssi* 1978, 2:99)[47] and *tabkīt* "rebuke" (*al-Muḥalli & al-Siyūti* 1280H 41)[48] directed to the referents for their oppression of their fellow men and denial of God's bounties. In (7:163), both *taqrīr* "attestation" of the referents' stepping over God's borders which they persistently hide (*al-Alūssi* 1978, 9:89),[49] and *tawbīkh* "berating" for their sacrilege (*al-Zamakhshari* 1987, 2:170)[50] are detected. In (16:43), both *'istifsār* "enquiry" attempting to know the truth, and/or *tabkīt* "rebuke" denial instead of asking the knowledgeable (*al-Alūssi* 1978, 14:140)[51] are possible readings. In (17:101), *fa'is'al* "imperative ask" has either *talab* "request" function, where Moses is instructed to get assistance from the children of Israel; or, *'istifsār* "enquiry" to know their stance, can be pursued.[52] In (21:13), "passive-ASK" is for *'istifsār* "enquiry," i.e., the addressees `may have to provide information" on their "luxury," or *muḥāsaba* "interrogation," which conveys they `may be targeted as responsible' (*al-Alūssi* 1978, 17:16)[53] for perverting their luxury. In (29:13) *sa'ala* bears both *muḥāsaba* "interrogation"

[45] *al-Alūssi* 4:184-185.
[46] *al-Zamakhshari* 1:259.
[47] *al-Alūssi* 2:99.
[48] *al-Muḥalli & al-Siyūti* 41.
[49] *al-Alūssi* 9:89.
[50] *al-Zamakhshari* 2:170.
[51] *al-Alūssi* 14:140.
[52] Where the addressee is Prophet Mohammed (peace be upon him), *'is'al* "ask" is not information-seeking but *taqrīr* "attestation" of his divine communication (*al-Alūssi* 1978, 15:184).
[53] *al-Alūssi* 17:16.

unsympathetic and resentful reproach. The (non-)verbal response of the hearer is, evidently, not significant.

Tabkīt "rebuke" is an evasive type of chiding directed at a group of people by means of a third party while the person rebuked, 'to symbolize loathsomeness toward him and to his faith (*al-Alūssi* 1978, 30:67-68),'[42] is cast-off from the discourse situation. Its contexts show that its user always has a didactic objective oriented to the hearer. For instance, it is the Prophet's intention to urge those schemers who reject his message to comprehend the truth (21:7); *Ibrahim*'s goal to have his own heathen relations who resent his cause reconsider the reality of their statues (21:63); and the Prophet's ambition to convince some disbelievers who rebuff his new message to scrutinize the essence of their faith (43:45) (*al-Alūssi* 1978, 25:86),[43] and to ponder on their miscalculations (68:40). Finally, a passive *su'ala* "ask" put forward by God to infant-girls, buried alive, about their crime reminds their killers of their disgraceful actions (81:8). These five occurrences with their moral implications constitute evidence for the discrete *tabkīt* "rebuke" of some uses of *sa'ala* "ask."

Taqrīr "attestation" designates a speaker demanding information that substantiates the truthfulness of an already known fact or conclusion. Its instances are God's pledge to 'question' His "envoys about their own performance" and their subjects' maliciousness (7:6); His instruction to the Prophet to assert the Jews' tyranny by resorting to their own self-recounted information (7:163); His explanation to check the authenticity of His Knowledge by 'comparing' it with that of "the masters and rabbis" known to be substantial (10:94) (*al-Zamakhshari* 1987, 2:370);[44] and His vouches to attest peoples' reaction to the "truthfulness" of His word (33:8). In his story, Joseph stipulates that the King's messenger obtain "the (reality of the) women who cut their hands" (12:50), and suggests that his father confirm the irreproachable execution of his brother (12:82). All these cases, which capture the attestation of an incident, motivate a distinct structure of its own.

Du'ā' "prayer" reveals a plea to God by a person to have his earnest request granted by God or His agent, e.g., 'you use God's name to appeal to each other' (4:1) (*al-Alūssi*

[42] *al-Alūssi* 30:67-68.
[43] *Ibid* 25:86.
[44] *al-Zamakhshari* 2:370.

are abundant enough to originate a pragmatic category of their own. Nevertheless, for conceptual reasons, this function will be designated to the central category "Q ASK." Its illustrations inquire into 'the length of the period of Cave refuge' (18:19) and probe into relations' and associates' state-of-being (23:101), (28:66) and (70:10). There are parallel indirect manifestations of 'concern' by means of *sa'ala* "ask" which this function can account for because they reflect their utterers' perception. Thus, *ta'ajjub* "consternation" clauses capture the extraordinariness of an incident, especially when its justifications are mysterious (*Udaymu* 1972, 3:105):[37] e.g., feeling the "sinners' state in Hell" (74:40) (*al-Alūssi* 1978, 29:166).[38] *Talāwum* "accountability" characterizes the culpability of predicament, e.g., litigants' exchanging allegations that brought about their present disparaging conditions (37:27). And, *talaṯṯhuth* "jubilation" demonstrates the ecstasy of chatting, e.g., Paradise residents' switching conversational turns to contrast their anterior conditions with current states (37:50) and (52:25). These eight examples distributed across one principal category and three related subcategories form a strong piece of evidence for the cognitive structure of "Ask" of *'ijmi'nāh*. The hearer's response in this context is, therefore, vital.

Tawbīkh "reproach"[39] statement is motivated by the speaker's wish to sharply reprove the hearer, addressee, or referent either implicitly or explicitly; it is another peripheral, but self-evident pragmatic function of other *sa'ala* "ASK" occurrences. Examples are God's scolding "the children of Israel" for their tyranny against and rejection of the Truth (2:211) (*al-Alūssi* 1978, 2:99);[40] condemning those who either adversely respond to His prophets (7:6), or incessantly and presumptuously pry into "the Hour" (7:187); railing at man's subversion of luxurious possessions (21:13), and the disbelievers' 'seceding from' His word (23:72) (*al-Alūssi* 1978, 18:53);[41] and, defying God's warners by "the warders of Hell" who revile its "troops" (67:8). These occurrences represent an illustration that motivates a structure where the speaker's intention, justly self-rationalized, directs a form of

[36] *Ibid* 22:92.
[37] *Udaymu* 3:105.
[38] *al-Alūssi* 29:166.
[39] In Qur'ānic interpretation, this implication is also called as *taqrī'* "reprimand."
[40] *al-Alūssi* 2:99.
[41] *Ibid* 18:53.

which the referents will (not) be reciprocated: the disbelief of the "inhabitants in Hell" (2:119); 'the evils' of other nations (2:134 & 141) (*al-Zamakhshari* 1987, 1:94);[32] fragmenting the GT (15:92); "committed forgery" (16:56) and (29:13); worldly "accomplishments" (16:93) and (21:23 & 23) (*al-Alūssi* 1978, 14:223);[33] sinful and good deeds (34:25 & 25); "erroneous testimony" (43:19); "recognition of the GT" (43:44); the ensuing of torture (70:1); and "the true bliss" (102:8). These fourteen instances of "I ASK" feature an expression of systematic questioning to adjudicate reward or torture; the hearer's response is, therefore, expected but, in a few cases, not indispensible.

The fourth (and first peripheral) pragmatic function of *'istifzāz* "aggravation" shows a speaker putting forth an abrasive "ASK" clause that not only baffles and mortifies the hearer but also purports his *'tahkīr* "denigration." Although it will have to be conceptually contained within the central category "R ASK" (see below), its occurrences are numerous enough to create another indisputable pragmatic function of *sa'ala* "ASK," of "aggravation." The speaker's intent is to reject or negate a situation and 'anticipate its counter-position' (*Uskayma* 1972, 3:95).[34] Illustrations of such a function are: the Prophet's own people urging *nasikh* "superseding of Qur'ānic verses with some of their own making" (2:108 & 108); the Jews' "demanding another revelation" (4:153) (*al-Alūssi* 1978, 6:5-6);[35] Resurrection repudiators' disaffirming God's dexterity to annihilate "the mountains" (20:105); the polytheists' instigating "the [unanswerable] question of the Hour" (33:63) (*al-Alūssi* 1978, 22:92);[36] prevaricators' expediting "Doom's Day" (51:12) and (75:6); the Prophet's kinsmen's questioning the truthfulness of "the Mighty Tiding" (78:1); and Mecca's idolaters' challenging the timing of the "Hour" (79:42). Thus, there nine citations, each of which raises an antireligious question that can provoke the hearer because it has no answer; or if it does, that answer is beyond the ability of the hearer.

The fifth (and second peripheral) pragmatic function of the *'ihtimā'* "concern about well-being" communicates one's own consciousness about another's state. Its manifestations

---

[32] *al-Zamakhshari* 1:94.
[33] *al-Alūssi* 14:223.
[34] *Uskayma, M. dirāsāt li-'uslūbi 'al-qur'ān 'al-karīm* "studies in Qur'ānic stylistics" (2 Vols). Cairo: *al-Sa'āda* Publishing House, 1972.
[35] *al-Alūssi* 6:5-6.

7:39-40);[27] hypocrisy (9:65); previous messages (16:43); a mystic conduct (18:70 & 76); the length "of a tarried day" (23:113); "the All-Compassionate" (25:59); "the Creator of the heavens, earth, and water;" "sins (of the wicked)" (28:78),[28] and (those of humans and Jinni) (55:39); and "the Creator of the heavens and earth" (29:61 & 63), (31:25), (39:38) and (43:9); and "of man" (43:87). Two incidentally-related pragmatic functions are introduced by this information-seeking "Q ASK:" *'isrikhbār* "spying," i.e., seeking news secretly, on Moslems in (33:20), and *'imtiḥān* "putting to test" where the hearer's knowledge is evaluated on religiously objectionable questions, e.g., "The Hour" in (7:187) (*al-Zamakhshari* 1987, 2:183)[29] and "the Spirit" (17:85) and (18:83). Thus, the number of subjects inquired about by a form of "Q ASK (about)" is, not twelve as indicated by *al-Siyūti* (1973, 3:613),[30] but seventeen. Based on the hearer's expectation, these can be classified into four groups: eleven encouraged by proponents who seriously expect an informative response by the speaker: (2:186), (2:189), (2:215 & 219), (2:217, 219, 220 & 222), (5:4), (5:101, 101 & 102), (16:43), (18:70 & 76); three with a positive answer presumed by the speaker to test the interlocutor's knowledge (7:187), (17:85), (18:83) and (9:65); one with a concealed intention of seeking information surreptitiously (33:20); and one with an expected wrong answer (23:113).[31] Therefore, in the thirty cases of "Q ASK," the originator expects some indispensable, verbal communication by his informant.

The third central pragmatic function of *muḥāsaba* "interrogation" (later "I ASK")" highlights the speaker's intention of *mujāzāh* "giving reciprocation (or retaliation)" toward the hearer for some accomplishment. Associated with "I ASK" is a variety of reckonings for

[27] *al-Alūsi* 7:39-40.

[28] In (28:78) and (55:39) "ask" is negated; i.e., as a gesture of the referents' irrevocable punishment (*al-Alūsi* 1978, 20:121), the sinners are not required to furnish details of or rationalizations for their transgressions. Also, in (15:92) and (43:19) "ask" is affirmative; i.e., in order to throw the blame on themselves, the sinners should comprehend the incentive of their own sins. This illumination alleviates any claim of semantic ambivalence in the use of negated versus affirmed "ask."

[29] *al-Zamakhshari* 2:183.

[30] *al-Siyūti*, J. (d. 911 H). *muḥtarahu 'al-'aqrān fi 'Ijāzi 'al-qur'ān* "Peer controversies on Qur'ānic miraculous aspects" (Vol. 3) *A. al-Bijawy* (Ed.). Cairo: *al-Fikr al-Arabi* Publishing House, 1973.

[31] According to this last classification, the total is not thirty because I eliminated same issues "asked about" more than once.

numerous bounties' (4:32) (*al-Alūssi* 1978, 5:20);[20] "a (holy) book" (4:153); "a wage" (or earnings, compensations, etc.) (6:90) (10:72), (11:51), (12:104), (25:57),[21] (26:109, 127, 145, 164 & 180), (34:47), (36:21), (38:86), (42:23), (52:40), and (68:46); 'a share of the "spoils" of war (8:1) (*al-Alūssi* 1978, 7:160-61);[22] "wealth" (11:29); an impressionable petition (11:46 & 47); some 'preconditions of life' (14:34) (*al-Zamakhshari* 1987, 2:556);[23] 'tangible and emotional assistance' (17:101) (*al-Alūssi* 1978, 15:184);[24] apostasy (33:14); a household object (33:53 & 53); "properties" (47:36 & 37); and "expenditures" (60:10 & 10). There is, however, one slightly different type of imperative request, the so-called *tawkīl* "authorization," i.e., assigning basic "provision" for man's dependents, e.g., (20:132). The total instances of performative acts via "R ASK" are thirty-four, uncovering the speaker's attempt to get the hearer (not) to tender something; accordingly, no verbal response is expected to follow the straightforward request, exhortation or authorization. In other words, such illustrations substantiate a belief that linguistic communication between speaker and hearer is not, by and large, consequential.

The second central[25] pragmatic function of *'istifhār* "enquiry (later "Q *ASK*")"[26] is prototypical in seeking or eliciting information from the hearer. In its Qur'ānic instantiations particulars are sought on a number of theological issues: "God" (2:186); "the moons" (2:189); "(good) expenditures" (2:215 & 219); "the holy month" (2:217); "wine and arrow-shuffling" (2:219); "orphans" (2:220); "women's monthly course" (2:222); "what is permitted" (5:4); 'illegitimate and deleterious' "things" (5:101, 101 & 102) (*al-Alūssi* 1978,

---

[20] *al-Alūssi* 5:20.

[21] This is called *hath* "Exhorting" *wb-*, i.e., to propel the hearer perform an act.

[22] *al-Alūssi* 7:160-61.

[23] *al-Zamakhshari, M.* (d. 538 H) *'al-kashshāf 'an haqā'iq ghawāmiḍ 'al-tanzīl wa 'uyūn 'al-'aqāwīl fī wujūhi 'al-ta'wīl* "[the] torch of facts of revelation mysteries, and authentic sayings on aspects of interpretation" (4 Vols). Cairo: *al-Rayan li-l-Turath* Publishing House, 1987.

[24] *al-Alūssi* 15:184.

[25] I'm using *central* on purely statistical grounds, i.e., the first three functions, either collectively or individually, have relatively higher frequencies than the rest which will be collapsed into the former in the section on conceptual structures.

[26] In Arabic stylistics *'istifsār* "enquiry" is a synonym of *tafahhum* "understanding" or *'istafhām* "investigation."

wherein the various conceptualizations of "ASK" interlink, Table 1 presents a distribution of the pragmatic interpretations of "ask."

Function	Occurrences	Percentage
talab "request"	34	29.56 %
istifsār "seeking info."	30	26.09 %
muḥāsaba "interrogate"	14	12.17 %
'istifzāz "aggravation"	9	7.83 %
'ipni'nām "know well-being"	8	6.96 %
tawbīkh "berating"	6	5.22 %
tabkīt "rebuke"	5	4.35 %
taqrīr "attestation"	6	5.22 %
du'ā' "prayer"	3	2.60 %
Total	115	100 %

TABLE 1

PRAGMATIC FUNCTIONS OF *sa'ala* "ASK" IN GT

The first pragmatic function, *talab* "request" (R ASK), poses a question to express a speaker's real desire to get the hearer to comport, to appeal for, or to bring in, an object ordinarily obtainable by the hearer. In the GT, the objects requested vary according to the context of a situation, i.e., the particular circumstance wherein a verse is revealed. They are edible plants (2:61) (*al-Mahalli & al-Siyūti* 1280H 12);[18] worldly substances (2:273); `God's

Langacker, R. "A usage-based model." In Topics in Cognitive Linguistics, B. Rudzka-Ostyn (Ed.), 127-161. Amsterdam: Benjamins, 1988.

[16] Lakoff, G. "Cognitive models and prototype theory." In Concepts and Conceptual Development: Ecological and Intellectual Factors in Categorization, U. Neisser (Ed.), 63-100. Cambridge: Cambridge University Press, 1987a.

Lakoff, G. Women, Fire, and Dangerous Things. What Categories Reveal about the Mind. Chicago: University of Chicago Press, 1987b.

[17] *al-Mahalli, J. & J. al-Siyūti* (d. 911 H). *tafsīr 'al-jalālayn* "The interpretation of 'al-*jalālayn*". Cairo: *Bulāq* Edition, 1280H.

another"[13] implies semantic reciprocation between, and reflexivity of, its subject and object and the plurality of its subject. This pattern reflects the lexicosyntactic feature *quecclaratives*, a concept coined by Sadock (1971)[14] to characterize that type of questioning with the force of statements and potential function of information-seeking. Thus, in all occurrences of Qur'ānic *tasā'ala*, i.e., (18:19),[15] (23:101), (28:66), (37:27 & 50), (52:25), (74:40), and (78:1), their syntactic structures count neither as real or rather epistemological questions nor as direct requests. Similar to other forms of *sa'ala* "ask," their function is attested, generally speaking, to elicit information or to report a speech act. Meanwhile, since in some instances of *tasā'ala* the primary speaker and addressee are identical, a type of inner-speech reporting, e.g., (23:101), (28:66), (37:27 & 50) and (52:25)—their main pragmatic function is to reveal an ulterior aspect of the speaker's own attitude toward, or belief in, a certain issue. Thus, in all of its occurrences, *CACĀCACA*, in addition to marking the reflexive plural reporting, conveys the assertive or intensifying function: not just information seeking, but recounting speaker's disposition.

3. The pragmatic functions of Qur'ānic *sa'ala* "ask"

The present analysis of Qur'ānic *sa'ala* "ASK" proves it to be polysemic; hence, it performs the proposed pragmatic functions connected within one cognitive network. The multiplicity of the pragmatic concepts as evoked by "ask" reinforces an early finding in English, namely "ASK" is a "verb that activates several conceptual structures operating on different levels of specificity" (Rudzka-Ostyn 1989:615).[16] Before the paper proposes a schematic network model (Langacker 1987 & 1988[17] & Lakoff 1987a&b)[18] that uniquely captures the ways

[13] In Qur'ānic phonology, this root-form, CACĀCACA, has two readings: *tatasā'alūn* "ask one another" (4:1), where phonological haplology applies to get the surface *tasā'alūn*; and/or *tassā'alūn* "ask one another" assimilation applies.
[14] Sadock, J. "Queclaratives." Chicago Linguistic Society 7:223-232, 1971.
[15] The number on the left refers to the chapter of the GT followed by the verse number in that chapter.
[16] Rudzka-Ostyn 615.
[17] Langacker, R. Foundations of Cognitive Grammar (Vol. 1). *Theoretical Prerequisites*. Stanford, Calif.: Stanford University Press, 1987.

Thus, CL facilitates research on linguistic phenomena as artifacts of human experience. With its focus on how human beings conceive of, manipulate and extend meaning, CL can potentially open a bridge between linguistic and cultural studies, one significant area that facilitates the work of Qur'ānic interpreters and translators.

2. Qur'ānic *sa'ala* "ask"

Lexicologically, *sa'ala* "ask" signifies a 'desire to know, receive, recall, question, reproach,' etc.; idiomatically, *sa'ala bi* "swear to" and *sa'ala ʿan* "inquire about" are cited among its further uses (*Ibrahim* 1968:228).[9] Al-*Tayyibi* (quoted in *al-Alūsi* 1978, 9:160-61)[10] points out that one way of expressing questions in the GT is by using *sa'ala* "ASK,"[11] which does not imply that questioning is the exclusive semantic function of "ASK." Different forms of the Qur'ānic verb, however, underlie different semantic and pragmatic functions. First, the transitive form with either prepositions—*ʿan* "about" which implies 'delve into … to know' (*al-Alūsi* 1978, 19:38),[12] or *bi* "with" which suggests 'be scrupulous to know'—is used for invoking or cherishing knowledge, and is mostly answered orally or literally. *Sa'ala ʿan* is well-established as a way to essentially represent the prototype of the knowledge-seeking verb "ASK." Second, the same transitive form with another preposition, *min* "from" reflects 'require an object;" it is, therefore, answered both performatively and, in a few cases, verbally either by obligation or guarantee to perform an act. *Sa'ala min*, categorically, represents an aspect of the performative "R ASK." Finally, the particular derivation of "ask" in the *CACĀCACA* root, i.e., the paradigm *TAFĀʿALA* in Arabic morphology, *tasā'ala* "ask one

[9] *Ibrahim, M. mu'jam 'al-'alfāz wa 'al-'a'lām 'al-qur'āniyya* "a dictionary of the Qur'ānic items and proper nouns." Cairo: *al-Fikr al-Arabi* Publishing House 1968.
[10] *al-Alūsi*, A. (d. 1270 H) *rūhu 'al-ma'āni fi tafsīr 'al-qur'ān 'al-'aẓīm wa 'al-sabʿ 'al-mathāni* "the spirit of semantics in interpreting the Great Qur'ān and the seven repetitions" (30 Vols). Beirut: *al-Fikr* Publishing House, 1978.
[11] The other and more recurring way of questioning in the GT is the use of the Linguistic Action Verb *qāl* "say" followed by a direct question.
[12] *al-Alūsi* 19:38.

performance of these pragmatic functions is represented in one interlink within a schematic network. Finally, these findings and their theoretical implications are outlined.

The paper argues for the multiplicity of Qur'ānic expression: the present description utilizes the framework of cognitive semantics to reveal how the concept of "ASKING" is structured. A major question in cognitive semantics research is: how different languages and cultures utilize the resources in the language system, i.e., the grammar and lexicon, to construe the word. Geeraerts (1997:7)[4] perceives cognitive linguistics (CL) as 'an approach to the analysis of natural language that focuses on language as an instrument for organizing, processing, and conveying information.' As such, the analysis of the conceptual and experiential basis of linguistic categories is believed to be of primary importance. Although the CL enterprise is not a monolith (Goldberg 1996:3),[5] most if not all cognitive linguists share some foundational assumptions. These theoretical assumptions of the CL enterprise as perceived by Goldberg (1996),[6] Geeraerts (1997)[7] and Heine (1997)[8] steer the present analysis.

(a) There are important links between linguistic structure and human cognition, making it imperative to acknowledge the role of human cognition and human experience in motivating and explicating linguistic structure.

(b) A language community imposes its own categorizations upon the entities which constitute reality and such categorizations may differ considerably from one language community to another.

(c) Most of the categories relevant to linguistics are viewed as having central and less central members rather than being criterially defined.

(d) Where the meaning of a form needs to be elaborated, then a larger context or 'frame' [domain] needs to be invoked in order to properly describe the meaning.

---

[4] Geeraerts, D. Diachronic prototype semantics: A contribution to historical lexicology. Clarendon Press, Oxford, 1997.
[5] Goldberg, A.E. Constructions: a construction grammar approach to argument structure. University of Chicago Press, Chicago, 1996.
[6] *Ibid.*
[7] *Ibid.*
[8] Heine, B. Cognitive foundations of grammar. Oxford University Press, Oxford, 1997.

1. Introduction

This paper presents an analysis of the one hundred and fifteen occurrences of *sa'ala* "ask"[1] in the Glorious Text (GT henceforward). Although the choice of this verb, which universally represents a complex relational category whose primary function is metalinguistic, incites several theoretical issues (Rudzka-Ostyn 1989),[2] the paper confines itself only to determining the pragmatic functions the verb performs and to capturing their consistent cognitive interpretations in the GT, the data base for this investigation. To accomplish this goal, an examination of all Qur'ānic contexts of *sa'ala* is made; then, its distinct, contextually-motivated, interpretations are all scrutinized and broadly classified. The principal contention is that the polysemic *sa'ala* has nine pragmatic functions that seem consistent with cognitive relations: *ṭalab* "request," *'istifsār* "enquiry," *muḥāsaba* "interrogation," *'istifzāz* "aggravation," *'iẓmi'nān* "concern of well-being," *tawbīkh* "reproach," *tabkīt* "rebuke," *taqrīr* "attestation" and *dhi'ā'* "prayer." Based on this pragmatic analysis and on scrutinizing other syntactic evidence, the paper argues that "ASK"[3] cognitively frames not two, but three central types of interpretations: information-seeking "ASK" (henceforth "Q ASK"), performative ("R ASK") and interrogating ("I ASK"). The conceptual structures of each version of the Qur'ānic *sa'ala* are represented, and an intrinsic account of the verb's

[1] Here is the key to transcription symbols and diacritics in the text. Stops: /ṭ/ voiceless dental velarized; /ḍ/ voiced dental velarized; /q/ voiceless glottal/uvular; and /'/ low voiceless glottal stop; fricatives: /sh/ voiceless alveopalatal; /j/ voiced alveopalatal; /ṣ/ voiceless velarized; /z/ voiced interdental velarized; /dh/ voiced interdental; /th/ voiceless interdental; /ḥ/ voiceless pharyngeal fricative; /ʕ/ voiced pharyngeal; /kh/ voiceless velar; and /gh/ voiced velar fricative. Other symbols are typically known to readers of English phonetics. Also, vowels with macron, i.e., ī ā and ū, indicate lengthening; ( ) indicate a requirement of the source language; and "… " direct translation, '… ' writers' personal interpretation and Italics Arabic words. Italics characterize Arabic transliterations.

[2] Rudzka-Ostyn, B. "Prototypes, schemas, and cross-category correspondences: the case of *ask*." Linguistics 27:613-61, 1989.

[3] "ASK" or any of its subcategories, "Q ASK," "R, " and "I," refers to the universal information-seeking, performative-request and interrogative-act category or subcategory.

ABSTRACT

This paper attempts to provide one cognitive, i.e., schematic, network of all occurrences of the Qur'ānic *sa'ala* "ask." The theoretical framework to argue for the proposed network is dual: to argue for a number of pragmatic functions that seem to underlie the choice of *sa'ala*; and to make a strong case that these pragmatic functions motivate cognitive interpretation. The first part of the paper, which examines distinct interpretations of Qur'ānic *sa'ala* that ensue from a contextual analysis of its occurrences, reveals the pragmatic functions of *talab* "request," *'istifsār* "enquiry," *muḥāsaba* "interrogation," *'istifzāz* "aggravation," *'ihtimām* "concern about well-being," *tawbīkh* "reproach," *tabkīt* "rebuke," *taqrīr* "attestation" and *du'ā'* "prayer." Based on this pragmatic, as well as other consistent syntactic, evidence, the paper argues that "ask" cognitively frames, not two, but three central types of cognitively-based construal: information-seeking "ask," performative "ask" and interrogating "ask." Then, the paper proposes a few conceptual structures that trigger some various utilizations of Qur'ānic "ask;" and argues that they all interlink into one schematic network that enables readers, translators and interpreters of the Holy Qur'ān to account, in a natural manner, for the verb's execution of these cognitive functions. Finally, the findings and their theoretical implications are outlined.

Keywords: Arabic linguistics, cognitive semantics, linguistic pragmatics & Qur'ānic interpretation & translation

الملخص

تبحث هذه الورقة فى تقديم أدلة من علم اللغة المعرفى على وجود شبكة من العلاقات المعرفية المتداخلة تربط جميع الأمثلة القرآنية لفعل الاستفهام «سأل» فى القرآن الكريم وعددها مائة وخمسة عشر مثالا. ولتحقيق هذا الهدف كان واجبا الاستعانة بإطارين نظريين: الأول من «التداولية اللغوية» تربط بين استخدامات متعددة للفعل «سأل» وبعض الوظائف التداولية التى تحققها هذه الاستخدامات. ثم تأتى الخطوة الثانية وهى الربط بين الاستخدامات واستيعاب المدلول المعرفى الذي ينتهي إلى الإتيان ببعض الأفعال أو أداء السلوكيات المتضمنة لهذه العلاقات التداولية والمبررة لوجودها. ويهدف الجزء الأول من الورقة إلى استعراض التفسيرات التداولية للفعل «سأل» وعددها تسعة هى: الطلب، الاستفسار، المحاسبة، الاستفزاز، الاطمئنان، التوبيخ، التبكيت، التقرير، وأخيرا الدعاء. من هذه الدلالات والإستدلالات التداولية إضافة – إلى بعض القرائن الخاصة بتراكيب الجمل القرآنية المحتضنة للفعل «سأل» يبرز البحث ملامح الأطروحة المعرفية الرئيسية، ومفادها أن الفعل «سأل» تشكله ثلاثة إطارات بنيوية تؤدى بثلاث معان أو تفسيرات معرفية رئيسية هى: «سأل» التى تطلب المعلومة، ثم «سأل» التي تحفز أو تدفع بالقارئ فى اتجاه سلوكي بعينه، ثم «سأل» الاستفهامية. من هنا يتبنى البحث الأطروحة الأصل وهى أن «سأل» تحكم تفسيراتها حفنة من الأبنية الإدراكية المعرفية تربط كل معنى باستخدام تداولي أو إدراكي خاص. ثم يأتي الجزء الأخير من الورقة الذى يدلل على وجود الرابطة المعرفية الإدراكية الأكثر شمولية وهي التي تجمع هذه العلاقات التداولية فى شبكة معرفية واحدة تعين قراء القرآن الكريم ومفسريه، ومترجميه، على إعمال كل استخدام للفعل «سأل» بالمعنى المناسب والوظيفة التداولية المنوطة إدراكيا أو معرفيا كل فى سياقه.

مفاتيح البحث: اللغويات العربية، المعاني المعرفية، التداولية اللغوية، وترجمة وتفسير النص القرآني.

جامعة الطائف

البنية الإدراكية للفعل «سأل» في القرآن الكريم: تحليل من علم اللغة المعرفي

أ.د. حسن البنا جاب الله

د. محمد علي الخيري

كلية الآداب - جامعة الطائف

Taif University Journal

Arts & Education

Second Edition

Volume 7:1433-2012